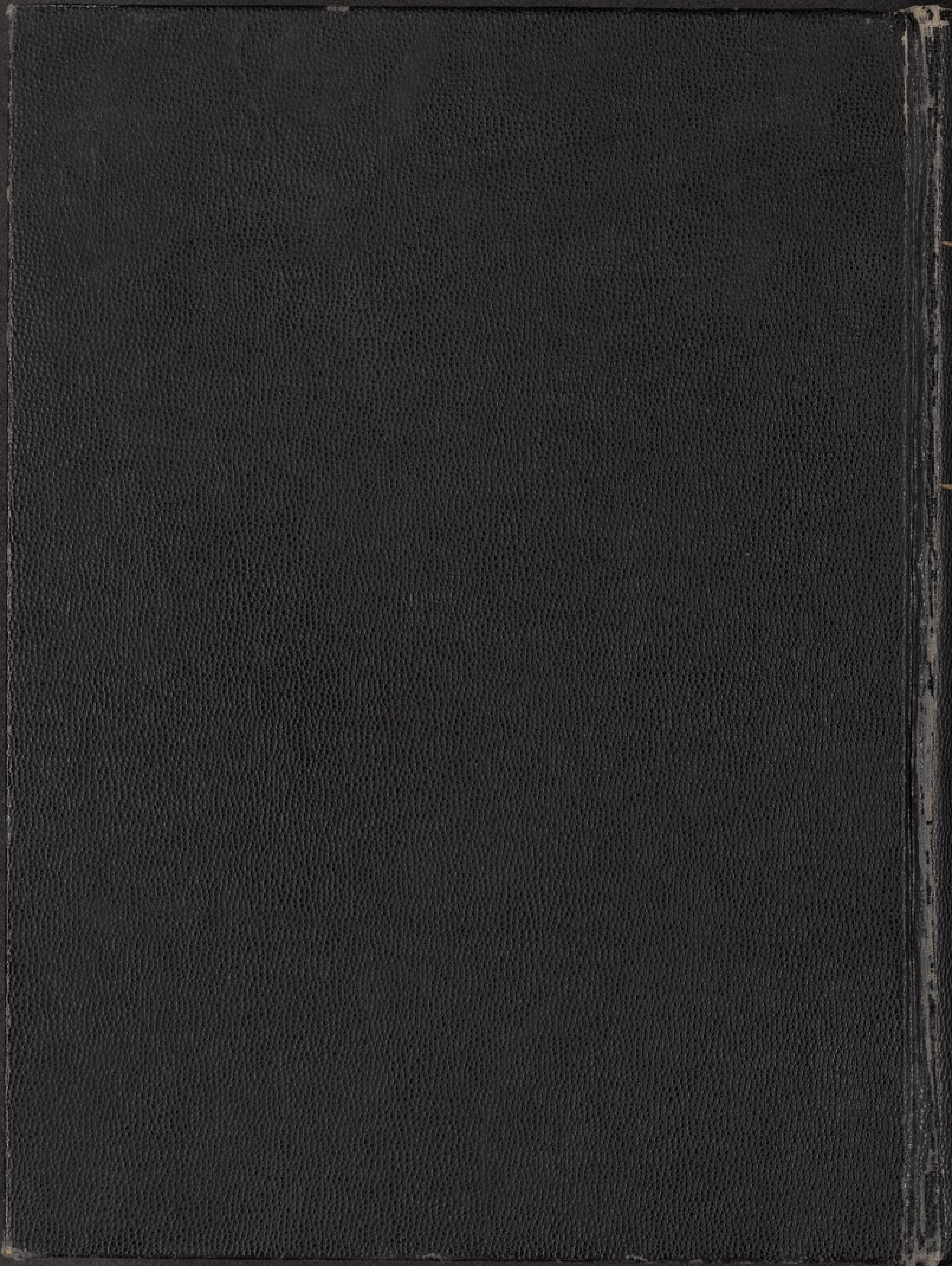
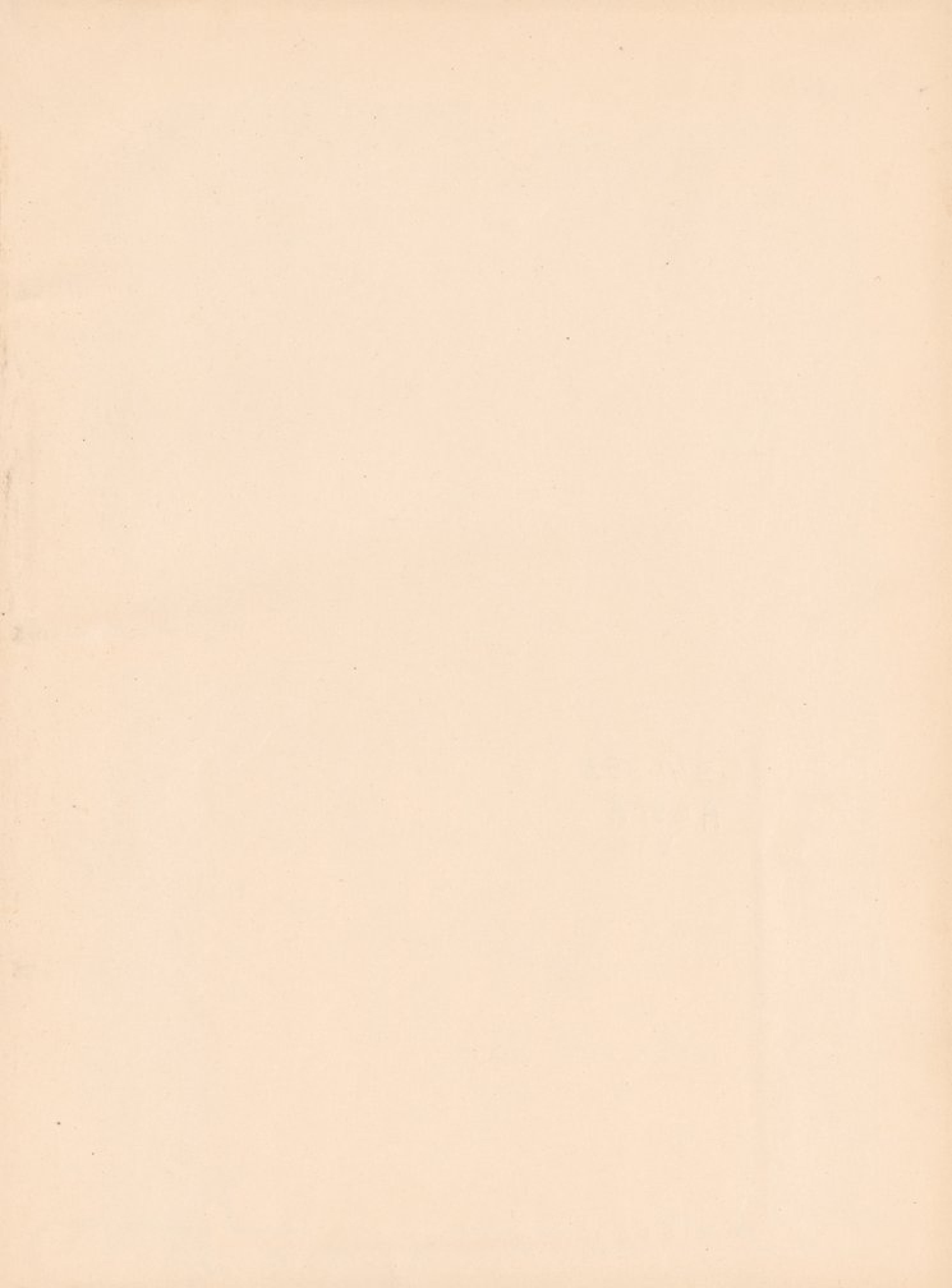








التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي
وبين المملكة العربية السعودية

عرض

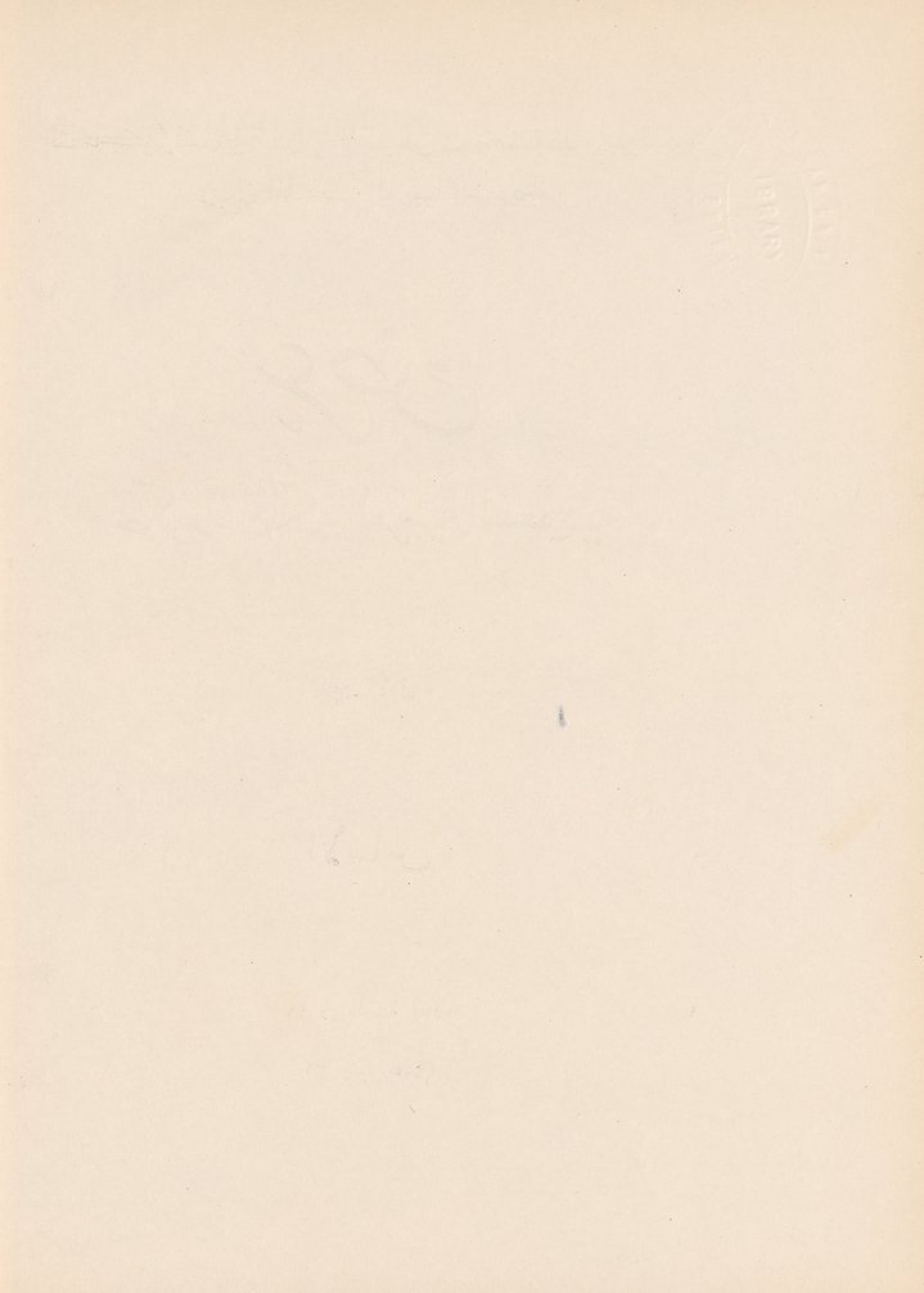
حكومة المملكة العربية السعودية

المجلد الأول

الأساس

١١ ذى الحجة ١٣٧٤

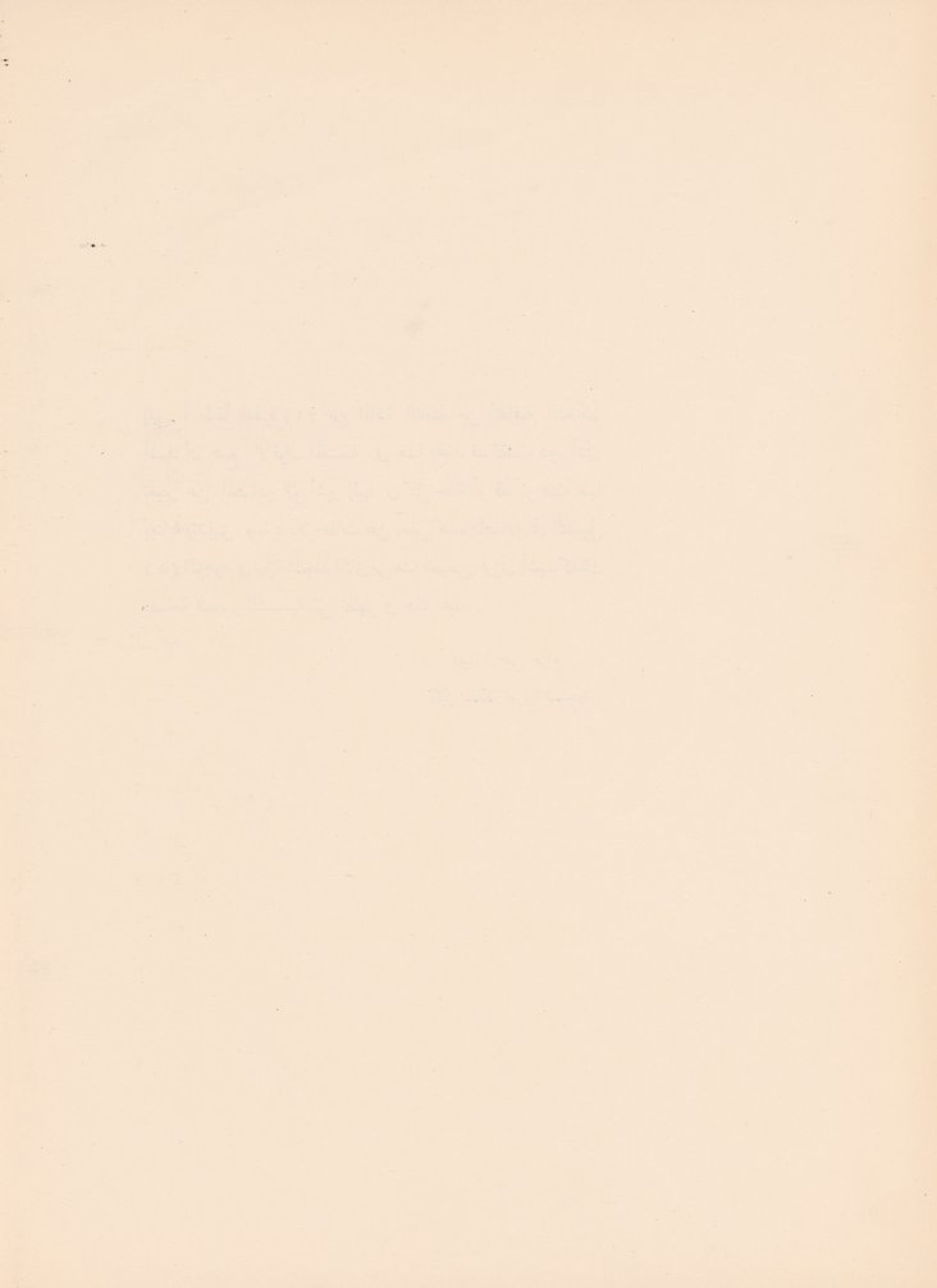
٣١ يوليو ١٩٥٥



إننى ، طبقاً للفقرة (١) من المادة الثامنة من اتفاقية التحكيم أشهد أن جميع الأقوال المقتبسة فى هذا المجلد قد نقلت دون أدنى تغيير عن المصادر التى أشير إليها فى كل حالة أو قد ترجمت عنها بعناية وتدقيق. وسترد ملاحظات عن بعض هذه المصادر فى التذييل (د) الموجود فى نهاية المجلد الثانى من هذا العرض. و إنى أشهد كذلك بصحة الصور الشمسية التى تظهر فى هذا المجلد .

عبد الرحمن عزام

وكيل المملكة العربية السعودية



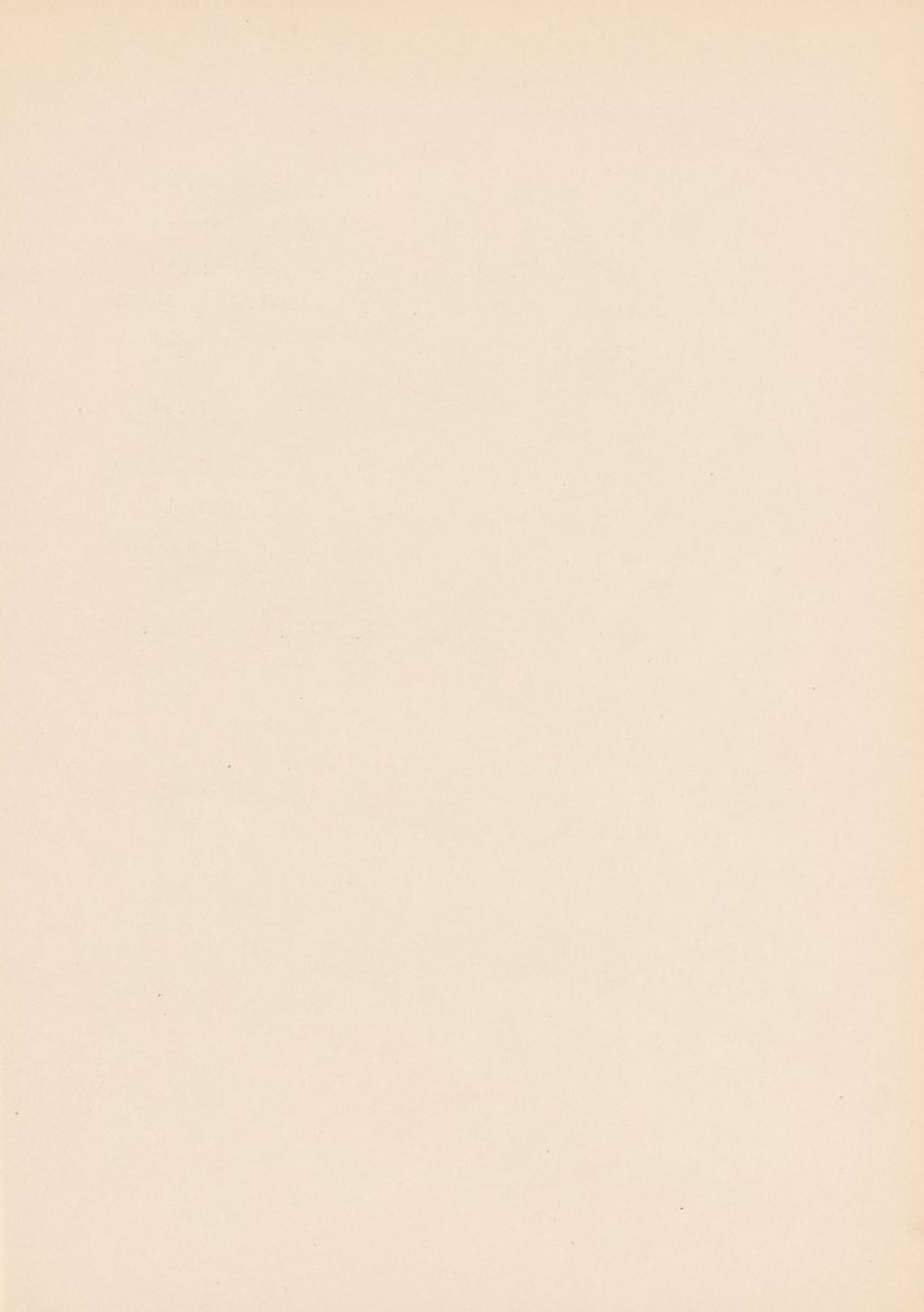
فهرست المجلد الأول

صفحة

٤ – الأساس التاريخى المتعلق بالمناطق المتنازع عليها

١١٧٩ – ١٣٧٤ هـ (١٧٦٥ – ١٩٥٥ م)

صفحة



فهرس الصور



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

المقدمة

١ – إن اتفاقية التحكيم التى أوجدت بمقتضاها هذه الهيئة قد وقعت فى جدة فى يوم ٢٩ ذى القعدة عام ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو عام ١٩٥٤ م) من جانب حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة المملكة المتحدة ، وقد نابت الأخيرة عن حاكم أبو ظبى وسعيد بن تيمور سلطان مسقط[١] . وبعد أن شكلت هيئة التحكيم وفقاً للمادة الأولى من الاتفاقية ، افتتحت أولى جلساتها فى مدينة نيس فى يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ (٢٢ يناير ١٩٥٥ م) . وفى تلك الجلسة عين الرئيس ، طبقاً للفقرة (ا) من المادة الخامسة ، يوم ٥ جمادى الآخرة ١٣٧٤ (١ فبراير ١٩٥٥) موعداً تحسب منه مدة الأشهر الستة الخاصة بتقديم الطرفين عرضيهما . وطبقاً للمادة الخامسة ، يقدم هذا العرض باسم المملكة العربية السعودية .

٢ – وطبقاً للمادة الثانية من الاتفاقية يطلب من الهيئة أن تقرر مسألتين :

(ا) موقع الحدود المشتركة بين البلاد العربية السعودية وأبوظبى ، فيما بين الخط الذى طالبت به الحكومة العربية السعودية فى سنة

---

(١) أدرج النص الكامل لاتفاقية التحكيم فى الملحق ١ المرفق بهذا العرض .

١٩٤٩ ، والخط المطالب به باسم أبوظبى فى مؤتمر الدمام فى سنة ١٩٥٢ .

(ب) السيادة فى المنطقة الداخلة فى دائرة مركزها قرية البريمى ويمر محيطها عبر نقطة تلاقى خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة شمالا مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة شرقا .

ويظهر فى الخريطة الأولى منظر عام للمناطق المحددة فى هاتين المسألتين .

٣ — يعتقد ، على الرغم من الخلاف فى اللفظ ، أن المشكلة الأساسية التى تقدمها كل من المسألتين المعروضتين هى فى جوهرها واحدة . فى الإقليم الذى يعالجه هذا التحكيم لم يتفق الطرفان قط على خطوط للحدود من قبل . ومن ثم فإن المسألة الأولى تتضمن أكثر من تبديد الشك عن موقع خط سبق الاتفاق عليه ولكن لم يتم تحديده بصفة دقيقة . وإنما تستدعى المسألة أن يستحدث خط حدود بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبى ، على أن يكون خطاً متمشياً مع مقتضيات العدالة والسياسة السليمة . ومثل هذه المهمة تتطلب فى بادئ الأمر قراراً من الهيئة عن أحقية ادعاءات الفريقين بالمنطقة ذات الشأن ، وهى منطقة تقارب مساحتها ٧٣٥٠٠ كيلو متر مربع ، وذلك قبل أن يستطاع وضع أى خط بدقة وضبط . وهكذا فإن هذه المشكلة تشابه المشكلة التى تعرضها المسألة الثانية — وهى تقرير مطالب البلاد العربية السعودية وأبو ظبى ومسقط فى المنطقة التى تقع ضمن نطاق دائرة البريمى . وكما تبين المادة الرابعة من الاتفاقية بجلاء ، فإن اعتبارات متماثلة تنطبق على كلتا المشكلتين ، ومن الطبيعى إذن أن يعالجا بطريقة مماثلة . ومن باب التسهيل واليسر ، فحيثما تدعو الضرورة إلى التمييز بين قسمى المنطقة التى يشملها التحكيم سيشار فى هذا العرض إلى الأراضى المحددة فى المسألة الأولى « بالمناطق الغربية » ، ويشار إلى الأراضى المحددة فى المسألة الثانية « بمنطقة البريمى » .

٤ ــ تقع المنطقة التى تعنى بها الهيئة ، وشأنها شأن بعض الأجزاء الأخرى المنعزلة فى جزيرة العرب ، فى بقعة كانت حتى السنين الأخيرة غير معروفة تقريباً للذين لا يقيمون فيها أو يمارسون عملا هناك . والأرض فى أغلبها جافة مجدبة تتميز بسباخ قرب الساحل وكذلك برمال واسعة فى الداخل . وتمارس بعض الزراعات ، ولا سيما زراعة النخيل ، فى البريمى وبين كثبان الجواء فى المناطق الغربية ، بينما هناك مجموعات للنخيل تناثرت فى مناطق أخرى حيث تسمح موارد الماء بذلك ، ولكن فيما عدا ذلك ، فإن اقتصاد المنطقة يقوم على الرعى فى أساسه . ففى مثل هذه المنطقة المحدودة الموارد الطبيعية التى لا تهيئ أسباب المعيشة إلا لعدد محدود من السكان ، تبرز البريمى باعتبارها مركزاً للأهالى والتجارة ومعبراً للمسافرين .

٥ ــ إن سكان الإقليم ، ويكاد يكون معظمهم بلا استثناء ، أفراد قبائل مستقرة هناك منذ زمن طويل ، يعيشون فى مجتمع تطور على مر القرون لمواجهة متطلبات بيئتهم الصعبة القاسية . وقد اتبعوا لأجيال كثيرة طرائق الحياة التقليدية للبدو الرحل ولأشباه الحضر فى جزيرة العرب معتمدين فى معاشهم على ما شيتهم وعلى تمر البريمى والجواء . وقد آثر بعض أقسام القبائل البقاء إلى جوار نخيلها على الدوام ، بينما فضلت أقسام أخرى البقاء إلى جوار نخيلها فى موسم الحصاد ثم العودة إلى الصحراء فى الشتاء . وليس من الممكن التفرقة تفرقة صحيحة بين القبائل « الرحل » « والحضر » . وطبقاً لعادات البادية منذ قديم الزمان يعترف بصفة عامة لكل قبيلة بحقها فى « ديرة » معينة لها ، ويحترم لها ذلك الحق . ومع أن قبائل أخرى قد تدخل فى هذه الديرة ، فإنها لا تفعل ذلك إلا بموافقة أصحابها . وليست حركات القبائل تجوالا على غير هدى ، بل أنها تراعى فى دروب سيرها حقوق الآخرين . وهذا النوع من الحياة لا يمكن اعتباره فى حد ذاته أفضل أو أسوأ من غيره من طرق المعيشة فى الأماكن الأخرى ،

وإنما هى تمثل أحسن الوسائل الممكنة للإنسان لاستخدام مثل هذه الأراضى حال انعدام الأساليب الحديثة التى تتيح استعمال طرق جديدة من النشاط .

٦ — لذلك يوجد فى هذا الإقليم سكان متمدنون لهم نظام سياسى واجتماعى راق من طراز قبلى ، متمسكون بمبادئ الإسلام السامية ، ويحكم أمرهم قانون الشريعة الإسلامية والعادات التقليدية القديمة . وفى الواقع إن ذلك هو نفس النظام الموجود فى الصحراء العربية عامة ، والذى سد على مر القرون حاجات قاطنى الصحراء ورغباتهم . ولا يمكن المغالاة فى تأكيد القول بأن النزاع الحالى لا يستهدف أى موضوع خاص بالتوسع أو الاستعمار من جانب المملكة العربية السعودية . فنى نظرها يعتبر سكان المناطق المتنازع عليها سعوديين لا يختلفون عن غيرهم من السعوديين فى الأصل أو اللغة أو الدين أو العادات ، وإنما هم إخوانهم فى الوطن . والمسألة بالنسبة للحكومة العربية السعودية هى موضوع شعب واحد تهمه المحافظة على وحدته وسلامة كيانه .

٧ — وبينما نجد من الواضح أن هيئة التحكيم لا تعالج أمر مجتمع بدائى فى هذه المناطق ، إلا أنه من الصحيح أيضاً أن هذا المجتمع يختلف فى وجوه كثيرة عن أمثاله فى الغرب ، بل وحتى أيضاً عن المجتمعات الموجودة فى أجزاء مأهولة من العالم العربى مثل وادى النيل . وتظهر هذه الاختلافات أكثر وضوحاً بسبب العزلة النسبية لهذا الجزء من جزيرة العرب ، حتى وقت قريب . ولذلك فإن النظريات التى تكونت فى مجتمعات أخرى ينبغى تطبيقها هنا فى شىء من الحذر والتحفظ إذا أريد عدم وقوع شىء من سوء الفهم أو إمكان مجافاة العدالة . ومن المعتقد أنه ينبغى توجيه عناية خاصة فى هذا الصدد عند وضع مبادئ القانون المتعلقة بالموضوع . إن المبادئ الأساسية للقانون الدولى وهى التى يتمثل فيها جوهر المنطق الحق الذى يفرض رضاء جميع الشعوب التى تحترم القانون فى الشرق والغرب — إن تلك المبادئ مقيدة وملزمة للجميع ، وسوف تثيرها

الحكومة العربية السعودية فى الوقت المناسب . ولكن ينبغى تفادى القيام بمحاولة آلية بحته لتطبيق قواعد جاهزة أعدت فى الأصل فى وضع مخالف مغاير ، كما ينبغى ألا يغرب عن البال أن صحارى جزيرة العرب شىء ، وسهول پيكارديا شىء آخر .

٨ — ولقد صيغت المادة الرابعة من الاتفاقية بألفاظ تدل على إدراك هذه النقطة من جانب الطرفين وعلى الرغبة فى أن تباشر الهيئة عملها على أوسع قاعدة ممكنة . فلا يتحتم على الهيئة عامة أن « تنظر بما يجب من الرعاية إلى جميع اعتبارات القانون والواقع والإنصاف » فقط ، سواء وجه الطرفان نظرهما إليها أو ظهر ذلك نتيجة لمباشرة الهيئة لسلطات التحقيق المخولة لها ، بل إنها قد زودت أيضاً بقائمة فيها أربعة أمور معينة عليها أن تدخلها فى حسابها حيثما ترى أنها ذات أثر فى الموضوع . وهذه الأمور هى :

(ا) الوقائع التاريخية المتعلقة بحقوق حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وآبائه وأجداده ، وحقوق الحكام الآخرين ذوى الشأن وأجدادهم .

(ب) الولاء التقليدى لسكان المنطقة ذات الشأن .

(ج) التنظيم القبائلى ، وطرق حياة القبائل الساكنة فى المنطقة ذات الشأن .

(د) ممارسة السلطة وأى نشاط آخر فى المنطقة ذات الشأن .

وفضلا عن ذلك فإن لها أن تدخل فى حسابها أية اعتبارات أخرى يوجه أى الطرفين نظرها إليها .

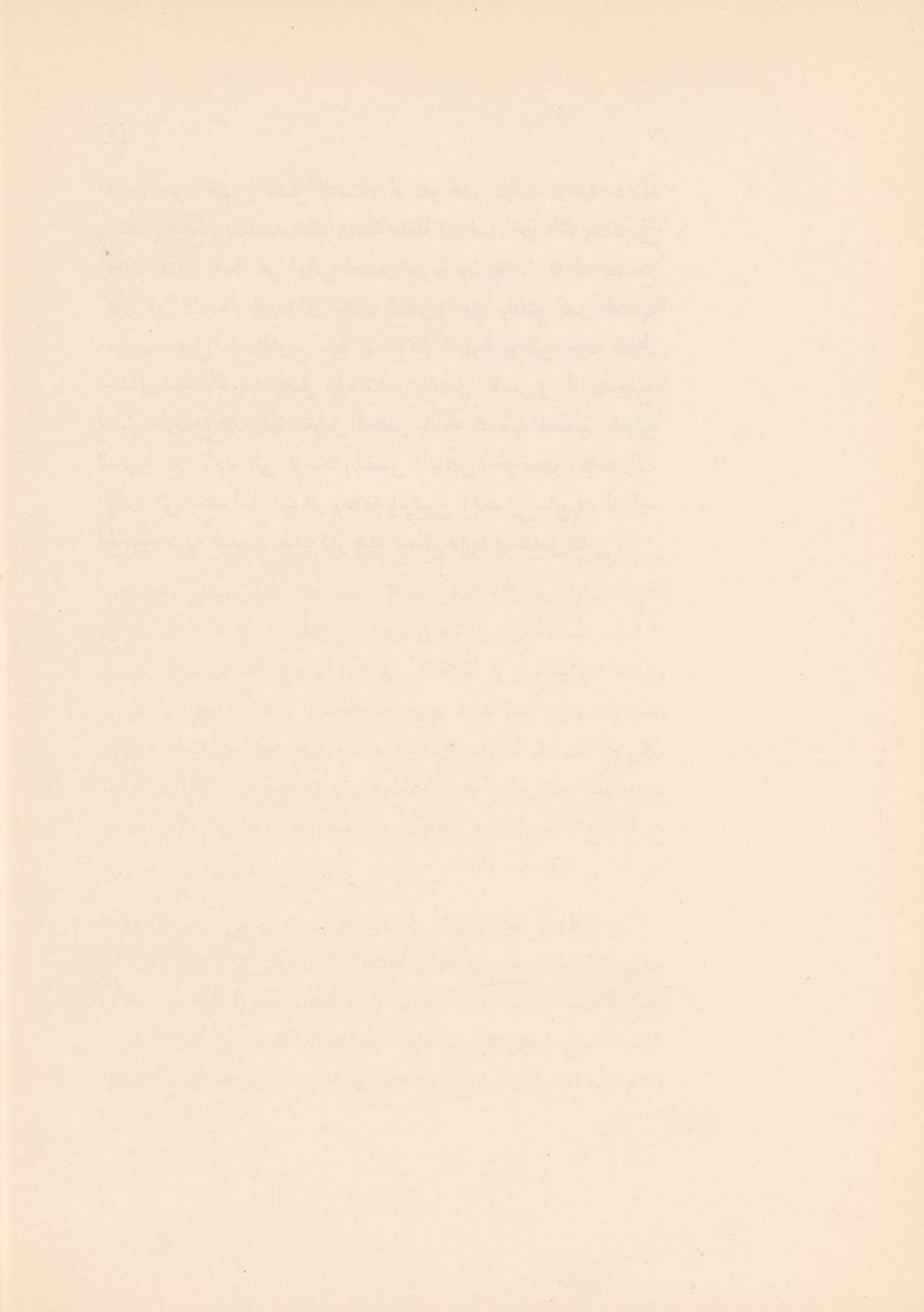
٩ — وفى رأى المملكة العربية السعودية أن الأمور الأربعة الواردة هنا هى فى جوهرها محاولة من الطرفين لصياغة مبادئ عامة معينة من النوع المشار إليه آنفاً فى صورة تطابق الموقف الذى يعرض للبحث هنا . ومن ثم ، فإن الأمر

الأول يتصل بالنوع العام للمطالب التاريخية ، ولكنه مصوغ بعبارات شخصية تناسب الظروف وتتعلق بحقوق الملك والحكام الآخرين ذوى الشأن . والأمر الثانى يأخذ بعين الاعتبار ميول السكان ، وهو أمر ربما قد لا يرد فى صميم القانون ولكنه جوهرى فى أى حل مرض . والأمر الثالث يوجه الاهتمام إلى القبائل باعتبارها وحدات سياسية واجتماعية ذات شأن ، ويقترح ألا يتسبب أى قرار ، بغير داع ، فى تغيير مناهج الحياة المقررة عند القبائل . والأمر الأخير يقرر اختبار السلطة والسيطرة اختباراً عرفياً قانونياً ، ولكنه يضعهما فى نطاق مجتمع منظم تنظيماً قبلياً .

١٠ – وبموجب نصوص الفقرة (ﻫ) من المادة الرابعة التى تخول كلا من الطرفين أن يستلفت النظر إلى أية اعتبارات أخرى ، فسوف تثير الحكومة العربية السعودية فى هذا العرض مسائل معينة ذات طابع سياسى واقتصادى مما تعتقد هذه الحكومة أنه متعلق بإيجاد حل سليم . وفى هذه المناسبة تود الحكومة العربية السعودية أن تذكر مرة ثانية أن هيئة التحكيم منوطة بموجب الفقرة (ا) من المادة الثانية بوضع خط للحدود لم يكن له وجود من قبل ، ولكى يتم ذلك بطريقة تؤدى إلى إيجاد حدود مرضية مقبولة على الدوام ، فلابد من مراعاة الحقائق السياسية والاقتصادية ورغبات السكان ، جنباً إلى جنب مع الحجج والآراء القانونية . فالمهمة هى مهمة إيجاد وخلق ، وينبغى أن تتم على أساس الإنصاف والعدل .

١١ – فمهمة الهيئة إذن ليست سهلة أو قصيرة . فهى تدعو إلى معرفة جغرافية منطقة نائية وتاريخها وطرائق معيشة السكان ورغباتهم وميولهم . وفى نية الحكومة العربية السعودية فى خلال هذه الإجراءات أن تقدم إلى الهيئة كل معونة فى طاقتها لتوضيح المسائل المعروضة عليها . وقد أعد هذا العرض على هذا الأساس . ويتبع هذه المقدمة مباشرة بيان واف عن جغرافية المناطق ذات الشأن (الفصل

الثانى) وعن أهلها (الفصل الثالث) ثم تتلو ذلك دراسة تاريخية مفصلة (الفصل الرابع) ونستلفت النظر بصفة خاصة إلى هذا الجزء لأنه يعتمد على أبحاث أصلية واسعة على أساس مصادر عربية وغربية ، كما أنه يصحح كثيراً من الأخطاء الواردة فى الكتب المنشورة حتى بأقلام أقدر الكتاب الغربيين . ويلى هذا التاريخ سرد للمداولات الدبلوماسية التى جرت خلال الخمسين سنة الأخيرة مما يتصل بهذه المناطق (الفصل الخامس) . أما وقد وضع أساس الموضوع فإن بقية العرض تختص بالآراء القانونية للحكومة العربية السعودية مع الأدلة التى تؤيدها (الفصل السادس) ثم ببعض الاعتبارات الأخرى التى يعتقد أنها ذات أثر وعلاقة بالموضوع (الفصل السابع) . أما آراء الحكومة العربية السعودية بصدد قرار هيئة التحكيم فواردة فى الفصل الثامن .



الفصل الثانى

الوضع الجغرافى العام

١ – المناطق الغربية المتنازع عليها

١ – تقع المناطق الغربية المتنازع عليها ، كما حددت فى المسألة الأولى المعروضة على هيئة التحكيم ، جنوب الخليج الفارسى بين شبه جزيرة قطر غرباً وشبه جزيرة روس الجبال شرقاً . وتبلغ مساحة الأراضى التى تتكون منها هذه المناطق حوالى ٧٣٥٥٤ كيلو متراً مربعاً . ويشمل البحر الواقع بين قطر وروس الجبال جزءاً كبيراً من مغاصات اللؤلؤ الكبيرة وعدداً ضخماً من الجزائر الصغيرة . وفى بعض الأماكن القريبة من الساحل بين قطر وسبخة مطى تكون مياه الخليج عميقة نسبياً ، أما على طول الساحل الجنوبى من سبخة مطى شرقاً فإنها ضحلة إلى مسافة بعيدة بعض البعد عن الشاطئ ، كما أنها تحتوى على عدد كبير من الضحاضيح والشعاب .

٢ – وتطالب المملكة العربية السعودية بالشاطئ الجنوبى للخليج الفارسى شرقاً من نقطة تقع على الساحل الجنوبى الشرقى لشبه جزيرة قطر (خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و٤٨ دقيقة) إلى نقطة تقع بين بندر المرفأ وبندر المغيراء. ومن النقطة الأخيرة شرقاً يتكون الساحل الجنوبى للخليج من أرض لا تدخل فى النزاع الحالى .

٣ – تقع أبو ظبى ، وهى إحدى المشيخات السبع المسماة مشيخات الصلح البحرى والمشمولة بالحماية البريطانية أقصى من غيرها نحو الجنوب

وتقع ست من هذه المشيخات على الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى . فإلى الشمال الشرقى من أبو ظبى نجد على التوالى : دبى ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، ورأس الخيمة . أما الفجيرة وهى المشيخة السابعة ، فتقع على خليج عمان إلى الجنوب الشرقى من روس الجبال .

٤ ــ أما المنطقة الشرقية من جزيرة العرب الممتدة جنوباً من الخليج الفارسى إلى داخل الربع الخالى فتتألف من سباخ ، وهى أراض منبسطة مالحة ، تمتد على طول السهل الساحلى ، ومن سهول مرتفعة مكسوة بالحصى ، ومن مساحات شاسعة من رمال ، هى تارة كثبان متموجة وطوراً كتل رملية تحتوى على نقيان يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ متر أو أكثر . وليس هناك على طول المسافة الممتدة من الواحات الصغيرة جنوبى شبه جزيرة قطر إلى واحة البريمى أية ينابيع أو مجارى مياه كتلك التى كثيراً ما تزود القرى فى جزيرة العرب بالماء غير أن رمال هذه المنطقة وسهولها المكسوة بالحصى تحوى من الآبار والمراعى والأحطاب ما يكفى لسد حاجات عدد لا يستهان به من البدو ، وهناك فى الرمال الكثيفة على بعد نحو مائة كيلو متر إلى الجنوب من الخليج الفارسى تقع الواحات الصغيرة التى تعرف فى مجموعها بالجواء . ويأتى الماء الضرورى للحياة فى الجواء من مياه ربما كانت تتسرب على طول خط أحدثه شق فى الطبقات الصخرية السفلية .

٥ ــ ولا تسقط الأمطار فى قطر أو فى الساحل الجنوبى للخليج الفارسى أو فى مشيخات الصلح البحرى إلا بمقادير قليلة ، وبصورة غير منتظمة يبلغ معدلها حوالى سبعة سنتيمترات فى العام الواحد . أما فصول الصيف الطويلة فحارة جداً ، كما أن درجة الرطوبة مرتفعة على طول الساحل . وترتفع درجة الحرارة فى الداخل بينما تنخفض درجة الرطوبة .

٦ — ويزاول سكان هذه المنطقة منذ قديم الزمن مهن صيد الأسماك والغوص لاستخراج اللؤلؤ وزراعة النخيل وتربية المواشى . إلا أن العمل فى حقول الزيت فى السنوات الأخيرة قد اجتذب الكثير من الرجال الأقوياء فجعلهم يهجرون حرفهم السابقة .

قاعدة شبه جزيرة قطر

٧ — تمتد شبه جزيرة قطر شمالا إلى داخل الخليج الفارسى بين الخليج المسمى دوحة سلوة إلى الغرب والامتداد الجنوبى للخليج الفارسى إلى الشرق . ومن الناحية السياسية تحتل حكومة قطر القسم الأكبر من شبه الجزيرة ويحكمها صاحب السمو الشيخ على بن عبد الله بن قاسم آل ثانى . ويتألف سطح الأرض فى شبه الجزيرة من قوس كبير من حجر الكلس وتهيىء مياه الأمطار التى تسقط فى جيوبه وشقوقه الممتلئة بالرمال أماكن تصلح للكلأ فى الشتاء وفى الربيع . وربما كانت قطر جزيرة فى وقت ما فى الماضى البعيد ، وفى هذه الحالة يكون خط السباخ فى قاعدة شبه الجزيرة هو العلامة التى تحدد موقع المضايق التى كانت تصل بين دوحة سلوة والخليج الفارسى الواقع شرقيها ، وذلك بالقرب من خور العديد على الأرجح .

٨ — وترتفع أرض قطر إلى الشمال من خط السباخ ويقوم حولها من الجهة الغربية عدد كبير من ضلوع الجبال والهضاب . وكلما اتجهنا شرقاً أخذ سطح أرض البلاد يتخذ شكل سهل من حجر الكلس أقل وعورة وينحدر انحداراً هيناً إلى الخليج الفارسى . أما الشاطئ المنخفض إلى الشمال من خور العديد فمغطى بنقيان على شكل هلال .

الواحات الواقعة جنوبى قطر

٩ – هناك فى الطرف الجنوبى من دوحة سلوة بعض النخيل القصير ينمو فى واحات عديدة صغيرة تعرف فى مجموعها بسلوة . وفى واحة من أكبر هذه الواحات بئر مبطنة بالحجارة فيها ماء عذب تقع فى وسط أطلال حصن قديم . وسلوة هى ملتقى الطرق الرئيسية الآتية من قطر ومن بعض الأجزاء الواقعة فى القسم الجنوبى الشرقى من جزيرة العرب مثل البريمى ومشيخات الصلح البحرى وعمان ، وتقيم فى سلوة فى فصل الصيف ثلة من رجال الأمن العام تتبع الحكومة العربية السعودية وتقوم بحصاد التمر فى تلك الأثناء . وفى فصل الشتاء تعسكر هذه الثلة فى رمال العريق شرقى سلوة . أما قائد هذه الثلة فهو أمير سلوة الذى يعينه أمير المنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية وهو مسئول تجاه هذا الأخير .

١٠ – وعلى بعد عشرة كيلومترات إلى الجنوب من سلوة تقع هجرة السكك ، وعلى بعد عشرين كيلو متراً إلى الجنوب من هذه تقع هجرة نباك ، وهما قريتان صغيرتان فيهما بيوت مبنية بالآجر المجفف بالشمس وأكواخ مسقوفة بالقش ، وفيهما آبار ونخيل . وقد أنشأ آل مرة فى الأصل هاتين القريتين لتكونا لهم هجرتين ، والهجر هى قرى البدو الزراعية التى أسسها الملك عبد العزيز آل سعود خلال الجزء الأول من القرن الحالى .

خور العديد

١١ – يقع خور العديد إلى الجنوب من قطر على ساحل الخليج الفارسى ، وهو خور طويل ضيق يتجه إلى الداخل فى اتجاه جنوبى غربى ويتصل بدوحة كبيرة تتصل بدورها عن طريق مدخل ضيق بدوحة أخرى كبيرة تقع إلى

الجهة الشمالية . وليس خور العديد من العمق بحيث يمكن استعماله للسفن التى تمخر المحيطات ، غير أنه مرفأ ممتاز للمراكب الشراعية التى تجوب مياه الخليج .

١٢ — ويمتد الشاطئ الجنوبى الشرقى لخور العديد على طول الرأس الصخرى الذى يقع رأس أبو قميص فى أبعد مكان فيه . ويشكل ضلع جبل العديد المستوى القمة ، القسم الرئيسى من هذا الرأس . وتقع أطلال قرية العديد فى شبه جزيرة صغيرة تمتد شمالا من هذا الرأس إلى داخل مضيق خور العديد . وليس من الصعب للناظر من الأرض أن يعثر على هذه الأطلال ، أما من الجو فإنه يسهل رسم التخطيط الكامل لهذه البلدة السابقة . وقد كانت القرية فى مواجهة مدخل خور العديد ، وكان هناك سور حول جهة اليابسة يمتد من الشاطئ إلى الشاطئ الآخر على شكل قوس يشبه نصف دائرة . وقد اقيمت أبراج فى أماكن متباعدة على طول السور وكانت هناك قلعة صغيرة مربعة الشكل ذات أربعة أبراج تقع إلى الجنوب من البلدة فى وسط القوس . ولم يبق أى من المبانى القديمة على حاله ، وفى معظم الأماكن ترتفع الأنقاض الباقية إلى ما هو أقل من متر واحد فوق سطح الأرض . وقد دمرت قرية العديد وهجرت عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧م وفى ذلك الحين ردم الأهالى الراحلون جميع الآبار التى كانت تزود القرية بالماء . وهناك بئر من هذه الآبار كان قد أعاد فتحها فيما بعد أفراد من المناصير وهى مبطنة بالحجارة وفيها ماء صالح للشرب ، وهى تقع على بعد كيلو متر واحد إلى الجنوب الشرقى من البلدة[١] . وفى مكان لا يبعد كثيراً عن القسم الجنوبى من خور العديد يوجد بعض النخيل ومورد المياه المعروف بعبيدل ، وهو اسم جاء من قبيلة عبيدل التى كان أفراد منها أول من قطن خور العديد .

---

(١) فى الفصل الرابع بحث مفصل فى تاريخ العديد .

العقل

١٣ ــ تقع موارد المياه المعروفة بالعقل فى المنطقة المنخفضة الممتلئة بالرمال والواقعة إلى الغرب وإلى الجنوب من خور العديد . واسمها يصف نوع الآبار فيها ، فكلمة « العقل » هى جمع « عقلة » ويطلقها سكان تلك البقعة على مجموعة من الآبار الضحلة التى تعتمد عادة على أمطار الموسم والتى لا يزيد مقدار عمقها على طول عقال البعير . ويبلغ عدد موارد العقل الهامة نحواً من عشرين مورداً ، والأماكن الشمالية منها تقع فى الحقيقة إلى الشمال من خور العديد. وقد ورد ذكر بعض هذه الموارد عدة مرات فى المحادثات والمفاوضات التى أجريت حول مسألة الحدود ، ومن تلك الموارد سوداء نثيل وعقلة الرمث ورغوان وحليوين وعقلة النخلة . ويظهر أن حزم سوداء نثيل وهو مرتفع لا يبعد كثيراً إلى الشمال من أول موارد المياه هذه ، يعتبر النقطة النهائية فى الغرب للخط الذى طالبت به أبو ظبى فى عام ١٣٧١ هـ الموافق ١٩٥٢ م .

١٤ ــ وسلسلة موارد العقل أشبه ما تكون بممر يسلكه البدو القادمون من الشرق بحثاً عن المراعى فى قطر . ومن المعترف به أن هذه الآبار جزء من ديرة المناصير ، بل ان اسم هذه القبيلة قد أطلق على إحدى هذه المجموعات أى عقلة المناصير .

المجن

١٥ ــ المجن (أى المكان المأهول بالجن) هو ذلك السهل المرتفع المستوى نسبياً المنشور فوقه الحصى والواقع بين الرمال الممتدة إلى الجنوب من خور العديد وبين سهل الملح الكبير المعروف بسبخة مطى . وينحدر المجن انحداراً حاداً

نحو الخليج الفارسى فى الشمال ونحو سبخة مطى فى الشرق ، بينما تنتأ الأراضى المرتفعة على شكل أصابع لتكون رأسين بارزين هما رأس الحظرة ورأس مشيرب .

١٦ — ويحتوى الحصى الذى يكسو المجن على مقادير وافرة من الحصباء ، كما يحتوى على حجارة من الصوان وحجارة نارية سوداء وحجارة أخرى بلورية ، ومن الأرجح أن تكون هذه الحجارة قد حملتها المياه منذ أمد بعيد من القسم الغربى من جزيرة العرب . وتظل هذه السهول المستوية خالية من الرمال نسبياً بسبب الرياح التى تهب عليها ، وليس هناك سوى القليل من النبات للرعى . وقد قطع مجرى ماء السهباء الجاف حالياً والمتجه من الجبال الواقعة فى أواسط نجد غير بعيد عن الرياض ، قطع هذه المنطقة ليصب فى الخليج غربى رأس الحظرة مباشرة ، وكان ذلك فى زمن ما بعد رسوب الحصى . والمجرى الذى حفرته مياه السهباء والمعروف هنا بجو الغويفات يقسم المجن قسمين ، القسم الشمالى الغربى والقسم الجنوبى الشرقى . وهناك منخفض آخر معروف وهو بطن الطرفاء يقع فى تجويف فى الطرف الجنوبى من المجن . وفى أحد الأماكن تنخفض أرض بطن الطرفاء بمقدار ستة عشر متراً تحت سطح البحر .

١٧ — وهناك عدد من موارد المياه يحيط بالمجن . ففى الرمال الواقعة إلى الجهة الشمالية الغربية تقع آبار نكوت وخور دويهن . واسم دويهن هذا يستحق الالتفات فيما يتعلق بالجزء المفتوح من الخليج الفارسى الواقع جنوب خور العديد إذ ليس لدى العرب أى اسم شامل له . وحيث أنه من الأنسب استعمال اسم له . وحيث أن الخرائط الأفرنجية تستعمل عادة صيغاً مشوهة لكلمة دويهن ، فإن اسم « دوحة دويهن » على ما يظهر هو أفضل اسم يمكن اختياره له ، ولذا فإن اسم « خور دويهن » يشير إلى الآبار الداخلية واسم « دوحة دويهن » يشير إلى الجزء المذكور من الخليج الفارسى .

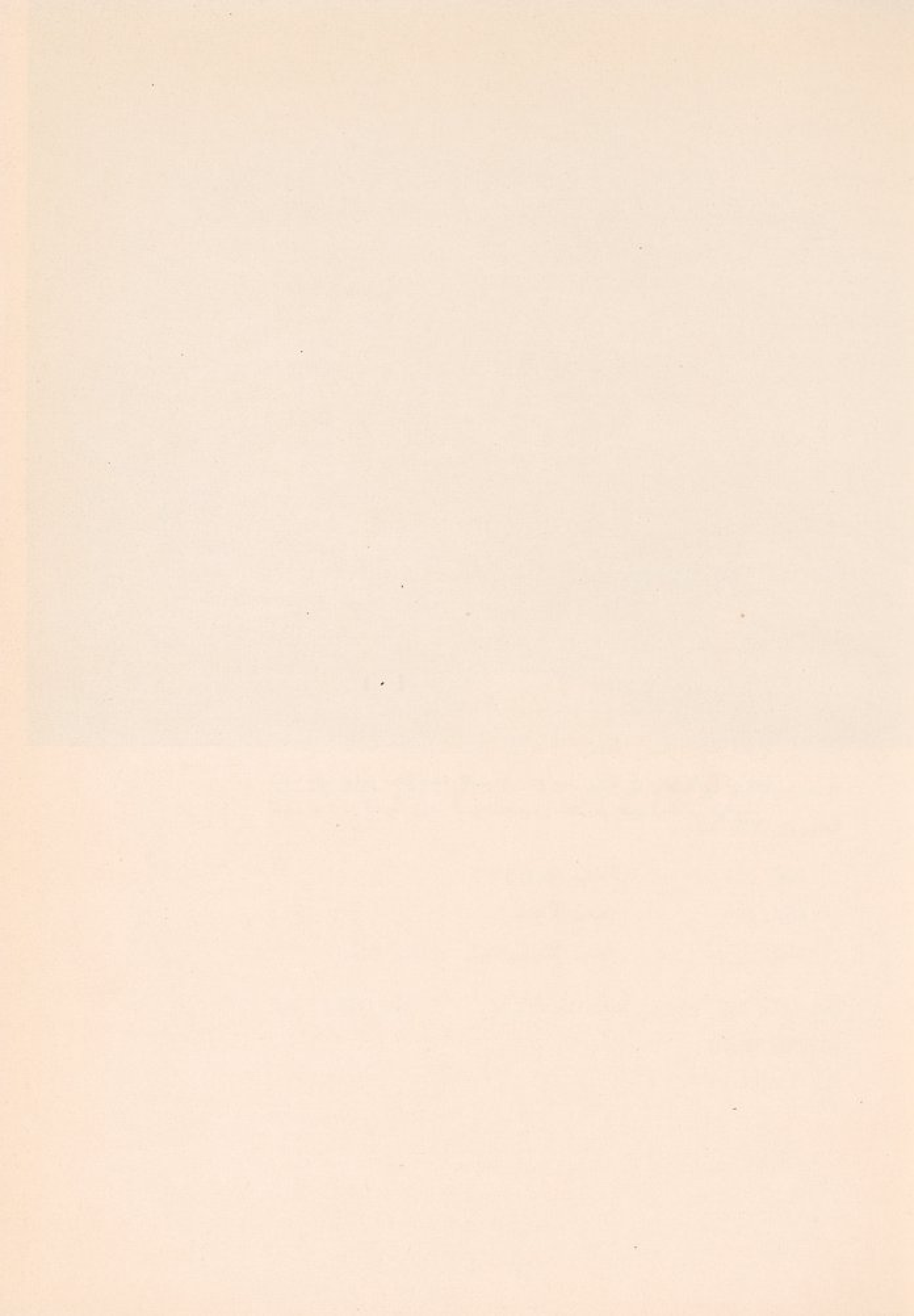
١٨ ــ وفى الطرف الغربى من جزء المجن الممتد إلى رأس مشيرب تقع آبار المنبعج الضحلة التى يقوم بالقرب منها عدد من النخيل القصير القوى . والآبار والنخيل يملكها أفراد من المناصير .

١٩ ــ وفى منتصف المنحدر الشرقى للمجن ، عند انحداره نحو شاطئ الخليج الفارسى ، تقع آبار بعجاء والسلع . أما بعجاء فهى مبطنة بالحجارة فيها ماء مقبول يتردد عليها المناصير كثيراً . وأما السلع ، التى تبعد قليلا إلى الجنوب ، فيستعملها أيضاً المناصير لإبلهم ، غير أنهم يفضلون استعمال مياه بعجاء لأنفسهم.

٢٠ ــ وفى أسفل منحدر المجن فى موازاة الطرف الغربى لسبخة مطى تقع ثلاثة موارد للمياه قريب بعضها من بعض ، وأحدها ، وهو الصفق ، يبعد ١٨ كيلو متراً إلى الجنوب من المنعطف على الخط الساحلى بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية لسبخة مطى . أما عقلة حايز فتقع على بعد كيلو مترين تقريباً إلى الشمال من الصفق ، كما أن آبار الحشم تبعد نفس المسافة تقريباً إلى الجنوب .

سبخة مطى

٢١ ــ سبخة مطى هى سهل مالح واسع منخفض يمتد مسافة نحو ١٠٠ كيلو متر جنوباً من الخليج الفارسى إلى داخل الربع الخالى ، ويبلغ عرضه عند شاطئ الخليج ما يقرب من خمسين كيلو متراً . ونظراً لموقعه بين منطقتى المجن والظفرة فإنه يربط بينهما إذ يمكن للإبل والسيارات أن تعبره بسهولة خلال الجزء الأكبر من السنة . غير أن الأمطار فى بعض الأحيان تحيل سبخة مطى إلى مستنقع موحل لا يمكن عبوره ، وبعد فترة قصيرة من الجفاف تغطى السبخة أحياناً طبقة جافة خادعة إذ تنفذ منها السيارات إلى الوحل الذى





مياه الخليج الفارسي تلاطم قاعدة القمة المخروطية لجبل براكة في بينونة التي تكون الجزء الشمالي الغربي من الظفرة . ويبدو السهل المنبسط وراء ذلك وهو يحتوي في الغالب على السباخ .

تحتها. وهناك طريق تستعملها السيارات عادة تقطع سبخة مطى بالقرب من شاطئ الخليج متتبعة الطريق الرئيسية للإبل . كما أن هناك طرقاً للإبل تقطع السبخة فى أماكن أبعد إلى الجنوب يؤدى أكثرها إلى الصفق وموارد المياه القريبة منها .

الظفرة

٢٢ – الظفرة هى تلك المنطقة الواسعة المغطاة كلها تقريباً بالرمال والممتدة جنوباً من الخليج الفارسى إلى داخل الربع الخالى جنوب خط العرض الشمالى ٢٣ درجة من سبخة مطى فى الغرب حتى مكان يقرب من خط الطول الشرقى ٥٥ درجة . وتوجد السباخ بشكل يكاد يكون منتظماً على طول ساحل الظفرة ، كما يوجد عدد كبير من الجزائر تجاه الساحل . وتبين خرائط عديدة هذا الخط الساحلى على غير حقيقته لأن بعض الجزائر القريبة من الشاطئ كانت تحسب خطأ أنها جزء من البر الأصلى .

٢٣ – وهناك إلى الجنوب من السباخ فى محاذاة الساحل رقعة طويلة من الأرض المرتفعة قليلا تسمى الطف . وتمتاز هذه المنطقة بكثرة النتوءات الصخرية والقمم غير الطوال التى ترتفع مخترقة ستارها الرملى الرقيق. والبدو يقسمون الطف إلى ثلاثة أقسام :

بينونة	(الطف الغربى)
الطف ذاته	(الطف الأوسط)
الحبل	(الطف الشمالى الشرقى أو طف عمان)

وتعتبر هذه كلها أجزاء من الطف بمعناه الشامل . ولا يخص الظفرة منها إلا الاثنان الأولان .

٢٤ — ويبدو أن طبقات الأرض الصخرية الواقعة إلى الجنوب من أرض الطف المرتفعة تنحدر إلى داخل الحوض الكبير الذى يقوم عليه الربع الخالى . ولكن هذا الانحدار لا يظهر على سطح الأرض. فالرمال الكثيفة تملأ الحوض ، ونقيان الظفرة يزيد ارتفاعها عموماً كلما اقتربنا من الجنوب .

٢٥ — وهناك ثلاث مناطق تقع فى الرمال إلى الجنوب من الطف مباشرة ، وهى المغرب فى الغرب ، والقفا وهى منطقة الظفرة الوسطى ، والحمرة فى الشرق . فأما المغرب والحمرة فهما حقلان من النقيان يكون فيهما الكلأ جيداً بعد سقوط الأمطار ، وأما القفا فتتألف من أرض متماسكة متموجة والسفر فيها سهل نسبياً . وهناك إلى الجنوب من القفا قطعتان من الأرض ذاتا رمال كثيفة ، وهما البطانة إلى الشمال والبطين إلى الجنوب . وهنا تلتقى النقيان لتشكل سلاسل طويلة تتجه إلى الشرق والغرب . وتعتبر سلاسل نقيان البطين من أطول السلاسل فى الربع الخالى . وهناك بين نقيان البطين الواقعة فى أقصى الشمال ، جنوبى البطانة مباشرة ، تقع واحات الجواء . وإلى الجنوب من البطين تقع الكدن ، أبعد مناطق الظفرة إلى الجنوب .

بينونة

٢٦ — بينونة هى ذلك الجزء من الطف الواقع بين سبخة مطى إلى الغرب وبندر المرفأ وبندر المغيراء إلى الشرق . وجبل بو موركة المخروطى الشكل هو الحد الفاصل بين بينونة وبين الطف الأوسط فى الرمال . وقد وصف ياقوت الجغرافى المسلم الذى كتب معجمه الكبير فى أوائل القرن السابع الهجرى الموافق لأوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، وصف بينونة بأنها مكان يقع بين عمان والبحرين على مسافة ستين فرسخاً من البحرين .

٢٧ – وفى الجزء الغربى من بينونة بالقرب من الساحل ، على طرف سبخة مطى أو غير بعيد عنه ، ترتفع ثلاثة جبال بارزة فوق السهول المحيطة هى الوتيد وبراكة والظنة . وتتألف براكة من قمة واحدة مخروطية الشكل يبلغ علوها ١٠٣ أمتار . أما الظنة فتتألف من كتلة غير متسقة من تلال مختلفة الألوان يبلغ ارتفاعها فى أحد الأماكن ١٣١ متراً . ويعتقد أنها كانت قد تكونت بفعل نتوء ملحى جوفى يندفع اندفاعاً بطيئاً من الأسفل إلى الأعلى ، وهذه هى النظرية السائدة أيضاً فيما يتعلق بتكوين بعض الجزائر الواقعة بين قطر وبين ساحل الصلح البحرى .

٢٨ – وإلى الجنوب من جبل الوتيد يمتد لسان ضيق نسبياً من بينونة على طول الطرف الشرقى من سبخة مطى بحيث يشمل آبار أم الأشطان وجبال المطلعيات . ويصل هذا الامتداد المتجه نحو الجنوب بين بينونة وبين المنطقة الجنوبية الغربية للمغرب ويحول دون اتصال منطقة القفا بسبخة مطى .

٢٩ – والإشارات القليلة لبينونة الواردة فى المصادر الغربية تقلل من أهمية تلك الأراضى كمكان يمكن العيش فيه ، حتى أنها لتبعث على الاعتقاد بأن هذه الأراضى فى الواقع غير آهلة بالسكان . وقد وصفها ضابط بريطانى متخصص فى العلوم كان قد مر ببينونة أثناء قيامه بأعمال مكافحة الجراد تبعاً لبرنامج دولى إبان الحرب العالمية الثانية ، وصفها بأنها « خالية تقريباً من السكان إلا من مسافرين قلائل وجماعات ضئيلة من المناصير تضرب خيامها هنا وهناك »[٢] . وقد وقع هذا الضابط فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الكتاب الذين لم يزوروا تلك المنطقة ، والأرجح أن يكون سبب ذلك هو أنه لم يحد عن طريق السباخ المألوفة الممتدة على طول الساحل . فمن البديهى أن لا يجد فى هذه

(٢) دزمند فيزى – فتزجرلد « من الحساء إلى عمان بالسيارة » فى المجلة الجغرافية الأمريكية ، مجلد ٤١ (١٩٥١) ص ٥٥١ .

السهول المالحة القاحلة إلا القليل من جماعات البدو الذين يضربون خيامهم فى رمال بينونة حيث المراعى والأحطاب وعدد لا بأس به من آبار الماء الصالح للشرب.

٣٠ — وصحيح أن عدد النازلين فى بينونة متقلب دائماً لأن من ينزل فيها هم من البدو الرحل ، غير أنه إذا فحصنا دفاتر زكاة الحكومة العربية السعودية ثبت لنا أن تلك المنطقة ليست غير آهلة بالسكان[٣] . فى عام ١٣٦٧ ﻫ الموافق ١٩٤٧ — ١٩٤٨ م مثلا ، دفعت حوالى مائة عائلة من المناصير والعوامر ضرائب على أكثر من ٢٥٠٠ بعير وذلك فى موردين فقط من موارد المياه فى بينونة هما الجاهلية والعقيلة . ومن بين موارد المياه الأخرى المعروفة فى بينونة أم الأشطان والمرخية وبدع الغينة .

الطف

٣١ — يمتد الجزء الأوسط من الطف ، الذى ليس له اسم خاص يميزه عن غيره ، من جبل بو موركة جنوبى بندر المرفأ وبندر المغيراء إلى مورد مياه مفلجة فى الجنوب الشرقى من بلدة أبو ظبى . وتقع مفلجة فى أول الحبل ، وهو القسم الشمالى الشرقى من الطف . وإذا ما تابع المرء سيره من بوموركة إلى الشرق ازدادت وعورة الأرض وازدادت صعوبة اجتيازها بالسيارات . وفى هذا الجزء من الطف تكون رمال الجنوب الكثيفة أقرب إلى ساحل الخليج منها فى أى مكان آخر فى الظفرة .

٣٢ — وبمحاذاة ساحل الخليج الفارسى على الطرف الشمالى للطف يقع الامتداد الغربى لأراضى أبو ظبى طبقاً للتحديد الذى اقترحته الحكومة العربية

(٣) يأتى الكلام عن دفاتر الزكاة هذه فى الفصل السادس .

السعودية سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) إذ رأت الحدود القائمة بين أراضيها وأراضى أبو ظبى تبدأ فى مكان على ساحل الخليج يقع على بعد كيلو مترين شرقى المرفأ . ويسير خط الحدود من هذا المكان فى اتجاه جنوبى شرقى إلى خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة ، ثم يسير فى اتجاه شرقى إلى خط الطول الشرقى ٥٤ درجة ، ويستمر فى النهاية فى اتجاه مستقيم إلى تقاطع خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٥ درجة و٣٦ دقيقة .

٣٣ — ولشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة ، وهى إحدى الشركات التى تكون مجموعة شركة نفط العراق ، وتملك امتيازاً من حاكم أبو ظبى ، منشآت فى الجزء الغربى من أبو ظبى . ففى عام ١٣٧١ هـ الموافق ١٩٥٢ م أقامت هذه الشركة حياً للسكن على أرض طريف المرتفعة وأنشأت مهبطاً للطائرات على السبخة المجاورة ، وفى العام التالى عثر على الزيت على مسافة قريبة إلى الجنوب الغربى من طريف فى مكان لا يبعد كثيراً إلى الشمال من خط الحدود الذى اقترحته الحكومة العربية السعودية . وحتى اليوم لم يبدأ استثمار حقل الزيت هذا .

٣٤ — وأكثر موارد المياه فى الطف تقع إلى الجنوب من خط الحدود الذى اقترحته الحكومة العربية السعودية . ومن بين هذه الموارد مورد اسمه بدوع شويبر كان الجباة السعوديون يزورونه كل عام تقريباً منذ عدة سنوات ، ويعد من الأماكن الرئيسية التى يجتمع فيها المناصير .

المغرب

٣٥ — تسمى المنطقة الجنوبية الغربية من الظفرة بالمغرب . وهى تقع بين سبخة مطى إلى الغرب وبينونة والقفا إلى الشمال والبطانة إلى الشرق . أما فى

الجنوب فإنها تفقدذاتيتها فى كتل الرمال العظيمة الواقعة فى الربع الخالى . ويمكن القول بوجه عام بأن المغرب تحتل بقعة أرضية مستطيلة الشكل يحدها خطا العرض الشماليان ٢٢ درجة ، و٢٣ درجة و٣٠ دقيقة ، وخطا الطول الشرقيان ٥٢ درجة و ٥٣ درجة .

٣٦ — وتنقلب رمال المغرب إلى مراع ممتازة بعد هطول المطر ، إلا أن المياه فى جميع آبارها مالحة . ومع ذلك ، فإن عائلات البدو تحط عند هذه الآبار لمدد طويلة ، فتشبع إبلها بالماء هناك ، أما اصحاب الإبل فهم أشد ما يكونون قناعة بالحليب الذى تدره إبلهم .

٣٧ — خلال قيام الجيولوجيين التابعين للشركة التى تسمى الآن شركة الزيت العربية الأمريكية ، بأعمال التنقيب العادية ، أتموا التنقيب فى قسم كبير من المغرب فى عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ م . وكما هو متبع كان برنامج التنقيب ينفذ بموافقة الحكومة العربية السعودية . غير أن عدم وجود السيارات المجهزة خصيصاً لهذه الأعمال ، كتلك الموجودة حالياً ، قد حال بين الجيولوجيين وبين خوض رمال البطانة الأكثر كثافة إلى الشرق .

القفا

٣٨ — بين الطف إلى الشمال والبطانة إلى الجنوب تقع رمال القفا المتموجة المتراصة . وتحتوى هذه المنطقة على عدد من الآبار ذات الماء العذب ، غير أنها لا تهيئ أفضل المراعى فى الظفرة . ويسهل السفر على الإبل وبالسيارات نتيجة لسهولة مسلك التكوينات الأرضية .

٣٩ — وسميت القفا بهذا الاسم لأنه إذا ما سار المرء إلى الشمال ترك رمال الجنوب الكثيفة قفاه (أى خلفه) فى هذه المنطقة . وتسمى المنطقة أيضاً

بالساروق ، وهى كلمة يستعملها البدو للدلالة على منخفض طويل يقع بين مرتفعين . والمرتفعان هنا هما أراضى الطف العالية ورمال البطانة العالية . وقد أخطأ الرحالة الإنكليزى ولفرد ثسيجر عندما وصف القفا والساروق بأنهما مكانان مختلفان[٤] . ثم إنه يتضح من الطريق الذى اتبعه من الجواء إلى أبو ظبى ومن وصفه للتكوينات الأرضية ، أن ما وصفه بالقفا إنما هو حقيقة البطانة وما وصفه بالساروق إنما هو حقيقة الطرف الغربى للحمرة .

الحمرة

٤٠ ـ الحمرة هى المنطقة التى تقع فى أقصى الشرق من الظفرة . وتقع بعدها إلى الشرق منطقة المنادر ، حيث تمتد سلاسل الرمال الجبلية الطويلة فوق أرضية من السباخ حتى تصل إلى طرف الرمال الشرقى . وإذا سرنا من المنادر فى اتجاه مخالف لاتجاه دوران عقارب الساعة وجدنا أن الحمرة محاطة بالمناطق التالية : الختم (وراء الظفرة) إلى الشمال الشرقى ، والطف إلى الشمال ، والقفا إلى الغرب ، والبطانة إلى الجنوب الغربى ، ورباض قصيورة (وراء الظفرة) إلى الجنوب . ويؤلف رباض قصيورة جيباً من الرمل الناعم لا يحتوى على نقيان ينفر منه البدو لأن السفر عبره يتعب إبلهم .

٤١ ـ ومن مميزات الحمرة الطبيعية حقول النقيان ذات الرمل الأحمر التى يتخللها عدد من الشقق[٥] المتجهة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى . ولا تتألف أرضيات هذه الشقق من الحصى أو السباخ كما هو الحال غالباً

---

(٤) ولفرد ثسيجر « سفرة أخرى عبر الربع الخالى » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩) ص ٤٠ .

(٥) الشقق جمع « شقة » ويراد بها انخفاض بين سلسلتين طويلتين من كثبان الرمال .

فى الربع الخالى ، بل تتألف من رمال مرصوصة رصاً قوياً بعض الشيء يسهل السفر فوقها على ظهور الإبل . وقد اشتهرت رمال الحمرة بمراعيها الخصبة ومياهها العذبة التى توجد فى آبارها العديدة . وهناك أكمات صغيرة من النخيل موزعة فى أنحاء الحمرة تعرف بالغيوط . ويتألف الغيط الواحد من عدة نخلات قد يبلغ عددها الخمسين نخلة ويمتلكه أحد أفراد المناصير هو وأولاده .

٤٢ — وتوجد فى الجزء الشمالى من منطقة الحمرة بقعة تعرف بالسهل أو بسهل الحمرة . والأرض هنا بوجه عام سهلة المسلك أكثر مما هى عليه فى الجنوب .

البطانة

٤٣ — البطانة منطقة تتألف من نقيان لونها أصفر باهت متقاربة فى بعض الأماكن بحيث أنها تشكل سلاسل طويلة متجهة من الشرق إلى الغرب . ويحد هذه المنطقة من الغرب المغرب ، ومن الشمال القفا ، ومن الشرق الحمرة ، ومن الجنوب نقيان البطين الجبلية التى هى أيضاً أكثر وعورة ، والتى تضم فى تجاويفها الواقعة فى أقصى الشمال منها واحات الجواء الصغيرة . ولعدم وجود أية شقق بين نقيان البطانة فإن السفر عسير هناك حتى على الإبل . إلا أن البطانة تصبح بعد هطول المطر بمثابة جنة على الأرض فى نظر البدو . فإبلهم ترعى وتشبع ومياههم تصبح عذبة وتراهم يجنون الثمر فى الفصل المناسب من نخيل الغيوط العديدة التى يمتلكها أفراد المناصير . وأفضل بئر فى البطانة هى حوايا التى كتب عنها ثسيجر وأخطأ فى قوله بأنها تقع فى القفا[٦] .

(٦) ثسيجر « سفرة أخرى عبر الربع الخالى » ص ٤٠ .

البطين

٤٤ ــ إلى جنوب البطانة تقع كتل رمال البطين الضخمة . وكما هو الحال فى البطانة فإن نقيان البطين يتصل بعضها ببعض فى عدة أماكن لتشكل سلاسل طويلة متجهة من الشرق إلى الغرب . إلا أن هذه النقيان ، على خلاف نقيان البطانة ، تكون فيما بينها ودياناً كبيرة تقع واحات الجواء فى أقصى الطرف الشمالى منها . وترتفع رمال البطين فى بعض الأماكن إلى أكثر من ٢٠٠ متر فوق أرضية السباخ . وهناك آبار عديدة فيها ماء مالح وكثير من « أشجار الهرم » ترعى بها إبل المناصير فى سنى الجفاف .

الكدن

٤٥ ــ إلى جنوب البطين تقع الكدن ، وهى أبعد مناطق الظفرة إلى الجنوب . ونقيان الكدن لا تبلغ نفس الارتفاع الذى تبلغه نقيان البطين ، مع أنها ترتفع إلى علو يذكر . وفى الكدن مراع خصبة تنمو بعد هطول المطر ، كما أن فيها موارد مياه هامة وتشكل القرينى ، وهى مورد مياه جاء اسمها من نقا عال يقع فى جواره ، نقطة تحول على خط الحدود الذى تطالب به أبو ظبي . وتقع القرينى فى الجزء الجنوبى من الكدن على بعد نحو ٢٢٥ كيلو متراً من الخليج الفارسى .

الجواء

٤٦ ــ تسمى هذه المنطقة بكلا الاسمين « الجواء » « وليوا » وتمثل هاتان الكلمتان لفظين مختلفين لاسم واحد يستعملهما السكان المحليون . وحيث أنه

يبدو أن « ليوا » هى لفظة محرفة وغير صحيحة لكلمة « الجواء » فقد اخترنا استعمال هذه اللفظة الأخيرة فى هذا العرض .

٤٧ ـ تتألف منطقة الجواء الواقعة فى الرمال الكثيفة فى الظفرة الوسطى الجنوبية من بقعة من الأرض طويلة وضيقة ، فيها واحات صغيرة تكمن فى التجاويف والشقق التى تقع بين جبال البطين الرملية فى أقصى الشمال . وتقع أكثر واحات الجواء بين خطى العرض الشماليين ٢٣ درجة و ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة فى المنطقة التى لا يسمح فيها بإجراء عمليات للزيت والتى تم تحديدها بموجب المذكرتين المتبادلتين المرفقتين باتفاقية التحكيم المؤرخة ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ الموافق ٣٠ يوليو ١٩٥٤ . وتقع بعض الواحات الغربية جنوبى المنطقة التى لا يسمح فيها بإجراء عمليات للزيت ، كما ينحدر الثلث الشرقى من الجواء نحو الجنوب الشرقى خارج تلك المنطقة .

٤٨ ـ وتحتوى الجواء على موارد عديدة من الماء العذب توجد على عمق أقدام قليلة فقط تحت سطح الأرض وتستعمل لرى عدد كبير من بساتين النخيل الصغيرة . وينمو النخيل على الجوانب المستورة من النقيان الكبيرة ، وفى عدة أماكن يسكن أصحاب النخيل فى أماكن مرتفعة عن بساتينهم على النقيان ذاتها حيث الرطوبة أقل وحيث ينعمون بالنسيم العليل .

٤٩ ـ وإذ كانت توجد قصور قديما فى أماكن كأم حصن والطرق وقطوف والجبانة ونميل فإن الأنقاض التى تحل محلها تدل على أن الحاجة إلى مثل هذه الأبنية قد زالت منذ زمن بعيد وذلك بفضل الأمن الذى هيأه الحكم السعودى . ويسكن أهل الجواء اليوم فى أكواخ من جريد النخيل . ويوجد عادة حاجز من الجريد يحيط بكل كوخ أو كوخين ، كما توجد حواجز مماثلة مقامة حول بساتين النخيل لتدرأ عنها الرمال المتحركة .

٥٠ – وفى كل عام يرحل بعض شبان الجواء شمالا إلى الخليج الفارسى حيث يلتقون بمراكب اللؤلؤ ويعملون فيها إبان الصيف . وفى الأزمان الغابرة كان عدد هؤلاء الرجال أكثر مما هو عليه الآن ، ذلك لأن الأعمال الجارية فى حقول الزيت اجتذبت فى المدة الأخيرة الكثيرين ممن كانوا يسعون فى طلب الرزق فى مغاصات اللؤلؤ . وقد فرق الولع بالتجوال الذى يمتاز به العرب الكثيرين من أهل الجواء وبعث بهم على طول الشواطئ العربية من الخليج الفارسى . ومع ذلك فإن الغائبين عن الجواء يحنون إليها دائماً ويسعدرن كلما تراءى لهم أمل العودة إليها .

٥١ – وبقيت الجواء مجهولة تماماً للعالم الغربى حتى أوائل القرن الحالى عندما علم القائم بأعمال المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى الكابتن پرسى كوكس بوجودها عن طريق استجواب أحد سكانها السابقين .

٥٢ – وينتمى سكان الجواء إلى قبيلتين هما المناصير وبنى ياس . ويملك المناصير كافة بساتين النخيل فى ربع الجواء الغربى الممتد من قرية العد إلى الغرب . والمناصير كذلك يكونون أكثر السكان فى الثلث الشرقى ابتداء من قريتى الوهيدة وصريط . وبساتين النخيل كلها تقريباً الممتدة من ثروانية إلى الشرق هى ملك أفراد من آل بلشعر وهم من المناصير . ويملك المناصير الجزء الأكبر من بساتين النخيل الواقعة فى منطقة الجواء . ويأتى المزاريع من بنى ياس بعد المناصير فى كثرة عدد بساتين النخيل التى يملكونها فى الجواء . وهناك جماعات صغيرة أخرى من بنى ياس فى الجواء هى القبيسات والهوامل والمحاربة وآل بومهير . ويملك أفراد من العوامر وآل راشد أيضاً نخيلا فى جهات متفرقة فى المنطقة آلت إليهم ، إما عن طريق الشراء وإما عن العطاء وذلك فى أزمنة ليست ببعيدة .

الرمال الواقعة إلى الجنوب الغربى من البريمى

٥٣ – يقع الختم ، وهو إقليم رملى تتناثر فيه موارد المياه وينتشر فيه النخيل ، إلى جنوب الطريق المؤدى إلى البريمى من ناحية الغرب . ويحدها من الغرب الطف والحمرة أقصى أطراف الظفرة إلى الشرق ، ومن الجنوب العروق الرملية الكثيفة المعروفة بالمنادر ، ومن الشرق هضاب الظاهرة .

٥٤ – إن نخيل الختم يملكه آل بوشامس وهم فخذ من قبيلة نعيم ، باستثناء قليل منه يقع فى الطرف الشمالى الغربى من الإقليم ويعود للمناصير . ومع أن الختم تعتبر بصفة عامة واقعة ضمن ديار آل بوشامس ، إلا أن رجال العوامر هم أكثر الأهالى ارتياداً للإقليم . ويقضى أفراد آل بوشامس أكثر الوقت فى قراهم بالظاهرة أو بجوارها ، حيث يزورون الغيوط فى الختم لجنى ثمارها فى حين أن كثيراً من العوامر يبقون فى الختم طوال العام .

٥٥ – ويتألف إقليم المنادر من عروق رملية كبيرة تجرى من الشرق إلى الغرب على سباخ . وكلمة « منادر » هى جمع « مندر » وهو تعبير يستعمل للدلالة على واد يقع بين عروق رملية . ومنطقة المنادر هى عبارة عن منخفض تصب فيه أودية كثيرة المياه الآتية من جبال الحجر والهضاب الداخلية . ومن بين هذه الأودية وادى الصفا ، وهو مجرى متوسط الحجم فى الظاهرة يفصل على وجه التقريب بين الحدود الجنوبية لديار آل بو شامس من نعيم ، وبين الحدود الشمالية لديار الدروع . وبالرغم من فيضان الأودية الموسمى إلى المنادر ، فإن المياه الوحيدة الصالحة للشرب والموجودة هناك دائماً هى مياه أم الزمول التى تقع فى نقطة الانتهاء الشرقية لخط الحدود الذى قدم نيابة عن أبو ظبى فى مؤتمر

الدمام فى يناير عام ١٩٥٢ . ويتجنب البدو المنادر عادة نظراً لندرة مياهها ، مع أن بعضهم قد يختصر الطريق فيخترقها ، وفى خلال الشتاء يغتنم أفراد القبائل فرصة وجود المراعى هناك بعض الأحيان فيرتادونها لرعى إبلهم بعد ارووائها فى المناطق المجاورة .

٢ ــ منطقة البريمى

٥٦ ــ إن منطقة البريمى كما تصفها اتفاقية التحكيم هى دائرة تشمل حوالى ١٩٨٥ كيلو متراً مربعاً . وتقع فى منتصف الطريق تقريباً عبر قاعدة النتوء الأسفينى الكبير فى الجنوب الشرقى لجزيرة العرب الذى يفصل الخليج الفارسى عن خليج عمان . ويقع مركز هذه الدائرة فى بلدة البريمى على خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ١٤ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٣ درجة و ٤٦ دقيقة ، ويبلغ نصف قطر الدائرة حوالى ٢٥ كيلو متراً . وفى هذه الدائرة تلتقى أطراف الطمى المتناثرة والمكونة على شكل مراوح بفعل عدة أودية متجهة غرباً من سلسلة جبال الحجر ، تلتقى بالرمال الممتدة شمالا على شكل لسان من أطراف الربع الخالى إلى رأس الخيمة على الخليج الفارسى . وتقع واحة البريمى فى أطراف هذه الرمال ، وهناك كثبان رملية مرتفعة بعض الارتفاع ومبعثرة فيما بين القرى التى تشكل هذه الواحة .

٥٧ ــ إن كون « منطقة البريمى » منطقة مصطنعة تماماً ، يظهر بوضوح تام من شكله الهندسى البحت (انظر الخريطة الثالثة) ومن الواضح أنه لا علاقة هناك إطلاقاً بين مثل هذه الدائرة الكاملة وبين الحقائق الجغرافية والسياسية وتلك التى تتعلق بتسلسل أجناس البشر . ويجب أن نذكر هذه الحقيقة لدى القيام بأية دراسة عن المنطقة التى تدخل فى الدائرة .

٥٨ ــ وأول ظاهرة جغرافية بارزة فى دائرة البريمى ، بعد الواحة نفسها ، هى الطرف الشمالى لمرتفعات جبل حفيت الصخرية المتشعبة التى تبلغ فى علوها أكثر من ١٥٠٠ متر عن سطح البحر . ويقع جبل حفيت هذا خارج سلسلة جبال الحجر التى ترتفع منحدراتها من الهضاب الواقعة ضمن محيط دائرة البريمى

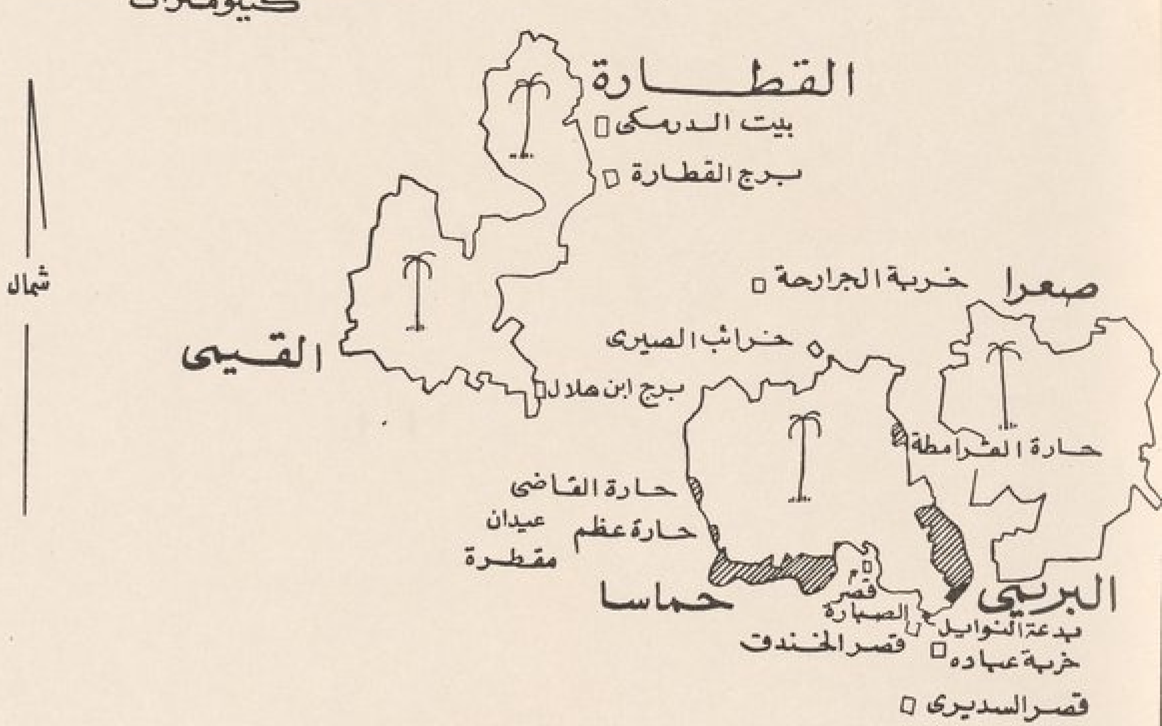
قرى البريمي



هيلى



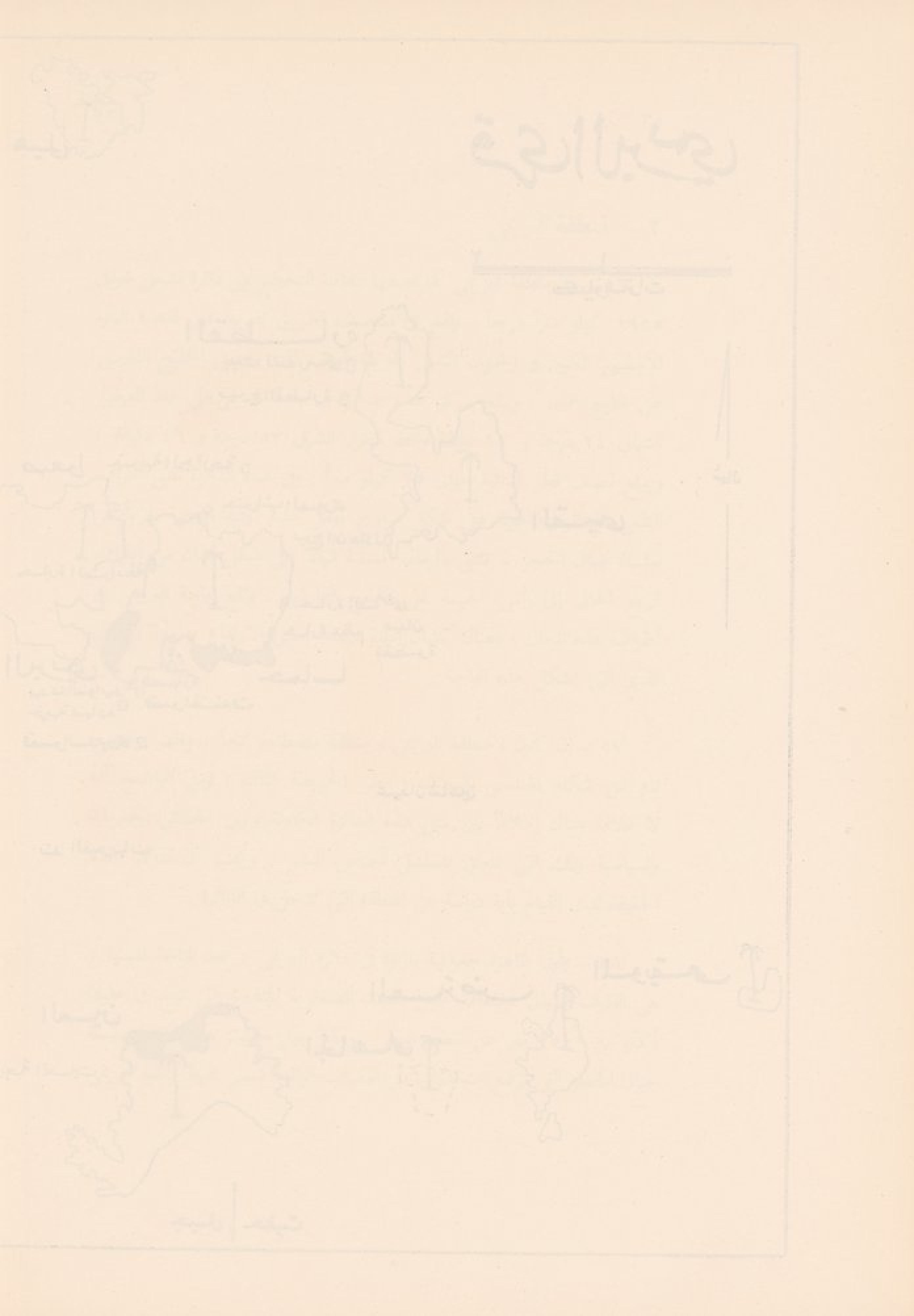
٢
١
كيلومترات



شمال
القطارة
بيت الدرمكى
برج القطارة
القيمى
برج ابن هلال
خراب الصيرى
خربة الجارحة
صعرا
حارة القرامطة
حارة القاضى
حارة عظم
عيدان
مقطرة
حماسا
أم
قصر
الصبارة
قصر الخندق
البريمى
بدعة النوايل
خربة عباده
قصر السديرى
عيدان شاهين
ند الغربات



المويقعى
المعترض
الجاهلى
العين
مربعة العين
جبل حفيت



من الناحية الشرقية . وتقع البريمى عند السفح الشمالى لجبل حفيت الذى تمتد مرتفعاته جنوباً إلى ما وراء محيط الدائرة ، فى حين تقع قريتا حفيت والقابل عند سفحه الجنوبى . ولا تقسم هذه الدائرة جبل حفيت قسمة غير منطقية فحسب بل إنها كذلك تفصل قريتى حفيت والقابل عن البريمى التى ترتبطان بها ارتباطاً وثيقاً .

٥٩ ـ ويتألف حوالى ثلث المساحة الواقعة داخل دائرة البريمى من رمال كثيفة نوعاً ما ويقع معظمها إلى الغرب والشمال من البريمى ، أما بقية المنطقة فجزء من هضاب الظاهرة . وفى الربع الشمالى الشرقى الواقع وراء دائرة البريمى توجد قرى قبيلة بنى كعب وأهمها واحة محضة . ويقع مدخل وادى الجزى المهم إلى الشرق من الدائرة ، وترتبط قراه العليا بالبريمى بروابط وثيقة . وإلى الجنوب الشرقى من الدائرة تقع مجموعة أخرى من القرى مبعثرة فى أراضى وادى أجران تعتمد بدورها على البريمى . وكما سيتضح بعد وصف البريمى ، فإن قطاع الظاهرة فى دائرة البريمى لا يمكن اعتباره فراغاً ، وأن القرى الواقعة إلى ما وراء حافة الدائرة سيجرى وصفها باسهاب فيما بعد .

واحة البريمى

٦٠ ـ إن اسم البريمى مأخوذ من أكبر قرى الواحة وأهمها كما هو الحال عادة فيما يتعلق بأسماء الواحات فى جزيرة العرب . وتحتوى واحة البريمى على ثمانى قرى وبعض البساتين هنا وهناك متجمعة على شكل مثلث يبلغ طوله تسعة كيلو مترات وعرضه عند القاعدة ستة كيلو مترات . وتقع أكبر مجموعة من بساتين النخيل والقرى فى الوسط وتضم بلدة البريمى وحماسا ، فى حين تقع صعرا قريبا منها إلى الشرق . وأقصى قرى البريمى الواقعة إلى الشمال هى قرية

هيلي بينما تقع القريتان المتلاصقتان القيمي والقطارة إلى الشمال الغربي من المجموعة الموجودة في وسط الواحة . وتقع قرية العين على بعد كيلو مترين ونصف جنوب بلدة البريمي عبر أراض خالية . وإلى الغرب من العين وراء بساتين الجاهلي التي تكاد تكون مهجورة توجد قرية المعترض . تبلغ مساحة المثلث الآنف الذكر ٣٧ كيلو متراً مربعاً تقريباً ، وتجرى زراعة حوالى خمسها . والمفهوم أن مسقط تطالب بقريتين منها بينما تطالب أبو ظبي بالباقي . إلا أنه لا توجد معلومات رسمية لدى الحكومة العربية السعودية بخصوص هذا الأمر .

٦١ — وتتناثر في واحة البريمي عدة قصور . ولثلاثة منها — وجميعها في قلب الواحة — صفة تاريخية عظيمة ، تجعل منها رمزاً بالغ الأهمية . والأطلال المنخفضة العريضة التي تحدد موقع قصر الصبارة الذي بناه أول أمير سعودي للبريمي قبيل نهاية القرن الثامن عشر (الفقرة ٢٠ من الفصل الرابع فيما بعد) ، هذه الأطلال تقع في منعطف بسيط على طرف المنطقة المزروعة الواقعة بين بلدة البريمي وحماسا . أما قصر الخندق الذي يستمد اسمه من الخندق الذي لا يزال يحيط بالموقع الذي أقام الأمير السعودي مطلق المطيري القصر عليه (الفقرة ٤٩ من الفصل الرابع فيما بعد) ، فيقع في السهل المنبسط على مسافة قريبة إلى الجنوب الغربي من بلدة البريمي . وقد جرى إصلاح هذا القصر وتوسيعه على مراحل خلال السنين ، وما زال يستخدم كحصن منيع . والقصر الثالث وهو قصر السديري يقع على بعد نصف كيلو متر تقريباً إلى الجنوب من قصر الخندق . وإن أسواره المتداعية وأبراجه المستديرة تخلد اسم منشئه الذي كان من أعظم أمراء البريمي السعوديين (الفقرة ١٩١ من الفصل الرابع فيما بعد) .

٦٢ — وكان لقصرين آخرين أهمية تذكر في تاريخ البريمي الحديث . وأحدهما يقع في بلدة البريمي ويعرف بقصر الحلة وهو معقل صقر بن سلطان — الذي هو من آل بو خريبان أحد القسمين الرئيسيين لقبيلة نعيم — وهو من



راشد بن محمد النجادى من أهل العين فى البريمى



أبرز الشخصيات فى الواحة . والقصر الآخر هو مربعة العين وقد جرى بناؤه عام ١٩٥٢ على السهل المنبسط شمال العين ، واستخدم حتى عام ١٩٥٤ قصراً لقيادة قائد القوات البريطانية التى حاصرت تركى آل عطيشان أمير البريمى السعودى (الفقرتان ٨٩ و ١٠٣ من الفصل الخامس فيما بعد) .

٦٣ — وتعتمد قرى البريمى وبساتين النخيل الواسعة فى مياهها على جريان الأمطار التى تسقط على جبال الحجر الواقعة إلى الغرب . وتأتى المياه إلى البريمى من خزانات جوفية طبيعية فى سفوح الجبال بواسطة عدد من المجارى والقنوات الواقعة تحت الأرض . وتسمى مثل هذه المجارى — المزودة بثقوب للتنظيف والإصلاح — تسمى فى الجنوب الشرقى لجزيرة العرب بالفلج (وجمعها الأفلاج) . وان اعتماد القرى على هذه المجارى يتضح بشكل ظاهر من حالة بساتين الجاهلى التى كانت يوماً زاهرة مزهرة ثم أصبحت اليوم تكاد تكون خاوية على عروشها بسبب خراب مجرى قناتها الوحيدة . وتعتمد كل من قرى البريمى الثمانى على واحدة من هذه القنوات ، ما عدا بلدتى البريمى وحماسا اللتين تشتركان فى واحدة، ثم بلدة العين التى تمدها قناتان لا واحدة . أما القناتان اللتان تمدان القيمى والقطارة المتلاصقتين فتمران تحت أجزاء من بلدتى البريمى وحماسا . وتلك حقيقة تفسر اعتماد الأجزاء المختلفة من الواحة كل منها على الآخر .

٦٤ — أما أسواق البريمى فتوجد فى بلدة البريمى وحماسا والعين . على أن سوق العين صغيرة ، ويذهب أهلها غالباً إلى السوقين الأخريين لشراء حاجاتهم ولوازمهم . ويأتى عدد كبير من تجار حماسا من نجد ، وهى المنطقة الوسطى فى المملكة العربية السعودية ، وقد استقر بعضهم فى المنطقة منذ زمن بينما يعتبر البعض الآخر حديثى عهد نسبياً . وهناك كذلك عدد قليل من التجار من أصل فارسى فى أسواق بلدة البريمى وحماسا . وتتاجر الأسواق بصفة أساسية فى المواد الغذائية والأقمشة والمواد الضرورية الأخرى ، وأهمها فى المنطقة التمر

والأغنام والجمال التى تباع فى الأسواق عن طريق الدلالين المحترفين . وتعتبر البريمى بالنسبة للبدو المقيمين فى الرمال الواقعة إلى الغرب منها مكاناً ملائماً كثيراً ما يرتادونه لشراء لوازمهم .

هيلى

٦٥ – ينتسب معظم سكان قرية هيلى الشمالية إلى قبيلة الظواهر ، ولكن عناصر منهم تأتى من قبائل بنى كعب وبنى قتب وآل بوحمير وآل بوفلاسا . وللقرية علاقات جد وثيقة بالقطارة إلى الجنوب الغربى كما أنها مصيف محبوب من جانب بدو المنطقة .

القطارة

٦٦ – وتتاخم بساتين نخيل القطارة بساتين القيمى إلى الجنوب . وتستمد القرية مياهها من مجرى تحت الأرض ينساب تحت قصر الخندق وتحت جزء من المنطقة المزروعة التابعة لحماسا . ومعظم أهالى القطارة هم من الظواهر . أما رؤساؤهم فهم سعيد بن سلطان الدرمكى ومحمد بن سلطان الدرمكى وراشد ابن سعيد الدرمكى . وهناك كذلك بعض السكان من آل بوحمير ومن المشاغين وهم فخذ من بنى قتب .

القيمى

٦٧ – وللقيمى (وتلفظ محلياً الجيمى) مظاهر عديدة شبيهة بمظاهر شقيقتها القطارة إلى الشمال . فكلتا القريتين تعتمدان على مجارى مياه أرضية تمر

تحت قريتى البريمى وحماسا . ولاتوجد أسواق فى أية من القريتين مما أدى إلى أن يتعامل سكانهما بصفة رئيسية فى أسواق حماسا وبلدة البريمى . وكذلك فإن القريتين مأهولتان بأفراد من الظواهر ، والشخصيات الرئيسية فى القرية هم على بن غانم آل حمودة وشبيب بن محمد بن هلال وعبد الله بن أحمد بن محمد الظاهرى .

المعترض

٦٨ – أما أصغر قرى البريمى فهى المعترض . وتقع فى الجزء الجنوبى من الواحة بين بساتين المويقعى إلى الغرب وحقول الجاهلى المهجورة تقريباً إلى الشرق . ومعظم سكان هذه القرية من الظواهر . وأبرز زعمائهم سلطان بن سرور ابن سلطان ومانع بن محمد .

العين

٦٩ – تقع بلدة العين – أقصى قرية إلى الجنوب الشرقى من قرى البريمى – عند الطرف الشمالى الطويل لجبل حفيت . وتزوّد قناتا العين والداودى بساتين النخيل بمياه غزيرة ، مما جعل العين من أكثر بلدان الواحة ازدهاراً . أما سوقها فصغيرة ، ولذلك فإن الأهالى يرتادون أسواق بلدتى البريمى وحماسا لقضاء حاجاتهم . ونصف سكان العين تقريباً من النجادات وهى جماعة يعود أصلها إلى نجد ، ولكنها تعتبر الآن تابعة لآل بو خريبان من نعيم . ويعيش أكثر النجادات فى القسم الشرقى من العين . وهناك جماعتان أخريان تعيشان فى أماكنهما الواقعة فى القسم الغربى ، وهما النواصر والمطاوعة من آل بوشامس . وفى الطرف الشمالى من العين يقع حى الكويتات وهم يعودون فى الأصل إلى جماعة

هاجرت من الكويت ، وزعيمهم هو محمد بن سعود آل عرار أبرز شخصيات العين ، وينحدر من عائلة مارست السلطة المحلية خلال سنوات عديدة .

صعرا

٧٠ ــ تقع بساتين النخيل الشاسعة فى صعرا إلى الشرق مباشرة من البساتين التابعة لبلدة البريمى والتى يفصلها عنها لسان ضيق من الأرض التى لا تزرع معظم أيام السنة . وتخضع صعرا لسلطة صقر بن سلطان من آل بوخريبان الذى يقيم فى بلدة البريمى . ويتألف السكان فى أكثرهم من آل بو خريبان ، مع وجود بعض العناصر من بنى كعب وبنى قتب وآل بو فلاسا .

حماسا

٧١ ــ يجب تناول هذه القرية التى تعتبر أحياناً حياً من أحياء بلدة البريمى ، على أساس أن لها كياناً مستقلا . إذ لها سوقها الخاصة التى تعتبر من أكبر الأسواق فى الواحة ، كما أنها تدار بشكل مستقل عن بلدة البريمى . وتؤلف بساتين النخيل فى حماسا وبلدة البريمى وحدة من الخضرة ، تقع حماسا على طول طرفها الجنوبى وعلى مسافة قصيرة إلى الغرب من بلدة البريمى . وتعود حماسا إلى آل بوشامس من نعيم ، وتقع تحت سلطة راشد بن حمد بن شامس ، كما أنها مقر إقامة أبرز شخصيتين قضائيتين فى واحة البريمى هما الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان قاضى البريمى السعودى ، والشيخ مبارك بن على بن سالم ابن بشيت من آل بوشامس الذى كان يقطن سابقاً السنينة الواقعة إلى الجنوب وهو يعمل قاضياً وخطيباً فى آن واحد . وتعيش فى حماسا أيضاً جماعة صغيرة من أهل نجد لها نفوذها ومعظم أفرادها من التجار ، كما توجد هناك بضع عائلات من البلوش ومن أهل فارس الذين يتبعون المذهب السنى .

بلدة البريمى

٧٢ ـ إن بلدة البريمى التى تقع فى وسط الواحة والتى يعرف بالتواتر أنها أول مكان سكن فيه ، هى تابعة لآل بو خريبان من نعيم ، ويمكن اعتبارها المقر الرئيسى للقبيلة ويطلق عليها سكانها عادة اسم الحلة . وأما سوقها فترتادها أهالى قرى أخرى كذلك ، ويشكل قصر الحلة فى البلدة وقصر الخندق الواقع على مسافة قصيرة من جنوب البلدة المركزين المنيعين الرئيسيين فى الواحة . والسلطة المحلية فى يد صقر بن سلطان من آل بوخريبان وهو يقيم فى قصر الحلة .

أماكن أخرى فى واحة البريمى

٧٣ ـ وفى الجزء الجنوبى من الواحة ، بين المعترض والعين، تقع بساتين الجاهلى التى تكاد تكون مهجورة . وهناك قصر اتخذ فى بعض الأحيان مركزاً رئيسياً لفرق مكافحة الجراد الدولية التى كانت تعمل فى تلك المنطقة . وتقع أملاك آل بو فلاح المعروفة بالمويقعى إلى الغرب من المعترض ، وتتكون من بضعة مبان حديثة البناء نسبياً وحفنة من الأكواخ المتناثرة التى يسكنها الأتباع والخدم الذين يعنون بالنخيل .

منطقة البريمى

٧٤ ـ أن طابع دائرة منطقة البريمى ـ كما أشير إلى ذلك فى السابق ـ هو طابع اصطناعى بحت . وكيما يمكن التوصل إلى فهم كامل لحقيقة الوضع هناك ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المناطق التى ترتبط بهذه الدائرة بصلة

وطيدة رغم وقوعها خارجها . ويشار فى هذا العرض إلى هذه البقاع بما فيها منطقة البريمى ، باسم « إقليم البريمى » ، وهو الإقليم الواقع بأسره فى شرق جزيرة العرب الخاضع عادة للحكم السعودى والذى تعتبر بلدة البريمى عاصمة له . ويشمل الإقليم شمال بلدة البريمى ديار بنى كعب وبنى قتب ومضاربهم . ويمتد إلى الشرق حتى يبلغ جبال الحجر فيشمل القرى التابعة لنعيم وبنى غيث فى وادى الجزى ووادى أجران . وفى الجنوب يصبح الإقليم إلى حد بعيد مرادفاً لمنطقة الظاهرة الجغرافية ، إلا أنهما ليسا شيئاً واحداً . ويضم الإقليم إلى الغرب المناطق الرملية حيث تقوم بوجه خاص ديار آل بوشامس من نعيم . وستوصف أقسام إقليم البريمى المتعددة ببعض التفصيل فى الفقرات اللاحقة .

٧٥ — أما اعتبار إقليم البريمى جزءاً من عمان ، فهذه مسألة تعود إلى تعريف عمان . ويطلق اسم عمان عادة خارج شرق جزيرة العرب على نتوء شبه الجزيرة بأسره الذى يقع شرقى خط وهمى يمر بجوار أبو ظبى على الخليج الفارسى حتى يبلغ جوار جزيرة مصيرة فى بحر العرب . وينعكس هذا الاستعمال فى إطلاق الغربيين اسم « خليج عمان » على ذلك القسم من بحر العرب الذى تقع عليه مدينة مسقط ، كما يظهر فى عبارة « ساحل عمان » التى تتردد مراراً كمرادفة لساحل الصلح . وتميل غالبية الناس على كل حال فى شرق جزيرة العرب نفسها إلى إطلاق اسم « عمان » على منطقة الهضاب والجبال الواقعة فى الداخل ، حيث تمتد سلسلة جبال الحجر الرعرة على شكل قوس مواز تقريباً لحافة خليج عمان الغربية ، وتبلغ فى ارتفاعها أكثر من ثلاثة آلاف متر عند مرتفعات الجبل الأخضر . وعند ما يقول المرء فى ساحل الصلح إنه « ذاهب إلى عمان » فإنه يفهم من ذلك أنه ذاهب إلى البريمى أقرب جزء من عمان ، وهو كذلك الجزء الذى يمر منه عادة فى طريقه إلى أية ناحية أبعد فى عمان .

بلاد بنى قتب

٧٦ – إن قبيلة بنى قتب هى القبيلة السائدة فى المنطقة الواقعة بين جبال الحجر والساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى فى مواجهة المدخل الغربى لوادى القور وحول واحة الذيد . فهنا يعيش أفراد هذه القبيلة البدو فى حين يقطن عدد مماثل تقريباً من الحضر فى القرى المعروفة بأفلاج بنى قتب فى الجزء الجنوبى من الظاهرة . وشيخ الجماعة الشمالية لبنى قتب هو محمد بن على بن هويدن ومركزه فى الذيد . وقد كانت هذه الواحة الصغيرة أكثر ازدهاراً مما هى عليه الآن، ففى خلال الحرب العالمية الثانية ازدادت الحاجة إلى الفحم فى الخليج الفارسى مما أدى إلى اقتلاع عدد كبير من أشجارها وحرقها .

٧٧ – وتروى المياه التى تنحدر من المرتفعات ، الرمال والسهل الضيق الذى يقع فى الجانب الغربى من جبال الحجر حيث تتمتع بنى قتب بحقوق الأولوية هناك . وبالتالى يندر أن تجف الآبار هناك وتتجدد المراعى بانتظام . وقد جعلت هذه القبيلة قيمة كبيرة للصداقة معها إذ أنها تتحكم بفضل عددها ونشاطها ومركزها الاستراتيجى فى مدخل وادى القور وهو طريق السيارات الوحيدة عبر جبال الحجر . فقد حاول حاكم الشارقة مراراً فى السنوات الأخيرة أن يحمل محمد بن على بن هويدن على قبول مساعدة مالية سنوية ، ولكنه كان يرفض هذا العرض فى كل مرة ويقول إن هذه القبيلة تابعة للمملكة العربية السعودية .

بلاد بنى كعب

٧٨ – تقع واحة محضة وهى أهم قرية من قرى بنى كعب إلى الشمال الشرقى من البريمى وخارج حافة دائرة البريمى على مسافة قريبة جداً . وكانت مقراً لشيخ

هذه القبيلة عبيد بن جمعة المزاحمى ، إلى أن اضطر إلى هجرها فى يونيه ١٩٥٣ بسبب الإجراءات العسكرية البريطانية ، فانتقل عبيد إلى الجبال فى الداخل وأقام فى قريته الخطوة ، ثم استقر فيما بعد فى حماسا إحدى قرى البريمى .

٧٩ – وعلى مسافة قريبة إلى الشمال من محضة تقع القريتان المتجاورتان شرم والنويجى التابعتان لبنى كعب أيضاً والواقعتان مثل محضة داخل النطاق الصخرى للحجر . وتقع سلسلة هامة من قرى بنى كعب فى سهل ضيق مرتفع بالقرب من أواسط تلك الجبال ، أهمها ابتداء من الشمال إلى الجنوب الخضرا والرمثة وعبول والخبيب و بوقلعة وعسيلة وحيوان ومصح والخطوة والخبين والظاهر .

٨٠ – إن بنى كعب هم حلفاء نعيم القريبين منهم فى البريمى . وكثيراً ما يترددون باستمرار على أسواق حماسا وبلدة البريمى الزاخرة بالبضائع ، كما يخيمون مع جماعات من نعيم فى الحوض الرملى للوديان (أو الويدية) على مسافة قريبة الى الشمال من البريمى .

قرى وادى الجزى

٨١ – تقع الطريق الهامة عبر جبال الحجر فى اتجاه شرقى مستقيم من البريمى التى تتكون فى معظمها من وادى الجزى المنحدر شرقاً . وتصل هذه الطريق بين البريمى وبلدة صحار الواقعة على خليج عمان ولكن السيارات لم تطرقها سوى مرة واحدة فقط عقب نهاية الحرب العالمية الثانية بمدة وجيزة عند ما بعث سلطان مسقط بقوة مسلحة عبر هذا الممر لحراسة جماعة من شركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة التى كانت تنقب عن الزيت . وقد احتج رجال القبائل فى وادى الجزى على هذا التعدى لدرجة أنهم دمروا الطريق فحالوا من ذلك الحين

دون مرور أية سيارات . على أن هذه الطريق على كل حال لا تزال تستخدم لمرور قوافل الإبل .

٨٢ ــ يصل المرء إلى رأس وادى الجزى عقب ارتقاء غير صعب من البريمى وتقع هناك ثلاث قرى تربطها بالبريمى علاقات وطيدة . فى الجانب الشمالى للوادى تقع الرابى وتواجهها فى الجانب الجنوبى الحيل وكلتاهما تابعتان لبنى غيث المتصلين منذ زمن طويل بآل بوخريبان من نعيم رغم عدم انحدارهم من أصل واحد . أما واسط ، القرية الثالثة ، فتقع على مسافة غير بعيدة إلى الجنوب من الحيل وهى تابعة لآل بوشامس من نعيم . وفى فرع لوادى الجزى جنوب غرب هذه القرى تقع كتنا وهى قرية أخرى تابعة لآل بوشامس .

٨٣ ــ إن قبيلة المقابيل هى القبيلة السائدة فى أواسط وادى الجزى ، وقريتها الرئيسية هى الخان . وتقوم فى أسفل الخان مباشرة أبراج المراقبة المسماة بروج الشجيرى التى يعتبرها أهالى الوادى معالم تحدد مدى سلطة سلطان مسقط فى هذا الاتجاه .

قرى وادى أجران

٨٤ ــ يضم مضيق وادى أجران الصخرى الواقع على بعد خمسين كيلو متراً جنوب شرقى البريمى مجموعة من القرى . وينحدر هذا الوادى غرباً غامراً بسيوله الموسمية السهل الواقع شرقى جبل حفيت . وتقوم على مدخل الوادى قريتا أجران والفياض التابعتان لآل بوشامس من نعيم . وأما فى الأطراف العليا فإن القبيلة السائدة هى بنى غيث المتصلة بآل بوخريبان من نعيم ، وأكبر قراها هما الحريم والسودى .

الظاهرة

٨٥ ـ تقع الظاهرة ما بين الرمال والجانب الغربى لسلسلة جبال الحجر ، تقابله اسماً وحقيقة الباطنة الواقعة فى الجانب الآخر من الجبال . والظاهرة هى هضاب تشتمل على سهول عديدة مكسوة بالطمى المتناثر وكذلك على جبال صخرية منفردة من أمثال جبل حفيت ، إذ أنه يقع بعيداً عن سلسلة الجبال الرئيسية . وعادة تعتبر رملة كحل (خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ٣٠ دقيقة) حدها الشمالى ، وتمتد جنوباً إلى جوار عبرى (خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة) . والبريمى هى المركز الرئيسى فى البقاع الشمالية للظاهرة ، ولحفيت والقابل الواقعتين قرب هذا المركز أهميتهما . وإلى الجنوب تقع السنينة ، ثم ضنك وعبرى وهما بلدتان كبيرتان ، ثم الواحات التى يمتلكها بنى قتب والبلوش . أما قرى بنى كعب وتلك الواقعة فى وادى الجزى ووادى أجران فتقع داخل جبال الحجر وليس داخل الظاهرة بالمعنى الصحيح . ولكنها على كل حال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأراضى الهضاب لدرجة أن السكان المحليين يعتبرون بعضاً منها على الأقل ، كمحضة مثلاً ، تابعة للظاهرة .

قرى نعيم جنوبى البريمى

٨٦ ـ فى الناحية الجنوبية لحافة جبل حفيت الطويلة وخارج نطاق دائرة منطقة البريمى على مسافة قصيرة جداً ، تقوم واحتا حفيت والقابل التابعتان كلتاهما لقبيلة نعيم ، حيث يقطن أفراد من القسمين الرئيسيين لهذه القبيلة ، آل بوشامس وآل بوخريبان ، فى حفيت بينما يقطن فى القابل أفراد من آل بوشامس وحدهم .

٨٧ – تزود حفيت بالمياه بواسطة فلجين أحدهما يجرى من طرف جبل حفيت القريب والآخر من التلال البعيدة القائمة عند قاعدة سفح الحجر . ويتفرع الفلجان لرى الأجزاء الأربعة الرئيسية لهذه الواحة وهى بوبقرة والغربى وحارة العواودة وحارة الكلابنة . وتتركز السلطة المحلية فى يد أحمد الصلف الذى يعمل تحت سلطة صقر بن سلطان آل حمود فى بلدة البريمى . أما القابل التى تزود بالمياه بواسطة قناة تمر تحت الأرض وتمتد من جبل حفيت فيشرف على إدارتها محلياً محمد بن سالمين بن رحمة من أهل السنينة الواقعة إلى الجنوب على مسافة غير بعيدة .

٨٨ – وتقوم مجموعة أخرى من القرى التابعة لآل بوشامس من نعيم فى سهل الظاهرة المنبسط على بعد أربعين كيلو متراً جنوبى جبل حفيت . وأكبر قرى هذه المجموعة هى السنينة بلدة محمد بن سالمين بن رحمة من آل على وهو أكثر رؤساء نعيم نفوذاً فى المنطقة الواقعة بين جبل حفيت ووادى الصفا جنوبى السنينة . وتقع على جوانب السنينة قريتا الهرموزى والريحانى ، كما تقع بالقرب منها المشروح والراكى وهى أماكن كثيراً ما يجرى ضرب الخيام فيها .

٨٩ – إن ضنك هى أكبر القرى التابعة لنعيم وحدهم جنوب البريمى ، وهى واحة خصبة تقع فى الثغرة الضيقة جداً فى السفح الغربى للحجر حيث يظهر وادى ضنك ممتداً إلى رمال الربع الخالى . وتؤتى مزارع النخيل فى ضنك وبساتينها ثماراً لها شهرتها الواسعة . وتنقسم القرية إلى سبعة أحياء رئيسية يسيطر على كل منها بطن من نعيم ، وتكاد تنقسم بالتساوى بين قسمى نعيم ، آل بوشامس وآل بوخريبان .

افلاج بنى قتب

٩٠ – إلى الجنوب من ضنك وفى سهول الظاهرة تقوم سلسلة من القرى معروفة بمجموعها بأفلاج بنى قتب . وكلمة أفلاج ، كما ذكر آنفاً ، هى جمع كلمة فلج التى تطلق على قنوات المياه التى تمر تحت الأرض والتى تعتمد عليها معظم القرى . وقرى أفلاج بنى قتب التسع ابتداء من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى هى الختم والخفيف وأبو خابى (فلج عامر) والافرنجى والشبيبى وبوسيله (فلج الشكيلى) والمحين والقايدى والمعمور . وتتبع قرية الافرنجى آل عزيز من نعيم ، الذين يقطن رئيسهم ، مطر بن سالم ، فى ضنك . أما بقية هذه القرى فتابعة لبنى قتب . ويتزعم هذه الجماعة من حضر بنى قتب الذين يختلفون عن أبناء عمومتها من البدو شمالى البريمى ، ذيبان بن محمد بن على بن ربيع وابن أخيه على بن محمد بن على بن ربيع ومركزهما فى المعمور .

قرى البلوش

٩١ – هنالك ثلاث قرى فى الظاهره تابعة للبلوش تقع فى منتصف المسافة تقريباً بين أفلاج بنى قتب وبلدة عبرى ، وهذه القرى هى المازم والصبيخى ومشارب . إن المازم هى العاصمة القبلية للبلوش الحضر فى ذلك الجوار بالرغم من أن زعيمهم الأكبر راشد بن سعيد آل إسماعيل كان يعيش منذ سنين فى بلدة العراقى الواقعة فى وادى الكبير وراء عبرى . ويمتلك البلوش جزءاً كبيراً من بلدة العراقى .

الحدود الجنوبية لإقليم البريمي

٩٢ – إن عبرى ، البلدة الهامة (خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٤ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٦ درجة و ٣٤ دقيقة) هى المدخل لامامة عمان الدولة المستقلة التى تضم معظم القسم الأوسط من سلسلة جبال الحجر ، وكذلك منطقة الهضاب الواقعة بينها وبين رمال الربع الخالى . وينتمى أهالى الامامة إلى فرقة الاباضية فى الإسلام وينتخب الإمام الذى هو مرجعهم الأعلى ليشغل منصباً مزدوجاً ، دينياً ومدنياً (الفقرة ٦ من الفصل الرابع فيما بعد) . والإمام الحالى الذى انتخب عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٤ م) هو غالب بن على من بنى هناء وعاصمته نزوى .

٩٣ – إن الأراضى الواقعة فى قلب عمان التى يطلق عليها أحياناً عمان الداخلية تضم البلدان القديمة المشهورة التالية : نزوى وأزكى وبهلا ويبرين . وإلى الشمال من عمان الداخلية يقع إقليم الجبل الأخضر الذى يحكمه سليمان بن حمير وهو من أكبر أنصار الأمام . وتمتد أراضى الامامة إلى الغرب والجنوب الغربى حتى تبلغ سهول قبيلة الدروع المليئة بالأودية ، ورمال الربع الخالى حيث تتاخم الإمامة المملكة العربية السعودية، ولكن الحدود المشتركة لهاتين الدولتين الصديقتين لم ترسم بعد .

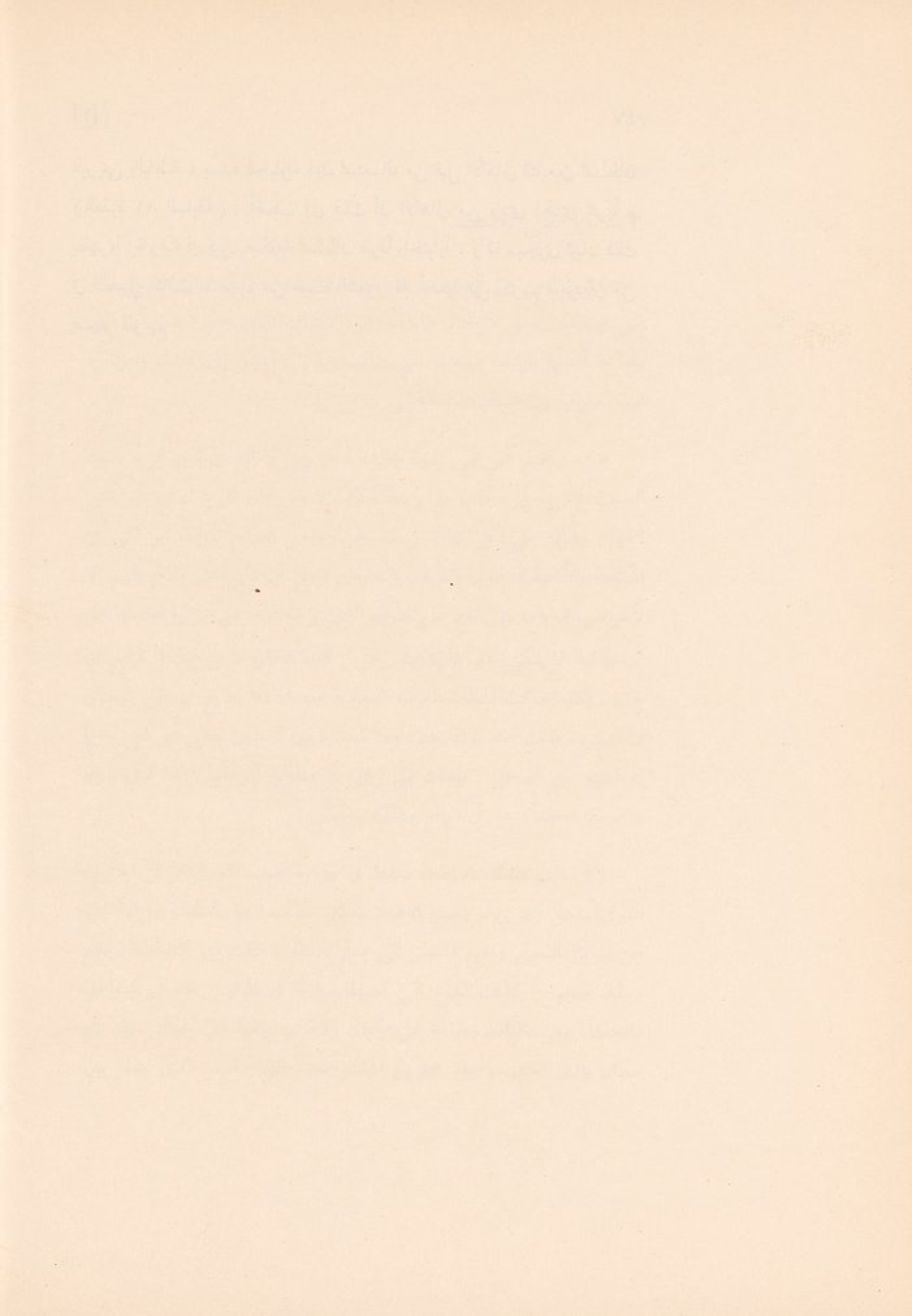
٣ ـ أبو ظبى ومسقط

٩٤ ـ ليس من الضرورى فى هذا العرض إعطاء أى وصف تفصيلى لابو ظبى ومسقط . وعلى كل حال فإننا نسترعى الانتباه هنا إلى صغر مساحة أبو ظبى وضآلة أهميتها بالنسبة للمنطقة التى تطالب بها ، وكذلك إلى انعدام وجود أية صلة جغرافية بين مسقط والمنطقة التى تدعى بها .

٩٥ ـ وتضم أبو ظبى بلدة واحدة فقط وهى لا تتعدى كونها قرية لصيد السمك ولاتزيد فى سكانها على بضعة آلاف ، ومن هذه القرية تستمد أبو ظبى اسمها . وهناك على الأقل اثنتان من مشيخات ساحل الصلح تفوقان أبو ظبى فى المساحة والأهمية التجارية وهما دبى والشارقة . وموقع أبو ظبى غير ملائم اللهم إلا لأغراض بحرية ، فهى تقع على الطرف الذى يواجه البحر من جزيرة تفصلها عن البر مخاضة لا يمكن عبورها إلا عند الجزر (قارن بالفقرة ٧ من الفصل الرابع فيما بعد) . ولقد اعترفت المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٩ بطابع أبو ظبى البحرى فى جوهره، وذلك عند ما اقترحت خطاً للحدود بين الدولتين يعطى أبو ظبى جزءاً له قيمته من الساحل . ولذلك فمن الجلى أن مطالبة أبو ظبى بعدة قرى تفوق عاصمتها حجماً، هى فى الواقع مطالبة شاذة .

٩٦ ـ إن ممتلكات سلطان مسقط فى جزيرة العرب تقع فى الركن الجنوبى الشرقى لساحل الجزيرة ، وتجرى المواصلات بين مختلف أجزاء السلطنة على الأغلب عن طريق البحر . وجميع المناطق التى يسلم بسلطة السلطان فيها كالباطنة وإقليم مسقط ومطرح وكذلك البقاع التى تحيط بسلالة فى ظفار ، تقع فى السواحل المنخفضة وهى تختلف جغرافيا عن الجبال والأقاليم الواقعة عبر الجبال . وقد قام سكان وادى الجزى ، وهو الطريق المباشر عبر جبال الحجر الذى يصل بين

البريمى والباطنة ، بسده للحيلولة دون استعماله من قبل الأهالى التابعين للسلطان (الفقرة ٨١ السابقة) . أضف إلى ذلك أن الأهالى من وادى الجزى غرباً لم يظهروا أية رغبة فى قبول حكومة السلطان طوعاً واختياراً ، وكما سيجرى تبيان ذلك فى الفصل الثالث ، فأنهم من حيث الشعور قد أجمعوا على كونهم سعوديين من صميم قلوبهم .



الفصل الثالث

السكان والقبائل

آراء عامة

١ – إن على الهيئة بموجب المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم أن تأخذ بعين الاعتبار « التنظيم القبائلى ، وطرق حياة القبائل الساكنة فى المنطقة ذات الشأن » . ولهذا الغرض فإن هذا الفصل من العرض يقدم سرداً مفصلا عن القبائل وطرق معيشتهم وولاءهم . وإن البحث التاريخى الذى يشكل الفصل الرابع من هذا العرض ، يتناول معلومات أخرى عن « الولاء التقليدى » للسكان الذى تطالب المادة الرابعة أيضاً بالنظر فيه . وقبل أن نبدأ فى وصف القبائل المعينة فى المناطق المتنازع عليها سنتناول بالبحث بعض الآراء العامة المتعلقة بالحياة القبلية . وإنه لما هو جدير بالعناية أن هذا الموضوع هو موضوع معقد ، وأن أفضل وسيلة لتفهم النواحى العديدة للحياة القبلية ، هى القيام بزيارة لتلك المناطق والتحدث إلى السكان أنفسهم .

٢ – إن الظاهرة البارزة فى المجتمع العربى هى أهمية العائلة وبالتالى أهمية القبيلة التى هى العائلة الكبيرة . فنى الجماعات الصغيرة يتكلم رب العائلة باسم جميع أبنائه وأقاربه ، وفى الجماعات الكبيرة التى قد تكون منحدرة من أصل واحد ، فإن الشيخ أو الأمير يتكلم باسم جميع الرؤساء الذين هم دونه والذين يعززون سلطته بتأييدهم له . وفوق الرئيس القبلى تأتى الحكومة المركزية التى تؤيد سلطته وتعمل فى جميع المجالات الأوسع نطاقاً من القبيلة . وثمة خطأ شائع بأن

البدو الرحل فقط هم الذين ينتمون إلى القبائل ، إذ أن معظم حضر جزيرة العرب وكذلك جميع السكان فى المناطق المأخوذة هنا بعين الاعتبار ، يشتركون فى نظام اجتماعى قبلى صحيح . ولهذا السبب فإن من الممكن تقديم وصف لأهالى المناطق المتنازع عليها قبيلةً قبيلةً .

٣ — كان سكان جزيرة العرب منذ ما قبل تاريخهم المدوّن يعالجون حقائق الطبيعة بطريقتين منطقتين بسيطتين ، فحيثما تتوفر المياه الكافية يبنوا بيوتهم ويستقروا لفلاحة الأراضى وبيع منتجاتهم ، وصناعة أدواتهم ولوازمهم الأخرى وتصليحها ، وفى المناطق الشاسعة حيث تتوقف مقادير المياه على الأمطار المتقطعة فهم يعيشون حياة البدو الرحل ولكنهم لا يهيمون على وجوههم بل يتنقلون فى البلاد طبقاً لنظام معين كيما يفيدوا من الآبار المملوءة بمياه الأمطار ولرعى قطعان إبلهم وحيواناتهم الأخرى . وعلى وجه العموم لا يتبع البدو أو الحضر فى المناطق موضع البحث أية من هاتين الطريقتين للمعيشة دون الأخرى ، ذلك أن كثيراً من البدو الرحل يقيمون مدداً طويلة داخل الواحات أو بالقرب منها ، بينما يملك كثير من الحضر مواشى وأغناماً يأخذونها للرعى فى الصحراء مدداً معينة من الزمن . وفى الحقيقه إن جميع القبائل الموجودة فى هذه المناطق تتألف على السواء من بدو وحضر .

٤ — إن حياة الأفراد الرحل فى أكثر أوقاتهم من القبائل التى هى موضع البحث تختلف بطبيعة الأمر عن حياة إخوانهم الذين هم أكثر استقراراً ، وإن عملهم كرعاة يستلزم بالضرورة أن يتنقلوا ذهاباً وإياباً فى الصحراء . على أن هؤلاء البدو ليسوا قوماً بلا موطن ، ولا هم من النورة الهائمين بل إنهم يوجدون فى الظروف العادية فى ديرتهم القبلية التى وصفها بكل دقة الكولونيل دكسون ، أحد الثقات البريطانيين :

لكل قبيلة من البدو فى الجزيرة العربية ديرتها أو بلادها القبلية التى تجول فيها مع إبلها فى الخريف والشتاء والربيع ، والتى توجد فيها آبارها الدائمة وهى الممتلكات التى يعتز بها أقسام القبيلة المختلفة التى تخيم عليها أثناء الصيف[١] .

فالقبيلة لا تبقى دائماً داخل ديرتها فى حين أن أفراداً من القبائل الأخرى تضرب خيامها بين حين وآخر مع أصحاب الديرة . غير أن هذا لا يحدث إلا بعد موافقة أصحاب الديرة وصدور إذن من الحكومة المركزية ولا يكون ذلك إلا لغرض المرعى. ويحق للقبيلة أن تترك ديرتها إذا كانت المراعى مجدبة غير أن ذلك لايعنى بأنها تتنازل عن حقوقها فيها . فعلى العكس من ذلك فإن القبيلة تعرف دائماً بديرتها ، وعند ما تنتقل إلى ديرة أخرى فإنها تغتنم بلهفة الفرصة الأولى للعودة إلى ديرتها . وهناك أمثلة هامة حديثة العهد على معالجة الحكومة العربية السعودية لهذه الأمور ، وقعت فى عام ١٣٧٣ هـ (صيف ١٩٥٤ م) عند ما عملت الحكومة على السماح لقبيلة شمر فى شمال الجزيرة بالانتقال إلى ديار مطير والعوازم فى أواسط الجزيرة كيما تفيد من المراعى والمياه هناك .

٥ ــ والبدو يقدمون مساهمة ملموسة للمصلحة الاقتصادية العامة فى جزيرة العرب إذ أنهم يعينون أنفسهم ويقدمون فائضاً من المنتجات الحيوانية لاستعمال الحضر ، وإن أهالى جزيرة العرب لا يطعنون فى أسلوب حياة البدو الرحل أو يقللون من قيمة مساهمتهم فى مضمار ثقافة الجزيرة ، فقد أشاد بها شعر العرب ونثرهم ، بأنها تنطوى على كل معانى النبل والشرف ويفخر العرب بأنهم يعودون فى أنسابهم إلى أجداد من البدو الرحل . إن البدو هم جزء لا يتجزأ من حياة أى بلد صحراوى من الوجهة الثقافية والاقتصادية وأمر السيطرة عليهم ليس مشكلة بالنسبة لحكومة لها خبرتها فى معالجة

---

(١) الكولونيل دكسن « عرب الصحراء » (١٩٤٩) ص ٤٦ . كان الكولونيل دكسون ضابطاً سياسياً بريطانياً فى منطقة الخليج الفارسى مدة سنوات طويلة .

أمورهم . ويجوز فى هذا الصدد مقارنة الأحوال فى المناطق الشرقية والغربية من محميات عدن مع الأحوال فى المملكة العربية السعودية .

٦ — ويشير البدو إلى أنفسهم فى بعض الأحيان بأنهم « أهل البعير » ، وذلك بسبب اعتمادهم فى الغالب على هذا الحيوان للمواصلات ، والغذاء ، وغير ذلك من ضرورات الحياة . وهذا التعريف ينطبق على بدو المناطق المتنازع عليها بشكل أكثر إقناعاً من انطباقه على جيرانهم فى الشمال . فبدون الجمال تستحيل المعيشة فى كثير من الأجزاء الرملية ، إذ أن لبن النياق هو الغذاء الرئيسى للبدو لعدة شهور من السنة . والمياه فى كثير من الآبار ملحة جداً لاستهلاك بنى الإنسان ، إلا أن الجمال لا تجد صعوبة فى شربها . ويتيح ذبح بعير إقامة حفل من وقت لآخر ، وذلك أن البدو فى المناطق المتنازع عليها لا يملكون إلا القليل من الأغنام ، حيث أنها تعرقل تنقلات مثل أولئك القوم السريعى الحركة .

٢ ـ آل مرة

٧ ـ إن قبيلة آل مرة هى من أكبر القبائل وأقواها فى جنوب جزيرة العرب . وأفرادها الأشداء هم فى الأغلب من البدو الرحل وهم مغرمون بوجه خاص بالتجول فى الصحارى الرملية الواسعة فى جنوب الجزيرة وشرقها .

٨ ـ وهناك قليل من القبائل العربية الكبيرة قد أسىء فهمها وطعن فيها بشكل لا يقل عما رميت به قبيلة آل مرة . فمثلا ، تصف الأميرالية البريطانية فى كتاب « دليل جزيرة العرب [١] » القبيلة بأنها « متوحشة » وكذلك بأنها « تعيش على السلب والنهب من دون خجل » كما تقول بأن أفراد القبيلة « أقرب ما يكونون لعبدة أوثان » ولهم من « المميزات الجسمانية واللغوية ما يؤهلهم لأن يكونوا بقايا السكان الذين استوطنوا جزيرة العرب قبل سكانها العرب الحاليين » وعلى كل حال ، فإن الوصف يضيف فى نوبة من نوبات الاستغراض الصحيح بأن « سوء سمعتهم قد يكون مرجعه أيضاً لقلة ما يعلمه العالم الخارجى عنهم » . والبيانات المدرجة هنا تبين أن هذه التقديرات غير المرضية عن القبيلة ليس لها فى الواقع أى أساس .

٩ ـ إن رمال الربع الخالى التى قاسمت قاطنيها سمعتهم المريعة مدة طويلة من الزمن ، هى من المناطق التى يفضلها البدو . فعند ما تقل المراعى فى السهول ، وتجف الآبار ، فإنك قد تجد آل مرة فى أراضيهم ، التى يقال إنها قاحلة ، يعنون بأمور قطعان سمينة من الإبل ويعيشون فى راحة إلى حد ما . وتتطلب هذه المناطق الشاسعة من الرمال من سكانها معرفة دقيقة بأمور الطبيعة ،

---

(١) بريطانيا العظمى ، الاميرالية ، هيئة الأركان البحرية ، إدارة المخابرات البحرية ، القسم الجغرافى « دليل الجزيرة العربية » مجلد ١ (١٩١٦) ص ٨٨ .

وإلماماً يكاد يكون تاماً فى اتجاهات السير . والفرد العادى من هذه القبيلة هو أستاذ فى فنون الصحراء ، ومعروف بمقدرته على الصيد وعلى تدريب كلابه لهذا الغرض .

١٠ — إن مهارة آل مرة فى كونهم قصاصى أثر الرجال والصيد ، قد بلغت من الشهرة بحيث أن كل فصيلة تقريباً من الشرطة فى شرق المملكة العربية السعودية تضم فرداً من هذه القبيلة . فإن بوسعهم أن يقصوا أقل الآثار وضوحاً عبر أكثر الأسواق ارتياداً وفى الأراضى الأخرى التى تبدو بلا أثر حتى بعد مرور مدة طويلة على انطباع تلك الآثار . وفى المحاكم العربية السعودية فإن لشهادة أولائك القصاصين أهمية تعادل تقريباً أهمية خبراء البصمات .

١١ — لا يقل إخلاص آل مرة عن إخلاص أية قبيلة أخرى فى جزيرة العرب فى مراعاة أمور دينهم ، فقد تقبلوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعند ما بدأ الملك عبد العزيز فى بداية القرن الحالى يوطن القبائل فى هجر حيث يتلقون التعليمات الدينية الصحيحة ، أنشئ عدد من هذه القرى لآل مرة . وقد اختير أمراء هذه القرى من بين كبار الرؤساء المحترمين من آل مرة الذين لا يزالون هم وأبناؤهم يحتفظون بمراكز الرئاسة فى القبيلة . وتقع قريتان من هذه القرى وهى السكك ونباك قريباً جداً من نقطة الانتهاء الغربية لخط الحدود الذى طالبت به أبو ظبى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .

١٢ — إن إحدى الحجج القديمة التى تظهر بين الفينة والأخرى للطعن فى نقاء عنصر آل مرة هى الزعم بأن لهجتهم غير مفهومة وهذا مثال على خطأ المراقبين بسبب عدم كفايتهم . إذ أن من يعرف اللغة جيداً يجد أن هذه القبيلة تتكلم لغة عربية فصيحة فريدة فى نوعها إذا ما قيست باللغة العربية القديمة كما سجلها الأدب العربى . والذين يجدون لغة آل مرة صعبة الفهم فذلك موده إلى

تعودهم على لهجات أخرى أكثر بعداً عن اللغة العربية الفصحى . وإن لغة آل مرة من حيث اللفظ والمادة والنحو لتشابه إلى حد بعيد لغة أجدادهم الأولين . ومما لا شك فيه أن عزلة هذه القبيلة النسبية فى الرمال قد ساعدت على تناقل اللغة المتداولة من جيل لآخر دون أن يطرأ عليها أى تغير يذكر .

١٣ — وكان آل مرة من بين المؤيدين الأوفياء للعائلة الحاكمة فى المملكة العربية السعودية . فعند ما كان الملك عبد العزيز فتى صغيراً التجأت جماعته التى هاجرت من الرياض إلى آل شريم وهم الرؤساء الكبار لهذه القبيلة . ولمدة من الزمن أخذ ملك المستقبل يروح ويغدو مع البدو من آل مرة (الفقرة ٢٧٥ من الفصل الرابع فيما بعد) وأن المعرفة الشاملة الدقيقة لحياة البدو التى كان يتمتع بها الملك الراحل إنما يعود الفضل فيها إلى خبرته هذه .

١٤ — عند ما قدم السر أندروريان الاقتراح البريطانى للحدود فى سنة ١٩٣٥ م (الفقرتان ٣٧ و ٣٨ من الفصل الخامس فيما بعد) زعم أن هذا الاقتراح كان مبنياً على أساس حدود آل مرة (الملحق ١٧) . وقد جرى تصديق هذا الاعتراف البريطانى بالطابع السعودى الذى يتسم به آل مرة فى الكتابين المتبادلين (الملحق ٢٣) اللذين ارفقا باتفاقية الصداقة وحسن الجوار المعقودة فى ربيع الثانى ١٣٦١ هـ (٢٠ إبريل ١٩٤٢ م) بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة نيابة عن الكويت . إن القبيلة بأسرها تدفع الضرائب سنوياً إلى الحكومة العربية السعودية (انظر المجلد الثالث) ، وكذلك يتضح من الوصف التالى لديرة آل مرة أنه لا يمكن للمرء مهما تمادى فى خياله أن يتصور أن هذه القبيلة ليست سعودية .

١٥ — إن القليل من القبائل العربية تمتلك ديرة أكبر من ديرة آل مرة . وهذه القبيلة سائدة فى معظم أنحاء الربع الخالى وتمتد ديرتها إلى رمال الدهناء

غرباً ، والهفوف شمالا ، وديار المناصير على طول الساحل الجنوبى للخليج الفارسى شرقاً . وآل مرة يرعون إبلهم حتى نجران غربى الربع الخالى وحتى الكدن والظفرة إلى الشمال الشرقى ، ولكن مراعيهم المفضلة تقع فى الربع الخالى بين خط الطول الشرقى ٤٨ درجة وخط الطول الشرقى ٥٤ درجة وكثيراً ما يوجدون فى هذه المنطقة بالقرب من موارد المياه المتناثرة بين خط الطول الشرقى ٥٠ درجة وخط الطول الشرقى ٥٢ درجة ويشكل خط هذه الموارد الممر الصحراوى الرئيسى من الشمال إلى الجنوب . وفيما بين الآبار الصالحة للشرب فى هذا الممر وبين إقليم الظفرة تقع عدة موارد للمياه الملحة داخل ديار آل مرة فى المنطقة المعروفة بالحيران أو المحراض . وكلا هذين الاسمين يشيران إلى ملوحة هذه الآبار ولو أن بعضها صالح لإرواء الإبل .

١٦ — وتتصل ديرة آل مرة بديرة المناصير فى المنطقة الممتدة من قاعدة شبه جزيرة قطر إلى سبخة مطى . والمناصير هم القبيلة السائدة فى إقليم العقل والجزء الشمالى للمجن (الفقرات ١٣ — ٢٠ من الفصل الثانى فيما سبق) وان قريتى السكك ونباك (الفقرة ١٠ من الفصل الثانى) تابعتان لآل مرة ، وشيخ الأولى هو حمد أبو برجس بن حنزاب من آل عذبة ، ورئيس الثانية هو فيصل بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن نقادان رئيس آل عذبة . وتضرب عائلات آل مرة خيامها بين الفينة والأخرى بجوار آبار العقل وخصوصاً تلك الآبار الواقعة فى الرمال مثل عقلة الرمث ورغوان وجليوين .

١٧ — ويعود القسم الجنوبى من هضاب أراضى المجن إلى آل بحيج من آل مرة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأراضى الواقعة غربى الصفق مباشرة . ويملك آل بحيح مورد مجحود الذى هو على ما يظهر نقطة التحول جنوب سبخة مطى مباشرة التى تقع على خط الحدود الذى اقترحته أبو ظبى عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢ م) . وان آبار الطرفاء الواقعة داخل المنطقة التى طالبت بها أبو ظبى عام

١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) هى ملك خاص يعود لأحد أفراد آل بحيح المدعو طالب ابن حمد المحنى . وتبين هذه الأمثلة مدى سيطرة آل مرة فى تلك المنطقة ، وبالتالى عدم وجاهة مطالب أبو ظبى هناك . ويطالب آل بحيح من آل مرة بموارد المياه فى عقلة حائز والصفق والحشم ، ولكن ديارهم هناك تتشابك مع ديار المناصير الذين يطالبون أيضاً بتلك الأماكن . وعلى كل حال ، فإن أفراد القبيلتين يشتركون ودياً فى ظل الحكم السعودى بالإفادة من موارد المياه الثلاثة هذه ، كما ينتفعون فى أبعد من ذلك إلى الشمال فى السلع وبعجاء والمنبعج حيث يمارس المناصير بشكل قاطع حقوق الأفضلية .

١٨ ــ إن آل مرة لا يعتبرون أنفسهم مقيدين بديرتهم ، شأنهم فى ذلك شأن القبائل الأخرى ، لذلك فإنهم يستفيدون من المراعى الخصبة الواقعة فى قطر ويستفيدون كذلك من المراعى الواقعة فى المناطق الغربية للظفرة داخل ديرة المناصير .

١٩ ــ إن آل مرة هى أكبر قبيلة فى شرق الجزيرة العربية وهى تضم أحد عشر قسما رئيسياً يتألف كل منها من فرعين إلى تسعة فروع وهى بدورها تنقسم إلى عدة جماعات عائلية كبيرة . وفيما يلى أقسام آل مرة التى تظهر الهيكل الرئيسى لهذه القبيلة .

١ ــ آل فهيدة (رئيسهم طالب بن محمد بن لاهوم بن شريم وهو زعيم آل مرة الكبير) .
٢ ــ الغياثين
٣ ــ الجرابعة
٤ ــ الغفران
٥ ــ آل جابر
٦ ــ آل عذبة (هجرهم فى السكك ونباك)
٧ ــ آل بريد
٨ ــ آل زبدان
٩ ــ آل دمنان
١٠ ــ آل هتيلة
١١ ــ آل بحيح

٢٠ – إن آل بجيح من أكبر أقسام القبيلة يعيشون بالفعل فى المناطق المتنازع عليها وبالقرب منها ، فلهذا السبب ، وكيما نبين شيئاً من التركيب الطبيعى لأقسام القبيلة ، نذكر فيما يلى فروع آل بجيح .

١ – آل سمرة (رئيسهم حمد بن متعب الصعاق وهو أهم زعيم فى هذا الفرع) .
٢ – آل سنيد
٣ – آل حسنا
٤ – آل سعيد بن ضرفاس
٥ – آل صالح بن ضرفاس (رئيسهم طالب بن حمد المحنى ، ويملك آبار الطرفاء)
٦ – آل حنيتم
٧ – آل جحيش
٨ – آل نابت
٩ – آل مريزيق

٣ ـ المناصير

٢١ ـ أخذ المناصير اسمهم من منصور بن قيس، الجد الأكبر للجماعة الأصلية التى تكونت حولها القبيلة . ومنصور هذا يعتبر أيضاً جداً لقبيلة بنى هاجر فى إقليم الحسا ، والقبيلتان تعرفان معاً باسم « عيال منصور » وبعض البطون الحالية انضمت إلى المناصير بعد أن انشقت عن قبائل فى أواسط جزيرة العرب مثل العجمان والسهول والدواسر وآل مرة . وهذه القبيلة اتخذت شكلها الحالى منذ سنوات كثيرة ماضية ، ويجمع بين أفرادها اليوم شعور قوى بالوحدة والتضامن .

٢٢ ـ وإذا كان عدد الجمال يصح مقياساً للثروة بين بدو جزيرة العرب ، فإن المناصير يعتبرون من أثراها . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن كل فرد من القبيلة على الأغلب يملك نخيلا ، فى حين أن بعضهم يملك بساتين كبيرة فى الجواء بينما يملك البعض الآخر مجموعات صغيرة من غيوط النخيل فى رمال البطانة والحمرة ، وليست هناك ملكيات مشتركة للنخيل على الرغم من بيانات المصادر البريطانية ، مثل « دليل لوريمر للخليج الفارسى »[١] و« دليل الأميرالية لجزيرة العرب »[٢] التى تقول إن المناصير فى الظفرة يملكون النخيل بشكل « ملكيات قبلية مشتركة » . ويحيا معظم أفراد القبيلة حياة بدوية متنقلة جزءاً من السنة على الأقل ، مع أن أكثرهم يقضون فصل الصيف بجانب نخيلهم .

(١) جوردن لوريمر « دليل الخليج الفارسى وعمان وأواسط جزيرة العرب » مجلد ٢ ، جغرافى وإحصائى (١٩٠٨) ص ٤١٥ .

(٢) « دليل الأميرالية البريطانية » مجلد ١ ، ص ٥٧٦ .

٢٣ – إن الدورة السنوية لمعظم بدو المناصير تدور حول قطبين ، وهما المرعى الشتوى فى جوار قطر ، ثم الآ بار و بساتين النخيل فى الظفرة حيث يقضى رجال القبيلة فصل الصيف . ولا تقع قطر نفسها داخل ديرة المناصير ، على أن لهم فى إقليم الساحل بين الظفرة وقطر حقوقاً سابقة يعترف بها كل جيرانهم . ومنذ أن قام الملك عبد العزيز آ ل سعود بإعادة توطيد أسس السلام العام فى هذا الجزء من جز يرة العرب ، أخذ المناصير يرتادون أيضاً ما و راء قطر كثيراً خلال تنقلاتهم الشتوية ، فهم يجوبون الشمال متوغلين لرعى إبلهم ، ضاربين خيامهم أحياناً بالقرب من الحسا والقطيف ، بل إنهم يصلون فى بعض الأحيان إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية .

٢٤ – أما موارد المياه التى يستمد إقليم العقل اسمه منها ، فإنها تتبع المناصير (الفقرة ١٢ من الفصل الثانى فيما سبق) ، فواحد منها ، وهو عقلة المناصير ، يستمد اسمه من القبيلة ، وآخر ، وهو مشاش المطاوعة ، يستمد اسمه من أحد بطونها . ومع أن بئر العديد لا تقع من الناحية الفنية داخل العقل إلا أنها قريبة منها لدرجة تستحق النظر فى هذه المناسبة . إن المناصير يملكون هذه البئر ، إذ قام أفراد القبيلة بجعلها صالحة للاستعمال بعد أن كان طمرها آخر من نزل بالعديد عام ١٢٩٤ ﻫ (١٨٧٧م) (الفقرة ٢٥١ من الفصل الرابع فيما بعد) . ولم تكن هذه المهمة سهلة ، إذ أن من بين الأشياء التى سد بها عنق البئر كان مدفعاً قديماً ثقيلا . فقام أفراد من جماعة مبارك بن عفاد من المراشيد من آ ل بو منذر الذين ترعرع أحفادهم وأصبحوا الآ ن رجالا ، قاموا بسحب المدفع بعد أن ربطوه بالجمال التى كانت تحثها النساء بينما قام الرجال بدفع المدفع من أسفل .

٢٥ – ويقع الجزء الشمالى من هضبة المجن الحصبائية داخل ديرة المناصير ، وإليهم تعود موارد المياه المسماة نكوت ودويهن والمنبجج مع نخيلها ، ثم بعجاء

والسلع وغيرها . إن تداخل ديار المناصير وآل مرة قرب الصفق على حافة سبخة مطى قد أشير إليه آنفاً (الفقرة ١٧ السابقة) ، إلا أن هذه الحالة لا تسبب مشكلة حيث أن كلتا القبيلتين هما سعوديتان وتعيشان الآن فى علاقات سلمية بعضهما مع بعض تحت لواء السلطة السعودية .

٢٦ ـ إن سبخة مطى ، بالطبقة الملحية التى تغطيها وانعدام مياه الشرب فيها ، ليست مكانا يقيم فيه الأهلون مدة طويلة . ولكن على الرغم من ذلك فإن المناصير ، التى تشكل سبخة مطى جزءاً من ديرتهم ، يكنون لها عاطفة من الحب ويسمونها « أم المناصير » ، ويقولون إنه إذا مات أحد أفراد القبيلة هناك فكأنه قد مات فى الفردوس ! ! ! وللمناصير موارد مياه فى الجزء الشمالى من الحافة الغربية ، فهم يحتلون جميع الأراضى الواقعة إلى الشرق من السبخة ، وإن عدد الرحلات التى يقومون بها عبر هذه المنطقة يفوق بكثير عدد الرحلات التى تقوم بها أية قبيلة أو جماعة أخرى . ووجود فرد من القبيلة كان قد قطع سبخة مطى خمسين مرة أو مائة مرة لا يعتبر أمراً مستغرباً بين أقرانه . ومن الطريف أن نلاحظ بهذه المناسبة فكرة لوريمر المغلوطة عندما يقول :

> ان المسافرين العاديين يفضلون أن يمروا بها (سبخة مطى) عن طريق البحر ، وقطعها صعب وخطر لدرجة أن بدو المناصير يتجنبونها خلال تنقلاتهم الدورية بين الظفرة وقطر بالانحراف إلى صحراء الجافورة فى الجنوب. (٣)

وليس لوريمر مخطئاً تماماً بصدد المناصير وسبخة مطى فحسب ، بل إنه جدير بالملاحظة أن الجافورة تقع إلى الشمال الغربى من السبخة لا إلى الجنوب منها . وحتى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وقد مضى على ارتباط البريطانيين بأبو ظبى ما يزيد على القرن ، لم يكن الموظفون البريطانيون يعرفون إلا النذر اليسير عن المنطقة التى يطالب بها أبو ظبى الآن بمساندة منهم .

---

(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٢٠١ .

٢٧ – ومع أن ديرة المناصير تمتد إلى ما وراء شمال شرق الظفرة وشمال غربها ، إلا أن الظفرة هي موطن القبيلة . ففيها يتوفر الكثير للمناصير ، وهم يتمتعون هناك بمركز الأكثرية . إن أهم ما يعنى البدوى فى حياته هو الماء لنفسه ولابله ، والظفرة تحتوى على عدد كبير نسبياً من الآبار ، ومياهها فى معظم الأحيان أجود من مياه الخيران الملحية التى يرتادها آل مرة فى الجنوب . وكذلك يحتاج البدوى إلى مراع لمواشيه ، وهناك مناطق معينة فى الظفرة – من بينها إقليما بينونة والحمرة – تتوفر فيها خلال أوقات معينة من السنة أنواع النباتات المطاوبة . ويرغب البدوى كذلك فى أن تكون لهواحة يسهل الوصول إليهاللحصول على التمر الذى يشكل نوعاً من غذائه الرئيسى . ولا يملك أفراد الحضر من المناصير بساتين كبيرة فى الجواء فحسب ، بل إن أكثر أفراد البدو من القبيلة يملكون على الأقل نخيلات قليلة فى غيوط بينونة والحمرة .

٢٨ – ودفاتر الزكاة للمناصير التى تحتفظ بها الحكومة العربية السعودية (المجلد الثالث من هذا العرض) تبين أسماء بعض الأماكن التى تضرب فيها المناصير خيامهم . وقد توغل جباة الزكاة فى طول ديرة المناصير وعرضها ، دون أن يهتموا فى الغالب بتحديد أسماء الأماكن التى تجبى منها الزكاة إلا تحت اسم « الظفرة » أو « جهة الجنوب » على أن بعض الدفاتر توسعت أكثر من ذلك فعينت أماكن فى الظفرة من بينها الأمثلة التالية :

بدع الغينة – المجلد الثالث ، صفحة ٧٧
بدع نخيرة – المجلد الثالث ، صفحة ٣٩٨–٣٩٩
بدع طرجم – المجلد الثالث ، صفحة ٣٩٩–٤٠١
الجاهلية – المجلد الثالث ، صفحة ٢٤١–٢٤٣و٢٤٥و٣٤٣–٣٤٤
الجواء – المجلد الثالث ، صفحة ٧٧و١١٧و١٣٣
المرخية – المجلد الثالث ، صفحة ٣٩٨
العقيلة – المجلد الثالث ، صفحة ٢٥-٢٦و٧٦و٣٤٤–٣٤٥

٢٩ – إن آل بومنذر ، وهم أحد الأقسام الثلاثة من القبيلة ، يقطنون الناحية الغربية ، ويترددون كثيراً على بينونة والمغرب والقرى الغربية فى الجواء والمراعى الواقعة غربى سبخة مطى . ويتخذ صالح بن عزيز مثلا ، وهو أحد زعماء آل بومنذر ومن رفقاء سن جون فلبى خلال زيارته للربع الخالى ، يتخذ مقره الرئيسى فى قرية العد فى الجواء الغربية ، وهو مغرم بصفة خاصة بمراعى المغرب وبمياه الصويتية هناك . والقسمان الآخران ، وهما آل بورحمة وآل بلشعر ، يقيمان إلى الشرق ، وهما يتنقلان فى الغالب فى الطف والحمرة والقرى الشرقية فى الجواء. ومن بين جميع أقاليم الظفرة قد تكون الحمرة هى أقرب من غيرها إلى قلب موطن المناصير . وهناك مثل قبلى يقول « يحربون ويموتون فى الحمرة » .

٣٠ – ومعظم المعلومات الموجودة عن الجواء والمنشورة بلغات غربية واردة فى مؤلفات رحالة انكليزى اسمه ولفرد ثسيجر . وقد دلت مقالاته الأخيرة على اتجاهات أكثر من الأولى لمطابقة وجهات النظر البريطانية الرسمية . ومن سوء الحظ أن المعلومات الواسعة عن رحلاته الأولى تجرحها الحقيقة الماثلة فى أن اتصالاته بالجواء كانت قاصرة فى ذلك الوقت على الجزء الأوسط الغربى منها ، وهو الجزء الذى يسكنه أهالى بنى ياس وإن كانوا لا يستقلون به . ويذكر ثسيجر أن معظم قرى الجواء «يسكنها بنى ياس ،ولكن المناصير يملكون البساتين الواقعة شرقى ثروانية ،وأن كانت أصغر وأقل أهمية من تلك الموجودة إلى الغرب»[٤]. والحقيقة هى أن المناصير يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل فى الجواء ، كما أنهم سائدون فى الربع الغربى والثلث الشرقى من ذلك النطاق الزراعى الضيق المستطيل . وقد ذكرت من قبل ممتلكات صالح بن عزيز فى العد فى الجواء الغربية ، وهناك زعيم آخر من زعماء القبيلة ، وهو قران بن مانع (الملحق رقم ٩٨) وهو يملك بساتين عامة فى صريط إلى الغرب من ثروانية فى الجزء

(٤) ثسيجر « رحلة أخرى عبر الربع الخالى » ص ٣٩ .

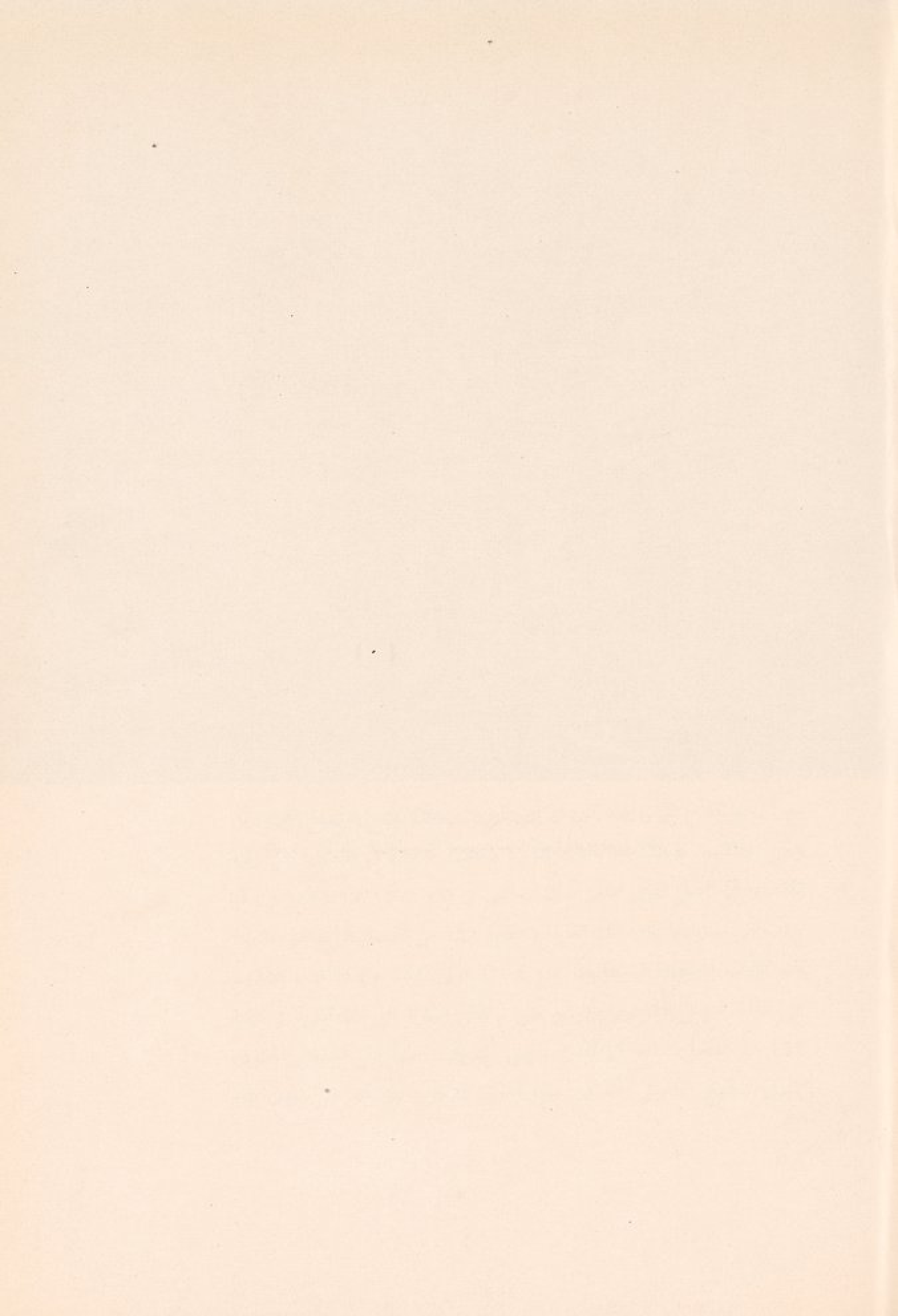
الغربى الأوسط من الواحة . وليست هذه الممتلكات من مجموعات النخيل المهجورة التى لا تزار إلا وقت الحصاد لجمع ما تجود به الطبيعة فى كل عام ، وإنما هى نخيل يزرع ويعيش حوله أفراد القبيلة طوال العام فى قرى الجواء لرعايته والعناية بأمره . وكذلك فإن هذه القرى والمراكز تهيىء مواطن للمرضى والمعمرين والأطفال من افراد القبيلة . وهم يتخلفون فيها عندما يذهب الأشداء بقطعانهم إلى أطراف ديارهم وأراضيها .

٣١ – وكان أهم خطأ وقع فيه تسيجر هو قوله إن عرب الجواء « يدينون بالولاء لأبى فلاح (آل بو فلاح) مشايخ أبو ظبى ».[٥] وهو قول غريب فى مجموعه نظراً لما فعله تسيجر خلال زيارته الأولى للجواء . فبعد أن علم أن جباة الزكاة السعوديين يعملون هناك ، بقى فى أطراف الإقليم وأرسل بعض رجاله إلى القرى لجلب الأطعمة . وكان التفسير الذى أعطاه هو أنه « لو تقابلنا مع أحد من جباة الزكاة ، لكان من الممكن أن يأخذنا معه إلى الهفوف لتبرير موقفنا حيث أننا جئنا هنا دون الحصول على إذن ابن سعود . . . » .[٦]

٣٢ – وانضم المناصير إلى صف آل سعود فى السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الهجرى ، عندما وصلت القوات السعودية أولا إلى إقليم البريمى . وتبين السجلات البريطانية أن المناصير كانوا عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٥ م) يؤدون الزكاة إلى الدولة السعودية وقد بلغ مقدارها ألفى ريال سنويا (الفقرة ٢١١ من الفصل الرابع فيما بعد) ، وكانوا يدفعونها عينا فى أغلب الأحيان . وبعد أن استعاد الملك عبد العزيز إقليم الحسا فى عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ، تجمع المناصير على الفور تحت لواء آل سعود ، وأدوا لهم الزكاة بانتظام . وتؤكد

(٥) تسيجر « رحلة أخرى عبر الربع الخالى » ص ٤٠ .

(٦) ولفرد تسيجر « عبر الربع الخالى » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٩) ص ٦ – ٧





بساتين النخيل فى الجواء تكتنفها كثبان الرمال فى الجزء الجنوبى من الظفرة . والأمطار الساقطة بعيداً تحجب واحات كبيرة أخرى تابعة للإقليم .

دفاتر الزكاة الرسمية الخاصة بالقبيلة ، وكذلك بيانات زعماء القبيلة (الملاحق ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠) ، ولاء أفراد هذه القبيلة للمملكة العربية السعودية . كذلك فإن بيانات أمير المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية ورؤساء جباة الزكاة الذين يعملون تحت سلطته (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) تشهد جميعها بانتظام الشكل الذى تجبى فيه تلك الزكاة من المناصير . ويمكن أيضاً لفت الانتباه إلى اعتراف الحكومة البريطانية الصريح بالطابع السعودى لهذه القبيلة فى الكتابين المتبادلين (الملحق ٢٣) الملحقين باتفاقية الصداقة وحسن الجوار المبرمة فى ٤ ربيع الثانى ١٣٦١ هـ (٢٠ أبريل ١٩٤٢ م) بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة نيابة عن الكويت .

٣٣ ـ إن المناصير ، بصفتهم قوم يحبون الشجاعة والحروب ويرحبون بالفرصة التى تتيح لهم استعمال السلاح ، قد برزوا فى عدة معارك واشتباكات فى شرق جزيرة العرب . وبسبب سمعتهم فى هذا الصدد فإن أفراد هذه القبيلة كثيراً ما يُسعى لاستخدامهم أتباعاً ، وإن المرء ليجدهم بهذه الصفة فى خدمة عدة حكام ساحليين بما فى ذلك قطر وأبو ظبى والبحرين ودبى ، وإن المناصير كقبيلة لم يكونوا خاضعين قط لأية من هذه المشيخات . وقد كانوا فى بعض المناسبات مع آل بو فلاح البيت الحاكم فى أبو ظبى فى خلافاته مع المشايخ المجاورين ولكن علاقتهم كانت علاقة الند للند ، وكانت صادرة فى معظمها عن رغبة المناصير فى العمل القوى المثمر . إن أبوظبى فى عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) قد تبرأت من مسئوليتها تجاه تلك القبيلة (الفقرة ١٩٨ من الفصل الرابع فيما بعد) . وقد اعترف الموظفون البريطانيون عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) فى مجال تعليقهم على حادثة تتصل بالمناصير بأن أبو ظبى لم تكن مسئولة عن تلك القبيلة (الفقرة ٢٦٢ من الفصل الرابع فيما بعد) . ومن المعروف جيداً على الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى أنه فى نهاية الحرب الأخيرة بين أبو ظبى ودبى عام

١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) رفض شيخ أبو ظبى تحمل مسئولية عن مسلك المناصير كما رفض أن يدخلهم فى الهدنة التى وضعها الضابط السياسى البريطانى فى ساحل الصلح .

٣٤ – إن نفس الروح التى جعلت المناصير قوماً لهم احترامهم فى الحرب قد تمثلت فى ميلهم القبلى للغزو وعلى إبل جيرانهم ، على أن غارات النهب الفردية هذه كانت قليلة نسبياً ومتباعدة فى القرن الثالث عشر الهجرى عندما كان آل سعود يبادرون فيعاقبون على مثل هذا المسلك . وقد ازدادت غارات المناصير فى فترة الضعف الموقت للدولة السعودية ولكنها خفت بشكل ملحوظ فى هذا القرن الذى أعيدت فيه سلطة سعودية حازمة على هذه القبيلة وديارها . وفى الملحق ١٠٩ تدون الحوادث التى كان أمير المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية يسارع فيها إلى معاقبة أفراد المناصير المتهمين بسرقة الإبل ويعيدها إلى أصحابها الشرعيين . ويدون سرد مفصل لحالة من هذه فى الملحق ١١٦ ، والسرد عبارة عن بيان رسمى أدلى به اثنان من الأشخاص الذين أقاموا فى ساحل الصلح مدة طويلة . ولا يخلو من المغزى أن حاكم أبو ظبى قد اشتكى إلى أمير المنطقة الشرقية من حركات هذه القبيلة . وقبيلة ذات روح عالية مثل هذه لا يمكن إخضاعها للنظام إلا باليد القوية الطائلة للمملكة العربية السعودية . وقد استفادت هذه المملكة استفادة طيبة من شدة بأس المناصير . وكثير من أفرادها عرفوا أتباعاً بالغى الإخلاص لصاحب السمو الأمير سعود بن عبد الله بن جلوى أمير المنطقة الشرقية ، ومن قبله لوالده .

٣٥ – ويشكل المناصير قبيلة متوسطة فى حجمها ، وهى أصغر من آل مرة ونعيم ، ولكنها أكبر من فروع القبائل التى تعيش فى المناطق المتنازع عليها مثل العوامر والمناهيل ، وأقسام المناصير هى مدرجة فيما يلى مع أسماء كبار شيوخها الوارد بيان مبايعاتهم فى المجلد الثانى من هذا العرض :

١ – آل بومنذر

قران بن مانع (الملحق ٩٨)

صالح بن عزيز من المطاوعة (الملحق ١١٠)

٢ – آل بو رحمة

سعيد بن مبارك الرحمي (الملحق ٩٩)

ناصر بن سعيد بن سويد (الملحق ١٠٠)

٣ – آل بلشعر

غانم بن جريو (يسكن دبي الآن)

٤ – بنى ياس

٣٦ – إن قبيلة بنى ياس ما هى إلا محض خيال ، ولكن سوء فهم طبيعتها قد أصبح شائعاً لدرجة أننا لو تجنبنا استعمال الاسم بالمرة كان ذلك من باب التحذلق . وإنه لمن المناسب أن نبحث فى هذا القسم ثلاث عشرة جماعة أو وحدات صغيرة تذكر مراراً بأنها تابعة لبنى ياس ، بالرغم من الطابع الاصطناعى الظاهر لمثل هذا الترتيب[١] . وإن جماعتين من هذه الجماعات يرأسهما حاكم دبى وحاكم أبو ظبى ، وواحدة منها تشكل جماعة سعودية هى المزاريع . ثم إن ثلاثاً منها ، رغم الفهم بأن حاكم أبو ظبى قد يطالب بها ، هى فى الواقع قبائل مستقلة . واثنتان فقط من جميع هذه الجماعات تدعى بأنها تنحدر من جد واحد اسمه ياس . وبالاختصار فإن اسم بنى ياس يطلق بشكل غير ثابت وبمظهر زائف من الدقة على جماعات قبلية لا ترتبط بروابط الدم ولا أدنى رابطة من روابط الوحدة .

٣٧ – وإذا كان هناك تأييد لحاكم أبو ظبى فإنه من قبل جماعات مقرونة أحياناً ببنى ياس . وعلى كل حال فيجب ألا يفترض بأن حاكم أبو ظبى هو زعيم قبيلة تدعى بنى ياس ، أو أن معظم الناس الملقبين ببنى ياس يعيشون داخل ممتلكاته الحقيقية أو الوهمية . وكما سيتضح من الوصف التالى للجماعات المقترنة ببنى ياس فإن أولئك القوم مبعثرون فى طول الخليج الفارسى وعرضه وأبعد من ذلك على طول ساحل إفريقيا الشرقى ، مع وجود جماعات منهم فى المملكة العربية

(١) ان لفظة « بنى ياس » ، التى تستعمل بين الفينة والأخرى فى أقسام أخرى من هذا العرض ، يجب تفسيرها بأنها تشير إلى أفراد ينتمون إلى جماعة أو أكثر من هذه الجماعات ، ولم تعين هذه عادة فى المصادر .

السعودية والبحرين وقطر ومشيخات الساحل الأخرى ، أكثر عدداً من تلك الموجودة فى أبو ظبى .

٣٨ ـ وهناك عدد كبير من هؤلاء الأهالى ممن يعملون فى البحر إما بحارة أو صيادين أو غواصى لؤلؤ أو تجاراً يقومون بتزويد عابرى البحر بما يحتاجونه . وهناك غيرهم ممن يعنون ببساتين النخيل ، كما أن هناك عدداً ضئيلا منهم يعيشون حياة البدو الرحل ويقومون بتربية الإبل . وهؤلاء يرعون إبلهم فى الرمال الواقعة وراء قرى ساحل الصلح وفى الظفرة ، ولكن ليس بالإمكان القول إنه لأية من هذه الجماعات الثلاث عشرة ديرة خاصة بها . وفى الظفرة فإن الجماعات التى هى تقترن ببنى ياس ترعى إبلها مع المناصير الذين هم على علاقات طيبة معهم ، ولكن تلك العناصر تعترف اعترافاً صريحاً بأنها فى ديرة المناصير . ويلقب هؤلاء البدو المناصير « بحجاب الظفرة » ، وقبيل نشر لواء الأمن العام على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، كانت الظفرة تعتبر « خالية » كلما تغيبت عنها قوة المناصير الرئيسية . فنى مثل هذه الأوقات تمكث هذه الجماعات بالقرب من قراها ، ولا تغامر فى الخروج إلى الأراضى غير المحروسة إلا فى وقت الحاجة الماسة . ولا تعتبر هذه الجماعات الظفرة ديرة المناصير القبيلة السعودية فحسب ، ولكنهم يؤدون الزكاة عن إبلهم فى الظفرة كلما قام جباتها بزياراتهم السنوية .

٣٩ ـ إن الوصف التالى يتناول الجماعات الثلاث عشرة الواحدة تلو الأخرى ، وسيتضح أن لكل منها على الأقل بعض الشىء من الوحدة الداخلية وهو الأمر الذى تفتقر إليه المجموعة بشكل بارز .

آل بو فلاح

٤٠ ـ تتألف آل بو فلاح من أربع عائلات ، إحداها آل نهيان وهى العائلة الحاكمة فى أبو ظبى ، وقد حاول حاكم أبو ظبى أن يعود بنسب أجداده

إلى عنزة القبيلة العظيمة ، ولكن يبدو أكثر احتمالا أن الصحيح هو أن نسبه ينحدر من الدواسر ، وهم قبيلة قائمة فى وسط جزيرة العرب . وهناك أقل من عشرين شخصاً من ذكور العائلة الحاكمة فى أبو ظبى ، وهناك خمسة منهم يعيشون فى دبى وغيرهم فى الشارقة . أما الفروع الثلاثة الباقية من آل بو فلاح فإنها تتألف من آل سعدون الذين هم عبارة عن عائلتين فى أبو ظبى ، وآل سلطان وهم عبارة عن عائلتين فى دبى ، وآل محمد وهم عائلة تعيش مع المناصير فى الجواء . وسيوضح فى الفصل الرابع كيف قام أفراد آل بو فلاح بمقاتلة بعضهم بعضاً بمرارة طيلة التاريخ المدون لساحل الصلح .

الرواشد

٤١ — إن آل بو فلاسا العائلة الحاكمة فى دبى تتبع الرواشد ، وهى إحدى جماعتين يعود نسبهما إلى رجل يدعى ياس . وهناك اتجاه لاعتبار الرواشد (وعلى وجه خاص آل بوفلاسا) جماعة منفصلة انشقت عن الكتلة الرئيسية لبنى ياس وبذلك يجب اعتبارها بطناً مستقلا بعض الشيء . أما السبب الذى يكمن وراء ذلك فليس مفهوماً ، طالما أن هذه الجماعة هى أكبر الجماعات الثلاث عشرة المقرونة ببنى ياس وهناك أفراد منها فى بلدة دبى يفوق عددهم أفراد كل الجماعات المقرونة بعض الأحيان ببنى ياس فى أبو ظبى . وهناك أيضاً عدد كبير من الرواشد فى المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر ، يناهز الموجود منهم فى دبى نفسها .

المزاريع

٤٢ — والمزاريع جماعة منتشرة على نطاق واسع يقيم كثير من أفرادها فى رأس الخيمة ودبى وأبو ظبى وجبال الحجر وعلى ساحل الباطنة وعلى ساحل إفريقيا

الشرقى. ويملك المزاريع فى المناطق المتنازع عليها بساتين نخيل فى الجواء ، وهم يرعون إبلهم مع المناصير فى إقليم الظفرة . وأولئك الذين فى الظفرة منهم يعتبرون أنفسهم رعايا للمملكة العربية السعودية . ونظراً لأهمية المزاريع فى تفهم المناطق المتنازع عليها فإن القسم الخامس من هذا الفصل قد خصص لتناول هذه الجماعة بتفصيل أوفى .

القبيسات

٤٣ ـ والقبيسات هم جماعة بحرية فى الدرجة الأولى ترتاد الجزائر الكثيرة الواقعة بين أبو ظبى وقطر ، وتملك عائلات قليلة منهم بساتين نخيل فى الجواء . ولكن لا يكاد أحد منهم يملك شيئاً من الإبل . والعداوة بين القبيسات ورؤساء أبو ظبى كانت من أبرز المظاهر فى شرق جزيرة العرب خلال القرنين الماضيين كما أن محاولاتهم العديدة للعيش منفصلين عن أبو ظبى قد سردت فى القسم التاريخى من هذا العرض (الفصل الرابع) . ونفس هذه الروح الانفصالية التى أدت بالقبيسات إلى تثبيت أنفسهم فى العديد لا تزال متجلية اليوم حيث يقيم أغلب الجماعة الآن فى قطر ويمارسون صيد الأسماك والغوص على اللآلىء بعيدين عن مضايقات حاكم أبو ظبى . وقد تحرك مؤخراً حامد بن بطى بن خادم رئيس القبيسات من أبو ظبى واتجه إلى قطر لينضم إلى أغلبية جماعته .

الهوامل

٤٤ ـ يشتغل الهوامل بالأعمال البحرية وزراعة النخيل ، بينما تعيش قلة منهم بدوا رحلا . ويقيم أفراد الجماعة فى دبى وبلدة أبو ظبى وفى الجواء .

المحاربة

٤٥ – يعود نسب المحاربة إلى قبيلة حرب فى أواسط جزيرة العرب . وهم كالهوامل يقصدون البحر ويعملون فى زراعة النخيل بينما قلة منهم من البدو الرحل الذين يمتلكون الإبل . ومعظم أفراد الجماعة يعيشون فى جميرا وهى بلدة ساحلية صغيرة تتبع دبى ، فى حين أن الباقى يقطنون فى الجواء وقطر .

الرميثات

٤٦ – والرميثات هم إحدى جماعتين تنحدران من جد واحد يسمى ياس . والجماعات الأخرى هى الرواشد ومنهم العائلة الحاكمة فى دبى (الفقرة ٤١ السابقة) . ويزاول أغلب الرميثات الأعمال البحرية إلا أن بعضاً منهم يعيشون أيضاً بدواً رحلا فى المنطقة الواقعة قرب بلدة أبو ظبى .

القمزان

٤٧ – يعيش أفراد متناثرون من القمزان فى أبو ظبى والجواء والبريمى ودبى . إلا أن العدد الأكبر منهم يسكن قطر . وخلال الحرب التى قامت بين دبى وأبو ظبى وانتهت سنة ١٣٦٦ ﻫ (١٩٤٧ م) قاتل القمزان ضمن قوات دبى بقيادة رئيسهم خليفة بن عبد الله الصيرى .

السبايس

٤٨ – ترتبط جماعة البدو الصغيرة من السبايس بعض الأحيان ببنى ياس ، إلا أن أقوالهم تبين أن أصلها يعود إلى طنيج ، وهى قبيلة صغيرة تعيش فى الأراضى

الداخلية التابعة لرأس الخيمة . أما الأفراد القلائل من الجماعة الذين عاشوا مرة في أبو ظبي فقد هاجروا إلى دبي خلال السنوات الأولى لحكم شخبوط بن سلطان .

آل بوحمير

٤٩ ـ إن آل بو حمير هم الجماعة التي لها أقل اتصال بالبحر ، من بين الثلاث عشرة جماعة . وقد كان لآل بوحمير في وقت ما حارتهم الخاصة بهم في وسط بلدة أبو ظبي ، إلا أن هذه الحارة قد هجرت منذ وقت طويل ، وأصبحت الآن أطلالا . ويتجول معظم آل بو حمير مع البدو في الظاهرة خلال فصل الشتاء ، بينما يقومون خلال فصل الصيف بفلاحة بساتين النخيل التي يملكونها في البريمي .

السودان

٥٠ ـ يعتبر بعض الناس خطأ أن أفراد قبيلة السودان الذين يعيشون في أبوظبي هم من بني ياس ، إلا أن « دليل جزيرة العرب » الذي أعدته الأميرالية البريطانية يتناول الجماعة كلها على الوجه الصحيح باعتبار أنها مستقلة . فيقول عنها :

> انها من قبائل عمان المتصالحة وقطر والبحرين . وهم على صلة وثيقة بالكنود ، ويعترف عموماً بأنهم من سلالة أسود الكندي ، الذي من المفروض أنه هاجر من اليمن في عصر (النبي) محمد (صلى الله عليه وسلم)[٢] .

وتقول ثقات المنطقة إن السودان كانوا الزعماء الأصليين للأهالي الذين استقروا في أبو ظبي ، أما الآن فإنهم على الأغلب يقطنون في قرية صغيرة تتألف من

---

(٢) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٥٩٦ .

أكواخ مقامة من سعف النخيل وتسمى البطين ، وهى ضاحية فقيرة من ضواحى بلدة أبو ظبى . والسودان هم صائدو أسماك وغواصو لآلىء ، إلا أن قلة منهم يملكون بساتين نخيل فى الجواء والبريمى .

المرر

٥١ ــ إن المرر جماعة صغيرة مستقلة تدعى أنها تنحدر من قبيلة آل مرة السعودية . ويوجد أفراد الجماعة فى جميع قرى ساحل الصلح الكبير ، إلا أن مركزهم الرئيسى هو الخان واللية بجوار الشارقة . وتزاول الجماعة فى الأصل الأعمال البحرية ، ولكن قلة من أفرادها يملكون بساتين نخيل فى الجواء ويجول قسم من هذه الجماعة مع بنى قتب فى الرمال القريبة من الذيد .

آل بو مهير

٥٢ ــ آل بو مهير قبيلة مستقلة ذات حجم كبير ويوجد أفرادها فى جميع قرى ساحل الصلح . ويقال إنهم ينحدرون من قبيلة المهرة فى حضرموت . وكانوا قوة يحسب لها حساب فى أبو شهر على الجانب الفارسى من الخليج خلال قرون عديدة .

٥٣ ــ إن كتاب لوريمر « دليل الخليج الفارسى » ، هو المرجع الأخير لأغلب المعلومات الموجودة باللغات الغربية عن الناس الذين هم قيد البحث . ويحتوى كتاب الأميرالية البريطانية « دليل جزيرة العرب » ، على مختصر لنفس المعلومات التى فى كثير من الأحيان لم يقم المحررون بإعادة كتابتها . وقد اعتمد كتاب آخرون كثيراً على هذين الكتابين الرسميين إلى حد أن الأخطاء الواردة

فيهما قد نشرت على نطاق واسع . إلا أن إعادة المعلومات الخاطئة فقط لا يجعل منها حقائق .

٥٤ ـ إن المقارنة بين ما ورد عن بنى ياس فى المراجع البريطانية والحقائق الواردة فى الفقرات السابقة هى فى الواقع مقارنة قوية . فمثلا فى عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) لخص لوريمر كل شىء عن بنى ياس فى كلمات رددها « دليل الأميرالية » عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ، فوصفهم بما يلى :

> انها من أكثر القبائل تماسكاً وقوة فى عمان المتصالحة ، وان ديارهم من حيث اتساعها مماثلة لأراضى شيخ أبو ظبى كما أنهم مصدر سلطته . (٣)

إن هذا الوصف لا ينطبق البتة على أقسام بنى ياس المنتشرة المتنازعة كما لا ينطبق عليها الوصف التالى الذى يشير على الأقل إلى أن بعض بنى ياس لا يقطنون أبو ظبى :

> فعلى الرغم من أن أقساماً من القبيلة قد أظهرت فى بعض الأوقات ميلا نحو الخروج إلى أماكن أخرى (كما فعل آل بوفلاسا الذين يقيمون الآن فى دبى) فإن القبيلة فى مجموعها مرتاحة ومخلصة للشيخ (شيخ أبو ظبى) . . . (٤)

٥٥ ـ إن أى تمحيص دقيق للمنطقة المعنية أو رجوع إلى المقيمين المطلعين فى الخليج الفارسى سيثبت فى الحال (١) أن بنى ياس ليسوا قبيلة « متماسكة قوية » ولم يحدث أن كانوا كذلك و (٢) أن بنى ياس مهما كانوا ، فإنهم ليسوا قبيلة « مرتاحة ومخلصة » لحاكم أبو ظبى و (٣) أن « ديار بنى ياس » ليست من حيث الاتساع مماثلة لأراضى حاكم أبو ظبى . أما فيما يختص بالأقوال الخاطئة فى كتاب لوريمر وفى « دليل الأميرالية » ، فيمكن استلفات النظر إلى بحث النقص الوارد فى معالجة لوريمر لهذا الإقليم ، فى الفقرة ٣٠٧ من الفصل

---

(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٩٣٢ و « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٦٠٠ .
(٤) « دليل الأميرالية » مجلد ٢ ، ص ٦٠٠ .

الرابع فيما بعد . وإنه لمن الواضح أيضاً أن فى هذه الحالة قد صاغ لوريمر المعلومات المحدودة الشائعة التى تحت تصرفه فى شكل أكثر تنسيقاً مما تستدعيه الحقائق ، وإن هذا التصرف مألوف بين الغربيين الذين يعالجون مثل تلك الأوضاع فى الشرق دون أن يستوعبوها تماماً . ويبدو أن لا ضرورة هناك لأن نضيف إلى ذلك أن تفسير لوريمر يساهم فى زيادة أهمية تلك المشيخة التى لولا ذلك لما كان لها هذا الوقع .

٥ – المزاريع

٥٦ – إن المزاريع ، كما ذكر فى الفقرة ٤٢ السابقة ، جماعة واسعة الانتشار. فأفرادها يوجدون فى جميع قرى ساحل الصلح ، وفى وادى حام الواقع فى القسم الغربى من الحجر ، وبالقرب من الرستاق فى القسم الأوسط من الحجر ، وفى عدة أماكن أخرى على ساحل الباطنة ، وعلى بعد آلاف من الأميال على ساحل إفريقيا الشرقى . لقد استولى أفراد المزاريع الشجعان على ممباسا من البرتغاليين وذلك خلال السنوات الأخيرة للقرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ثم قاتلوا حكام مسقط خلال القرنين التاليين وذلك فى محاولة للاحتفاظ باستقلالهم. وفى عام ١٢٤٠ﻫ (١٨٢٤ م) قد ذهبوا إلى حد أنهم طالبوا بالحماية البريطانية على ممباسا وعلى امتداد طويل من الساحل الإفريقى وذلك بدلا من الخضوع لحاكم مسقط [١].

٥٧ – ويعرف « دليل الأميرالية » قبيلة المزاريع تعريفاً صحيحاً بأنها قبيلة كبيرة منتشرة كما هو الواقع ، ثم يضيف أنها « تعتبر فى أراضى أبو ظبى بطناً من بطون بنى ياس» [٢] . وفى الحقيقة أن المزاريع الذين يعيشون فى المناطق المتنازع عليها يمكن اعتبارهم جماعة مستقلة عن إخوانهم فى بقية أجزاء جزيرة العرب وإفريقيا ، إلا أن محاولة تعريفهم بأنهم بطن من بطون بنى ياس ليس لها مبرر قانونى ولا سياسى .

---

(١) رجنالد كوبلاند « شرق افريقيا وغزاتها منذ العصور الأولى حتى وفاة السيد سعيد عام ١٨٥٦ » (١٩٣٨) ص ٢٣٥ . ويطلق كوبلاند لفظ « مزروعى » اسماً للجماعة . واستعمال مزوعى الصحيح هو للاشارة إلى فرد من القبيلة .

وقد كان الكابتن وليم فتزوليم أوين الضابط بالبحرية البريطانية الذى عمل على تأسيس محمية ممباسا البريطانية القصيرة الأجل هو نفس الضابط الذى ظهر فى الحركات التى أدت إلى التحكيم فى قضية خليج ديلاجوا الموصوف فى الفقرة ١٦ من الفصل السادس فيما بعد .

(٢) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٥٧٩ .

٥٨ — والمزاريع الذين يقطنون فى المناطق المتنازع عليها يعيشون نفس المعيشة التى يحياها جيرانهم المناصير ، فهم يرعون عدداً كبيراً من إبلهم فى إقليم الظفرة ويسافرون فى كثير من الأحيان مع جماعات من المناصير ، كما يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل فى الجواء بعد المناصير . ومن أهم القرى التابعة للمزاريع حمار ، والمارية ، وخنور ، والحمرور ، والطرق ، وبو صدين ، وموقب ، ولطير ، والحويتين ، وشدق الكلب ، وحفيت .

٥٩ — وفى السنوات الأخيرة فقد أثير الادعاء بأن الجواء تابعة لأبو ظبى لأن بنى ياس ، الذين يميل حاكم أبو ظبى إلى المطالبة بهم جميعاً ، يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل والقرى هناك ، والحقيقة هى أن المناصير يملكون أكبر عدد من بساتين النخيل ، وحتى لو برهن على أن بنى ياس يملكون القسم الأكبر فإن هذا الادعاء يؤدى إلى لا شىء لأن المزاريع الذين يملكون النصيب الأوفى من ممتلكات بنى ياس ، هم جماعة عربية سعودية .

٦٠ — إن المزاريع يؤدون بانتظام الزكاة للعمال الذين يرسلهم أمير المنطقة الشرقية للملكة العربية السعودية ووالده من قبله . وقد أدرجت بعض هذه الدفعات إلى جانب تلك الواردة من المناصير فى الدفاتر التى تحتفظ بها السلطات الإقليمية وتوجد بعض أمثلة عنها فى المجلد الثالث من هذا العرض فى الصفحات ١٧ و٧٦ و١١٠–١١١ ، وتشهد بيانات أمير المنطقة الشرقية للملكة العربية السعودية (الملحق ٩٤) وبيانات كبار جباة الزكاة الملاحق (٩٥و٩٦و ٩٧) على انتظام جمعها من المزاريع .

٦١ — وفى الملحق ١١٨ لهذا العرض كتاب مبايعة من فارس بن غانم زعيم المزاريع مرسل إلى الملك الراحل عبد العزيز آل سعود . وأن كتاباً آخر من فارس بن غانم (الملحق ١١٩) لا يؤيد ولاءه وولاء جماعته فحسب ، بل إن له أهمية خاصة لأنه يضم قائمة لإحدى عشرة قرية فى الجواء خاضعة لسلطته المحلية.

٦ ـ العوامر

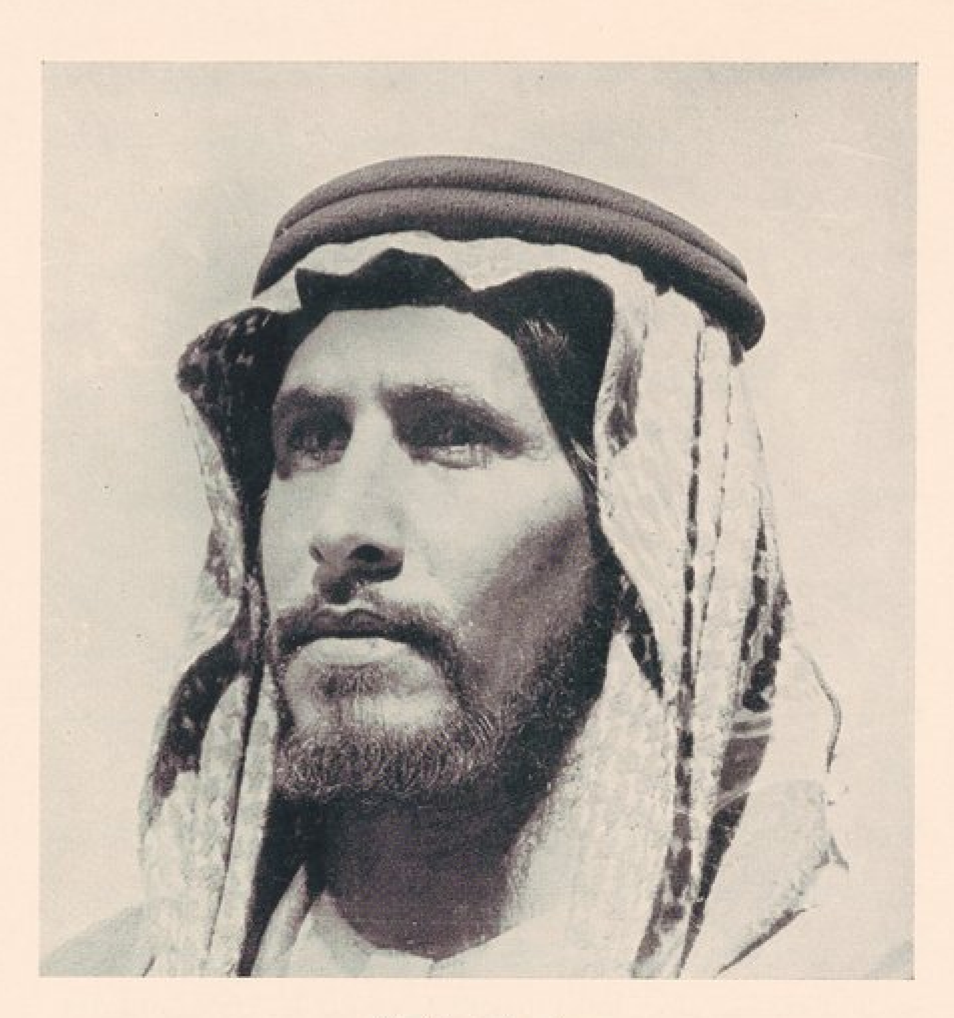
٦٢ ـ إن قبيلة العوامر تتألف من ثلاث جماعات منفصلة تقيم فى أجزاء مختلفة من جنوب جزيرة العرب وشرقها ، وكل من هذه الجماعات مستقلة تماماً ومنعزلة عن الأخريين . والجماعة الوسطى ، التى تنتقل أفرادها فى ربوع المناطق المتنازع عليها ، هى الوحيدة التى يتناولها البحث بالتفصيل فى هذا العرض . والعوامر من الجماعة الوسطى ، هم قبل كل شىء أهالى صحراء . وهم يعترفون صراحة بأنه ليس لهم ديرة تخصهم هم ، لذلك فهم يتنقلون على نطاق أوسع من آل مرة والمناصير ، وهم يفضلون الختم على وجه العموم أكثر من أية بقعة أخرى كما أنهم يقضون فيها مدة أطول مما يقضونها فى غيرها ، على أنهم يقولون بأنفسهم إن الختم تقع داخل ديرة أصدقائهم آل بو شامس من نعيم . ولا تعرف قبيلة أخرى ، أحسن من العوامر ، تلك المناطق العديمة المياه المسماة المنادر والواقعة جنوب الختم . ثم إن للعوامر تعلقاً قوياً بكثبان الكدن والبطين . وهم يرعون جمالهم فى الظفرة ، والقليل منهم يملكون نخيلا فى الجواء فى قرى ظفير وقطوف ومزيرعة وحفيف وحمار والعد .

٦٣ ـ وقد قاتل فى الواقع أفراد من القبيلة مأجورون من الطرفين فى الحرب التى وقعت بين أبو ظبى ودبى وانتهت عام ١٩٤٧ م . وتبين سجلات الأعمال البوليسية التى قامت بها سلطات المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية (الملحق ١٠٩) أن اهتماماً كبيراً قد وجه للسيطرة على بعض المخالفين للنظام من أفراد القبيلة . وإنه لجدير بالذكر فى نفس الوقت أن واحداً من زعماء الجماعة الوسطى وهو على أبا الروس كان من بين الموفدين من قبل الحكومة الإقليمية للقيام بالأعمال البوليسية وجمع الزكاة (الملحق ١٠٨) . وهذه السجلات تبين مقدرة

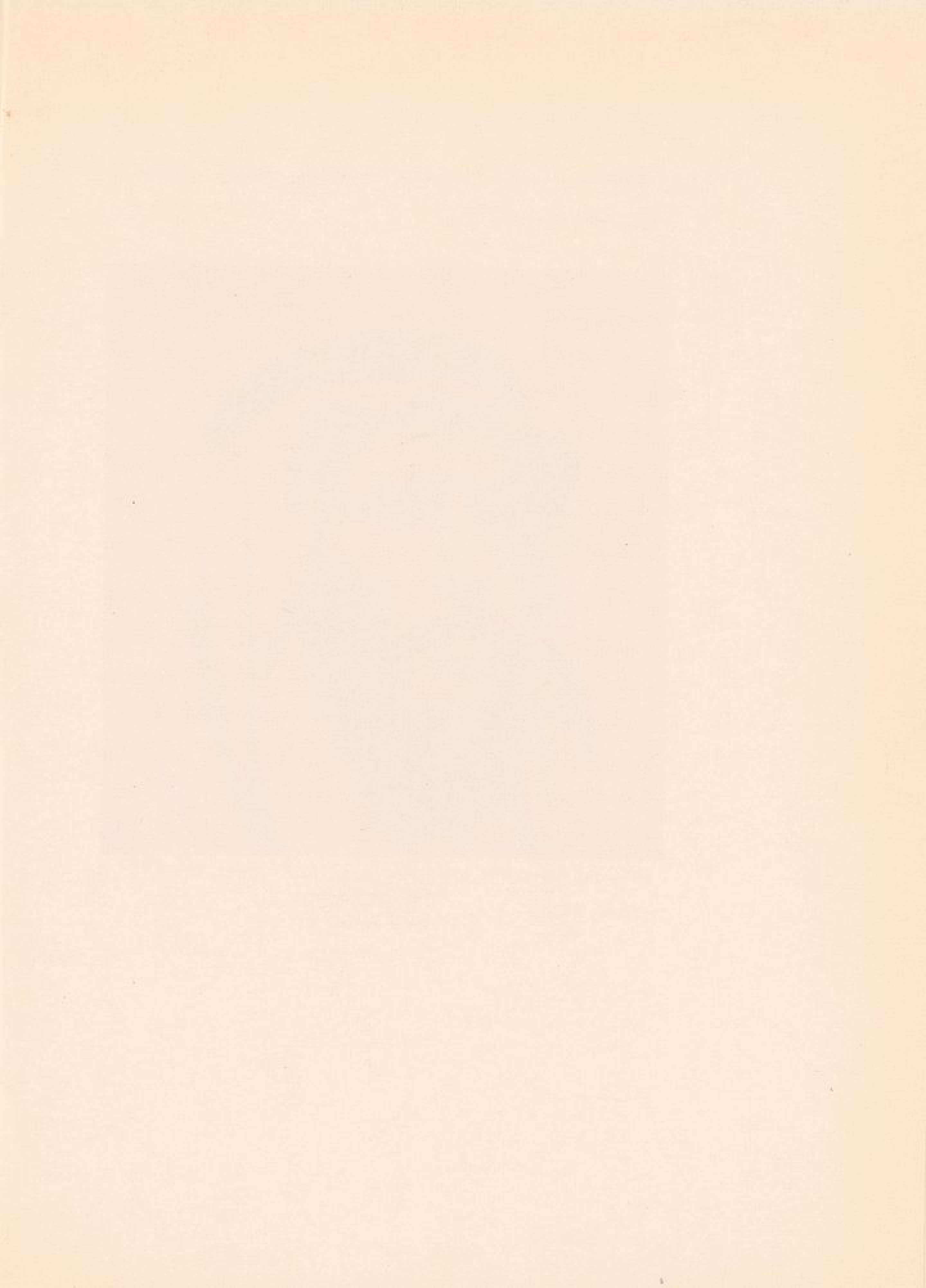
الحكومة العربية السعودية فى معاملة أفراد قبيلة العوامر العنيدين ، وذلك بصدد تطبيق النظام والإدارة فى أراضيها .

٦٤ – ويؤدى العوامر الزكاة بصورة مستمرة إلى العمال الموفدين لجبايتها . وبما أنهم جماعة صغيرة تعيش فى أرض واسعة ، فإن الزكاة تجبى منهم حيثما يكونوا . ولهذا السبب لا توجد دفاتر مستقلة باسم هذه الجماعة ، وإنما تتناثر أسماء أفرادها فى الدفاتر المحفوظة عن القبائل الكبيرة فى شرق جزيرة العرب . ومثال على ذلك ما ورد فى دفتر الزكاة الخاص بآل مرة والمناصير لعام ١٣٦١ ﻫ والمدرج فى المجلد الثالث من هذا العرض . وأفراد العوامر معروفون بهذه الصورة (مع إضافة لفظ « العامرى » أحياناً إلى الاسم) وذلك فى صفحات ١٣١ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٧ و١٤١ و١٤٢ و١٤٦ .

٦٥ – إن كافة جماعة العوامر الوسطى هم من رعايا المملكة العربية السعودية . وتشهد بيانات كل من سالم بن أحمد بن ركاض وعلى أبا الروس الضعيف (الملاحق ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٨) وهما زعيما الجماعة ، بانتظام تأديتهم وعشيرتهم للزكاة إلى الحكومة السعودية ، كما تشهد بولائهم لآل سعود . وكذلك فإن بيانات أمير المنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية (الملحق ٩٤) ورؤساء عمال الزكاة لديه (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) تشهد بالأسلوب المنتظم الذى تجمع به هذه الضريبة من العوامر . وسالم بن حمد بن ركاض هو أحد موقعى إعلان الولاء الذى قدمه وجهاء إقليم البريمى فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢ م (الملحق ٥٩) .



عبيد بن ماجد بن الضحاك
من قبيلة المناصير



٧ – المناهيل

٦٦ – إن المناهيل هم قبيلة كبيرة الحجم نوعاً ما فى جيوب جزيرة العرب . واعتاد عدد قليل من بطون القبيلة على المعيشة فى رمال الربع الخالى ، فانفصلوا عن مجموع القبيلة الرئيسى الذى يعيش فى أراضى الهضاب الواقعة بين وادى حضرموت والرمال . وهذه البطون الصغيرة من المناهيل ، التى كثيراً ما تتنقل مع أصدقائها من العوامر وآل راشد ، كانت تعتبر نفسها منذ أمد طويل رعايا للمملكة العربية السعودية ، كما كانت تعامل من قبل الحكومة السعودية على هذا الأساس. وهى كثيراً ما تضرب خيامها فى الظفرة والختم وفى إقليم البريمى ، مفضلة بوجه خاص المناطق المجاورة لوادى الصفا فى الجزء الجنوبى من الظاهرة .

٦٧ – وبدأ المناهيل فى المملكة العربية السعودية بتأدية الزكاة إلى الحكومة العربية السعودية بعد استرداد آل سعود الحسا بقليل . ويذكر أفراد أحد بطون المناهيل وهو بيت سبولة ، أن سعيد آل فيصل هو أول من جبى منهم الزكاة منذ سنوات طوال فى هجرة نباك بجوار بئر تسمى منذ ذلك الحين بئر سعيد . ويمكن العثور على أمثلة عن الزكاة المدفوعة من قبل أفراد المناهيل فى المجلد الثالث على الصفحات ٢٧ و ١٨٤ و ٢٨٢ . وتشهد بيانات رؤساء العمال الذين أرسلهم أمير المنطقة الشرقية (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) بانتظام الطريقة التى جبيت بها هذه الضريبة من المناهيل . وهناك شهادة بليغة عن ثبات هذه الجماعة على ولائها فى الاقرار الذى قدمه سالم بن ناصر وسعيد بن ناصر وبخيت بن أحمد (الملحق ١٠٣) .

٨ – آل راشد

٦٨ – إن آل راشد هم مثل العوامر والمناهيل كثيراً ما يتنقلون فى المناطق المتنازع عليها. ومما تجدر ملاحظته أن ثسيجر قد اعتمد إلى حد بعيد على أفراد من آل راشد أدلاء ومرافقين حين سفره خلال المناطق المتنازع عليها وإن مدة ارتباطه الطويلة بالقبيلة يضفى قيمة كبيرة على ملاحظته بأن آل راشد «قد ألقوا بمصيرهم اليوم بين يدى ابن سعود».[١] ويؤدى آل راشد الزكاة للحكومة العربية السعودية بانتظام كما تشير إلى ذلك بيانات أمير المنطقة الشرقية (الملحق ٩٤) ورؤساء عماله (الملاحق ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) .

---

(١) ولفرد ثسيجر «رحلة جديدة فى جنوب جزيرة العرب» المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١٠٨ (١٩٤٦) ص ١٣١ .

٩ ــ العفار

٦٩ ــ إن العفار هم قبيلة تقيم معظم الوقت فى ديرة آل بوشامس من نعيم وفى ديرة الدروع . وزعيم العفار هو طويرش بن حمودة الذى يكوّن إعلان ولائه جزءاً من الملحق ١١٥ . وما هو جدير بالذكر أيضاً أنه عندما رغب حميد بن على أحد زعماء قبيلة الدروع الكبيرة أن يضع نفسه وجماعته تحت حماية آل سعود ، قصد طويرش لإعطاءهذا الوجيه السعودى عهداً يعبر عن ولائه (الملحق ١٠٤) . وإعلان الولاء ، الذى قدمه ثمانية من زعماء العفار وشهد عليه زعيما نعيم فى البريمى وهما صقر بن سلطان وراشد بن حمد ، هو الملحق ١٠٥ من هذا العرض .

١٠ - نعيم

٧٠ - إن قبيلة نعيم هى أكبر القبائل وأقواها فى إقليم البريمى . وفى الواقع أن كلا من قسمى القبيلة الرئيسيين ، وهما آل بوشامس وآل بوخريبان ، هو أكبر وأهم من أية قبيلة أو جماعة أخرى فى إقليم البريمى . وتتمتع نعيم بمكان الصدارة فى واحة البريمى حيث تملك القرى الرئيسية ، حماسا وبلدة البريمى ، ومعاقلهما . وليس هناك جدال فى تفوق المكانة التى تحتلها بين القرى المجاورة فى وادى الجزى ووادى أجران . وتسيطر القبيلة سيطرة كاملة على كل من ضنك وحفيت والقابل والسنينة بما فى ذلك قراها المجاورة . وليست قوة نعيم محصورة فى إقليم البريمى ، فإن العناصر البدوية من آل بوشامس ترعى قطعانها وتجنى ثمر النخيل فى رمال الختم ، وهو إقليم معترف له بأنه يؤلف جزءاً من ديرتها .

٧١ - إن صقر بن سلطان هو أكبر زعماء آل بوخريبان وامتلاكه لقصر الحلة وقصر الخندق يجعله أقوى فرد فى الواحة . وإن معظم بطون آل بوخريبان تعترف به أعلى سلطة محلية لهم ، وهناك إشارات معينة تدل على زعامته ، تتضمنها بيانات رؤساء الحميرات والمزارقة وبنى ساعدة (الملاحق ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥) . وإعلان الولاء الذى قدمه صقر بن سلطان هو الملحق ١٠٧ من هذا العرض ، كما أن هناك بياناً آخر ينم عن الولاء تضمنه كتاب بعث به إلى جلالة الملك سعود عندما غادر تركى بن عبد الله بن عطيشان البريمى فى شهر ذى الحجة عام ١٣٧٣ هـ (أغسطس عام ١٩٥٤م) :

> ... بمناسبة سفر الأمير تركى بن عبد الله من هذه الأطراف أحببنا رفع السلام والأعلام بأننا ما زلنا ولم نزل على ما كان عليه آبائنا من سابق من الولاء والاخلاص مع آل سعود دربنا دربكم وديارنا دياركم والمحب الأمير تركى والشيخ عبد الله ابن عبد العزيز اطلعوا على اخلاصنا معكم وهو واصلا إليكم والحقيقة تجدونها من لسانه شفاهياً هذا وعليكم السلام والبارى يحفظكم ...

٧٢ — إن راشد بن حمد الشامسى هو أكبر زعماء آل بو شامس فى واحة البريمى . ومقره فى حماسا التى كانت أيضاً مقر إقامة أمير البريمى السعودى من عام ١٣٧١ هـ إلى عام ١٣٧٣ (١٩٥٢ م إلى ١٩٥٤) . وقد أعلن راشد ولاءه لآل سعود فى وثيقة تظهر فى الملحق ٤٨ ، كما أن اسمه يبرز بين أسماء وجهاء البريمى الذين وقعوا الإعلان المدرج فى الملحق ٥٩ . وهناك بيان شخصى أوفى يعرب عن ولائه وولاء جماعته ، وهو الملحق ١٠٦ . وانا لإشارات الدالة على زعامة راشد على بطون من نعيم تتضمنها البيانات التى قدمها رؤساء الكلابنة وحمدان بن خلفان الذى هو من أبرز الشخصيات فى قرى وادى الجزى (الملحقان ١٢١ و ١٣٤) .

٧٣ — إن أبرز شخصيات آل بوشامس فى الجزء الجنوبى من الظاهرة هو محمد بن سالمين بن رحمة وأولاده حمد وفاضل وسلطان ، ومقر العائلة فى السنينة حيث تباشر سلطتها على القرى المجاورة وهى الريحانى والهرموزى ، وكذلك القابل التى تبعد نحو ٤٠ كيلو متراً إلى الشمال . وللعائلة أيضاً نفوذ كبير على أفراد القبيلة من البدو الذين تضم ديارهم الختم وجزءاً من الظاهرة يقع بين البريمى ووادى الصفا . وتدل البيانات التى قدمها محمد بن سالمين (الملحقان ٥٣ و ١٢٣) على ولائه لآل سعود وكذلك فإنه مع أبنائه وبعض أقاربه كانوا من بين وجهاء قبيلة نعيم الذين وقعوا البيان الذى يؤلف الملحق ٥٩ من هذا العرض .

٧٤ — وتنقسم قبيلة نعيم إلى قسمين رئيسيين ، هما آل بو خريبان وآل بو شامس ، وكلاهما ممثلان بالتساوى تقريباً فى إقليم البريمى . وفيما يلى البطون الرئيسية للقسمين فى إقليم البريمى ، مع أسماء زعمائهم ومواقع إقامتهم وكذلك الإشارات الدالة على وثائق الولاء الملحقة بهذا العرض والتى تظهر فيها أسماؤهم :

أولا : آل بوخريبان — أكبر زعمائهم صقر بن سلطان آل حمود فى بلدة البريمى (الملحق ١٠٧)

١ — العواودة — محمد بن على بن عواد فى حفيت (الملاحق ٥٩ و ٦٢ و ١٢٠)
سيف بن حمد فى حفيت (الملحق ١٢٠)

٢ – المزازنة – سيف بن عبيد العزانى فى البريمى .
٣ – الغساسنة – عبيد بن حمد فى ضنك (الملحق ١٢٦)
٤ – الحميرات – خادم بن حمد ومحمد بن على وسالم بن حمد فى ضنك (الملحق ١٢٣)
٥ – الجرارحة – سالم بن عبد الله الجراحى فى البريمى
٦ – بنى جابر – محمد بن سيف فى صعرا
٧ – الخواطر – أحمد بن محمد الصلف وسلطان بن على الصلف فى حفيت (الملحق ٥٩)
٨ – المحاسنة – حميد بن عبد الله المحسنى فى صعرا
٩ – المرابيع – محمد بن طالب المربوعى فى ضنك
١٠ – المزاحمية – سيف بن خميس المزاحمى فى صعرا
١١ – المزارقة – راشد بن عبد الله بن زريق المزريقى فى ضنك (الملحقان ٥٩ و ١٢٥)
سالم بن سلومة بن زريق وحمد بن عبد الله بن حشبور فى ضنك (الملحق ١٢٤)
١٢ – القراطسة – صقر بن سلطان القرطاسى فى بلدة البريمى (الملحق ١٠٧)
حمد بن راشد وحمدان بن راشد فى حفيت (الملحق ٥٩)
١٣ – القواولة – على بن أحمد بن قوال فى البريمى
١٤ – الشكور – عبد بن أحمد فى ضنك (الملحق ١٢٦)
١٥ – الصبرة – سالم بن محمد (المدعو ابن حمردة) الصبرى فى البريمى .

ثانياً – آل بو شامس – أكبر زعمائهم راشد بن حمد فى حماسا (الملاحق ٤٨ و ٥٩ و ١٠٦) .

١ – آل على – مشارى بن محمد فى حماسا
٢ – العرجان – على بن حمد بن عابد العرجانى وسيف بن محمد بن سلطان ومبارك ابن عبد الله وعبد الله بن حمد بن عابد فى القابل (الملحق ١٣٨)
٣ – العوابد – مبارك بن خلفان العابدى فى السنينة (الملحق ٥٩)
٤ – آل عزيز – مطر بن سالم فى ضنك (الملحق ٥٩)
٥ – آل حيا – محمد بن حمد اليحيائى فى ضنك
٦ – الهرادنة – راشد بن هويدن فى الهرموزى
٧ – الهواشل – على بن عبد الله الهاشلى فى حماسا وسالم بن محمد فى السنينة .
٨ – الكلابنة – حمد بن عبد الله الكلبانى ومحمد بن سالمين وسعيد بن حمد ومحمد ابن مبارك وسعيد بن عبد الله وسيف بن مبارك فى حفيت (الملحق ١٢١)
٩ – الكلبيات – حمدان بن خلفان الكلبى فى واسط (الملحقان ٥٩ و ١٣٤)
١٠ – المحاسنة – محمد بن عبد الله المحسنى فى حماسا
١١ – المسالمة – حمد بن مسلم فى الهرموزى .
١٢ – المسامير – حمد بن سالم المسمارى فى حماسا .
١٣ – النوابل – فالح بن سيف النابلى وحمد بن سليمان فى السنينة (الملحق ٥٩)
نابل بن محمد فى حماسا .

١٤ – بيت رحمة – محمد بن سالمين بن رحمة فى السنينة (الملاحق ٥٣ و ٥٩ و ١٢٢).
حمد بن محمد بن سالمين وفاضل بن محمد بن سالمين وسلطان بن محمد بن سالمين
فى السنينة (الملاحق ٥٩)

١٥ – آل شامس – راشد بن حمد بن شامس فى حماسا (الملاحق ٤٨ و ٥٩ و ١٠٦)
محمد بن حمد وعبد العزيز بن سلطان فى حماسا (الملاحق ٥٩)

١٦ – الرحاشا – حمد بن سالم الرحشى فى ضنك .

• • •

بنى غيث – سعيد بن سليمان (الملاحق ٦٠)

(قبيلة صغيرة مستقلة على ارتباط وثيق بنعيم)

١١ ــ الظواهر

٧٥ ــ إن الظواهر فى البريمى يؤلفون قبيلة إذا جاز لنا أن نتوسع فى استعمال هذه الكلمة ، ذلك أنها تتألف من بطن كبير واحد ومن عدد من الجماعات الصغيرة ، وهى بذلك تتركز برمتها فى مساحة صغيرة حيث لا يوجد أى قسم من القبيلة فى أى مكان آخر خارج الواحة . وإن الأكثرية الغالبة من الظواهر هم حضر فى الدرجة الأولى ، إلا أن معظمهم يقضون شهور الشتاء فى التجوال بطريقة بدوية فى الصحارى المحيطة بالواحة .

٧٦ ــ إن القرى الأربع التى يعيش فيها كل الظواهر تقريباً هى هيلى والقطارة والقيمى والمعترض . وعلى الرغم من أن قرية العين تسمى أحياناً « عين الظواهر » إلا أنه لا يوجد هناك أفراد من القبيلة كما سيتضح ذلك فيما بعد . وتقول المصادر البريطانية إن الظواهر هم أكثر عدداً من بقية القبائل فى الواحة ، غير أن بياناتهم هذه ترتكز على معلومات مبتورة جمعت خلال زيارات قصيرة قام بها قلة من الموظفين البريطانيين على أنه قد فاتهم تقدير الوضع الصحيح فى العين ، كما فاتهم الحقيقة الواضحة أن عدداً كثيراً من سكان القرى الأربع الأخرى هم عمال زراعيون لا يتبعون الظواهر أو أية قبيلة عربية أخرى .

٧٧ ــ ويعود ولاء الظواهر لآل سعود إلى مائة وخمسين سنة مضت (الفقرتان ٢٧ و٣٨ من الفصل الرابع فيما بعد) . لقد سبق للأمراء السعوديين فى البريمى أن ندبوا زعماء القبيلة لجمع الزكاة ، باسم الحكومة ، من أتباعهم . وإن رفض الظواهر قبول سلطة زايد بن خليفة ، أقوى حكام أبو ظبى على الإطلاق ، فى وقت كانت فيه الدولة السعودية فى الحضيض ، لمبين فى الفقرة ٢٦٣ من الفصل الرابع فيما بعد . ونتيجة لهذا الولاء التقليدى فإن البريطانيين وأبو ظبى الذين كانوا قد أجهدوا أنفسهم خلال السنوات الست الماضية ، أو ما يقاربها ،

لإقامة أسس لادعاءاتهم فى المناطق المتنازع عليها (الفقرة ٣٦٢ من الفصل الرابع فيما بعد) ذهبوا إلى حد بعيد فى ضغطهم على الظواهر (الفقرات ٧٩ و ٨٠ و ٨١ اللاحقة) .

٧٨ – وتتضمن قبيلة الظواهر بطناً واحداً كبيراً فقط وهو بطن الدرامكة . ولذلك فإنه من المستحسن تناول الجماعات المختلفة بنسبتها إلى القرى بدلا من نسبتها للبطون . وبعد الأخذ بعين الاعتبار القرى الأربع التى يسكنها مجموع الظواهر ، فستعطى تفصيلات عن الجماعات الخمس الرئيسية للأهالى الذين يقطنون فى العين وهم الذين كثيراً ما يدرجون خطأ على اعتبار أنهم يتبعون الظواهر ، خاصة فى المصادر البريطانية .

الظواهر فى القطارة وهيلى

٧٩ – والمقر الرئيسى للدرامكة الذين هم أكبر بطن من بطون الظواهر ، هو فى القطارة . ويقطن عدد منهم أيضاً فى قرية هيلى المجاورة التى تخضع لسلطة الزعماء المحلية فى القطارة ، ويمكن اعتبارها ملحقة بتلك القرية . والزعماء الرئيسيون للدرامكة هم سعيد ومحمد ولدا سلطان بن محمد ، وقد تجلى ولاؤهما للمملكة العربية السعودية فى الوثيقة التى تؤلف الملحق ١٢٩ . ونتيجة للإرهاب الذى قام به ممثلو أبو ظبى بمساندة البريطانيين ، فقد اضطر هذان الزعيمان إلى ترك القطارة واللجوء إلى حماسا حيث يقيمان الآن. وقد استولى آل بو فلاح ، وهم العائلة الحاكمة فى أبو ظبى ، على بيت الزعيمين المسمى ببيت الدرمكى والمبين على الرسم الموجود فى صفحة سابقة من هذا الفصل، وما زال يحتل البيت أحد أتباع آل بو فلاح ، هذا إلى جانب ما قام به آل بو فلاح من الاستيلاء على ممتلكات زعيمى الدرامكة فى القطارة بما فى ذلك عدد كبير من النخيل . أما الزعيم البارز الثالث

بين الدرامكة فهو راشد بن سعيد ابن عم أبناء سلطان. وقد وضح ولاءه للمملكة العربية السعودية فى الوثيقة التى تؤلف الملحق ١١٤ ، حيث يتحدث عن كيفية إرغامه على توقيع إعلان ولاء لأبو ظبى .

الظواهر فى القيمى

٨٠ ـ لا توجد بطون كبيرة للظواهر فى القيمى. وأفراد القبيلة الساكنون هناك يقعون تحت السلطة المحلية لزعماء ثلاث من العائلات هم آل حمودة وآل هلال وآل سرور . ورئيس آل حمودة التى يقال إنها عائلة منحدرة من المرر (الفقرة ٥١ السابقة) هو على بن غانم . أما آل هلال فقد تأسس بيتهم فى القيمى منذ عدة سنوات على يد فرد من قبيلة بنى سعد ، وقد هاجر من الباطنة وانضم إلى الظواهر . ورؤساء ذلك البيت فى الوقت الحاضر هم شبيب وسعيد ولدا محمد بن هلال ، وقد أعلنا ولاءهما للمملكة العربية السعودية فى الوثيقتين اللتين تؤلفان الملحقين ١٢٨ و ١٣٢ . وهذان الزعيمان يملكان البرج المبين فى الرسم الموجود فى صفحة سابقة من هذا الفصل ، والمسمى برج ابن هلال وهو أقوى معقل فى القرية . وبسبب ولائهما للمملكة العربية السعودية فقد أرغم شبيب وسعيد على اللجوء إلى حماسا ، ووضع آل بو فلاح يدهم على البرج وعلى منزلهما الكبير وعلى جميع ممتلكاتهما بما فى ذلك النخيل . وأما زعماء آل سرور فهم عبد الله بن أحمد وسلطان بن أحمد اللذان ينحدران من أحمد بن محمد الذى كان رفيقاً وثيقاً لتركى السديرى فى الإدارة السعودية للواحة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر (الفقرة ٢٠٤ من الفصل الرابع فيما بعد) .

الظواهر فى المعترض

٨١ـ وكما هو الحال فى القيمى ، فإنه لا توجد بطون كبيرة للظواهر فى المعترض . ورؤساء أفراد القبيلة الذين يعيشون هناك هم سلطان بن سرور ومانع ابن محمد من آل سرور (الفقرة ٩٣ السابقة) . وبسبب قرب القرية من الممتلكات التابعة للعائلة الحاكمة فى أبو ظبى ، فإن سكانها قد تعرضوا للضغط الثقيل بصفة خاصة ، وذلك لحملهم على التخلى عن ولائهم لحكومة العربية السعودية . وفى عام ١٩٥٥ أرغم زايد أخو حاكم أبو ظبى زعماء آل سرور مع آخرين من وجهاء الظواهر على التوجه إلى الشارقة حيث جرى بذل المحاولات للحصول منهم على إعلانات ولاء لأبو ظبى .

أهالى العين

٨٢ ـ إن عدم إمكان الاعتماد على المعلومات الواردة فى أهم المصادر البريطانية يتجلى فى بيان لوريمر القائل إن الظواهر يشتملون على ثلاثة بطون رئيسية ، أحدها محصور فى العين وهم الجوابر. [1] وليس هناك بطن يسمى الجوابر يتبع أية قبيلة فى العين ، كما أنه ليس هناك أى بطن من الظواهر . وإن أهالى العين يعودون إلى خمس جماعات رئيسية ليس لأية منها أى اتصال بالظواهر .

٨٣ ـ إن أكبر جماعة فى العين هى النجادات الذين يستدل من اسمهم على أنهم هاجروا فى الأصل من نجد ، وتؤيد هذا الرأى أقوال أفراد الجماعة

(١) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٣٩ .

ذاتهم على أنهم يعتبرون أنفسهم الآن منضمين إلى آل بو خريبان من نعيم. أما الجماعتان اللتان تليان النجادات فى العدد فهما النواصر والكويتات الذين يقال إنهم ينحدرون من مهاجرين أتوا من الكويت . أما النواصر فإنهم مثل الجماعة الرابعة ، وهم المطاوعة ، انحدروا من آل بوشامس من نعيم ، وما زالت الجماعتان تحتفظان بعلاقات قوية مع أفراد قبيلتهم الأصلية . أما الجماعة الخامسة ، آل بروك ، فهى جماعة صغيرة جداً تتبع قبيلة آل بو حمير (الفقرة ٤٩ السابقة) .

٨٤ – إن الزعيم الرئيسى فى العين هو محمد بن سعود آل عرار ، الذى يعود بنسبه إلى بنى هاجر ، القبيلة السعودية . لقد قاوم أفراد هذه العائلة سنين طويلة ضد توسع أى نفوذ من جهة أبو ظبى فى اتجاه الطرف الذى يخصهم من الواحة . وإن الوثيقة التى تشكل الملحق ١٣٠ تشتمل على تكذيب من محمد بن سعود بقيام آل بو فلاح بجمع الضرائب الإسلامية فى العين فى أى وقت من الأوقات .

٨٥ – إن زعماء النجادات هم محمد بن عبد الله النجادى وأولاده الخمسة وأكبرهم هو راشد ، ومحمد النجادى الذى قد تجاوزت سنه الآن مائة عام (وترفق بهذا العرض صورة له) ما زال يتذكر بجلاء تركى السديرى الأمير السعودى فى البريمى . وقد أرغم محمد وجميع أولاده ، بسبب ولائهم للمملكة العربية السعودية على التخلى عن بيوتهم واللجوء إلى حماسا. أما ممتلكاتهم فى العين فقد استولى عليها آل بو فلاح .

٨٦ – إن زعماء الكويتات هم هلال بن حمد بن ثابت وهلال بن سعيد وسلطان بن أحمد بن سلطان وعلى بن سلطان الحنتير . أما زعماء النواصر فهم أحمد بن مفتاح بن على وسعيد بن عبد الرحمن بن ناصر وسيف بن عبد الرحمن . وزعيم المطاوعة هو صالح بن أحمد بن صالح ، وزعيم آل بروك من آل بو حمير هو عبد الله بن محمد بن بروك .

١٢ – بنى قتب

٨٧ – إن قبيلة بنى قتب الكبيرة تشتمل على جماعتين رئيسيتين إحداها فى شمال البريمى والأخرى فى جنوبها. وتفصل بعضهما عن بعض مسافة طويلة وأسلوب حياتهم ، إلا أنهما تشتركان فى الولاء للمملكة العربية السعودية .وتتألف إحدى هاتين الجماعتين من البدو بشكل رئيسى وهم يعيشون بين جبال الحجر وساحل الصلح ، فى حين أن الجماعة الأخرى تعيش فى الجزء الجنوبى من الظاهرة فى القرى المسماة أفلاج بنى قتب .

٨٨ – إن الجماعة التى تقطن الشمال هى تحت زعامة محمد بن على بن هويدن الذى مقره الرئيسى فى واحة الذيد (الفقرتان ٧٦ و ٧٧ من الفصل الثانى فيما سبق) . وتمتد ديرة هذه الجماعة جنوباً بغرب نحو أراضى أبوظبى ، وصوب الحدود الشمالية لديار آل بوشامس من نعيم . أما فى الجنوب فيفصل بينها وبين البريمى ديار بنى كعب . وتحتل القبيلةمركزاً مسيطراً فى المدخل المؤدى إلى وادى القور وذلك هو طريق السيارات الوحيد عبر جبال الحجر . هذا وقد أيد محمد ابن على بن هويدن وكثير غيره من وجهاء الجماعة الشمالية لبنى قتب، أيدوا ولاءهم للمملكة العربية السعودية فى الوثيقة التى تشكل الملحق ٦٣ من هذا العرض.

٨٩ – أما الجماعة الجنوبية لبنى قتب ، وهى التى وصفت قراها فى الفقره ٩٠ من الفصل الثانى فيما سبق ، فزعيمهم ذيبان بن على بن ربيع وابن أخيه على بن مجمد بن ربيع ،وكلاهما يعيشان فى المعمور . ويتألف الملحق ١٣٥ فى هذا العرض من إعلان ولاء من جانب أولهما ، كما أن الملحق ١٤٠ هو عبارة عن كتاب حديث أرسله الأخير إلى جلالة الملك سعود ، ويحتوى الكتاب ، بالإضافة إلى الولاء تأكيد، على شكوى من تدخل البريطانيين فى إقليم أفلاج بنى قتب.

١٣ ـ البلوش

٩٠ ـ إن أفراد البلوش المقيمين فى الجزء الجنوبى الشرقى من الظاهرة قد استقروا هناك منذ مدة طويلة واقتبسوا تماما أساليب حياة الأهالى هناك ، بحيث يستحيل التمييز عملياً بينهم وبين العرب المجاورين . وهم أنفسهم يقولون إنهم ينحدرون من أصل عربى وإن أسلافهم كانوا ممن ترك جزيرة العرب إلى بلوشستان منذ قرون مضت . وهناك كثير من العرب فى الظاهرة الذين يقرون أن هؤلاء البلوش يجب اعتبارهم عرباً .

٩١ ـ يملك البلوش جزءاً من بلدة العراقى فى وادى الكبير وكذلك ثلاث قرى تقع نحو الشمال الغربى من عبرى ، وهى المازم والصبيخى ومشارب . ومع أن المازم تعتبر البلدة الرئيسية فى هذه الأراضى البلوشية ، إلا أن زعيمهم الأكبر راشد بن سعيد آل اسماعيل كان يقيم فى العراقى ، إلى أن أرغم على الهروب من هناك عند ما استولت جنود سلطان مسقط بقيادة ضباط بريطانيين على البلدة وذلك خلال العمليات التى يجرى وصفها فى الفقرتين ٣٧٥ و ٣٧٦ من الفصل الرابع فيما بعد. وإن سعيداً أكبر أبناء راشد يقوم مقام والده فى جميع قرى البلوش فى الظاهرة ، وإعلان ولائه يشكل الملحق ١٣٦ من هذا العرض . والفصل الرابع من هذا العرض يقدم الكثير من البينات التاريخية التى تدل على الولاء القديم الذى يكنه هؤلاء البلوش لآل سعود ، وكذلك فإن هذه البينات تصف الطريقة التى لعب بها هؤلاء القوم دوراً هاماً فى الإدارة السعودية بإقليم البريمى .

١٤ – بنى كعب

٩٢ – إن قبيلة بنى كعب هى أكبر القبائل التى تعيش فى جبال الحجر إلى الشمال من البريمى ، ويسكن أغلب أفراد القبيلة فى قرى بالأودية الواقعة على الجانب الغربى لسلسلة الجبال وبين الممرين الرئيسيين اللذين يخترقان الجبال ، وهما وادى الجزى إلى الجنوب ووادى القور إلى الشمال . ويعيش بعض رجال القبيلة بدوا رحلا فى الرمال الواقعة شمالى البريمى .

٩٣ – وقد سبقت الإشارة إلى بعض قرى بنى كعب الكثيرة فى الفقرة ٧٩ من الفصل الثانى فيما سبق . ومحضة أكثرها سكاناً وأوسعها من حيث بساتين النخيل ، وهى تقع على مسافة قصيرة جداً خارج الربع الشمالى الشرقى لدائرة البريمى وعلى طريق السيارات الرئيسى شمالى البريمى . وكانت محضة موطن عبيد ابن جمعة المزاحمى أكبر شيوخ بنى كعب ، إلى أن أرغم على الفرار منها بسبب الإجراءات العسكرية البريطانية . وفى هذا العرض تقرير تقدم به عبيد بن جمعة عن هذه الإجراءات فى الملحق ١١٣ .

٩٤ – وبنى كعب ، مثل أصدقائهم من نعيم ، لهم تاريخ طويل يدل على تعاونهم مع العائلة الحاكمة فى المملكة العربية السعودية ، كما يدل على العداوة تجاه آلا بو فلاح فى أبو ظبى . وكان عبيد بن جمعة أكبر الزعماء ، وكذلك سعيد بن محمد بن ديين وهو شخصية بارزة أخرى فى القبيلة ، من بين الذين وقعوا الوثيقة التى فى الملحق ٥٩ من هذا العرض . وكذلك قام عبد الله بن سالم بن ديين ، وهو زعيم أفراد القبيلة الذين يعيشون فى قرية شرم ، بإعلان ولائه للمملكة العربية السعودية فى كتاب يشكل الملحق ٦٤ من هذا العرض بالإضافة إلى إعلانين آخرين تقدم بهما عبيد بن جمعة يتضمنهما الملحقان ٦٤ و١٣٣ .

الفصل الرابع

الأساس التاريخى المتعلق بالمناطق المتنازع عليها

١١٧٩ – ١٣٧٤ هـ (١٧٦٥ – ١٩٥٥ م)

١ – جزيرة العرب قبل القرن الثانى عشر الهجرى (القرن الثامن عشر الميلادى)

١ – إن الحافز على الوحدة الذى ازداد قوة مطردة فى جزيرة العرب فى غضون القرنين الماضيين ، هو ظاهرة جديدة تكاد تكون فريدة فى تاريخ الجزيرة . وفى جميع العصور السابقة ، باستثناء فترة وجيزة ، كانت الحالة السائدة هناك حالة تفكك وكثيراً ما تفاقمت بسبب الحروب بين الدويلات الكثيرة والقرى والقبائل المستقلة . ولم تكف وحدة الجنس واللغة والثقافة فى جمع شمل السكان . وقد تحققت الوحدة مرة واحدة فقط وذلك فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) عندما أدخل النبى محمد صلى الله عليه وسلم رابطة جديدة هى رابطة الدين الواحد ، وتعهدها هو وخلفاؤه من بعده . وضم الإسلام فى أيام مجده الأولى جميع سكان الجزيرة تحت حماية دولة واحدة تستوحى مبادئ هذا الدين . وفى أثناء فترة المجد الخاطفة هذه ، أظهر العرب نبوغهم فى جزيرتهم ، وحملوا عقيدتهم إلى أقصى أركان العالم المعروف وأرسوا دعائم حضارة من أكثر الحضارات إشراقاً وإيناعاً . غير أنه لما اتسعت رقعة الممالك الإسلامية وتفرق الناس مذاهب شتى ، نسى كثير منهم تعاليم الإسلام الصحيحة أو شوهوها ، وعادت الجزيرة إلى حال التفكك التى كانت قد بليت بها فى

قرون سابقة . وفى تفككهم فقد العرب القدرة على إحراز جزء صغير مما كانوا كسبوه عندما وقفوا إخوة متساندين . ولمدة تزيد على ألف سنة ، كانت الأقسام السياسية فى جزيرة العرب فى حالة ضعف ولم تسد فائدة تذكر للعالم أو حتى للأفراد الذين كانوا يعيشون حياة الفاقة من أبنائها .

٢ ـ فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) مدت الامبراطورية العثمانية سلطانها على البلاد العربية فى سوريا والعراق ومصر ، فبقيت خاضعة لها حتى الحرب العالمية الأولى . وتقدم الترك أيضاً فى داخل جزيرة العرب ، غير أن سيطرتهم هناك لم تتجاوز قط الحجاز واليمن وبعض المناطق فى شرق جزيرة العرب على ساحل الخليج الفارسى . ولم يحدث قط أن سقطت نجد ، وهى المنطقة الرئيسية فى الداخل ، تحت السيطرة القوية الحازمة للعثمانيين . وقد جاء الترك بقدر من الوحدة لأراض عربية أخرى ، لكنهم لم يحققوا ذلك لجزيرة العرب بوجه عام ، وكان عرب الجزيرة يعدون الترك دخلاء أجانب ، كما أن المسلمين المخاصين هناك لم يستطيعوا أن يغفروا لهم سماحهم بإقامة شعائر دينية فاسدة تناقض روح الإسلام الأصلية ، أو تشجيعهم مثل هذه الشعائر فى بعض الأحيان .

٣ ـ إن مراجعة المعلومات التاريخية الكثيرة باللغات العربية والتركية والفارسية واللغات الغربية المختلفة تدل على أن تاريخ المنطقة التى تعنى بها هيئة التحكيم كان أقرب ما يكون إلى صفحة بيضاء فى الفترة السابقة لأواسط القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) . ومن غير المحتمل أن تكون أية مصادر هامة قد غابت عن النظر ، أما السجل الكامل لماضى المنطقة البعيد فإن لنا أن نعده مفقوداً ولا سبيل إلى استرداده .[١] وإن المعلومات المشتتة التى لدينا تدل

---

(١) هناك موضعان فى المنطقة معروفان من زمن قديم وهما البريمى وبينونة . وقد ورد ذكر البريمى باسمها القديم توام (أو توأم) فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بينما=

على أن المنطقة استمتعت عادة بتحرر من سيطرة أية قوة أجنبية ، سواء أكانت في منطقة أخرى من مناطق جزيرة العرب أو فيما وراء حدود الجزيرة ، إذ أن بعد المنطقة وافتقارها إلى موارد هامة لم يشجعا على فرض أي حكم أجنبي .

ورد اسم بينونة في معجم البلدان لياقوت في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) (الفقرة ٢٦ من الفصل الثاني فيما سبق) . والاسم القديم لمنطقة البريمي هو الجو (أو الجوف) .

٢ ـ جزيرة العرب فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى)

٤ ـ فى سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) بدأ عصر جديد فى كل شىء فى تاريخ جزيرة العرب عندما بدأ عالم دينى شاب من أهل نجد ، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دعوته إلى الإصلاح الحاسم لحياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية . وأكد الشيخ محمد أن العقيدة الأساسية للإسلام هى التوحيد ، وهكذا دعا إلى العودة إلى الدين ، كما كان فى أيام النبى (ص) والسلف الصالح قبل أن يصيب المسلمين تدهور عام . وسعى الشيخ محمد إلى إعادة تقرير مبدأ دينى هام هو أن جميع المسلمين إخوة وأنهم بناء على ذلك ينبغى أن يتآلفوا فى جماعة واحدة . وكثيراً ما تسمى الحركة التى بدأها هذا المصلح النجدى بالحركة الوهابية ، وهو تعبير غير دقيق لا يلقى تأييداً من أتباعها . وللسهولة سيشار إلى الحركة فى هذا العرض باسم « الدعوة إلى التوحيد »[١] .

٥ ـ تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عام ١١٥٧ هـ (١٧٧٤ م) مع محمد بن سعود الذى حكمت أسرته مدة نحو ثلاثة قرون بلدة الدرعية المستقلة فى قلب نجد . وتعهد هذا الزعيم أن يقف حياته للدعوة ، وأكد له الشيخ : « هذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد » .[٢] وبابرام هذا التعاقد بين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب ، بدأت جزيرة العرب تخطو صوب وحدة لم تعرفها منذ فجر الإسلام . ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، لم يضن آل سعود بثروة ولا عزت عليهم أرواح أبنائهم ،

---

(١) سوف ترد عبارتا الوهابية والوهابى بكثرة فى المقتطفات ولا سيما تلك التى تنقل من كتب المؤلفين الغربيين .

(٢) عثمان بن بشر « عنوان المجد فى تاريخ نجد » (١٣٤٩هـ) مجلد ١ ، ص ١٢ .

فى سبيل خدمة القضية السامية التى أعلنها الشيخ ، وهى قضية الإسلام القوى النقى .

٦ ـ فى الوقت الذى كان فيه المسرح يهيأ لتغييرات كبيرة فى نجد كان تغيير آخر يجرى فى شرق جزيرة العرب . فقد مات آخر أئمة عمان اليعربيين سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) بعد أن حكموا أكثر من قرن . ولإمامة عمان ، التى تكاد تكون غير معروفة للعالم الخارجى ، تاريخ أطول من تاريخ أى دولة إسلامية أخرى قائمة اليوم ، فتاريخ أسلافها يرجع إلى أيام قيام الخوارج فى القرن الهجرى الأول (السابع الميلادى) ، وهى أول حركة انفصالية فى الإسلام . وفى القرن التالى ، انتخبت جماعة من الخوارج ، صارت تعرف باسم الأباضية ، إمامهم الأول [٣] فى عمان ، كما انتخب أئمة كثيرون هناك منذ ذلك الوقت . ويرى الأباضيون أنه لا داعى لانتخاب إمام حين يتعذر وجود رجال صالحين ، فخلو مقعد الإمام لا يضير بقاء الجماعة . ومن ثم فإن جماعة الأباضيين ، على الرغم من فترات انقطاع سلسلة الأئمة حافظت على استقرارها فى عمان على مر العصور ، وانضم إلى أنصارها قسم كبير من السكان . وبعد موت آخر يعربى ، خلا مقعد الإمام لفترة وجيزة ، ثم استطاع رجل اسمه أحمد بن سعيد ينتمى إلى قبيلة آل بو سعيد التى لم يكن لها شأن فى ذلك الوقت ، أن يبرز كفاءته بقيادته حملة طرد فيها الفرس الذين كانوا قد ظفروا مؤقتاً بموطئ قدم على ساحل الباطنة على خليج عمان . وحوالى عام ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) كان أحمد قد أصبح سيداً على الساحل ، فهبت جماعة الأباضيين تنتخبه [٤] إماماً

---

(٣) يطلق لقب امام على رؤساء الدول الإسلامية المختلفة التى تحكم بالشريعة الإسلامية . وقد أطلق هذا اللقب على الحكام من آل سعود دلالة على مكانتهم الدينية التى يتمتعون بها بوصفهم أصحاب الدعوة إلى التوحيد .

(٤) تاريخ الانتخاب غير معروف بالضبط .

جديداً لها . ومع أن أحمد كان يمتاز بقسط كبير من المواهب ، فقد كانت أمامه مشاكل خطيرة يتعين عليه مجابهتها . ويقول الكوماندر هوجارث مدير المكتب العربى للحكومة البريطانية فى القاهرة فى أثناء الحرب العالمية الأولى :

> إن آل بو سعيد ، الذين لم يكونوا من ذوى الدم الأزرق . . . ولكنهم كانوا ينتمون إلى تجار وصلوا إلى الحكم فى موجة عابرة من الغضب الشعبى ، ألفوا أنفسهم مكرهين على الاعتماد على المرتزقة وعلى البحث عن أساليب جديدة لدفع المال اليهم .(٥)

أدت مثل هذه الصعوبات إلى أن تنقل الأسرة الحاكمة الجديدة عاصمتها من داخل عمان إلى مسقط نحو نهاية القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ، وبعد ذلك أنشأت الأسرة هذه العلاقة مع البريطانيين التى مكنتها من أن تعيش إلى هذا اليوم .

٧ ــ وفى قسم آخر من شرق جزيرة العرب ، تقع بلدة أبو ظبى التى تأسست نحو عام ١١٧٤ هـ (١٧٦١ م) كما جاء فى دراسة أعدها موظف بريطانى فى الخليج الفارسى فى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م)(٦) . ولم تول التقارير البريطانية السابقة أبو ظبى أو سكانها المنتمين إلى ما يسمى بقبيلة بنى ياس اهتماماً كبيراً . وكان هؤلاء الناس ، وهم مجموعة عناصر من أصول غير متجانسة ، قد قرروا أن يستقروا على الساحل عندما وجدوا ماء فى جزيرة أبو ظبى ، وكان المتحضرون الأوائل قد احتلوا المناطق التى تفضلها فى ذلك الجزء من بلاد العرب . وربما كان من العسير الاهتداء إلى بقعة أقل ملاءمة من هذه التى وقع الاختيار عليها وتصف السجلات البريطانية المرسى بأنه

---

(٥) هو جارث ، « جزيرة العرب » (١٩٢٢ م) ص ١١٠ .

(٦) مختارات من سجلات حكومة بمباى ، سلسلة جديدة ، مجلد ٢٤ (١٨٥٦ م) ص ٤٦٣ .

غير آمن ، والتربة بأنها جافة ، والماء بأنه مائل إلى الملوحة ،[٧] ولكنها تميزت على الأقل بمزية عدم سهولة الوصول إليها نسبياً ، وحتى اليوم يتحتم على المرء أن ينتظر الجزر فى الخور المفضى إلى الجزيرة . وفى نحو هذا الوقت ، سقطت رياسة بنى ياس ، التى كانت ذات يوم فى أيدى السودان[٨] ، فى أيدى آل بوفلاح وهم حكام البلدة اليوم . وآل بوفلاح ، وإن كانوا كبعض عظماء حكام جزيرة العرب يزعمون الانتماء إلى قبيلة عنزة ، فإن المعروف بالتواتر أنهم تحدروا من صلب رجل يدعى فلاح من قبيلة الدواسر هاجر من نجد إلى قرب الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى .[٩] وقد فرض أحد المنحدرين من صلبه سلطانه على أهالى بنى ياس بعد قتله عمه . وبعد بضعة أعوام ، فى عام ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣ م) ، تقاتل هذا الرئيس مع أحد أبناء عمومته الذى « استل سيفه فقتله فى الحال » .[١٠] وكان التقدم عن طريق الاغتيال، ولا سيما قتل قريب بيد قريب له ، من الوسائل التى لجأ إليها آل بوفلاح منذ ذلك الوقت ، ففاقوا أى بيت حاكم آخر فى جزيرة العرب فى هذا المضمار ، وأعجب سلسلة من حوادث اغتيال الإخوة بعضهم بعضاً التى حدثت أخيراً كانت من ثلاثين سنة أو نحوها .

---

(٧) مختارات بمباى ، ص ٤٦٢ .

(٨) ليس لهذه القبيلة صلة ببلاد السودان فى افريقيا ويسمى الرجل منها « سويدى » .

(٩) « عقود الجمان فى أيام آل سعود فى عمان » (مخطوط ، ١٣٧٤ هـ) ص ١٩٠ .

(١٠) (مختارات بمباى) ، ص ٤٦٤ .

٣ – حكم الإمام عبد العزيز آل سعود ١١٧٩ – ١٢١٧ هـ (١٧٦٥ – ١٨٠٣ م)

٨ – مات محمد بن سعود ، أول حاكم من آل سعود نشط لنشر الدعوة إلى التوحيد ، فى سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) فى وقت كان فيه نفوذ الحركة ينتشر تدريجاً ، وإن فتوحاته فى ذلك الوقت اقتصرت على بعض المناطق فى نجد . وأصبح ابنه عبد العزيز الإمام الجديد فى الدرعية ، مؤسس الدولة السعودية الأولى التى دان لها بالطاعة والولاء القسم الأكبر من جزيرة العرب فى أثناء حكمه الطويل . وتم ذلك فى أول الأمر تحت رعاية الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٩ – فى السنة التى تبوأ فيها عبد العزيز العرش ، زار مسقط الرحالة كارستن نيبور وهو أول غربى يزود الغرب بوصف مفصل يمكن الاعتماد عليه بصورة عامة عن جزيرة العرب إجمالا .[١] وأكد نيبور مرتين أن الجو ، وهى منطقة البريمى ، منطقة مستقلة[٢]. أما فيما يتعلق بسكان الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى فقد وصفهم نيبور بأنهم كانوا « كلهم تقريباً من الحنابلة »[٣]. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه حنبلياً ، وكانت الدعوة إلى التوحيد قبل كل شىء حنبلية فى طابعها . وتتركز قوة المذهب الحنبلى الرئيسية فى نجد إذ يتبع معظم بقية جزيرة العرب مذاهب أخرى . ويدل وجود نواة للحنابلة على

---

(١) لتقدير أعمال نيبور راجع هوجارث « التوغل فى جزيرة العرب » (١٩٠٤ م) ص ٣٩ – ٦٢ .

(٢) نيبور « وصف جزيرة العرب » (١٧٧٤ م) ص ٢٥٥ و ٢٦٦ .

(٣) نيبور ، ص ٢٦٧ .

الساحل الجنوبى الشرقى قبل مجىء المصلحين من نجد على أنه كان هناك مجال خصب لغرس تعاليمهم .

١٠ ــ كان نيبور أيضاً أول من وجه نظر الغرب إلى دعوة الشيخ محمد إلى التوحيد . وحيث أنه لم تتح له فرصة الاجتماع بأى من أنصار هذه الحركة ، فإن معلوماته عنها تميل إلى أن تكون أقل وثوقاً من المعلومات التى وقف عليها مباشرة . ومع ذلك ، فإنه حتى فى هذا استطاع أن يبدى عدداً من الملاحظات الصائبة :

> . . . وقد تدخل (الدعوة) مع الوقت تعديلات ذات شأن على كل من عقائد العرب ونظام حكمهم .(٤)
>
> . . . إن بعض الشيوخ الذين كانوا قبلا قادرين على مقاومة جيرانهم ، لم يعودوا فى موقف يمكنهم من أن يصمدوا أمام عدد كبير من هؤلاء الشيوخ المتحدين . . .(٥)
>
> يأخذ (محمد بن عبد الوهاب) الزكاة من جميع رعاياه . . . حتى يهيىء للفقير حاجته وحتى ينصر دينه على أولئك الذين يسميهم كافرين .(٦)

١١ ــ زاد انتشار الدعوة إلى التوحيد بخطوات واسعة تحت حكم الإمام عبد العزيز ، فلما حل عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م) كانت نجد بأسرها قد دانت بالطاعة والولاء . ويصف بعض المصادر الغربية توسع هذه الحركة بأنه قد تم على وجه خاص بالقوة العسكرية ، وهو تعليل شبيه بتعليل كان سائداً فى الغرب من زمن طويل إزاء توسع الإسلام المبكر فى أيام الخلفاء الأولين . غير أن المستشرقين الغربيين ، مثل السر توماس أرنولد(٧) الذين درسوا تاريخ الإسلام بروح العطف ونظروا إليه من جانب المسلمين لا من الجانب الآخر ، قد

---

(٤) نيبور ، ص ٢٩٨ .

(٥) نيبور ، ص ٢٩٩ .

(٦) نيبور ، ص ٣٠١ .

(٧) مؤلف كتاب « دعوة الإسلام » (الطبعة الثانية المنقحة ، ١٩١٣ م) .

اكتشفوا أن الإسلام قد اعتمد على الإقناع برسالته أكثر من اعتماده على قوة السيف . وكان علماء الدين والمبعوثون وحتى المسلمون العاديون أقدر على إقناع غير المسلمين باعتناق الدين من جميع جيوش الإسلام المدرعة . وهذا يصدق على الدعوة إلى التوحيد منذ بدايتها ، فقد قبل سكان جزيرة العرب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنهم وجدوها تقوم قبل كل شيء على الحق ولأنها صالحة صلاحاً عجيباً لمجابهة حاجاتهم وحاجات بيئتهم . وإن للإشارة التى سلفت عن النواة القديمة للحنابلة على الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى (الفقرة ٩ السابقة) علاقة وثيقة بهذا الكلام .

١٢ — حتى بعض الترك ، الذين كانوا يميلون إلى معاداة أية حركة منبعثة من نجد كدعوة الشيخ محمد ، اعترفوا بسلامة تعاليمه كما يتضح من تقرير المستر هارفورد جونز (الذى أصبح السر هارفورد جونز برجز فيما بعد) :

> . . . عند ما وصلت إلى البصرة فى سنة ١١٩٨ ﻫ (١٧٨٤ م) كان أحسن الترك اطلاعاً . . . يدركون أن تعاليمه (الشيخ محمد) عند ما فحصت بالنص المجرد للقرآن الكريم ، وجدت صحيحة تماماً ومتفقة مع أنقى تفسير لذلك الكتاب .[٨]

١٣ — مع أن تقدم الدعوة فى وسط جزيرة العرب كان يسترعى التفات كثيرين من الناس خارج الجزيرة ، غير أنه يظهر أن الحكومة البريطانية فى الهند لم تلتفت إليه إلا فى عام ١٢٠١ ﻫ (١٧٨٧ م)[٩] أى بعد أن انتشر فى أوربا تقرير نيبور عن رحلاته نحو عشرين سنة . ويبدو أن هذا مثال آخر على ميل الحكومة البريطانية فى بعض الأحيان إلى إهمال تطورات تلك الأجزاء من جزيرة العرب التى تقع بعيداً عن الساحل .

---

(٨) برجز « تقرير عن أعمال بعثة صاحب الجلالة إلى بلاط الفرس » (١٨٣٤ م) مجلد ٢ ، ص ٩ .

(٩) مختارات بمباى ، ص ٥٧ و ٤٢٨ .

١٤ ـ مات أحمد بن سعيد أول إمام من آل بو سعيد بعد حكم ثلاثين سنة أو أكثر . وكانت السنوات الأخيرة من حكم أحمد من الغموض بحيث لا يعرف بالتأكيد هل مات فى سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٥ م)[١٠] أو فى سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)[١١] أو فى سنة أخرى . وبعد وفاته بوقت غير طويل ، يبدو أن ابنه سعيد انتخب إماماً خلفاً له ، وإن كان السالمى المؤرخ الأباضى يخامره شيء من الشك فى صحة هذا الانتخاب وفى كفاءة سعيد لشغل المنصب.[١٢] وعلى أى حال ، فإن الحقيقة الهامة هى أنه لم يحدث قط بعد هذه المرة أن انتخب أحد من أفراد آل بوسعيد إماماً لعمان ، باستثناء رجل واحد هو عزان ابن قيس الذى انتخب إماماً فى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)[١٣] .

١٥ ـ ضعفت سلطة سعيد الحاكم الجديد من آل بو سعيد ضعفاً شديداً بسبب إقطاع أراض لأفراد آخرين من الأسرة الحاكمة . وكما يقول باجر « إن تاريخ الأحداث التى وقعت فيما بعد فى عمان ذاخر بأنباء مشاحنات متكررة بين الحاكم وقت ذاك وبين السادة المنافسين الذين ظهروا بوجه خاص بسبب هذا الوضع » .[١٤] وكان سعيد رجلا ضعيفاً سرعان ما اختفى من وسط المسرح ، تاركاً إدارة الدولة لابنه حمد الذى تقلد الحكم حتى وفاته فى عام ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) . ولعل « أهم إجراء اتخذ فى حكم حمد »[١٥] هو نقله عاصمة آل بو سعيد نحو عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٤ م) من الداخل إلى ميناء مسقط . ورواية لوريمر عن عواقب هذه الخطوة تستحق أن تسجل :

---

(١٠) حميد بن رزيق « الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين . (مخطوط ، ١٢٧٤ هـ) . وجه ورقة ١٧٣ .

(١١) مايلز « بلدان الخليج الفارسى وقبائله » (١٩١٩ م) مجلد ٢ ، ص ٢٨٠ .

(١٢) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » مجلد ٢ (١٣٤٧ هـ) ص ١٦٦ .

(١٣) لم تعترف الحكومة البريطانية قط بعزان الذى حكم مدة تزيد على السنة قليلا (الفقرة ٢٢٢ اللاحقة) .

(١٤) باجر فى مقدمته إلى ترجمة كتاب ابن رزيق ، ص ٥١ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤١٩ .

أخرجت حكام عمان من موقف كانوا يستطيعون فيه أن يحتفظوا بمنزلتهم بوسائل القدرة العسكرية والسياسية فقط ، ووضعت فى متناولهم دخلا مضموناً سهلا من الرسوم الجمركية ، ومكنتهم من أن يحتفظوا بسلطة شكلية بالرشوة وحدها ، وعرضتهم بعد ذلك لتأثير حضارة أجنبية أبعدتهم عن قبائل الداخل وقللت من شعبيتهم بين رعاياهم . ولو بقيت العاصمة فى الرستاق ، لكان من الممكن أن تتمتع عمان فى القرن التالى بمزايا حكومية أكثر استقامة ونشاطاً ، وكان يمكن أن يكون الفساد الخلقى للأسرة الحاكمة أقل سرعة .(١٦)

١٦ – مع أنه كان مقدراً لمسقط تحت حكم آل بوسعيد أن ترتبط آخر الأمر بعلاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى فإن الفرنسيين استمتعوا بنفوذ هناك أكبر من نفوذ البريطانيين حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى (أواخر القرن الثامن عشر الميلادى) . ومند عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٩ م) كتب أحد أبناء الإمام أحمد بن سعيد إلى البحار الفرنسى المشهور دستان الذى كان يجول فى الخليج الفارسى يقول « إننى صديق للفرنسيين .... إننى أعد نفسى ابناً للفرنسيين .... إنى أعرض عليك مينائى وكل ما أملك من ماء وماشية ... ».(١٧) وفى أثناء حرب الاستقلال الأمريكية « زودنا (الفرنسيين) أهل مسقط بمساعدات قيمة ، فقد كانوا يحقدون على الإنكليز ... ».(١٨) وعندما زار الفرنسى روزيلى مسقط للقيام بمسح للجغرافية المائية فى عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٥م) كتب إليه الحاكم :

... إن بلادى هى بلادكم ، وصداقتنا باقية كما كانت عليه قبلا ، بل إنها أقوى مما كانت عليه فى أى وقت ... .(١٩)

---

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤١٩ .

(١٧) أوردها أوزو فى مجلة التاريخ الدبلوماسى الفرنسية ، مجلد ٢٣ (١٩٠٩ م) ص ٥٢٣ – ٥٢٤ .

(١٨) أوزو ، ص ٥٢٥ .

(١٩) أوزو ، ص ٥٤١ .

وقال روزيلى نفسه إن أهل مسقط ، فيما يبدو له ، «يحبون الفرنسيين ، ويكرهون كبرياء الإنكليز وتحكمهم».[٢٠] وفى نفس الوقت تقريباً، كتب محافظ مسقط التابع لآل بو سعيد إلى المسيو روسو القنصل الفرنسى فى بغداد يقول :

> لنا بالفرنسيين صلات أوثق من صلاتنا بأى دولة أخرى ، وبضائعنا وبضائعهم كلها واحدة ، وموانينا مشتركة والربح والخسارة مشتركة بيننا ، ولا حاجة إلى الدخول فى أى تفصيلات لأن قلوبنا قد تعاهدت على ذلك.[٢١]

وفى سنة ١٢٠٤هـ (١٧٩٠م) كتب حاكم مسقط إلى المسيو روسو يقول :

> لست تجهل الأوامر التى نصدرها إلى موظفينا فى ميناء مسقط والطريقة التى بها يعاملون مواطنيكم الذين ينزلون فى بلادنا فيزنهم على جميع الشعوب الأوربية الأخرى.[٢٢]

١٧ ــ فى عام ١٢٠٢ هـ (١٧٨٨ م) وصل السعوديون ، الذين كانوا قد بدأوا نشر الدعوة فيما وراء حدود نجد ، إلى سواحل الخليج الفارسى للمرة الأولى . وفى صيف ١٢٠٦ هـ (١٧٩٢ م) مات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة بالغاً من العمر أكثر من تسعين عاماً ، ومع أن وفاته كانت خسارة جسيمة ، فإنها لم تعرقل التقدم الناجح لتلاميذه الذى دفعه دفعة قوية فى أيام عنفوانه . وبعد وفاته بوقت قليل ، انضمت الحسا والقطيف ، وهما المركزان الرئيسيان بين نجد والخليج الفارسى ، إلى الحركة .

١٨ ــ مات حمد بن سعيد الذى كان على رأس حكومة مسقط لبضع سنين ، فى سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) . ولم ينقض على ذلك وقت طويل حتى

---

(٢٠) أوزو ، ص ٥٣٣ .

(٢١) اقتبسها سلفستر دى ساسى «كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد» (١٨٠٦ م) مجلد ٣ ، ص ٢٧٢ .

(٢٢) سلفستر دى ساسى ، مجلد ٣ ، ص ٢٨٥ .

اغتصب عمه سلطان بن أحمد ، وهو ابن الإمام الأول من آ ل بوسعيد، منصب رئيس الدولة . وفى هذا الصدد ينبغى قول شىء عن لقب حاكم مسقط : لقد وضح بجلاء أنه بعد الحاكمين الأولين من آ ل بو سعيد ، تخلت هذه الأسرة عن إجراءات الأباضيين القديمة للانتخاب وعن لقب الإمام . غير أن الغربيين استمروا فى استخدام هذا اللقب سنوات طويلة بعد أن أصبح ذلك من الخطأ .[٢٣] واللقب الذى يمنحه سكان جزيرة العرب عادة للحكام المتأخرين من آ ل بو سعيد هو « السيد » ، وإن كان مضللا قطعاً ، لأنه قد يوحى الانتساب إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما لم يدع به قط هذا البيت . وعلى مر الزمن ، لجأ الغربيون أيضاً إلى إطلاق لقب « سلطان » على حاكم مسقط ، وفى عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) اعترفت الحكومة البريطانية رسمياً بهذا اللقب . ولكن إطلاق اسم سلطان كثيراً على الرجال فى شرق جزيرة العرب قد يؤدى إلى لبس بين وقت وآخر .

١٩ ــ احتفظ سلطان بن أحمد فى الفترة الأولى من حكمه بالعلاقات الودية التى كان أسلافه قد أقاموها مع الفرنسيين . ويقول مايلز :

> على أثر اغتصاب السيد سلطان للحكم ، واصل هذه العلاقات الودية ، ويبدو أنه لبضع سنين كان يسترشد فى الشئون السياسية بطبيبه الفرنسى .[٢٤]

٢٠ ــ فى عام ١٢٠٨ هـ و ١٢٠٩ هـ (١٧٩٣ م و ١٧٩٤ م) كان إبراهيم بن سليمان بن عفيصان ، وهو من كبار موظفى الدولة السعودية ، نشطاً فى شبه جزيرة قطر .[٢٥] وقد طلب حينذاك أهل عمان من الإمام عبد العزيز

---

(٢٣) فى موضوع خطأ اطلاق لقب « امام » على حكام مسقط المتأخرين ، راجع باجر ، ملحق (أ) ص ٣٧٨ – ٣٨١ ، وسعيد – روته ، « سعيد بن سلطان » (١٩٢٩ م) ملحق (ب) ص ١٧٣ – ١٨١ .

(٢٤) التقرير الإدارى لمكتب المعتمد السياسى فى الخليج الفارسى (١٨٨٧ – ١٨٨٨م)ص ٢٤ .

(٢٥) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

أن يضم بلادهم إلى حركة الدعوة الجديدة ، وردا على ذلك ، أرسلت الحكومة السعودية ابن عفيصان ليكون ممثلا لها فى عمان ومقره فى البريمى . فتسلم مهامه كأول أمير سعودى هناك فى سنة ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م) . وقد خلدت رحلته البرية عبر الظفرة إلى مقر منصبه الجديد باسم جزاير ابن عفيصان الذى يطلق على موضع فى سبخة مطى على الطريق . وفى أثناء إقامته فى البريمى ، أنشأ قصراً أسماه قصر الصبارة فى منتصف الطريق بين بلدة البريمى وحماسا . [٢٦]

٢١ — قام الترك بأول مسعى لهم لوقف انتشار الدعوة إلى التوحيد فى عام ١٢١٣ و ١٢١٤ هـ (١٧٩٨ — ١٧٩٩ م) فأرسل الباشا العثمانى فى بغداد حملة وصلت إلى الحسا ولكنها أخفقت فى إقصاء الحامية السعودية التى كانت مسيطرة هناك .

٢٢ — فى سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) خطا البريطانيون فى سبيل إحلال نفوذهم محل النفوذ الفرنسى فى مسقط خطوة ، وذلك بعقد اتفاق مع الحاكم ، فكان هذا الاتفاق أول معاهدة رسمية فى الأزمنة الحديثة بين حاكم عربى ودولة غربية[٢٧] وكان يراد بهذا الاتفاق إقصاء النفوذ الفرنسى المجحف عن مسقط .[٢٨] وقد أنجزه المقيم البريطانى فى أبو شهر وهو رجل إيرانى اسمه مهدى على خان ، وذلك « فى مقابل إنفاق مبلغ ٢٨٢٠ روبية فقط » .[٢٩] ويقول هوجارث إن

---

(٢٦) « عقود الجمان » ص ٢٥ و ٤٩ — ٥١ و ١٤٩ .

(٢٧) النص الإنكليزى فى كتاب ايتشيسون « مجموعة المعاهدات والارتباطات والسندات المتعلقة بالهند والبلاد المجاورة » (الطبعة الخامسة المنقحة ، ١٩٣٣ م) مجلد ١١ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٢٨) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٦٩ .

(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٦ .

هذا الاتفاق «قد ألزم بريطانيا العظمى منذ ذلك الوقت بأن تؤيد حكام مسقط ضد شعب عمان» .[٣٠]

٢٣ – وبعد أن تمكن الفرنسيون فى مصر كتب نابليون من القاهرة سنة ١٢١٣ هـ (٢٥ يناير ١٧٩٩ م) إلى حاكم مسقط :

أكتب إليكم هذا الكتاب لأبلغكم ما لا شك فى أنكم قد علمتموه فعلا ، وهو وصول الجيش الفرنسى إلى مصر .
ولما كنتم دائماً أصدقاء لنا ، عليكم أن تقتنعوا برغبتى فى حماية جميع سفن دولتكم وعليكم أن تقوموا بإرسالها إلى السويس حيث تجد حماية لتجارتها .[٣١]

وقد اعترض البريطانيون سبيل هذا الكتاب قبل أن يصل إلى مقصده .

٢٤ – فى سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) عقدت الحكومة السعودية معاهدة مع القواسم وهم زعماء كانوا إذ ذاك يتمتعون بأقوى نفوذ على الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى .[٣٢] وقد استمرت الصداقة التى كانت هذه بدايتها مع القواسم إلى يومنا هذا ، والقواسم هم الآن حكام الشارقة ولا يزال لهم نفوذ قوى جداً على الساحل . ونتيجة لهذه المعاهدة كسبت الدعوة إلى التوحيد كما كسب آل سعود أنصاراً جداً كثيرين على الساحل وفى الداخل .

٢٥ – كانت لحاكم مسقط سلطان بن أحمد ، كبعض خلفائه ، آمال عراض فى أن يحكم أراضى ليس له حق فيها . ويصف المؤرخ الرسمى البريطانى لوريمر مطامعه لضم البحرين فى سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) فيقول «إنه لا ظل لها من الحق» .[٣٣]

٢٦ – فى سنة ١٢١٤ هـ (شهر يناير سنة ١٨٠٠ م) بينما كان الكابتن جون مالكم فى طريقه إلى بلاد فارس مبعوثاً خاصاً من الحكومة البريطانية فى

---

(٣٠) هوجارث «جزيرة العرب» ص ١١٠ .
(٣١) «مكاتبات نابليون الأول» مجلد ٥ ، ص ٣٦١ .
(٣٢) «عقود الجمان» ص ٣٢ و ٣٥ و ٥١ .
(٣٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٤١ .

الهند إلى بلاط الشاه ، اجتمع بحاكم مسقط فى مياه الخليج الفارسى وأقنعه بتوقيع اتفاق جديد يسمح بتعيين وكيل بريطانى فى مسقط . وكان مالكم قبل ذلك قد قال لمحافظ بلدة مسقط إن الفرنسيين :

> تلك الأمة الخارجة على القانون ، قد تحدت جميع المعاهدات واستولت على مصر ، وأخذت تفرض سيادتها على الطرق المفضية إلى الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإنه لولا أن الله أراد النصر للأسلحة البريطانية فى هذا الركن لاستولوا عليهما .(٣٤)

واستمر مالكم يقول :

> فاذا إذن كان يصبح مصير تجارة مسقط المشهورة لو أن مرافىء شبه الجزيرة الهندية أقفلت أمام سفن مسقط التجارية بأمر القوة المسيطرة ؟
> لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلا بالاعتراف بالحقيقة وهى أن رخاء مسقط يعتمد على رضا الإنكليز .(٣٥)

وكان الرجل الذى جاء به مالكم معه ليكون أول وكيل بريطانى فى مسقط جراحاً اسمه بوجل . وقد عقب كاتب سيرة مالكم على ذلك قائلا :

> هناك بابان جانبيان فى الشرق لبستان الدبلوماسية الإنكليزية العظيم . أولهما هو التجارة وثانيهما هو الطب . ونحن مدينون بامبراطوريتنا الهندية لهما بالتأكيد . وكان على المستر بوجل أن يدخل جزيرة العرب طبيبا وأن يبقى هناك وكيلا سياسياً .(٣٦)

ومع أن مالكم نشط لربط مسقط بالقضية البريطانية ، فإنه شخصياً لم يكن يرمق الحليف الجديد بنظرة إكبار ، وقد سجل فى يومياته التعليل التالى « للانحلال الظاهر » لهذه الدولة :

---

(٣٤) جون كاى « حياة الميجر جنرال السرجون مالكم ومكاتباته » (١٨٥٦ م) مجلد ١ ، ص ١٠٧ .
(٣٥) كاى ، مجلد ١ ، ص ١٠٨ .
(٣٦) كاى ، مجلد ١ ، ص ١٠٦ .

لعلها ما كانت لتسقط إلا بنفوذ دين مناقض لجميع تحسينات العلوم وانتشارها دين مهما قد يرفع أنصاره وهم فى حماسة الدعوة ، فإنه تركهم عند ما زالت الحمى وهم واهنون مقيدون بسلاسل التعصب الأعمى والخرافات والتحيز . فأى شيء غير البربرية يمكن أن يكون نتيجة مثل هذه التعاليم ؟ كان هذا ، بعد فترة قصيرة من المجد ، مصير كل بلد اعتنق دين محمد ، وفى جزيرة العرب حيث كان الدين أعم ، كانت نتائج أثره أفظع .(٣٧)

توضح هذه الملاحظات كيف أن الرجال الرسميين الغربيين قد أظهروا فى بعض الأحيان قصوراً يؤسف له فى فهم جزيرة العرب وحضارتها ، أملاه عليهم الجهل بالواقع والتعصب الاستعمارى المقرون بالتعصب الدينى .

٢٧ – فى هذا الوقت ، بعثت الحكومة السعودية بسالم بن بلال الحرق إلى البريمى أميراً لها .(٣٨) فجددت قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب وبنى ياس وغيرها فى الظاهرة مبايعتها للدولة السعودية ، وجمع الأمير الجديد الزكاة منها.(٣٩) وإن هذه الإشارة المعينة إلى جمع الزكاة الواردة فى مصدر ممالئ لآل بو سعيد ومعاد للدعوة إلى التوحيد ، تدل على أن الحكومة السعودية من أول فترة لسيادتها فى إقليم البريمى ، قد اتبعت الإجراء الإدارى المعتاد وهو جباية هذه الضريبة من السكان ومنحهم حماية كاملة مقابل ذلك . والصيغة المعتادة للمبايعة لأنصار الدعوة الجدد هى أن يطلبوا من إمام الدولة السعودية أن يسمح لهم « بالمبايعة على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وإيتاء الزكاة ».(٤٠)

٢٨ – إن اعتماد الحكومة السعودية على اشتراك رعاياها فى العقائد قد شجع علماء الدعوة إلى التوحيد على نسخ عدد كبير من الكتب الدينية وإرسالها إلى

---

(٣٧) كاى ، مجلد ١ ، ص ١١٠ هامش .
(٣٨) «عقود الجمان» ص ١٤٩ .
(٣٩) ابن رزيق ، ظهر ورقة ١٩٤ .
(٤٠) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١١١ .

أقصى أطراف الجزيرة . ومن أشهرها كتاب عنوانه « كشف الشبهات » شرح فيه مؤسس الحركة بنفسه المبادئ التى يدين بها . وهناك إشارة خاصة إلى تداول هذا الكتاب فى عمان فى ذلك الوقت[٤١] .

٢٩ ــ وقد رغب حاكم مسقط فى زحزحة السعوديين عن مكانهم فى البريمى ، فقاد جيشه ضدهم ، ولكنه تبين أن قوتهم كانت من الشدة بحيث أكره على أن يعقد معهم هدنة وأن ينسحب إلى ناحيته من الجبال[٤٢] .

٣٠ ــ مع أن اتفاق مالكم لسنة ١٢١٤ هـ (١٨٠٠ م) جعل للبريطانيين ، فيما يبدو ، تفوقاً على الفرنسيين فى مسقط ، فإن سلطان بن أحمد لم يتردد فى أن يستقبل مبعوث الحكومة الفرنسية أرمان بوشيه دى شاتوفيل فى سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠١ م) ، وأن يبقيه إلى جواره باعتباره الرفيق الملازم مدة خمسة عشر شهراً . وقد روى شاتوفيل بنفسه :

> عوملت فى أثناء إقامتى فى مسقط معاملة ممتازة ودفعت عنى جميع نفقاتى .[٤٣]

وأرسلت الحكومة الفرنسية كذلك قوات إلى مسقط وقد كتب عنها الحاكم إلى محافظ إيل دى فرانس (موريتيوس) :

> ... من المتعذر علينا أن نعرب لكم عن اغتباطنا بوصول القوات التى كان من فضلكم إرسالها إلينا ، وقد استقبلناها بذراعين مفتوحتين وسنحرص دائماً على أن نعدهم اخوة لنا وأصدقاء ، ونحن وخلفاؤنا مدينون لكم بها إلى أبعد حد مستطاع .[٤٤]

---

(٤١) ابن رزيق ، ظهر ورقة ١٩٤ .

(٤٢) مايلز فى التقرير الإدارى (١٨٨٧ – ١٨٨٨ م) ص ٢٦ . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٤ .

(٤٣) أوردها أوزو فى مجلة التاريخ الدبلوماسى الفرنسية ، مجلد ٢٤ (١٩١٠ م) ص ٢٤١ .

(٤٤) أوزو ، ص ٢٤٠ .

٣١ – فزع البريطانيون من « المعاملات المريبة » لحاكم مسقط مع الفرنسيين ، ونصحه المعتمد مهدى على خان بأن « ينظر إلى صداقة الحكومة الإنكليزية وتقديرها باعتبارها الروح التى بها تتنفس مسقط وتعيش » وأن « يهرب من استمرار الصداقة الفرنسية كما يهرب من الوباء » . وفى الوقت عينه اقترح المعتمد على محافظ بمباى مهاجمة حاكم مسقط بسبب « صلاته المريبة » واستئجار مسقط من شاه إيران .[٤٥]

٣٢ – جاء فى سجلات الحكومة البريطانية فى بمباى أن النفوذ السعودى فى هذه الفترة كان « سائداً فى جميع ربوع الساحل من نهر البصرة إلى دبا ، وهى الحد الفاصل بين أراضى مسقط وأراضى القواسم » .[٤٦]

٣٣ – يبدو أن حاكم مسقط لم يول تحذيرات المعتمد البريطانى مهدى على خان الكثير من العناية (الفقرة ٣١ السابقة) ، وفى سنة ١٢١٧ هـ (أوائل ١٨٠٣ م) زار إيل دى فرانس مبعوث من الحاكم . وفيما يتعلق بهذه الزيارة ، قال ماجلون المحافظ لوزير البحرية الفرنسية :

> أيها المواطن الوزير، أفيدكم أن الحاكم المسمى امام مسقط قد أرسل سفيراً إلى ، . . . والغرض السياسى . . . هو الظفر بصداقة الجمهورية الفرنسية وحمايتها الخاصة . ويبدو أن عند هذا الأمير أسباباً كثيرة للشكوى من مضايقات الحكومة الإنكليزية . . .[٤٧]

وبعد شهر ، أبلغ ماجلون الوزير :

> جاء فى مذكرة خاصة سلمت حالا إلى من السفير المذكور ما معناه أن إمام

---

(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٢٩ .

(٤٦) مختارات بمباى ، ص ١٥٢ .

(٤٧) أوزو ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

مسقط يسره أن يرسل إليه وكيل من الحكومة الفرنسية وانه سيعد أعداء الجمهورية الفرنسية أعداءه .(٤٨)

فى سنة ١٢١٨ هـ (مايو ١٨٠٣ م) نشبت حرب بين الإنكليز والفرنسيين. وكانت حكومة مسقط واقعية فى تقدير قوة الإنكليز فى الشرق وإدراك تفوقها على قوة الفرنسيين . وعندما وصل كافينياك مبعوث نابليون الخاص إلى مسقط فى شهر أكتوبر أبلغه مندوب الحاكم ما يأتى :

كان (الحاكم) يتمنى أن تصل فى فترة سلام ، حتى يستقبلك السلطان بشوق ، غير أن الانكليز ، ولا شك ، يغضبون على سيدى لو سمح لك أن تجىء بعد إعلان الحرب بينكم . لدينا عشرون سفينة كبيرة فى موانيهم ، فى البنغال أو على ساحل ماليبار ،وليس ثمة ريب فى أنه سيتم الاستيلاء عليها حالما يتلقون التعليمات . هل لديكم موان قرب بلدان السلطان حيث يحتمل أن تطلب السفن ملجأ أو ترميما مثلما تستطيع فى بمباى ؟ ماذا يريد بونابرت ؟ . . .(٤٩)

٣٤ ـ ألح كل من الحكومتين العثمانية والفارسية على حاكم مسقط فى مهاجمة السعوديين.(٥٠) وقبل اتخاذ أى إجراء ، غادر الحاكم مسقط فى سنة ١٢١٧ هـ (أوائل ١٨٠٣ م) ليحج إلى مكة المكرمة . وفى ذلك الوقت كان السعوديون يزحفون غرباً عبر جزيرة العرب ، لقتال شريف مكة ، غالب بن مساعد ، وكان من أكبر أعداء الدعوة . وبحث حاكم مسقط مع الشريف فى إمكان حشد قواهم ضد السعوديين ، غير أنه لم يستطع أن يعرض مساعدة كافية لمنعهم من احتلال مكة المكرمة عقب انتهاء موسم الحج مباشرة . وقد أدت هذه التجربة بحاكم مسقط إلى تقدير بأس الدولة السعودية ، فتعهد بعد عودته إلى بلاده بأن يدفع أتاوة سنوية إلى الحكومة السعودية مقابل وقاية أراضيه . وقد تداعى هذا الترتيب الموقت فى وجه الشعور العدائى بين الجانبين المتقابلين

---

(٤٨) أوزو ، ص ٢٤٣ .

(٤٩) أوزو ، ص ٢٥٢ .

(٥٠) مختارات بمباى ، ص ١٧٤ .

ونشبت الحرب بينهما بعد ذلك بوقت قصير . وزحف سالم الحرق ، أمير البريمى السعودى إلى الباطنة ، وكان بلاشك يحتل المنطقة بأسرها لو لم تثنه عن ذلك وفاة الإمام عبد العزيز فى شهر رجب ١٢١٨ هـ (نوفمبر سنة ١٨٠٣ م) .

٣٥ – فيما يتعلق بحكم عبد العزيز قال عالم دينى معاصر ذو سمعة عالية فى اليمن وهو الشوكانى : « ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام ».[٥١] وقد اعترف العالم نفسه بأن مصلحى نجد كانوا مسلمين بحق وينتمون إلى المذهب الحنبلى وأنهم مؤسسون حركتهم على أسس الإسلام الوطيدة المبينة فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية . ويقول المؤرخ العربى للبريمى إنه عندما احتل السعوديون بإمرة عبد العزيز شرق جزيرة العرب ، حكموا بالعدل طبقاً لمبادئ الشريعة وأزالوا جميع آثار تعدد الآلهة وعبادة الأوثان . وساد الأمن الداخلى وتمتع الناس بكثير من أطايب الحياة . وكان الناس قبل ذلك يخطفون من دورهم ، وكان قطاع الطرق يهددون جميع طرق التجارة والسفر . وفى ظل الأمن العربى ، سارت القوافل الموسوقة عبر الأراضى السعودية دون أن يصحبها حراس ودون حاجة إلى شراء حقوق المرور من القبائل البدوية المنتشرة على الطريق .[٥٢] وقد قال شاعر عربى فى القرن التاسع عشر :

فلو ضاع فلس فى الفلا من ملازم ... لجىء به من وسط وادى الضراغم[٥٣]

وقد وصف أحد علماء العراق ، حكم عبد العزيز بالعبارة التالية :

> وزالت به الحروب التى كانت تقع بين قبائل نجد ، وحصل الأمن والأمان فى البادية والحضر ، وكانت الإبل والخيل والأنعام ترعى فى الصحارى وتلد ، وليس

---

(٥١) محمد الشوكانى « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » (١٣٤٨ هـ) مجلد ٢ ، ص ٥ .

(٥٢) « عقود الجمان » ص ٤٦ – ٤٧ .

(٥٣) عبد الجليل بن ياسين فى « عقود الجمان » ص ٤٧ .

عندها سوى رجل واحد ، ولا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً .(٥٤)

ويقول هوجارث إن عبد العزيز « حصل بواسطة قوات مسلحة أو مبعوثين على ولاء كل شبه الجزيرة باستثناء القسم الجنوبى الغربى»(٥٥) ولكنه يعترف بعد فترة قصيرة أن قوة الدولة السعودية « كانت تعتمد على الإكراه الحربى أقل مما كانت تعتمد على النفوذ الروحى(٥٦) .

(٥٤) ابراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدرى «عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد» (مخطوط ١٢٨٦ ﻫ) ظهر ورقة ١١٢ .

(٥٥) هوجارث « جزيرة العرب » ص ١٠٣ .

(٥٦) هوجارث « جزيرة العرب » ص ١٠٤ .

٤ – حكم الإمام سعود بن عبد العزيز ١٢١٨ – ١٢٢٩ هـ (١٨٠٣ – ١٨١٤ م)

٣٦ – خلف عبد العزيز فى منصب الإمام السعودى ابنه سعود الذى كان ساعده الأيمن فى الحكم سنوات طويلة . وفى أثناء حكم سعود الذى دام أكثر من عشر سنوات ، وصلت الدولة السعودية إلى ذروة مجدها الأول ، وكادت جزيرة العرب كلها تصبح تحت سلطتها . وفى التاريخ العربى يذكر هذا الحاكم بحق باسم سعود الكبير . وبعد انقضاء وقت ليس بطويل على اعتلائه العرش كتب باراندييه السفير الفرنسى فى اسطنبول إلى تاليران يقول :

> إنه فى ذلك الوقت أصبح للمرء أن يتوقع رؤية قيام مملكة عربية جديدة ليست من القوة كتلك التى كانت للخلفاء ، ولكنها قادرة على أن تظفر بمضى الوقت بدرجة من العظمة تضعها فى مستوى واحد مع السلطات الأخرى فى آسيا .[١]

٣٧ – قتل فى سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) سلطان بن أحمد حاكم مسقط الذى كان قد عقد أول اتفاق مع البريطانيين . ويقول مايلز :

> إلى أن مات سلطان قبل الأوان . . . يبدو أنه ظل مشغولا بحروب تكاد تكون مستمرة مع قوات سعود ، ومع أنه استطاع أن يمنع تقدمهم إلى العاصمة ، إلا أنه لم يستطع أبدا أن يزحزحهم عن مركزهم الرئيسى فى البريمى ، أو أن يقصيهم عن البلاد .[٢]

وبعيد وفاة سلطان جمع بدر بن سيف من آل بو سعيد السلطة العليا للدولة فى مسقط فى يديه ، وظل محتفظاً بها إلى اغتياله بعد سنتين . وكان بدر لاجئاً سياسياً فى الدرعية العاصمة السعودية حيث اعتنق مبادئ الدعوة إلى التوحيد ،

---

(١) اقتباس دوان «محمد على باشا القاهرة» (١٩٢٦ م) ص ٥١ .

(٢) التقرير الإدارى (١٨٨٧ – ١٨٨٨ م) ص ٣٠ .

وفى أثناء حكمه كانت علاقات مسقط بالدولة السعودية ودية على وجه خاص . وخافت الحكومة البريطانية فى الهند من احتمال سقوط مسقط تحت حكومة «أقل انقياداً . . . لأهداف السياسة البريطانية فى الخليج »[٣] فأرسلت الكابتن دافيد سيتون إلى مسقط مقيما لها . ومع أن سيتون وجد بدراً مستعداً لتوكيد الاتفاقات السابقة التى عقدتها مسقط مع البريطانيين ، فقد منح داراً لسكناه لا تزيد على كونها عشة حقيرة لم يسمح له أن يرفع عليها راية بلاده .

٣٨ ـ كان محمد بن عبدان من أهل الحسا الممثل السعودى فى البريمى فى ذلك الوقت . وقد ذكر أن من بين مؤيديه قبيلة الظواهر فى البريمى وقبيلة المناصير ، وهذه الحقيقة تؤكد ولاءهما المبكر إلى الدولة السعودية.[٤] وفى أثناء معركة من المعارك الداخلية فى دولة مسقط ، اعتمد الحاكم بدر الموالى للسعوديين على المساعدة التى أسداها راشد بن حميد من قبيلة نعيم وكذلك كبير سعودى اسمه ابن معيقل .[٥]

٣٩ ـ لقيت حركة الدعوة إلى التوحيد من القبول فى عمان ما جعل قوات تلك المنطقة تندمج فى الجيوش السعودية ، وتشترك فى الحملات التى وصلت فى بعدها إلى مشارف العراق.[٦] وكان بعض أهل عمان يشتركون مع جمهرة المؤمنين الأتقياء الذين كانوا يصحبون الإمام السعودى عند ذهابه لتأدية فريضة الحج سنوياً فى مكة المكرمة .[٧]

---

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٣٨ .
(٤) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢١٤ - ظهر ورقة ٢١٧ .
(٥) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢١٨ - ظهر ورقة ٢٢٠ .
(٦) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٣١ .
(٧) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤١ و ١٥٧ و ١٥٩ .

٤٠ – انتهى حكم بدر بن سيف فى مسقط انتهاء مفاجئاً عندما اغتيل فى سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) بيد ابن عمه سعيد بن سلطان فيما وصفه لوريمر بأنه « ظروف خيانة لا مثيل لها » .[٨] وباستبعاد هذا الحاكم الموالى للسعوديين تزعزع موقف السعوديين إلى حدما فى مسقط نفسها ، وانسحبت القوات السعودية المتركزة على ساحل الباطنة إلى قاعدتها فى البريمى ،[٩] التى كانت إذ ذاك – كما كانت دائماً – قلعتهم الرئيسية فى شرق جزيرة العرب .

٤١ – لم يضيع سعيد بن سلطان وقتاً فى الكتابة إلى سعود الحاكم السعودى متهماً محمد بن ناصر الجبرى ، وهو واحد من المقربين إليه جداً ، اتهاماً كاذباً بتهمة الاغتيال التى كان هو نفسه قد اقترفه ، وواعدا بأن يستمر فى دفع الأتاوة المعتادة إلى السعوديين وأن يسمح بإعادة وضع القوات السعودية فى الباطنة.[١٠]

٤٢ – فى سنة ١٢٢١ هـ (سبتمبر سنة ١٨٠٦ م) كتب سعيد بن سلطان إلى ديكان القائد العام للممتلكات الفرنسية فى المحيط الهندى يبلغه نبأ ارتقائه أريكة الحكم ويبدى الملاحظة التالية :

> مؤكد أن سعادتكم لا تجهلون سلاطة الأمة الانكليزية وكبرياءها وكذلك قوتها فى الهند .[١١]

---

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٠ . يقول لوريمر إن سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) كانت تاريخ الاغتيال ، غير أن السجلات الفرنسية والبريطانية المعاصرة تدل على أنها كانت سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦ م) – انظر أوزو فى مجلة التاريخ الدبلوماسى ، مجلد ٢٤ (سنة ١٩١٠ م) ص ٢٥٦ – ٢٥٨ و كوبلاند « شرق أفريقيا وغزاته » (١٩٣٨ م) ص ١٠٨ ، هامش ١ و ص ٣ ، هامش ٤ .

(٩) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٣٢٢.

(١٠) سعيد – روته «سعيد بن سلطان» ص ٢٠ .

(١١) أوزو فى مجلة التاريخ الدبلوماسى ، مجلد ٢٤ (١٩١٠ م) ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

وفى نفس الكتاب أعرب سعيد لديكان عن أمله فى أن يعتبر مسقط « تابعة لفرنسا وأن تعتمد على استعدادى لإطاعة أى أوامر قد تشرفنى بها فرنسا »[١٢] وفى نحو ذلك الوقت كان سعيد يطلب من الحاكم البريطانى فى بمباى أن يصون عادات الصداقة والتحالف «[١٣] القديمة ، وفى سنة ١٢٢١ هـ (ديسمبر سنة ١٨٠٦ م) تلقى الحاكم رسالة شفهية من سعيد « يطلب فيها صراحة الحماية البريطانية ضد الفرنسيين ».[١٤]

٤٣ ـ مع أن سعيداً كان مقدراً لقوة البريطانيين فى الهند ، فقد عقد اتفاقاً مع الفرنسيين فى سنة ١٢٢٢ هـ (يونيو سنة ١٨٠٧) ، وبعد وقت استقبل وكيلا قنصلياً فرنسياً ، المسيو دالون ، فى مسقط . وبقى دالون هناك « إلى سنة ١٢٢٥ هـ (سنة ١٨١٠ م) على الأقل وأصبح النفوذ الفرنسى متفوقاً لفترة قصيرة »[١٥] فى مجالس حاكم مسقط . وكان الفرنسيون يستطيعون أن يحتفظوا بمنزلتهم لو لم يدمر محور قوتهم فى الشرق أثناء نزاعهم مع البريطانيين الذى امتد إلى مختلف أنحاء العالم ، واضطر ديكان إلى الاستسلام فى إيل دى فرانس فى سنة ١٢٢٥ هـ (شهر ديسمبر ١٨١٠ م) وأنهت هذه الهزيمة تحدى الفرنسيين للتفوق البريطانى فى المحيط الهندى . ولما علم سعيد بن سلطان بسقوط ديكان كتب إلى صديقه دنكن حاكم بمباى يقول :

> الحمد لله ، فقد تخلصت الإنسانية بذلك من النيات السيئة لأولئك الطغاة (الفرنسيين) .[١٦]

---

(١٢) كوبلاند « شرق افريقيا وغزاته » ص ١١١ ، هامش ٢ .

(١٣) كوبلاند ، ص ١١١ .

(١٤) كوبلاند ، ص ١١٢ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٢ .

(١٦) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٧ .

٤٤ — فى سنة ١٢٢٢ هـ (يناير سنة ١٨٠٨ م) وصف الكابتن سيتون الذى عمل مقيماً بريطانياً فى مسقط ، حكومة سعيد بن سلطان الجديدة بأنها تفتقر إلى الاستقرار والتأييد الشعبى افتقاراً شديداً :

> كانت ايرادات الجزء الأعلى من عمان (الظاهرة) تدفع إلى سعود (الحاكم السعودى) ولم يحل دون وصولها إلى مناطق عمان السفلى (الباطنة) سوى تذلل الامام (سعيد بن سلطان) وخضوعه المهين .[١٧]

٤٥ — فى سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) أرسل الإمام سعود مرة أخرى علماء دينيين من نجد ليعلموا أهل عمان فرائض الإسلام .[١٨] ووصل هؤلاء العلماء ليجدوا سعيد بن سلطان حاكم مسقط يجند جيشاً ليزحف به على السعوديين . وتقدمت القوات السعودية من قاعدة البريمى يؤيدهم القواسم ، فقابلوا جيش مسقط فى « خور فكان » على ساحل خليج عمان وأنزلوا بهم هزيمة منكرة . ووضع القسم الأكبر من الأسلاب التى أخذها الظافرون فى أيدى العمال السعوديين لإرساله إلى العاصمة الدرعية.[١٩] وقد أكدت سجلات حكومة بمباى الطابع المدهش لهذا النجاح السعودى ، فذكرت أن تفوق السعوديين قد « استقر استقراراً كاملا فى عمان »[٢٠] وأكده أيضاً المؤرخ العربى ابن بشر الذى يقول « وصار جميع عمان تحت ولاية سعود ».[٢١]

٤٦ — وفى الوقت عينه ، كانت قوة السعوديين قد بلغت ذروتها فى الشمال ، حيث دنوا من دمشق من ناحية وتوغلوا فى الأراضى المأهولة فى العراق من ناحية أخرى . وفى الغرب ، كان السعوديون قد احتلوا الحرمين الشريفين قبل ذلك ببضع سنين . وفى الجنوب امتدت السلطة السعودية إلى وادى حضرموت

---

(١٧) منتخبات بمباى ، ص ٤٣١ .
(١٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤١ .
(١٩) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٢ .
(٢٠) منتخبات بمباى ، ص ١٥٣ .
(٢١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٢ .

قرب الطرف الجنوبي لجزيرة العرب . وقد اضطربت الحكومة العثمانية اضطرابا شديداً لتوحيد جزيرة العرب تحت لواء هذه الدعوة الحازمة ، بسبب ادعائها السلطة فى الجزيرة . وقد شعرت هذه الحكومة بخوف لا على مقامها فى جزيرة العرب وحده ، بل كذلك على السيادة التى كانت تتمسك بها تمسكاً واهناً فى أراض أغنى منها هى مصر وسوريا والعراق . أما وقد انتهت الحكومة العثمانية إلى ضرورة القضاء على الدولة السعودية ، فقد أخذت تضاعف جهودها فى هذا الاتجاه .

٤٧ ـ فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) أعد البريطانيون بمعونة حاكم مسقط حملة ضد عرب الساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى الذين كانوا متحالفين مع الدولة السعودية والذين كانوا قد استجابوا إلى دعوة التوحيد . وكان أولئك العرب قد درجوا من زمن على شن إغارات على الملاحة فى الخليج الفارسى . وحيث أن وثائق معاصرة شتى ودراسات تالية لها مجردة من الطابع النقدى قد ألقت معظم اللوم أو كل اللوم فى هذه الإغارات على ما يسمى عادة « التعصب الوهابى » ، فإنه يحسن اقتباس الرأى الممحص للمؤرخ البريطانى الرسمى لوريمر :

> عقب استقرار الوهابيين فى البريمى ، زادت القرصنة وأعمال العصيان فى البحر ، وقد عزى ذلك فى الهند بصفة رئيسية إلى نفوذهم ، غير أن الدراسة المجردة من العاطفة للحقائق بعد انقضاء أكثر من مائة سنة لا تؤكد بأى حال الرأى المعاصر المتطرف القائل إن القواسم كانوا فى الحوادث التى وقعت الآن مجرد آلات لا إرادة لها فى أيدى الوهابيين . فإن الصفات التى فطر عليها القواسم ، كما ظهرت فى مسلكهم فى سنوات ١١٩٢ – ١١٩٣ و ١٢١١ هـ (١٧٧٨ – ١٧٧٩ و ١٧٩٧ م) وأن سياسة حكومة بمباى التى ستبدو فى الملحق حالا ، تغنى عن البحث عن أى شرح آخر متعلق بالنفوذ الوهابى للأحداث التى كانت تعمل ، وينبغى تذكر أن الجبر من قبل الوهابيين قد هيأ عذراً طيباً لا يمكن التحقق منه لأعمال لا يمكن تبريرها بحال .[٢٢]

---

(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٣٦ .

ولم يكن القضاء على القرصنة هدف البريطانيين الأوحد عند تجريدهم هذه الحملة ، وهذا يتضح من الفقرة التالية المقتبسة من سجلات حكومة بمباى :

أقر الجنرال مالكم الرأى الذى أعرب عنه الكابتن سيتون فى هذه المناسبة، وهو أنه لا يمكن لشىء ، باستثناء التدخل المبكر من جانب الحكومة البريطانية ، أن يحول دون تدمير ميناء مسقط تدميراً تاماً باعتباره ميناء تجارياً ودون وقوع سكانه وملاحته فى أيدى القراصنة ، وهذه اعتبارات حدت بالحكومة العليا إلى اعداد حملة لحماية مسقط من الوهابيين حتى لا يتحول حليف مطمأن إليه جداً إلى عدو خطر ، وكذلك لقمع قراصنة القواسم .(٢٣)

وكتب جوناثن دنكن حاكم بمباى إلى حاكم مسقط فى سنة ١٢٢٤ هـ (٧ سبتمبر ١٨٠٩ م) يقول :

إننى أعتمد مطمئناً على عظمتكم لتقدموا كل مساعدة ممكنة لتحقيق أهداف هذه الحملة التى تم القيام بها أولا وبالتأكيد بناء على إشارة عظمتكم ...(٢٤)

وأعطيت تعليمات إلى الكابتن سيتون الضابط السياسى الذى كلف بالسير مع الحملة بأن

... يتجنب جميع العمليات البرية إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة فى وقت ما للقضاء بصورة أكثر فعالية على سفن القراصنة فى موانيهم ، وعلى أى حال ينبغى على الكابتن سيتون أن يعنى بإطلاع الوهابى ورجال حكومته اطلاعاً كاملا فى الوقت المناسب على اننا كنا نود باخلاص الإبقاء فى جميع الأوقات على علاقات المودة معه ومع الدول الأخرى فى جزيرة العرب (التى كانت كلها خاضعة للوهابى) واننا لم نكن نرغب إلا فى حفظ سلامة التجارة فى البحار عامة وفى الخليج الفارسى على وجه خاص ...(٢٥)

وإن الإشارة إلى « الدول الأخرى فى جزيرة العرب (التى كانت كلها خاضعة للوهابى) » التى وردت فى هذه التعليمات البريطانية التى يفترض أنها سرية ينبغى ألا تمر دون أن تستوقف النظر .

---

(٢٣) مختارات بمباى ، مجلد ٢٤ ، ص ١٨٠ .

(٢٤) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٣ .

(٢٥) واردة فى مختارات بمباى ، ص ٤٣٣ .

٤٨ ــ فى سنة ١٢٢٤ هـ (نوفمبر سنة ١٨٠٩ م) استولت الحملة البريطانية على رأس الخيمة عاصمة القواسم . ومع أن تقريراً بريطانياً رسمياً أطلق على السكان اسم « المشردين » فإن البريطانيين أنفسهم وباعترافهم لم يتنزهوا عن قليل من السلب ، فقد عاد نفر منهم وهو أغنى مما كان بثلاثمائة جنية .(٢٦) ومكثت القوات البريطانية فى البلدة يوماً واحداً فقط . ولما جاء نبأ زحف السعوديين من البريمى لمساعدة حلفائهم ، بادر الغزاة « بالإقلاع مسرعين » .(٢٧)

٤٩ ــ كانت القوة السعودية التى بادرت إلى إغاثة رأس الخيمة برياسة مطلق بن محمد المطيرى الذى كان قد وصل قبل ذلك بوقت قصير أميراً جديداً للبريمى . وكان مقدراً لمطلق ، وهو رجل ذو بأس شديد ومقدرة عظيمة ، أن يصبح أبرز شخصية فى عمان فى وقته . وفى أثناء عهده الزاهر الذى دام نحو خمسة أعوام ، كسب أتباعاً كثيرين للدولة السعودية من كل ناحية . وكان أول عمل أقدم عليه لدى وصوله إلى البريمى هو جمع عرب المنطقة وإعدادهم لمقاومة الهجوم الذى يهدد حلفاءهم على الساحل.(٢٨) وقد كسبت القضية السعودية عوناً آخر عندما تخلى الزعيم القوى محمد بن ناصر الجبرى عن حاكم مسقط مؤثراً عليه آل سعود ، وسافر إلى الدرعية ليبايعهم . ومحمد هو الرجل الذى اتهمه سعيد بن سلطان حاكم مسقط كذباً بقتل بدر بن سيف (الفقرة ٤١ السابقة) .

٥٠ ــ بناء على إلحاح حاكم مسقط ، نزلت الحملة العسكرية البريطانية فى ميناء شناص على خليج عمان فى سنة ١٢٢٤ هـ (أوائل يناير سنة ١٨١٠ م)

---

(٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٤٧ .
(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٤٧ .
(٢٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٤٦ . وابراهيم بن عيسى « تاريخ نجد » (مخطوط ١٣٢٠ هـ) ص ٣٢ . وابن رزيق وجه ورقة ٢٢٦ .

واستولت عليه من الحامية السعودية . وعقب المؤرخ الرسمى البريطانى لوريمر قائلا « أما كيف استطاع الكولونيل سميث أن يبرر هذا العمل المباشر ضد الوهابيين فى هذه الفرصة ، وهو ما يتعارض مع تعليماته العامة ، فأمر غير واضح. . .»[٢٩]. وجاء مطلق مرة أخرى من البريمى عقب إقلاع البريطانيين بسفنهم مباشرة . وفى هذه المرة وجد قوات مسقط باقية بالقرب من البلد فأنزل بها هزيمة نكراء وإن كان الحاكم نفسه ، الذى كان قد رحل مع أصدقائه البريطانيين ، قد نجا . [٣٠]

٥١ ـ يوضح كتاب بتاريخ سنة ١٢٢٤ هـ (٣٠ يناير سنة ١٨١٠ م) مرسل من حاكم مسقط إلى دنكن حاكم بمباى المسلك العدائى الذى أكره السعوديين على القيام بإجراءات عسكرية ضد حاكم مسقط ، إذ كتب يقول :

> أتوقع بإذنه تعالى وصول سفنك وقواتك المظفرة . . . وهدفها إبادة قبيلة الوهابيين المارقة ، وهى عدونا كلينا .
> لقد حاولوا مرتين أو ثلاث مرات طلب إعادة السلام والوئام ، ولكن بسبب علاقاتى بالحكومة البريطانية لن أذعن لرغباتهم .[٣١]

وللزحف على الباطنة انضم إلى مطلق المطيرى الأمير السعودى للبريمى قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب وعرب « ساير أعمال البريمى » وكذلك محمد بن ناصر الجبرى وغيره من الزعماء. [٣٢] ويقال إن الجيش كله كان قوامه ٣٠,٠٠٠ رجل[٣٣] وهذا جيش كبير لجزيرة العرب ، ويدل حجمه على اتساع التأييد

---

(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٨٤ .
(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٣ .
(٣١) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٥ .
(٣٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٢٦ .
(٣٣) أخطأ باجر فى ترجمة هذا الرقم فجعله « ثلاثة آلاف » .

الشعبي الذى كان مطلق وآل سعود يستطيعون الاعتماد عليه . وبعد اجتياز مطلق للباطنة ، حاصر مسقط بعض الوقت ، ثم عاد إلى البريمى .

٥٢ – إزاء الموقف السائد فى الجزء الجنوبى للخليج الفارسى ، وجهت الحكومة البريطانية رسالة إلى الامام السعودى . ويلقى الرد الذى بعث به هذا الإمام ضوءاً على أهداف السعوديين حين أكرهوا على الاشتراك فى عمليات عسكرية ، كما أنه يوضح رد الفعل لديه إزاء حرق البريطانيين للسفن التابعة للقواسم ، أثناء حملتهم على رأس الخيمة :

> . . . ان سبب الخصومات المستمرة بينى وبين من يسمون أنفسهم مسلمين هو انحرافهم عن كتاب الخالق ورفضهم الامتثال لنبيهم محمد . فلست إذن أشن حرباً على من ينتمون إلى فرقة أخرى ، ولست أتدخل فى عملياتهم المعادية ، ولست أساعدهم ضد أحد ، فما دمت تحت سلطة العلى القدير فقد سموت على جميع أعدائى . . . وفى هذه الظروف رأيت من الضرورى أن أبلغكم أننى لن أدنو من شواطئكم وأننى منعت أتباع عقيدة محمد وسفنهم من أن يقوموا بأى تنكيل بسفنكم ، فإذا ما ظهر أحد من تجاركم فى موانى أو رغب فى المجيء إليها فسيكون آمناً . . . فلا يزدهيكم إذن احتراق عدد من السفن لأنه ليس لها قيمة فى رأيى ولا فى رأى أصحابها أو أهل بلادها . والحقيقة إذن هى أن الحرب مرة ولا يخوضها إلا أحمق كما قال أحد الشعراء .(٣٤)

٥٣ – فى سنة ١٢٢٥ هـ (صيف ١٨١٠ م) بحثت الحكومة البريطانية السنية فى الهند طلب سعيد بن سلطان الخاص بالظفر بمساعدة عسكرية ضد الدولة السعودية ، وانتهت إلى أن سعيداً كان يحاول أن يوقع بين البريطانيين والسعوديين . وأوصت الحكومة السنية بأن يبلغ سعيد بأنه « ليس من الضرورى أن يشير إلى صلاته بالحكومة البريطانية عند كتابة رده على أية عروض يتلقاها من عدوه » وأنه ينبغى عليه أن « يمنح شروط المسالمة التى يطلبها الوهابيون إذا كانت متفقة مع شرف دولة مسقط وأمنها . . . »(٣٥).

---

(٣٤) مقتبسة من جيمس موريير « رحلة فى فارس » (١٨١٢ م) ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(٣٥) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٦ .

٥٤ ـ فى سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١١ م) زار البريمى ثلاثة أبناء للحاكم السعودى ـ هم تركى وناصر وسعد ـ وكان مطلق المطيرى لا يزال الأمير السعودى هناك . وعقب وصولهم ، بايعهم آل بو شامس وأفراد آخرون من قبيلة نعيم كما بايعهم بنى كعب.(٣٦) وعندما اشتبكت القوات السعودية المقيمة فى البريمى مع جيش مسقط ، لقى أبناء سعود ومطلق تأييداً من القبائل التى سبقت الإشارة إليها حالا ، وكذلك من الظواهر وبنى قتب والجنبة والدروع.(٣٧) فأصبح السعوديون بقوة صفوفهم لا يستطيع أى عدو أن يقهرهم . وساروا فى عمان دون أن يعترض سبيلهم شىء حتى وصلوا إلى بلدة الحد فى الطرف الشرقى النائى لجزيرة العرب . وبينما كان السعوديون فى شرق جزيرة العرب فى هذه الحملة ، اعتنقت قبيلتا بنى بو على وبنى راسب مبادئ الدعوة إلى التوحيد وظلوا على ولائهم لها إلى يومنا هذا .

٥٥ ـ فى أثناء غياب مطلق المطيرى فى الشرق حل عبد الله بن مزروع محله فى إمارة البريمى(٣٨) وهو بوصفه سيد بلدة منفوحة قرب الرياض ، من كبار رجال نجد ، كما أنه كان فى وقت ما قائداً للقوات العسكرية السعودية فى المدينة المنورة .

٥٦ ـ عقب انتهاء هذه الحملة مباشرة ، عاد أبناء سعود ومطلق المطيرى غرباً من البريمى إلى الحسا . وعين عبد العزيز بن غردقة ، وهو من كبار رجال الحسا ، أميراً للبريمى خلفاً لمطلق . ثم حدثت اضطرابات بسبب سوء تصرف الإدارة فى جمع الزكاة أدت إلى عصيان قام به بعض أهالى بنى ياس ضد الحكومة السعودية . وهاجم العصاة ابن غردقة وقتلوه وهو فى طريقه إلى

---

(٣٦) ابن رزيق، ظهر ورقة ٢٣٤ .
(٣٧) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٥ .
(٣٨) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٣ .

البريمى ، وفى أثناء هذه الأحداث وقفت قبيلتا نعيم والظواهر موقف الولاء للسعوديين ، ومكنتاهم من أن يحتفظوا بمركزهم فى البريمى على الرغم من الحظ العاثر الذى أصاب قضيتهم موقتاً .(٣٩)

٥٧ — لما أخفق حاكم مسقط فى الظفر بمساعدة أخرى من البريطانيين ضد السعوديين تحول إلى الفرس الذين زودوه بعدد من الجند ترافقهم مدفعية خفيفة قوامها رجال من الروس الفارين . ولمواجهة هذا التحدى جمع مطلق المطيرى قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب والجنبة والدروع ،(٤٠) بعد عودته إلى البريمى عقب وفاة ابن غردقة . وتغلب السعوديون على جيش مسقط وحلفائه الفرس ، ثم شتتوا قواهم تشتيتاً كاملا ، وعلى أثر ذلك عاد مطلق إلى البريمى . أما الأسلاب التى كسبت فى ميدان القتال فقد جمعها العمال السعوديون وأرسلوها إلى الدرعية.(٤١) وكما هو الحال عادة ، حاول سعيد بن سلطان أن يلقى اللوم فى هذه الهزيمة على حلفائه ، وقال وكيله لحاكم بمباى إن الفرس «داروا بخيولهم وتقهقروا دون قتال » .(٤٢)

٥٨ — بلغ مطلق المطيرى ذروة قوته عندما سعى حاكم مسقط لمقابلته على ساحل الباطنة ودفع له مبلغ ٤٠,٠٠٠ ريال(٤٣) أتاوة.(٤٤) وكان يصحب مطلق جيش قيل إن قوامه ٤٠,٠٠٠ رجل يتألف من فصائل من قبائل نعيم والظواهر

---

(٣٩) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٤ . « عقود الجمان » ص ٧٤ — ٧٥ .

(٤٠) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٤ .

(٤١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٥٤ .

(٤٢) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٦ . لم يسع كوبلاند إلا أن يقول « ومن ثم يجب الاستنتاج أن العمانيين حذوا حذوهم » .

(٤٣) كان الريال المتداول فى ذلك الحين فى شرق جزيرة العرب هو ريال مارى تريز (« ريال فرنسى ») ويسمى فى بعض الأحيان الريال الألمانى . ولا تزال هذه العملة تتداول ولا سيما فى عمان الداخلية .

(٤٤) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٣٧ .

وبنى قتب وبنى كعب وبنى ياس[٤٥] وهى القبائل التى كان قد جمعها عقب اعتداء حاكم مسقط على القواسم . وكان اللفتننت بروس المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى مع الحاكم فى أثناء هذا الاعتداء الذى انتهى بفشل ذريع ، سببه الرئيسى أن شخبوط حاكم أبو ظبى لم يقدم مساعدة فعالة إلى القوة المهاجمة[٤٦] .

٥٩ — لقى مطلق المطيرى حتفه فى سنة ١٢٢٨ هـ (نوفمبر سنة ١٨١٣ م) عندما نجحت قبيلة الحجريين فى عزله عن قواته الرئيسية ودحره بالتفوق العددى . وما كانت قبيلة الحجريين لتقف فى وجه الجيش السعودى نفسه ، لأن مطلق كان مصحوباً فى ذلك الوقت بجميع قبائل الظاهرة ما عدا بنى كلبان[٤٧] . وقد تحدث الضابط الفرنسى جيان عن حاكم مسقط فقال :

> . . . بفضل حادثة غير متوقعة استطاعت قبيلة بدوية أن تنقذه من مطلق، ذلك الخصم الذى ما كان يخفق فى أن ينزل به الدمار فى فترة قصيرة . . .[٤٨]

ويتكلم موريتسى الإيطالى الذى عمل فى خدمة حاكم مسقط سنوات والذى يقال أنه هو نفسه قد قابل مطلق ، فيقول عنه ما يلى :

> وهكذا هلك . . . ذلك العدو الذى ظل اسمه طويلا كافياً وحده لأن يملأ أهل مسقط رعباً ، وراح ضحية التهور الذى دفعته إليه انتصاراته الكثيرة المتوالية . وكان ذا شخصية مهذبة ميالا إلى الحرب ، وكان إلى ذلك بادى الرقة مما ضمن له على الفور احترام أتباعه ومحبتهم . . . وأستطيع أن أقول بلا مبالغة إنه كان أقدر سياسى وأكفأ قائد ظهر فى خلال مدة طويلة فى الشرق .[٤٩]

---

(٤٥) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٧ .

(٤٦) مختارات بمباى ، ص ١٨٣ و ١٨٤ . ولوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٠ — ٦٥١ .

(٤٧) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٨ .

(٤٨) جيان « وثائق عن تاريخ افريقيا الشرقية وجغرافيتها وتجارتها » (١٨٥٦ م) مجلد ٢ ، ص ١٧٥ .

(٤٩) موريتسى « تاريخ السيد سعيد » (١٨١٩ م) ص ٨٧ — ٨٨ .

٦٠ – حل محل مطلق المطيرى فى منصب أمير البريمى أخوه بتال الذى كان قد نجا من المعركة التى كانت مع الحجريين. وبعد ذلك بقليل، حل عبد الله ابن مزروع الذى كان قد شغل هذا المنصب فى مرة سابقة (الفقرة ٥٥ السابقة) محل بتال .

٦١ – لما عجزت الحكومة العثمانية بنفسها عن أن تحصر الدعوة إلى التوحيد ، عهدت إلى محمد على باشا الوالى العثمانى الطموح النشط فى مصر أن يهاجم الدولة السعودية . فاغتبط حاكم مسقط وكتب إلى صديقه دنكن فى بمباى يقول « بفضل الله أخذت شئون هذا الجنس البغيض تتدهور »(٥٠) . ولم يكن هذا التدهور بالسرعة التى توقعها سعيد بن سلطان . وقد نزلت أول قوات أرسلها والى مصر على الساحل الغربى لجزيرة العرب فى سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) ومع أن محمد على كان يمتاز بالمعرفة الوثيقة بأساليب القتال الغربية وكان ينتفع بنصيحة الخبراء العسكريين ومن بينهم الضباط الفرنسيون ، فقد وجد مهمة القضاء على بسالة المصلحين وحماستهم الدينية مهمة غير يسيرة . وقد انقضت سبع سنين فى حملات مضنية قبل أن تحقق قواته نجاحها النهائى . وفى أثناء هذه الفترة وجهت الحكومة السعودية بالضرورة جانباً كبيراً من اهتمامها إلى ميادين القتال فى الغرب ، غير أن الدولة كانت من السلامة والمنعة بحيث استطاعت أن تصون مركزها فى البريمى دون تغيير حتى نهاية الفترة .

٦٢ – توفى سعود الكبير فى فراشه فى سنة ١٢٢٩ هـ (أوائل شهر مايو سنة ١٨١٤ م) .(٥١) وتصف الوثائق البريطانية الرسمية نفوذه الواسع قبيل وفاته بالكلمات التالية .

---

(٥٠) اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٧ .

(٥١) التاريخ المضبوط حسب التقويم الهجرى هو مساء يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ . ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٦ .

. . . كان الساحل كله على الجانب العربى خاضعاً له باستثناء جزيرة البحرين . . . وميناء القرين (الكويت) . ونحو الجنوب امتد نفوذه إلى رأس مسندم على الساحل وفى الداخل إلى أراضى مسقط حيث اعترف أيضاً بسلطانه جنوبى رأس الحد .(٥٢)

٦٣ – ومع أن لوريمر لم يتوخ الدقة فى بعض التفصيلات التى يرويها عن حكم سعود ، إلا أن النتيجة العامة التى يصل إليها صحيحة :

ان اتجاه الحكومة الوهابية فى نجد . . . كان فى جوهره اتجاه تمدن وحضارة . وكان من بين أهدافهم الرئيسية التى وضعوها نصب أعينهم إقامة الأمن والنظام ، وإخماد الحروب المحلية والمنازعات الشخصية وإحلال عقوبات تفرضها الدولة وتعويضات تمنحها بدلا من تلك الحروب والمنازعات .(٥٣)

٦٤ – يقول المؤرخ العربى ابن بشر ، إنه فى أيام سعود كان الراكب والراكبان والثلاثة يسيرون بالأموال العظيمة من الدرعية أو غيرها فى وسط جزيرة العرب إلى أقصى أطراف اليمن أو إلى ينبع على البحر الأحمر أو إلى عمان أو فى أى اتجاه آخر لا يخشون أحداً إلا الله .(٥٤)

٦٥ – تتضح سيطرة سعود على القبائل من قصة رواها ابن بشر تبين أيضاً كيف كانت هذه السيطرة مستندة إلى مقام سعود بوصفه زعيماً إسلامياً كبيراً . ففى سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) أى فى السنة السابقة لوفاة سعود ، اجتمع فى حضرته رئيسا قبيلتى مطير وعنزة القويتين – وكان بين القبيلتين سابقا عداء شديد – وقال رئيس لآخر : احمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذى أطال الله عمرك بسببه وكساك الشيب بعد أن كان آباؤكم لا يشيبون ولا ينتهون إلى حده . فرد عليه الآخر قائلا : أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذى كثر الله بسببه مالك وسلم عيالك ولولا ذلك لم تملك ما هنالك ،

---

(٥٢) مختارات بمباى ، ص ٤٣٥ .
(٥٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٠٦٤ .
(٥٤) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٢ .

ولا نزلت فى تلك الديار ولا استقر بك فيها قرار . فانتهض سعود وزجرهم وذكرهم ما أنعم الله عليهم به من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات والدروس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما أعطاهم الله فى ضمن ذلك من الأموال وكثرة الرجال وأمان السبل ، وإن الرجل من البوادى وغيرهم يترك خيله وإبله فى أى موضع شاء لا يخشى عليها إلا الله تعالى . فكف الرئيسان عن التحدث بالطريقة التى بدآ بها واستأنفا الحديث بشكر الله على ما أعطاهم وأولاهم من النعم وأزال عنهم من الظلم والجور والقتال والعدوان والإثم(٥٥) . إن هذه القصة تتفق تماماً وقول لوريمر إنه قد اعترف بأن سلطة سعود « يتمثل فيها المبدأ الوهابى بصورة واضحة ، ولهذا السبب فقد أذعن الناس لإرشاداته بمحض اختيارهم »(٥٦) .

٦٦ – يورد ابن بشر تفصيلات عن جباية الزكاة على يد الحكومة السعودية فى أيام حكم سعود ، ولهذه أهمية خاصة من حيث أنها توضح أن أسلوب الجباية من قرن ونصف قرن هو نفس الأسلوب الذى تتبعه الحكومة السعودية فى الوقت الحالى . وليس هذا عجيباً إذ أن الطريقة التى كانت متبعة والتى تتبع الآن مستمدة من سنن الدين الإسلامى فى أيامه المبكرة . ومما يذكر أن جوهر الدعوة إلى التوحيد هو الرجوع إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح . ومما يشهد على صدق البيانات التى أوردها ابن بشر أن مصدره فى هذه الحالة بعض خواص سعود ممن قد صار كاتباً عنده . وقد اعتادت الحكومة أن ترسل أكثر من سبعين جماعة لجباية الزكاة على الإبل والغنم من بدو جزيرة العرب . ويقول ابن بشر بالتحديد إن الزكاة كانت تجبى من منطقة عمان ، حيث كانت البريمى مركزاً لهذا النشاط وغير ذلك من الأعمال الحكومية . وكانت

---

(٥٥) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٢ .

(٥٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٠٦٣ .

كل جماعة لجباية الزكاة تتألف من سبعة رجال هم أمير وكاتب وحافظ دفتر (ولابد أن الدفتر يشبه إلى حد كبير الدفاتر المصورة فى المجلد الثالث من هذا العرض) وقابض للدراهم (مسئول عن الأموال التى تباع بها الإبل والغنم التى تسلم زكاة عينية) وثلاثة رجال خدام. والجماعات السبعون التى تعمل بين البدو هى بالإضافة إلى الجباة الذين يرسلون إلى المدن والقرى لجمع الزكاة المستحقة على غلة الزراعة وكذلك الجباة المسئولون عن الزكاة على العروض التجارية . . . إلخ. ويقول ابن بشر إن حصيلة الضرائب التى كانت تسلم إلى العاصمة فى الدرعية من عمان ومن جهات الدولة الأخرى قد بلغت مقادير لا يستطيع أحد عدها. فقد جمعت جماعة واحدة ٤٠,٠٠٠ ريال وثمانى أفراس من الخيل الجياد فضلا عن نفقات الجباة، وقد دفع كل هذا بحرية وعن طيب خاطر من قسم واحد من قبيلة واحدة. ومن الأغراض التى كانت الحصيلة تستخدم فيها، دفع نفقات مخافر الدولة وقواتها العسكرية المرابطة فيها، مما يدل على أن مبدأ «لا جباية إلا بحماية» كان يراعى بأمانة[٥٧].

٦٧ – كان بين الموظفين الآخرين الذين استقروا فى البريمى أيام حكم سعود قضاة شرعيون لعبوا دوراً هاماً فى الإدارة السعودية. وكان المتبع أن يعمل القاضى نحو سنة يحل محله بعدها قاض آخر[٥٨]. وكان الشيخ عثمان بن عبد الجبار آل شبانة من القضاة الذين أرسلهم سعود، وكان رجلا تقياً وعالماً له منزلة عالية من التقدير، وقد سبق له أن عمل قاضياً لمقاطعة عسير الواقعة على البحر الأحمر أيام حكم كل من عبد العزيز وسعود[٥٩]. وهناك قاض آخر أرسله سعود هو الشيخ محمد بن مقرن آل فطاى الدوسرى، وقد عمل قاضياً لعسير أيضاً[٦٠].

(٥٧) ابن بشر، مجلد ١، ص ١٧٣.
(٥٨) ابن بشر، مجلد ١، ص ١٧٦.
(٥٩) يقدم ابن بشر مجملا لسيرة الشيخ عثمان، مجلد ٢، ص ٢٩ – ٣٠.
(٦٠) ابن بشر، مجلد ٢، ص ١٣٣ – ١٣٤.

٦٨ ـ مما يدل على التقدير الرفيع الذى كان أهل البريمى يضمرونه لسعود ، القصيدة التالية التى نظمها شاعر فى المنطقة مشيداً بشمائله :

إذا جزت باب السيف تلقاه فارسا — وإن جزت باب العلم تلقاه عالما
وإن جزت باب الخوف تلقى مخافة — وإن جزت باب السلم تلقى مسالما
وإن جزت باب الدين تلقى ديانة — وإن جزت باب الحكم تلقاه حاكما(٦١)

٦٩ ـ إن ولاء الداخلين فى الدعوة إلى التوحيد فى شرق جزيرة العرب يتضح من تاريخ قبيلة بنى بو على التى تقع منازلها أبعد عن وسط الدولة من أى قبيلة أخرى . فقد سافر رئيس القبيلة نفسه ، سالم بن على آل حمودة ، إلى الدرعية لكى يتشرب تعاليم حركة الإصلاح من منبعها . وبعد عودته إلى موطنه الأصلى ، جاهد طويلا بإخلاص ليغرس هذه التعاليم فى عقول أتباعه وقلوبهم . وقد وجه الإمام سعود فى أثناء حكمه عناية خاصة إلى القبيلة كما فعل خلفاؤه من بعده . كذلك حرص الأمراء السعوديون فى البريمى من أيام مطلق المطيرى وما بعدها على أن يعاملوا أفراد هذه القبيلة إخوة أشقاء فى الأيمان.(٦٢) وقد تحمل رجال القبائل نصيبهم من العبء عندما قاوموا مقاومة عنيفة بعد بضع سنين أمام الاعتداءات التى شنها عليهم البريطانيون وحاكم مسقط .

---

(٦١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ١٧٤ .
(٦٢) « عقود الجمان » ص ٨٠ — ٨٣ .

٥ – حكم الإمام عبد الله بن سعود ١٢٢٩ – ١٢٣٣هـ (١٨١٤ – ١٨١٨ م)

٧٠ – مع أن عبدالله نجل سعود الكبير وخليفته كان مدة حكمه القصيرة دائم القلق ، لاستفحال خطر اعتداء محمد على باشا فى الغرب ، فقد تمكن من الاحتفاظ بالقاعدة السعودية فى البريمى . وقد كان تنظيم الدولة السعودية ملائماً لرغبات رعاياها وأسلوب معيشتهم ، بحيث أن جهاز الحكومة كان حسن السير فى مناطق كالبريمى لم تتأثر نسبياً بالصراع . فاستمر السكان يتمتعون بالأمن والاطمئنان اللذين تعودوا عليهما تحت الحكم السعودى . وكان ولاؤهم الراسخ عوناً للأمراء السعوديين على إدارة الأمور دون حاجة إلى مساعدة كبيرة من العاصمة . وكان يجرى جمع الزكاة سنوياً من العربان ومن سكان القرى . وعين عبد الله بن سعود ، كما كان يفعل أسلافه ، قضاة للبريمى ، وقد كان من بين هؤلاء الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين والشيخ إبراهيم بن سيف .[١] واستمر وكيل فى تمثيل الحكومة السعودية فى بلدة مسقط حيث لم يكن الحاكم هناك قوياً بدرجة تمكنه من تحدى السعوديين طيلة مدة بقاء دولتهم متماسكة فى الشرق .

٧١ – جمع عبد الله بن مزروع عدداً كبيراً من عربان إقليم البريمى للقيام بحملة تجاه الجنوب الشرقى ، ولما وصل إلى عمان الداخلية توجه حاكم مسقط عابراً الجبال لمقاومته . إلا أن تطورات مفاجئة وقعت فى الباطنة وضعت حداً لهذه المقاومة إذ كان حاكم مسقط أكثر اهتماماً بشئون الساحل منه بشئون الداخل .[٢]

---

(١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٣٩ وظهرها .

٧٢ – وفى عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤) اشترك حاكم مسقط وزعيم أهالى بنى ياس فى أبو ظبى بعمليات ضد رأس الخيمة . وكان مسلك بنى ياس مدعاة لأن يعلق عليه المعتمد البريطانى اللفتننت بروس بقوله : « إن مخادعة هذه القبائل بمسلكها المزدوج . . . من العسير تفسيرها . . . »[٣]

٧٣ – وقد خلف بتال المطيرى عبد الله بن مزروع أميراً على البريمى ، واستمر فى منصبه هذا حتى سقوط الدرعية ونهاية حكم عبد الله بن سعود .

٧٤ – وإذ اشتدت وطأة الضغط من قبل جيش محمد على باشا بقيادة ولده إبراهيم باشا ، اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب رجال نجد من القاعدة السعودية فى البريمى . أما ولاء الأهالى فى إقليم البريمى للقضية السعودية فقد تجلى عندما توجهت « فرقة كبيرة من القبائل الغافرية فى الظاهرة » إلى نجد لتكون تحت قيادة عبد الله فى عاصمته الدرعية .[٤]

٧٥ – إن صلابة العقيدة التى تمسك بها أتباع الدعوة إلى التوحيد فى أطراف الدولة السعودية تتمثل فى التقرير الذى وضعه الرحالة البريطانى المعروف جيمز سلك بكنجهام عن الحالة فى الصحراء الشامية عام ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) حين تعرض معقل الحركة المركزى لضربات عنيفة وجهتها قوات محمد على باشا .

> . . . كان جزء جزيرة العرب الأعلى جميعه ، من المدينة والدرعية إلى حدود حوران الشرقية حتى تدمر مغطى بالوهابيين أصحاب الفرقة التى تحول إليها جميع العرب تقريباً فى قلب الصحراء حيث كانوا يتزايدون وينتشرون فى كل اتجاه .[٥]

---

(٣) منتخبات بمباى ، ص ١٨٥ .

(٤) مايلز « البلدان والقبائل » مجلد ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٥) بكنجهام « رحلات بين القبائل العربية » (١٨٢٥ م) ص ١٠١ – ١٠٢ .

٧٦ — قامت عدة سفن بريطانية بهجوم عقيم على رأس الخيمة فى عام ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) وقد ذكر بكنجهام ، الذى كان يصحب هذه الحملة البحرية بوصفه مترجماً ، عن سكان الداخل ما يلى :

> ان جميع هؤلاء الناس من المسلمين الذين يتبعون الفرقة الوهابية قد وقفوا أنفسهم على الإخلاص لدينهم ، وهم على استعداد فى جميع المناسبات لأن يقذفوا بأنفسهم فى غمار المعارك دفاعاً عن عقيدتهم . (٦)

٧٧ — وفى عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) قام محمد ، الابن الأكبر لشخبوط ، بخلع والده رئيس أبو ظبى ، ولم يمض وقت طويل حتى واجه محمد معارضة من أخيه الأصغر طحنون الذى تبنى قضية والدهما . (٧)

٧٨ — ولما اقترب جيش إبراهيم باشا من الدرعية بذل أهالى شرق جزيرة العرب كل جهد لمساعدة دعاة الدعوة ، فبعث القواسم فى الساحل الجنوبى الشرقى بسبعة عشر مركباً بحرياً ، فيها عدد كبير من الرجال ، إلى القطيف معونة عسكرية للدولة السعودية ، إلا أنها وصلت بعد الأوان . (٨)

٧٩ — وفى عام ١٢٣٣ هـ (نوفمبر ١٨١٨ م) استسلمت العاصمة السعودية ونقل عبد الله بن سعود أولا إلى القاهرة ثم إلى اسطنبول ، حيث أعدمه الأتراك . وبذلك انتهت الفترة الأولى للدولة السعودية بعد ثمانين عاماً تقريباً من تأسيسها فى نجد وبعد عشرين عاماً من إقامة العاصمة الإقليمية فى البريمى . وكان الفرح يأخذ الموظفين البريطانيين المعاصرين — بعضهم على الأقل — لو كانت هذه النهاية خاتمة المطاف . وكتب المستر فرانسس واردن عضو المجلس فى بمباى حينئذ يقول « بذلك قامت وانهارت الفرقة الوهابية الغريبة ويرجى ألا تقوم لها

---

(٦) بكنجهام « أسفار فى آشور وميديا وفارس » (١٨٢٩ م) ص ٤٧٨ .
(٧) منتخبات بمباى ، ص ٤٦٤ .
(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٧ .

قائمة »[٩] . إلا أن هذا الأمل ظهر أنه أمل واه كما سيتضح ذلك فى السياق . وقد كتب الحاكم البريطانى العام فى الهند إلى إبراهيم باشا يهنئه قائلا :

. . . ان الهزيمة والانهيار الكامل لدولة ما ، بعد ارتفاع سريع غير عادى إلى درجة من السمو ، مما يدعو إلى السرور أن تتفردوا فخامتكم بإخضاعها .[١٠]

كما أعرب القنصل البريطانى العام فى القاهرة هنرى سولت بعبارات أقوى عن سروره لانهيار ما سماه :

. . . عصابة من اللصوص أثبتت أنها أكثر تعصبا وتزمتاً وأشد عداوة لتقدم الحضارة من أتباع الدين الذين حاولت هذه العصابة أن تحل محلهم .[١١]

وعلى النقيض من هذه الأقوال نجد أن الكلمات التى وجهها عبد الله بن سعود إلى آسره تفيض بالإباء وبالإيمان ، إذ يقول له :

انك عظيم يا ابراهيم باشا ، ووالدك أعظم منك ، ثم أن السلطان محمود أعظم منه . . . إلا أن الله أعظم منكم جميعاً[١٢] .

---

(٩) منتخبات بمباى ، ص ٣٤٦ .

(١٠) سادلير « يوميات رحلة عبر جزيرة العرب » (١٨٦٦ م) ص ١٣٣ .

(١١) اقتباس دودويل من ملفات وزارة الخارجية البريطانية فى « مؤسس مصر الحديثة » (١٩٣١ م) ص ٤٩ .

(١٢) مقتبسة من المحفوظات الفرنسية فى أدوار دريو «تأسيس امبراطورية محمد على» (١٩٢٧ م) ص ١٣٢ .

٦ـ فترة خلو العرش ١٢٣٣ ـ ١٢٣٤هـ (١٨١٨ ـ ١٨١٩ م)

٨٠ ـ استمر التأييد للدعوة إلى التوحيد على قوته فى البريمى والساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى بالرغم من سقوط الدرعية ونفى عبد الله بن سعود وإعدامه . وقد لجأ إلى هذا الإقليم ، هرباً من طغيان الفاتحين ، كثيرون من آل سعود ومن أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده.[١] وفى عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) تناهى إلى علم الكابتن سادلير فى مسقط أن ثلاثمائة من الجنود فروا من الدرعية إلى الساحل الجنوبى الشرقى وقد ذكر هذا العدد فيما مضى بأنه بلغ خمسة عشر ألفاً .[٢] وكان من بين هؤلاء الرجال عبد الله بن مزروع أحد أمراء البريمى السابقين .

٨١ ـ وقع بتال المطيرى أمير البريمى فى ورطة خطيرة بسبب قلب الدولة السعودية . وقرر أن يزور حاكم مسقط . ويذكر الكابتن سادلير الذى كان فى مسقط عند وصول بتال أن هذا الأمير فى نظره قد « أذعن لسياسة ذلك الوقت وليس لشجاعة قوات صاحب العظمة (حاكم مسقط) » .[٣] وقد سمع سادلير أن القصر السعودى فى البريمى كان« قصراً منيعاً جداً له برجان ومبنى بالحجر يحيط به خندق عميق جداً » .[٤] ومع أنه لا توجد معلومات مفصلة بصدد الترتيبات التى تمت ، إلا أنه ظاهر من المعلومات التى أعطيت لسادلير ، أن اتصالا قد تم بين مسقط والبريمى ، ولكن هذه الأوضاع لم تدم إلا فترة وجيزة (الفقرة

(١) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢١٣ و ٢٢٣ . « عقود الجمان » ص ٨٤ .
(٢) سادلير « يوميات » ص ١١ ، ص ١٤٥ .
(٣) سادلير « يوميات » ص ٨ .
(٤) سادلير « يوميات » ص ٨ .

١٠١ اللاحقة) . ويجب أن يؤكد فضلا عن ذلك أن هذا الاتصال القصير لم ينتج عن الفتح أو عن أى تعبير عن رغبات السكان بل كان مجرد عمل سياسى من جانب أمير البريمى السعودى الذى وجد نفسه بلا معين بسبب ذلك الأفول الموقت الذى طرأ على حكومته المركزية .

٨٢ — كرس البريطانيون فى الهند الكثير من التفكير والبحث لوضع سياسة جديدة للخليج الفارسى على أثر الانتصار الذى أحرزته قوات محمد على باشا على الدولة السعودية .

> إن حكومة بمباى التى لم تنظر بعين الرضاء إلى احتمال تدخل المصريين فى شئون الخليج ، وافقت على ما يظهر على خطة يكون بموجبها سيد عمان (حاكم مسقط) مسئولا عن مستقبل ساحل القرصنة وجزائر البحرين كما أن عليه مقابل ذلك أن يسمح بإقامة مقر بريطانى فى جزيرة القسم يدفع هو نفقات صيانته .(٥)

وإنه لمما يلفت النظر بشكل خاص ما أثير من الاهتمام لاحتمال وضع البحرين تحت سلطة حاكم مسقط وذلك على ضوء البيانات البريطانية التى صدرت قبل هذا الوقت وبعده مشيرة إلى أن هذا الحاكم لا حق له إطلاقاً فى هذه الجزائر (الفقرة ٢٥ السابقة والفقرة ٨٧ اللاحقة) . ولم يوافق الموظفون البريطانيون كلهم فى الهند على الخطة الموضوعة المتقدم ذكرها ، وإن السكرتير الرئيسى المستر فرانسس واردن ، وهو الذى قد قام بدراسة خاصة للحالة فى الخليج الفارسى ، بسط آراءه عام ١٢٣٤ هـ (١٢ أغسطس سنة ١٨١٩ م) :

> يرى المستر واردن ، بعد أن تناول باسهاب ضعف سيد عمان (حاكم مسقط) وعدم استقراره ، أنه أقل الزعماء جدارة بأن يمنح أى نوع من أنواع السيادة فى الخليج ، وما من شك فى أنه كان محقاً عند ما أصر على أنه ليس للسيد ادعاء مشروع بالسيادة على ساحل القرصنة .(٦)

---

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٩ .

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٥٩ ، هامش (على ص ٦٦٠) .

٨٣ ـ أصدر إبراهيم باشا أمره فى أوائل صيف ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) بهدم الدرعية العاصمة السعودية . ويشير ابن بشر إلى أن الدرعية فى أيام عظمتها كثيراً ما كانت مقصداً لأهالى عمان ومن بينهم بلا شك سكان البريمى[٧] .

(٧) ابن بشر ، مجلد ١ ، ص ٢١٤ .

٧ ـ البعث الأول للدولة السعودية ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥هـ (١٨١٩ـ ١٨٢٠ م)

٨٤ ـ دام احتلال قوات محمد على باشا الفعلى لنجد مدة سنتين فقط وأجلى معظم هذه القوات عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) ونجح أحد زعماء نجد المدعو محمد بن مشارى بن معمر ، من أتباع الدعوة إلى التوحيد ، فى إعادة تأسيس نوع من الحكم الوطنى .

٨٥ ـ وانتصار قوات محمد على باشا فى أواسط جزيرة العرب قد شجع البريطانيين وحاكم مسقط على القيام بأعمال عسكرية أكثر اتساعاً من أية عمليات سبق لهم أن قاموا بها فى أيام الدولة السعودية القوية . فقامت قوة برية بحرية بريطانية بمهاجمة رأس الخيمة الواقعة على الساحل الجنوبى الشرقى ، وأرسل حاكم مسقط جنوداً لم يصلوا إلا عقب الاستيلاء على البلد « وبناء على طلب الجنرال البريطانى فقد أعيدوا فى الحال إلى ديارهم خشية أن يؤدى وجودهم إلى مصاعب ، وأيضاً نظراً لندرة المؤن » .[١]

٨٦ ـ وقد استدعى البريطانيون عقب انتصارهم فى رأس الخيمة الزعماء العرب على الساحل الجنوبى الشرقى لتوقيع اتفاقية صلح عامة عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م).[٢] ولم تكن الحكومة البريطانية فى بمباى تنظر إلى شروط هذه المعاهدة بارتياح . ويقول لوريمر « لقد كان واجباً فى رأيها عزل أكبر الشيوخ

---

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٦٧ .

(٢) النص الانكليزى فى معاهدات ايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩ . النصان العربى والانكليزى فى « المعاهدات الجارية فيما بين دولة البهية البريطانية ومشايخ المتصالحين » (١٩٠٦ م) ص ٥ ـ ٨ (انكليزى) ص ٥ ـ ٨ (عربى) .

ذنباً من مراكز السلطة التي يتمتعون بها ، وإحلال زعماء محليين آخرين في مكانهم أو إحالة ممتلكاتهم إلى سيد مسقط . . . »[٣] .

٨٧ – واستغل حاكم مسقط مسألة تعاونه مع البريطانيين في حملة عام ١٢٣٤ﻫ (١٨١٩ م) للتقدم بادعاء آخر للسيطرة على البحرين ، غير أن لوريمر يقول « كانت السلطات البريطانية حريصة على تجنب ما من شأنه تأييد ادعاءات السيد سعيد ، وحتى التظاهر بذلك ».[٤]

٨٨ – وفي نجد قام بتولي السلطة عام ١٢٣٥ ﻫ (١٨٢٠ م) زعيم آخر ، هو مشاري ، الأخ الأصغر لعبد الله بن سعود المتوفى . وقد اعترف به ابن معمر حاكماً ، ولكن الحالة ظلت مضطربة لدرجة أن الزعيمين كليهما لقيا حتفهما قبل انتهاء السنة ، وبذلك بدأت فترة أخرى قصيرة كان العرش فيها خالياً .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٧٣ .
(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١٩٩ .

٨ ـ فترة خلو العرش ١٢٣٥ ـ ١٢٤٠هـ (١٨٢٠ ـ ١٨٢٤م)

٨٩ ـ قرر محمد على باشا إرسال قوات كافية إلى نجد لإعادة أحتلال البلاد بشكل فعال . ولقد كان مسلك حامية الباشا جائراً ، وحان الوقت قبل مضى سنوات قليلة لبعث الحكم السعودى على نطاق واسع . وقد كان يمكن أن يحدث هذا قبل ذلك لو أن الغزاة لم يعمدوا إلى اتخاذ إجراءات صارمة لقهر سلطة آل سعود بقتل بعض أبنائه البارزين وإرسال آخرين منهم إلى المنفى .

٩٠ ـ وانضم البريطانيون فى عام ١٢٣٥ هـ (نوفمبر ١٨٢٠ م) إلى حاكم مسقط فى عملية عسكرية أخرى . وكانت هذه المرة عن طريق البر موجهة إلى قبيلة بنى بو على الموالية لآل سعود والمقيمة فى شرق عمان . ويشير ضابط بريطانى ، اللفتننت هنرى أورمزبى من البحرية الهندية ، زار القبيلة عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، إلى « اعتدائنا الذى لا مبرر له » بالقيام « بحملة أقل ما يقال فيها إنها كانت مؤسفة وغير موفقة » .[١] وكانت هذه القبيلة من أكثر القبائل بسالة فى جميع أرجاء البلاد ، فصمدت فى أماكنها ، وألحقت بالمهاجمين هزيمة منكرة . وإن مؤرخ البيت الحاكم فى مسقط لا يطرى الخصائص العسكرية التى كان يتمتع بها حلفاء مسقط ، فهو يقول :

> فلما رأى السيد (حاكم مسقط) انفلال شوكة الانجرز (الانكليز) ورقة عزايمهم وقلة من ثبت معه من قومه أمر بالمسير إلى مسقط .[٢]

---

(١) ولستد « رحلات إلى مدينة الخلفاء » (١٨٤٠ م) مجلد ١ ، ص ٢٩ و ٣١ .

(٢) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٤٤ وظهرها .

ويقول اللفتننت أورمزبى عن رد فعل أنباء النتيجة لدى الحكومة البريطانية فى الهند :

> أبديت دهشة غير ضئيلة فى الهند لدى وصول معلومات عن حدوث هذه الكارثة . ان أحداث حروبنا الهندية ليس فيها مثل هذه الكارثة . كلا ، فلو راجعنا تاريخ الحملات الهندية لوجدنا أن البريطانيين انتصروا فى غالب الأحيان على قوات تفوقهم عدداً ، أما هنا فقواتنا التى أحضرت للعمل كانت تقريباً تتساوى فى العدد مع القبيلة المعادية ، بالإضافة إلى مساعدة قوات الإمام .(٣)

٩١ – وإذ رأت حكومة بمباى « من الضرورى استعادة سمعة بريطانيا العسكرية فى عمان »(٤) بعثت بجيش أكثر قوة إلى مكان الصدام الأول ، يصحبه مرة أخرى حاكم مسقط . وكان الحاكم يشك كثيراً فى شجاعة البريطانيين ، كما خامرت البريطانيين الشكوك فى قيمة مؤازرته لهم حتى قالوا له « امكث أنت وقومك فى معسكرك ونحن نمضى إلى بنى أبى على ولا نريد أن يصحبنا أحد من العرب إلا دليلا يدلنا على الطريق المفضى إلى بلدهم ».(٥) وعاد أنصار الدعوة إلى التوحيد مرة أخرى للقتال ببسالة ، إلا أن سيوفهم هذه المرة لم تكن متكافئة مع أسلحة الغربيين النارية . وهناك ضابط بريطانى واحد فى الحملة ، على الأقل ، شعر بالأسف لهذا الانتصار الذى أحرزه هو وزملاؤه ، إذ قال :

> يفتقر أهل مسقط وكثير من رعايا الامام (حاكم مسقط) ممن ليسوا بوهابيين ، مع أنهم فى الظاهر متساوون هم والوهابيون فى الصفات والعادات ويعيشون فى مناخ واحد ويتغذون بغذاء واحد ، يفتقرون إلى الشجاعة المثلى التى اتصف بها الوهابيون أيام تفوقهم وأيام دخول الوهن فى مصيرهم أخيراً . وإذا نظرنا إلى ما يحيق بفارس والبلدان المجاورة لها من الانحلال الخلقى المريع ، لم نستطع إلا أن نأسف أبلغ الأسف إذ كنا من الأسباب الفعالة فى تحطيم أشخاص مصلحين كالوهابيين .(٦)

---

(٣) ولستد « رحلات إلى مدينة الخلفاء » مجلد ١ ، ص ٣٤ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٤ .

(٥) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٤٥ .

(٦) مقتطفة من جيمس فريزر « سرد لرحلة فى خراسان » الملحق (أ) ص (١٣) .

وقد أحسن البريطانيون معاملة الأسرى الذين وقعوا فى أيديهم ، غير أن الأسرى الثمانين الذين وقعوا فى قبضة سلطان مسقط لاقوا فى النهاية حتفهم جوعاً وعطشاً[٧] .

٩٢ ـ ومن الممكن القول بأن سعيد بن سلطان عقب هذه الانتصارات وصل إلى ذروة قوته فى شرق جزيرة العرب ، ولم يسبق له أن تمتع فى أية مرحلة من مراحل عهده الذى استمر خمسين عاماً ، بانطلاق يده فى العمل كما تمتع فى هذا العام . على أنه حتى فى هذا الوقت كانت سلطته مقصورة على الساحل فقط ، ولم تتطرق إلى أى مدى فى الداخل يستحق الذكر . إن المكانين الوحيدين الواقعين بعيداً عن الساحل واللذين تمكن لوريمر المؤرخ البريطانى الرسمى أن ينسبهما لسلطة سعيد فى ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) هما نخل والرستاق ، وكلاهما يقع على جانب من سلسلة جبال عمان المنحدرة فى اتجاه البحر . ثم يقول لوريمر : « ليس فى الإمكان التأكد من أن أى من الحصون الأخرى فى البلاد كان فى حوزته فى هذا الوقت أو تحت سلطته المباشرة »[٨] .

٩٣ ـ أشار لوريمر إلى قوة الشعور الموالى للسعوديين فى الإقليم الذى هو موضوع البحث ، حتى فى مثل هذه المرحلة من هبوط أسهم البيت السعودى ، فقال : « إنه على الرغم من ذلك ، كان الواقع أن عدداً كبيراً من الناس عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) ما زالوا يميلون نحو الوهابية »[٩] .

٩٤ ـ وفى أوائل صيف ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) استقر تركى بن عبد الله أحد أبناء عمومة سعود الكبير فى مكان لا يبعد كثيراً عن العاصمة السعودية

---

(٧) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٤٥ .
(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٠ .
(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .

القديمة فى نجد ، وقد هرع الناس إلى تأييده ، وأحرز من التقدم ما أدى إلى تكوين نواة قوية لحكومة سعودية جديدة بعد بضعة أشهر .

٩٥ — ومع أن سعيد بن سلطان قد وصف مراراً بأنه من أعظم حكام عصره فى جزيرة العرب فإن اللفتننت جون ماكلاود المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى قدر فى عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) قوة حاكم الشارقة العسكرية — والشارقة دولة صغيرة جداً — بأنها أكبر من قوة سعيد .(١٠)

٩٦ — وفى عام ١٢٣٩ هـ (نهاية عام ١٨٢٣ م) نهبت بلدة أبو ظبى على يد أحد الزعماء المخلوعين هناك بمساعدة بعض المنتمين إلى قبيلة المناصير(١١) .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .
(١١) مختارات بمباى ، ص ٤٦٥ .

٩ ـ حكم الإمام تركى بن عبد الله ١٢٤٠ ـ ١٢٥٠ هـ (١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ م)

٩٧ ـ فى عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) قام تركى بن عبد الله بطرد حامية محمد على باشا من الرياض ، وانقادت لحكمه بلاد نجد ، وبذلك افتتح تركى بداية العهد الثانى العظيم للدولة السعودية . وبدلا من أن يحتفظ تركى بالدرعية العاصمة القديمة فقد اتخذ الرياض مركزاً له وبقيت منذ ذلك الحين المقر الرئيسى لآل سعود .

٩٨ ـ ويصف ابن بشر تركى بن عبد الله وآله بأنهم الذين أعاد الله بهم الإسلام بعد غربته . ولم يكن الناس قبل عهد تركى ليستطيعوا أن يناموا داخل بيوتهم لانعدام الطمأنينة فى البلاد . غير أن تركى وضع حداً للتفرقة السائدة ، واتحد الناس تحت لوائه بعد أن كانوا شيعاً ، ينابذ بعضهم بعضاً .[١] وتشيد المصادر البريطانية بما امتاز به عهد تركى من فوائد وذلك فى مجال وصفها للإدارة السعودية فى الحسا عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) (الفقرة ١٠٧ اللاحقة) .

٩٩ ـ ويذكر ابن بشر أن تركى كان يبعث بالعمال لجمع الزكاة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . وقد تناول الإمام السعودى الأسس الإسلامية للزكاة فى رسالة وجهها إلى إخوانه المسلمين ، كما كانت توزع رسائل مماثلة لها كل عام فى جميع أرجاء المملكة كيما يتسنى للناس فهم المبادئ التى تسترشد بها الدولة :

> إن الله هو الذى ولانى أمركم . . . فالذى أوصيكم به تقوى الله فى السر والعلانية . . . وأعظم فرائض الله بعد التوحيد الصلاة . . . وكذلك الزكاة ، بعض الناس يبخل بها أو يستخف بها وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى « والذين

---

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٥٤ .

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون»[٢] . . . ونصاب الزكاة تفهمونه ، وعروض التجارة مثل الزرع الذى يدخره صاحبه . . . والله تعالى يبتلى الغنى بالفقير ، وطلب منكم اليسير فمن أداها فنرجو أن الله يقبلها منه ، ويخلفها عليه . ومن مكر بها فالله خير الماكرين .[٣]

١٠٠ — ولم تكد الدولة السعودية تستعيد مكانتها فى نجد ، حتى قام بعض رؤساء الشاطئ الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى بإظهار موالاتهم لتركى الذى كانوا على اتصال به . وكان أظهر هؤلاء نشاطاً القواسم فى الشارقة ونعيم فى عجمان[٤] .

١٠١ — وفى عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤ م) وقع خلاف بين حاكم مسقط وحاكم الشارقة حول البريمى التى يقول لوريمر إنها « قد أعلنت أراضى محايدة بموجب معاهدة سابقة بينهما »[٥] . ويقول لوريمر إن سبب الخلاف على ما يظهر كان يعود إلى العمل الذى قام به حاكم الشارقة ببناء بعض الأبراج أو الاستيلاء عليها فى البريمى ، وهكذا يرينا أن علاقة مسقط بالبريمى التى بدأت فى عام ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) (الفقرة ٨١ السابقة) ، كانت فى طبيعتها علاقة موقتة جداً . وفى غضون أربع سنوات أو أقل ، عندما لم تكن هناك حكومة سعودية قوية فى نجد ، تمكن حاكم الشارقة من تركيز نفسه فى البريمى فى وضع أقوى من ذلك الذى كان لحاكم مسقط مما حمل الأخير على الاعتراف بحياد الواحة وذلك فى وثيقة رسمية ويظهر من هذا عدم وجود أى حق له فيها . وفى ١٢٤٠ هـ (ديسمبر ١٨٢٤ م) تصالح الطرفان على أساس هدم الأبراج

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ — ٣٥ .

(٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٥٧ — ٥٩ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٧ .

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٥ . انظر أيضاً مختارات بمباى ، ص ٣١٧ .

التى بناها حاكم الشارقة فى البريمى . ومع أن الخطوات قد اتخذت لتنفيذ هذا الشرط إلا أنه يلوح أن الموضوع فى النهاية لم ينته إلى نتيجة إيجابية(٦) . وعلى أى حال فسرعان ما قيض للبريمى أن ترحب بأمير سعودى آخر وبذلك لم يكن لهذه المناورات المتوالية أى تأثير دائم فى حياة ذلك المكان .

١٠٢ — وفى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) كان المناصير ذوى نشاط فى ما يجاور الحسا من أماكن .(٧) إن التحركات التقليدية لهذه القبيلة منذ قرن مضى ما زالت هى نفسها اليوم .

١٠٣ — وفى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) قام سعيد بن سلطان حاكم مسقط بأولى رحلاته إلى إفريقيا الشرقية. (٨)وانهمك من هذا الوقت حتى وفاته فى عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) بشئون الإمبراطورية التى كان يؤسسها فى إفريقيا الشرقية وبعاصمته هناك ، زنجبار . وقضى أكثر من ثلثى أعوام باقى حياته وهو إما على ظهر السفن أو فى ممتلكاته الافريقية .(٩) وفى السنين الأخيرة من حياته أصبح يعتبر زنجبار — لا مسقط — وطناً له.(١٠)إن التاريخ المسرود فيما تقدم يوضح أن سعيداً لم يكن إبان الجزء الأول من عهده وخلال إقامته فى مسقط قوياً كل القوة فى عمان الداخلية كما كان يعتقد فى بعض الأحيان . وفى خلال الجزء الثانى من عهده أخذ نفوذه فى عمان يزداد ضعفاً عن ذى قبل . ويقول لوريمر : « إن مركزه فى عمان بعد أن تخلى عن أمرها وأوكل الإدارة إلى أوصياء

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٦ .

(٧) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣١ .

(٨) يدون التاريخ الصحيح لهذه الرحلة ، التى تؤرخ فى بعض المصادر عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٩ م) ، فى سعيد — روته « سعيد بن سلطان » ص ٥٢ .

(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٢ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥١ .

تعوزهم الكفاءة، أخذ يتدهور بدلا من أن يتقدم »[١١] وكان ذلك عقب رحلته الأولى إلى شرق إفريقيا . ويقول القس باجر ، الذى اشتهر بأنه أحد الثقات البريطانيين البارزين فى تاريخ مسقط ، إن غياب سعيد فى زنجبار باستمرار قد « ولد سلسلة من الاضطرابات الداخلية فى عمان وأضعف سلطته جداً فى تلك الأنحاء» .[١٢] ويجب ألا يغرب عن البال فى هذا الصدد أن سعيد بن سلطان كان أعظم حكام آل بو سعيد ، ولم يستطع أحد من خلفائه أن ينافسه فى اتساع الأراضى الواقعة تحت سلطته .

١٠٤ — وفى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) تألفت وفود قوامها ممثلون عن أهالى عمان ، وطلبت من الإمام تركى أن يبعث إليهم بأمير وقاض يلقنهم تعاليم الإسلام ، فقام تركى بتعيين عمر بن محمد بن عفيصان أميراً سعودياً جديداً فى البريمى والشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى قاضياً لها . ولما وصل هذان الموظفان هرع إليهما أهالى الإقليم لتحيتهما .[١٣] ومما هو جدير بالاهتمام أن سلطة الدولة السعودية فى هذه المرحلة قد أعيدت إقامتها فى البريمى نحو عامين قبل إعادة إقامتها فى إقليم الحسا الذى هو أقرب بكثير إلى نجد والذى هو فى العادة مركز فى الوسط يحافظ على المواصلات مع البريمى . ومن هذا الوقت فصاعداً استمر تركى فى التقليد الذى اتبعه أسلافه من الحكام السعوديين فأرسل قضاة إلى عمان فى مهمات دورية تستغرق سنة أو نحوها[١٤] .

١٠٥ — ولم يتخل حاكم مسقط حتى ذلك الوقت عن رغبته فى ضم البحرين . ففى عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) اشتركت قواته مع بنى ياس من

---

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤١ .

(١٢) باجر ، ص ٨٣ و ١٠١ من المقدمة .

(١٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣٣ .

(١٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٣ .

أبو ظبي في هجوم على هذه الجزائر إلا أن النتيجة برهنت على أن ذلك التحالف لم يكن ساراً . وفى هذا يقول لوريمر « إن نزول حلفائه بنى ياس الذى انطوى على التسرع وعلى ما يمكن وصفه بالخيانة ، قد أحبط خططه»(١٥) وعاد حاكم مسقط إلى بلاده بخفى حنين .

١٠٦ – وفى عام ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) عاد عمر بن محمد بن عفيصان إلى نجد تاركاً عبد الله بن سعود أحد أبناء القويعية فى نجد ليخلفه أميراً على البريمى.(١٦)

١٠٧ – أعيد تأسيس السلطة السعودية فى إقليم الحسا عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، وتصف سجلات حكومة بمباى تركى بن عبد الله بأنه كان يحكم فى هذا الوقت « بحصافة واعتدال » .(١٧) ويمدح لوريمر أيضاً الحكم السعودى فى إقليم الحسا ، فبعد الإشارة إلى طبيعة « التسامح والتوفيق » التى تميز بها هذا الحكم ، يقول « إن تغيير الحكام قد عاد بالفائدة على البلاد بنفس القدر الذى تلاشت فيه بسرعة الفوضى والحرب الأهلية التى استمرت أيام شيوخ بنى خالد»(١٨) ويشير لوريمر أيضاً إلى جمع الزكاة كالعادة من قبل الحكومة السعودية(١٩) .

١٠٨ – وأقام الإمام تركى بعض الوقت فى الحسا خلال عام ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) وقصده فى أثناء إقامته هناك كثير من زعماء عمان لزيارته(٢٠) . أما ابن عفيصان الذى كان قد عاد من مهمته فى البريمى فإنه عين أميراً للحسا

---

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٤٨ .
(١٦) « عقود الجمان » ص ٨٩ و ١٥٢ .
(١٧) منتخبات بمباى ، ص ١٥٤ .
(١٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٥٤ – ٩٥٥ .
(١٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٥٤ .
(٢٠) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٣٨ .

وكان هذا من أعلى المناصب فى الدولة . ويقول لوريمر إن عدداً كبيراً من عامة أهل عمان فى هذا الوقت « ابتهجوا بكل إخلاص لظهور الوهابيين » .[٢١]

١٠٩ – إن تضاؤل سلطة سعيد بن سلطان فى مسقط أصبح واضحاً ظاهراً عقب مغادرته لها فى زيارته الأولى لشرق إفريقيا ، إذ اندلعت الثورة على حكمه واضطرت الحكومة البريطانية أن تصدر تعليماتها إلى المعتمد الذى يمثلها فى الخليج الفارسى بأن يكون « مستعداً لتأييد ممثل الحاكم الغائب بجميع الوسائل المتوفرة لديه »[٢٢] وبالإشارة إلى الحالة السائدة آنئذ فإن سجلات حكومة بمباى تذكر « أن سلامة مسقط مهددة وخلاص تلك البلدة كان بتدخل الحكومة البريطانية » .[٢٣]

١١٠ – إن تركى ، كما جرت العادة عند الحكام من آل سعود ، رغب فى أن يتمتع بعلاقات مجاملة مع البريطانيين .

> جرت اتصالات ودية ، دلت على خلق متواضع قويم أظهره الأمير تركى بن عبد الله تجاه حكومة بمباى عام ١٢٤٧ ﻫ (١٨٣١ م) وعلى الرغم من أنه لم تكن هناك معاهدة موقعة تتمشى مع مقترحاته فإنه تلقى على رسائله جواباً ينطوى على المجاملة .[٢٤]

ويظهر أنه كان من عادة الحكومة البريطانية أن تفضل إرساء أسس سياستها العربية على اتصالاتها مع زعماء الدويلات الصغيرة الواقعة على أطراف شبه الجزيرة بدلا من أن توثق علاقاتها بحكام الداخل الذين يتمتعون بتأييد شعبي شامل .

---

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٨٨ .
(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٣ .
(٢٣) مختارات بمباى ، ص ١٢٦ .
(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٠٧ .

١١١ – وقد وصفت بلدة أبو ظبي في عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) بأنها لا تحتوى على غير أكواخ بدائية ما عدا بيت الرئيس الذى كان عبارة عن حصن صغير . وكانت سياسة الرئيس طحنون « تعارض إقامة بناء بالحجر إذ أنها تتيح لرعاياه فرصة الاستقلال عنه كما أنها فى الوقت ذاته تجعله أكثر تعرضاً لهجوم من ناحية البحر ».[٢٥]

١١٢ – وقد تقدم طحنون زعيم أبو ظبي يعرض أن يزود حاكم مسقط بفرقة عسكرية لمساعدته فى حملة على أحد أقرباء الأخير عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) . أما صدى ذلك عند الحاكم فهو مبين فى سجلات حكومة بمباى :

> رفض صاحب العظمة (حاكم مسقط) جميع العروض التى تقدم بها الشيخ رفضاً نهائياً إما لكونه متشككاً فى إخلاصه بسبب ما لاحظه من ملازمة الفشل لجميع الحركات التى ساهمت فيها قبيلة بنى ياس ، أو لسبب آخر .[٢٦]

١١٣ – عاد سلطان مسقط يواصل مساعيه لتحقيق مآربه فى البحرين عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ، فأوفد بعثة إلى الرياض تعرض خضوعه للإمام السعودى وتعهده بدفع أتاوة . إلا أن زعماء البحرين انتهجوا نفس الأسلوب لإحباط هذه المطامع . وتذكر سجلات حكومة بمباى فى هذا الصدد ما يلى :

> . . . وهكذا فإن جميع الساحل العربى من رأس الحد إلى الكويت باستثناء أبو ظبى أصبح تابعاً للوهابيين .[٢٧]

١١٤ – وقام الإمام تركى عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) بتعيين سعد بن محمد بن معيقل أميراً جديداً على البريمى وأصدر أمره إلى أمير الحسا عمر بن

(٢٥) مختارات بمباى ، ص ٤٦٢ .
(٢٦) مختارات بمباى ، ص ٤٦٨ .
(٢٧) مختارات بمباى ، ص ١٥٤ .

محمد بن عفيصان الذى كان قد شغل منصباً فى البريمى من قبل (الفقرة ١٠٤ السابقة) بأن يذهب إلى عمان فى مهمة خاصة. وقد قام الموظفان المذكوران بتوسيع رقعة السلطة السعودية فى شرق جزيرة العرب وأدخلا تحت سيطرة الدولة كثيراً من العربان. (٢٨)

١١٥ — وإذ وصلت الأنباء إلى الإمام تركى عن سوء سلوك واحد أو أكثر من موظفيه ، جمع أمراء أقاليمه عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) وألقى فيهم خطبة لخص فيها المبادئ الأساسية لحكمه . فبعد أن ذكرهم بنعمة الله عليهم بأن جمع شملهم بعد التفرق وأحل الإخاء بينهم محل العداء ، والخير مكان الفاقة ، أشار بتواضع إلى تقصيره . ثم تحدث بشدة عن جريمة ظلم الرعية وسلب أى شىء دون حق ، وأعلن أن عقوبة مثل هذا العمل الذى قد يقوم به أى أمير ستكون النفى بالإضافة إلى الطرد من العمل . وأبلغ تركى الأمراء بأنهم مخطئون إذا كانوا يعتقدون أنهم فتحوا البلاد بسيوفهم . لقد كانت قوة الإسلام والاعتراف الشامل بالإمام هما السبب فى جعل هذه البلاد تحت سيادة الدولة . (٢٩)

١١٦ — وحين توجه سعيد بن سلطان فى رحلة أخرى إلى شرق أفريقيا تجددت الاضطرابات مرة ثانية فى أراضى مسقط عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) . أما إجراء البريطانيين فى هذه المناسبة فقد وصف بما يلى :

> لقد صممت الحكومة البريطانية على مساندة حكومة الإمام والمحافظة على سلامة ممتلكاته فأرسلت قوة بحرية إلى مسقط لتأييد الحكومة المحلية ووضع حد لمطامع أعدائها ، ووجه المعتمد كتب اعتراض إلى عدد من الزعماء المغيرين . (٣٠)

وعلق اللفتننت كمبل حين كان مساعد المعتمد فى الخليج الفارسى ، على نتائج هذا الإجراء بالشكل التالى :

---

(٢٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢ .
(٢٩) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٤٤ .
(٣٠) مختارات بمباى ، ص ١٢٧ .

> إن المظاهرة التى جرت لمصلحة الامام بقيام بعض المراكب البريطانية الحربية بزيارة ساحل الباطنة ، وظهورها فى مسقط ، كانت بلا شك مصحوبة بنتائج مفيدة لمصلحة عظمته . . . وكان من أثر هذا التأييد الذى أسدته الحكومة البريطانية أن أوقفت دسائس متعددة كانت تحاك لاضعاف سلطة الإمام ، وخلقت فى نفوس أتباع عظمته درجة من الثقة لم تكن لتنبعث عن أى مصدر آخر.[٣١]

ولم تكن الحكومة البريطانية على أى حال مسرورة من تكرار نذر الخطر التى انطلقت فى هذه المنطقة :

> إن استعراضاً لحوادث السنوات القليلة الماضية فيما يتعلق بهذا الازعاج المتكرر ، أدى إلى إيجاد رأى غير مرض تجاه موقف حليفنا الامام فى ذلك الوقت . وليس من الممكن على الإطلاق إخفاء أن نفوذنا وحده هو الذى حال دون سقوطه المباشر ولو أن سياسة الوهابيين كانت أقل جنوحاً إلى السلم مما دلت عليه الحوادث كلها ، نظراً إلى انصراف اهتمامهم إلى متاعبهم الخاصة ، لكنا مضطرين على الأرجح إلى الدخول فى حرب فعلية للدفاع حتى عن عاصمة الإمام نفسها.[٣٢]

«وقد نصحت الحكومة البريطانية سعيداً بأن « يلزم عقر داره فى المستقبل ويحمى ممتلكاته التى آلت إليه بالوراثة ».[٣٣] ولكن سعيداً لم يعر هذه النصيحة أذناً مصغية وانطلق بقية حياته يعتبر نفسه إفريقياً أكثر مما هو عربى .

١١٧ – فى عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٣ م) طلب المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى من طحنون فى أبو ظبى دفع غرامة مقدارها ألف وخمسمائة ريال ، لإيوائه فى السنة السابقة ثلاثة أشخاص متهمين بالقيام بأعمال القرصنة.[٣٤] وعقب ذلك الوقت بقليل ذهب طحنون ضحية أخويه خليفة وسلطان « اللذين قتلاه بأيديهما ».[٣٥] إذ أصابه أحدهما بجراح من مسدس أطلقه عليه ، وقتله

---

(٣١) مختارات بمباى، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .
(٣٢) مختارات بمباى ، ص ٢٠٦ .
(٣٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٣ .
(٣٤) مختارات بمباى ، ص ٤٧٠ .
(٣٥) مختارات بمباى ، ص ٤٧٠ .

الآخر بطعنة خنجر . وقد قدم خليفة الذى خلف طحنوناً فى الزعامة ، ولاءه للدولة السعودية :

١١٨ – كتب سعيد بن سلطان من مسقط فى شهر محرم ١٢٤٩ هـ (٢٣ مايو سنة ١٨٣٣ م) إلى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ينبئه بأنه أبرم اتفاقية مع الإمام السعودى :

> . . . على أن يدفع أتاوة سنوية للزعيم الوهابى مقدارها خمسة آلاف ريال ألمانى وأن يحتفظ كل منهما بساحله الخاص وفقاً للحدود القائمة آنذاك ، وحدود الإمام (السيد) تمتد إلى جعلان ، وحدود الزعيم الوهابى إلى القطيف ، وذهبا أبعد من ذلك بأن دخلا فى ارتباط يلزمهما بتبادل المعونة لقمع أية فتنة تقع فى أراضيهما .(٣٦)

ومن الغرابة بمكان أن تحدد أراضى كل منهما بجعل القطيف ، وهى مكان يقع بعيداً إلى الغرب ، حداً للدولة السعودية ، وجعلان ، وهى مكان يقع بعيداً إلى الشرق حداً لدولة مسقط دون أى ذكر لخط قسمة فى الوسط . وإنه لمن المعلوم بشكل مؤكد ، على كل حال ، أن البريمى وأراضى وافرة أخرى تقع وراءها فى اتجاه مسقط كانت تشكل فى ذلك الحين جزءاً من الممتلكات السعودية . وتذكر سجلات حكومة بمباى فيما يتعلق بسنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) :

> لقد تركز نفوذ الحاكم الوهابى على طول الساحل . وشرع فى تحصيل الأتاوة ، إلا أنه لم يكن يسمح بأى عمل يخل بالقانون كما كان يعارض فى تجدد أعمال القرصنة . . .(٣٧)

ويقول المؤرخ البريطانى الأستاذ كوبلاند :

> وكون الوهابيين قد قبلوا الرشوة (أى الاتاوة) ولم يستغلوا الفرصة للوصول إلى أسوار مسقط ، فذلك بلا شك عائد جزئياً إلى انصراف اهتمامهم إلى أماكن أخرى ،

---

(٣٦) مختارات من الخلاصة الرسمية البريطانية عن مسقط وعلاقتها مع السلطة الوهابية ، ص ٩ ، فى كتاب باجر ، ص ٨٦ – ٨٧ .

(٣٧) مختارات بمباى ، ص ١٥٤ .

إلا أنه كان يعود فى الدرجة الأولى إلى أن سعيداً إذا كان قد فقد أصدقاءه فى جزيرة العرب فما زال له أصدقاء فى بمباى .[٣٨]

ويقول كوبلاند بعد ذلك بقليل « إنه (سعيد بن سلطان) لم يكن له أصدقاء فى جزيرة العرب وما يجاورها » .[٣٩]

١١٩ — وفى عام ١٢٤٩ هـ (نهاية عام ١٨٣٣ م) تركت جماعة آل بوفلاسا القوية صاحبة النفوذ ، موطنها القديم فى أبو ظبى وهاجرت بجملتها إلى بلدة دبى المجاورة .[٤٠] وجعل آل بوفلاسا من أنفسهم زعماء مستقلين فى دبى حيث ظل الأمر فى أيديهم منذ ذلك الحين حتى الآن . ومنذ تلك الهجرة لم تكن الصلة ودية بين البلدين .

١٢٠ — بينما كان سعيد بن سلطان حاكم مسقط فى شرق إفريقيا فى زيارته الأولى ، كان هناك تاجر أمريكى يدعى أدموند روبرتس يحاول القيام بأعمال تجارية .

. . . ونظراً للاجراءات المعقدة وتأخير المعاملات فى زنجبار ، وما اعتبره قيوداً تبعث على السخط بالإضافة إلى المعاملة المجحفة إذا ما قورنت بمعاملة التجار البريطانيين الذين لم يكونوا ليرغموا على بيع جميع بضائعهم لوكلاء السلطان أو دفع عمولة باهظة أو رسوم ميناء ، نظراً لهذا كله احنق لدرجة أنه كتب كتاب احتجاج مؤلف من عدة صفحات وجهه إلى سعيد نفسه . . .[٤١]

وذكر سعيد لروبرتس أنه يمكن التغلب على الصعاب بعقد معاهدة بين مسقط والولايات المتحدة . ووصل روبرتس فى عام ١٢٤٩ هـ (سبتمبر عام ١٨٣٣ م) إلى مسقط بوصفه « مندوباً لدى كل من حكومات الصين

---

(٣٨) كوبلاند « شرق افريقيا وغزاته » ص ٢٧٨ .

(٣٩) كوبلاند ، ص ٢٧٩ .

(٤٠) مختارات بمباى ، ص ١٦١ و ٤٧١ .

(٤١) بريدى « التجارة والغزو فى شرق افريقيا » (١٩٥٠ م) ص ٨٩ .

الكوشينية وسيام ومسقط » ، نيابة عن الرئيس أندرو جاكسون ، وأنجز بسرعة المفاوضات الخاصة بمعاهدة صداقة وتجارة مع سعيد .[٤٢] ويشرح الأستاذ كوبلاند مشاعر سعيد كما يلي :

لقد أرضى غروره أنه استرعى انتباه دولة العالم الجديد العظمى ، وأن رئيسها قد عامله على قدم المساواة ، وقد فتحت المعاهدة المجال أمام صداقة سياسية جديدة من الممكن أن تكون ، على الرغم من ثقته الكبرى بأصدقائه القدماء البريطانيين ، ذات منفعة فى يوم ما ولربما لعبت دوراً ضدهم .[٤٣]

وكانت هذه أقدم معاهدة عقدتها الولايات المتحدة فى هذه البقعة من العالم . وبهذا العمل يظهر أن بعض الموظفين الأمريكيين يرون فى بعض الأحيان ، بدافع من الميول العاطفية ، أن يقضوا إلى جانب سلطان مسقط وأن ينظروا إليه حاكماً ذا نفوذ كبير اكثر مما يبرره الواقع . وبدأ أثر هذا الميل يظهر منذ وضع روبرتس وصفاً لممتلكات الحاكم ، فقد كتب فى واشنطن فى شهر محرم ١٢٥٠ هـ (١٤ مايو سنة ١٨٣٤ م) :

ان سلطان مسقط أمير قوى جداً . وهو يملك قوة بحرية أكثر فعالية من التى يملكها سائر الأمراء الوطنيين مجتمعين من رأس الرجاء الصالح إلى اليابان ، وأن موارده تزيد عن حاجاته ، وهى مستمدة من التجارة ، والإشراف بنفسه على عدد كبير من المراكب التجارية ومن الرسوم على التجارة الخارجية ، ومن الأموال المتجمعة من الاتاوات والهدايا التى يتلقاها من الأمراء العديدين ، الأمر الذى يجعل من مجموعها مبلغاً كبيراً .

وأما ممتلكاته فى افريقيا ، فإنها تمتد من رأس دلجادو إلى رأس جواردافوى ، ومن رأس عدن فى جزيرة العرب إلى رأس الحد ، ومن رأس الحد تمتد على طول الساحل الشمالى لجزيرة العرب (أو ساحل عمان) إلى مدخل الخليج الفارسى ،

---

(٤٢) النصان العربى والإنكليزى فى «كتاب المعاهدات وغيرها من الإجراءات الدولية للولايات المتحدة الأمريكية» وضع هنتر ميلر ، مجلد ٣ (١٩٣٣ م) ص ٧٩٠ – ٧٩٨ .

(٤٣) كوبلاند ، ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

كما يدعى أيضاً بجميع الساحل البحرى ، والجزائر داخل الخليج الفارسى ، بما فى ذلك جزائر البحرين ومغاصات اللؤلؤ المتاخمة لها ، وكذلك بالساحل الشمالى للخليج حتى السند . ومع أن الحقيقة هى أن جزءاً صغيراً من هذه الأراضى الواسعة يقع فى حماية قواته ، إلا أنها جميعها تؤدى له الأتاوات .

ويملك فى افريقيا موانى مونغو ، أو مونغالو ، ولندى ، وكلوة ، وملندا ، ولامو ، وبطا ، وبرافا ، ومغادوشا (أو مغادشى) وجزيرة موفيا أو مافيا ، وزنجبار ، وبمبا ، وسقطرى ، وجميع هذه الجزائر ذات قيمة . . . إلخ . (٤٤)

ومن الجلى الواضح أن روبرتس كان تاجراً أكثر منه مرجعاً فى الشئون العربية ، ولو أنه لم يكن مقتنعاً تماماً بهذه المطالب المغالى بها . والواقع أنه لم يكن لدى حاكم مسقط فى ذلك الوقت سوى موطئ قدم بسيط على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب بين عدن ورأس الحد ، بينما لم تكن له على الساحل الغربى من الخليج الفارسى أية ممتلكات على الإطلاق . أما فيما يتعلق بالأسطول البحرى الذى يملكه سعيد ، فيقول لوريمر « إن قوة أسلحته الضخمة لم تكن تتمشى مع ما هى عليه من مظهر رائع ». (٤٥) ويعترف حفيدُ سعيد ، رودلف سعيد – روته ، وهو مؤرخ حياته فى نفس الوقت ، يعترف على الرغم من اعتزازه وافتخاره بأعمال جده بأنه « ليس من الممكن على ما يلوح أن ينظر إلى هذا الاسطول نظرة جدية تماماً ». (٤٦) وقد وصف القنصل البريطانى فى زنجبار ، أتكنز هامرتون ، الأسطول الذى كان يعرفه معرفة أى غربى آخر فى رسالة إلى اللورد بالمرستون ، قال فيها :

لقد كان لدى عظمته بكل تأكيد ، عدد من السفن الحربية الخالية ، إلا أنه لم يكن لديه أى بحارة لقيادتها ، ولا أى رجل واحد فى خدمته عنده أية فكرة عن استعمال المدافع أو تسيير سفينة حربية (٤٧) .

---

(٤٤) مقتبسة من سجلات وزارة الخارجية وواردة فى كتاب المعاهدات الذى وضعه ميلر ، مجلد ٣ ، ص ٨٠٢ – ٨٠٣ .

(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٩ .

(٤٦) سعيد – روته « سعيد بن سلطان » ص ١٤٤ .

(٤٧) كوبلاند ، ص ٤٧٦ . (٤٧)

١٢١ – سببت بعثة روبرتس بعض القلق للبريطانيين الذين أرسلوا الكابتن هارت من البحرية الملكية إلى زنجبار فى عام ١٢٤٩ هـ (يناير ١٨٣٤ م) ليستطلع ما كان يفعله الأمريكان . واستمر الكابتن هارت يعبر عن إعجابه الشديد بسفينة سعيد الحربية ذات المدافع الأربعة والسبعين ، المسماة ليفربول ، حتى أن سعيداً اضطر ، حسب تقاليد الكرم العربى ، لتقديمها هدية للإنكليز . ويقول هارت عن سعيد :

> إنه يميل كثيراً إلى الانكليز وكل ما هو انكليزى ، وكان يفخر بقوله لى إن « جميع ما عنده من سروج هى من صنع انكلترا » . لقد جرح منذ عدة أعوام حين كان فى حملة مشتركة مع الانكليز . ويظهر أنه يود أن يعتبر انكليزياً فى كل شيء . ويقول إنه ينظر إلى الانكليز اخوة له وأنه على استعداد لأن يعطيهم بلاده . (٤٨)

١٢٢ – وفى شهر ذى الحجة عام ١٢٤٩ هـ (مايو عام ١٨٣٤ م) اغتيل الإمام تركى بن عبد الله فى الرياض بيد تابع لأحد أقربائه وهو مشارى بن عبد الرحمن الذى كان يطمع فى العرش.(٤٩) مات وبكاه رعاياه بكاء مراً ، وأسرع فيصل أكبر أبنائه ، وكان فى القطيف عند وقوع الاغتيال ، إلى الرياض لخلع المغتصب الذى خر صريعاً فى القتال بعد أن تمكن من الاحتفاظ بالعرش لنفسه مدة تزيد على الشهر قليلا . وكانت هذه الفترة من القصر بحيث أنها لم تؤثر بأى شكل من الأشكال فى مركز السعوديين فى إقليم البريمى وعمان .

---

(٤٨) مختارات بمباى ، ص ٢٧٧ .

(٤٩) حدث ذلك فى آخر يوم جمعة من شهر ذى الحجة عام ١٢٤٩ هـ . ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٤٨ .

١٠ – العهد الأول لحكم الإمام فيصل بن تركى
١٢٥٠ – ١٢٥٤ هـ (١٨٣٤ – ١٨٣٨ م)

١٢٣ – وعلى مقتضى العادة فى آل سعود كان الإمام فيصل قد تلقى المبادئ الأساسية من علوم الدين وحفظ القرآن غيباً عندما كان صبياً .[١] وأول عمل قام به بعد أن تولى الحكم هو دعوة رؤساء القضاة فى نجد للحضور إلى العاصمة حيث قضى أكثر من شهر فى إجراء المشاورات معهم .[٢] وكما كانت الحالة فى عهد أسلاف فيصل فإن العهد الجديد اتجه إلى تنفيذ قواعد الشرع .

١٢٤ – وكان فيصل مثل والده يرسل النشرات الدورية لرعاياه يحثهم فيها على الإخلاص لعقيدتهم . وفيما يلى مقتطفات من إحدى تلك النشرات :

> . . . قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .[٣] وأهم الأمور تعلم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الاسلام وأركانه . . . . . . ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة . . . وقال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » .[٤] وأنا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالى . . . أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . . . وألزم كل أمير أن يكون عونا لهم وهم خاصته فى الحقيقة . . . إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة وهى راجعة إليهم على الوجه المشروع إنشاء الله ، والمطلوب منكم الإستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه ، وقد رأيتم ما فى الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما فى التفرقة من الشر . . .[٥]

---

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٥ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٥) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٦٦ .

١٢٥ – وفى عام ١٢٥٠ هـ (١٢٣٤ م) أخذ بعض أفراد أهالى بنى ياس الذين يعيشون فى أبو ظبى يقومون بأعمال القرصنة على نطاق واسع ، وأحسن وصف لمسلكهم هذا ما ورد فى سجلات بمباى :

إن روح السلب والنهب التى كانت تتجلى بين الفينة والأخرى من جانب القبائل العربية المختلفة فى سطوهم المتقطع على المراكب الفردية وهو السطو الذى كانوا يدفعون دائماً تعويضات مرضية عنه ، قد استفحل أمرها فاتخذت علانية شكل القرصنة من قبل بنى ياس ولم تقتصر على مهاجمة المراكب الوطنية بل تعدتها إلى مهاجمة المراكب التى تحمل العلم البريطانى .

وقد صرحوا للأسرى الذين وقعوا فى قبضتهم بأنهم قرروا ترك التجارة بجميع أنواعها والشروع فى أعمال القرصنة ، وأن منازلهم المبنية من سعف النخيل والحصير يمكن نقلها إلى الداخل عند الحاجة وبذلك يخرجون بأنفسهم عن نطاق سلطة الإنكليز .

وكان مدى نجاحهم يتوقف بالطبع على عامل السرعة . لذلك أخذت أساطيلهم تجوب مياه الجانب الفارسى متبعة الخطوط البحرية العامة للتجارة فى الخليج . وكانوا يرتكبون أجرأ أنواع السلب بمنتهى الوحشية ، وفى بعض الأحيان يفتكون بجميع بحارة المراكب الذين يظفرون بهم . لذلك كان من الضرورى المبادرة إلى معاقبتهم بحزم للحيلولة دون قيام القبائل الأخرى باتباع أسلوبهم مما يجعل التجارة بين هذا الخليج والبحار الهندية عرضة للخطر . (٦)

وعندما قبض البريطانيون على أحد مراكب بنى ياس فى المياه المواجهة لأبو ظبى « تباهى الملاحون بأنهم كانوا قد أعدوا قدوراً كبيرة تحوى زيتاً مغلياً لإغراقنا فيها عند القبض علينا » . (٧)

١٢٦ – اتخذ الموظفون السعوديون فى البريمى فى سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) إجراءات خاصة لمنع عربان الداخل من الاشتراك فى المشاحنات التافهة التى يشتبك فيها الزعماء على طول الساحل . (٨)

---

(٦) مختارات بمباى ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ .

(٧) مختارات بمباى ، ص ٤٧٥ .

(٨) مختارات بمباى ، ص ٣٣٣ .

١٢٧ – واندلعت ثورة ثالثة على سلطة سعيد بن سلطان وهو غائب فى إحدى زياراته لشرق إفريقيا ، واضطر الإنكليز مرة أخرى للمبادرة لإنقاذه . على أن الحكومة البريطانية فى الهند رأت أنها يجب أن تضع حداً لمدى مساعدتها له ، ففى عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) « رفضت قطعياً أن تأخذ على عاتقها مسألة المحافظة على سلامة »[٩] ممتلكات سعيد البرية فى جزيرة العرب من تعرض السعوديين لها ، مشيرة إلى ذلك بما يأتى :

إذا أردنا أن نلزم أنفسنا مرة باعلان عزمنا على مساعدة ذلك الزعيم يجب أن نمضى قدماً فى هذه السياسة بأى ثمن ، مع العلم بأنه ليس من الممكن وضع حد لسفك الدماء وضياع الأموال مما يمكن أن ينجم عن ذلك .[١٠]

وفى نفس العام قرر مجلس إدارة شركة الهند الشرقية أنه « ليس من الملائم فرض حماية عامة على القبائل العربية ، وهو أمر لابد منه إذا أردنا أن نمنع الحروب وأن نصبح المحكمين فى كل منازعاتهم » .[١١]

١٢٨ – ووصل فى هذا الوقت سعد بن مطلق المطيرى المشهور إلى البريمى ليتقلد مهام منصبه أميراً سعودياً جديداً عليها . « واجهته أعرابها وحضرها وأذعنت إليه أهل الظاهرة ».[١٢] وجمع سعد عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) قوة كبيرة من البريمى تشمل كتائب من قبائل نعيم وبنى قتب ، وسار إلى عمان الداخلية حيث أخذ قبيلة الحجريين ونكل بها عقاباً لها على قتل والده (الفقرة ٥٩ السابقة) . ولما عاد إلى البريمى قام ببناء قصر سعودى جديد هناك .[١٣]

---

(٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٦ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٦٦ .

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢١١ .

(١٢) ابن رزيق وجه ورقة ٢٤٦ .

(١٣) ابن رزيق وجه ورقة ٢٤٦ وعبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ١٨٨ . ورد تاريخ الحملة خطأ فى لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٠ وفى كتب أخرى متعددة . أما عن التاريخ الصحيح فانظر ولستد « أسفار فى جزيرة العرب » (١٨٣٨ م) مجلد ١ ، ص ٩٦ – ٩٧ .

١٢٩ — وبالإضافة إلى المساعدة التى تلقاها سعيد بن سلطان من البريطانيين ، سعى إلى الحصول على مساعدة السعوديين فيما يتعلق بالخلافات الداخلية فى دولة مسقط . وبعد الوصول إلى ترتيبات مع سعد بن مطلق الأمير السعودى فى البريمى توجهت آلاف من رجال القبائل السعودية من إقليم البريمى لمساعدة سعيد فى مهاجمته لبلدة صحار . وكان ذلك الحشد عظيماً إلى درجة جعلت سعيداً يتخوف من أن حلفاءه قد يخرجون من المعركة وهم سادة صحار الحقيقيون . فتخلى عن خطته التى رسمها لمهاجمة البلدة ووزع عطايا سخية على رجال القبائل ثم طلب إليهم العودة إلى ديارهم . وكان فى جملة القوات السعودية ، التى انطوت تحت قيادة ثمانين شيخاً ، قبائل نعيم (بما فى ذلك آل بوشامس) وبنى قتب وبنى كعب والبلوش وعدد غيرهم .[١٤]

١٣٠ — ونتيجة لأعمال القرصنة التى قام بها أهالى بنى ياس (الفقرة ١٢٥ السابقة) قام البريطانيون بإجراء صارم فى أبو ظبى حيث أصبحت الحالة مضطربة جداً .

> للحيلولة دون إخلاء سكان أبو ظبى بلدهم — مما يجعل فرض مطالبنا أمراً مستحيلا — أصبح من الضرورى أن نساير إلى حد ما طلب زعيمهم وأن نثنى مشايخ البدو المختلفين عن إيواء رعايا بنى ياس وحمايتهم. أما القبيسات الذين يتولى زعامتهم خادم ابن نهيمان ، فإنهم على الرغم من ذلك انشقوا وشرعوا فى تركيز أنفسهم فى العديد ، تاركين ديونهم التى بلغت مقداراً وافراً دون تسديد . وقد نهبوا قبيل رحيلهم بعض قوارب الصيد التابعة لأبو ظبى . وأخفقت المباحثات والمحاولات التى تولاها المعتمد للتوفيق بينهم ، واضطر المعتمد أن يتخلى عن أية محاولة أخرى للتدخل ، وترك الجانبين التصرف بوسائلهم الخاصة لتسوية مطالبهم .[١٥]

ولم يكن القبيسات أول من نزل فى العديد ، فقبل هذا الوقت كانت قبيلتا عبيدل وبنى حماد من نجد قد احتلا هذا الموقع .[١٦] وما زال اسم عبيدل يطلق

---

(١٤) ابن رزيق ، وجه ورقة ٢٥٠ وظهرها . ومختارات بمباى ، ص ٢٠٨ .

(١٥) مختارات بمباى ، ص ٤٧٨ .

(١٦) تصريح الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى حاكم قطر من ١٣٣١ إلى ١٣٦٨ هـ (١٩١٣ — ١٩٤٩ م) (الملحق ١١٢) .

على مورد المياه الواقع بجوار الطرف الجنوبي لخور العديد . إن الفقرة المقتطفة سابقاً من سجلات بمباى تدل دلالة واضحة على أن القبيسات قدموا إلى العديد منشقين عن أبو ظبي وهاربين من سلطة زعيم تلك البلدة ولم يكن قدومهم مستعمرين أرسلوا لتوسيع رقعة نفوذ سلطته .

١٣١ – واستمر المستوطنون الجدد فى العديد فى مهاجمة الملاحة فى الخليج الفارسى ، متخذين بندر « المرفأ » على ساحل الظفرة قاعدة لهم .

> واستمر عملهم ، فى حالة الاستيلاء على أى قارب ، أن يوجهوه إلى المرفأ ، أو ينقلوا حمولته هناك . . . كانوا يحملون ما نهبوه على ظهور الجمال الواقفة بالانتظار وبعد الانتهاء من ابعاد الأسلاب ينطلقون ثانية إلى البحر سعياً وراء سلب جديد . (١٧)

إن اتخاذهم المرفأ قاعدة لهم يدل على أن مكانه يقع بخارج نطاق أية سلطة يمارسها زعيم أبو ظبي . وتصف سجلات حكومة بمباى هذا المكان بأنه « يستحيل بلوغه بالوسائل المتوفرة لدى المعتمد » . (١٨)

١٣٢ – وقام ضابط بريطانى فى البحرية الهندية يدعى اللفتننت ولستد برحلات شاملة فى داخل عمان خلال عام ١٢٥١ هـ (الشهور الأولى من ١٨٣٦ م) . وفى أثناء توجهه من القسم الشرقى للبلاد نحو الغرب وصل إلى عبرى ، ويصف استقباله هناك من قبل الرئيس بما يلى :

> عند ما قدمت له رسائل الامام (حاكم مسقط) قرأها وانصرف دون أن يدلى بأى جواب . وبعد حوالى الساعة بعث إلى برسالة شفوية يطلب منى مغادرة البلدة

---

(١٧) مختارات بمباى ، ص ٤٧٨ .

(١٨) مختارات بمباى ، ص ٤٧٨ .

على جناح السرعة كما ود ابلاغى أمرا قدر أننى لم أكن على علم به ، وهو أن البلدة كانت غاصة بما يقرب من ألفى وهابى .[١٩]

وكان في نية ولستد أن يواصل رحلته براً إلى نجد ولكن ذلك تعذر عليه إذ أنه أهمل الحصول على إذن من الحكومة السعودية .

١٣٣ — ومع أن ولستد لم يصل إلى البريمى فقد جمع عنها المعلومات التالية :

يقع هنا قصر فيه بعض المدافع الصغيرة ويعود إلى القبيلة الغافرية التى تعتنق تعاليم الوهابية وترفض الاعتراف بسلطة الامام . ويقدر عدد السكان عادة بألفين ولكن نظراً لتدفق الوهابيين عليها فقد بلغ عدد سكانها فى هذا الموسم ما يقرب من ثلاثة أضعاف ذلك العدد .[٢٠]

ويقول فيما يتعلق بالداخل إن « عدداً كبيراً من البدو والخوارج (الأباضية) الذين يقطنون حول المدن ، أصبحوا أتباعاً للوهابيين » .[٢١]

١٣٤ — وفيما يتعلق بحاكم مسقط وعمان الداخلية يقول ولستد :

إن مسقط هى فى الواقع الجزء الوحيد من عمان الذى يستمد منه دخلا إذ لا يأتيه ريال واحد من المقاطعات الداخلية ، وعلى العكس فإنه مضطر خلال إقامته فى جزيرة العرب أن ينفق مبالغ كبيرة يقدمها هدايا إلى مشايخ المدن والواحات المختلفة .[٢٢]

ومع أن ولستد كان فى أسفاره معتمداً على المساعدة التى كان يقدمها إليه حاكم مسقط ، فإنه لم يكن يحمل فكرة طيبة عن طبيعة أخلاق رعايا الحاكم الذين يسكنون فى عاصمته ، كما يتضح من المقتطفات التالية :

---

(١٩) ولستد « أسفار فى جزيرة العرب » مجلد ١ ، ص ٢١٩ .
(٢٠) ولستد ، مجلد ١ ، ص ٢٣٨ .
(٢١) ولستد ، مجلد ١ ، ص ٣٢٣ .
(٢٢) ولستد، مجلد ١ ، ص ٣٧٩ .

وفى هذا الرأى الحسن الذى كونته لا أستطيع على كل حال أن أشمل سكان الساحل ، وخاصة أهالى مسقط ، الذين كثيراً ما تجلى جبنهم ونذالتهم حتى أن القبائل الأخرى كانت تعتبر أن لفظى مسقطى وجبان مترادفان .(٢٣)

وعند وصولى إلى مسقط وجدت سفينة قادمة من انكلترا وراسية هناك ، وكان نوع حمولتها يدعو إلى الغرابة بالنسبة لميناء اسلامى ، إذ أن جزءاً كبيراً منها كان يحتوى على الخمر ولحم الخنزير . ولا أعلم تماماً مدى النجاح الذى لاقته مسألة تصريف لحم الخنزير ، أما الخمر فإنه على الرغم من التحريم الشديد الذى فرضه الإمام قد اتخذ سبيله إلى الشاطىء بكميات كبيرة . أخبرنى الإمام نفسه أن ما يقرب من نصف سكان مسقط ثملوا مدة وجود تلك الكمية .(٢٤)

وإن سير الأمور على ما تقدم فى الجزء الأخير من هذه المقتطفات ، كان مع مرور السنين من أعظم الأسباب لمواصلة أهل عمان ، وهم من أتقياء المسلمين ، رفض قبول أى امتداد لحكم مسقط على أراضيهم .

١٣٥ — وفى محرم عام ١٢٥٣ هـ (مايو ١٨٣٧ م) ، بعد سنة واحدة فقط من استقرار القبيسات فى العديد ، هاجم زعيم أبو ظبى المنشقين . « فأتاهم على حين غرة وفتك بخمسين منهم ، وجعل المكان خاوياً على عروشه بأن دمر جميع البروج والمبانى ، وألقى بجثث القتلى فى الآبار ، وملأها حطاماً » .(٢٥)

١٣٦ — بعث الإمام فيصل ، عام ١٢٥٣ هـ (١٢٣٨ م) ، حمد بن يحيى ابن غيهب أميراً على البريمى.(٢٦) وكان حمد هذا أميراً على شقرا البلدة الكبيرة ، ثم أميراً على مقاطعة الوشم ، وهو فى الواقع من رجال نجد البارزين الذين كان يعتمد عليهم فيصل فى تصريف شئون الدولة .

---

(٢٣) واستد ، مجلد ١ ، ص ٣٣٧ .

(٢٤) واستد ، مجلد ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢٥) مختارات بمباى ، ص ٤٨٠ .

(٢٦) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٧٨ .

١٣٧ — وعند ما توغل عالم النبات الفرنسى بيير مارتان ريمى أوشيه — ايلوى فى عمان الداخلية عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) وجد أن سلطة الدولة السعودية قد امتدت شرقاً حتى يبرين [٢٧] وهى بلدة تقع على مسافة كبيرة فى جنوب شرق عبرى ولا تبعد كثيراً فى الغرب عن نزوى عاصمة إمامة عمان الحالية . أما ما يتعلق بمسقط والداخل فإن أوشيه — ايلوى يقول :

. . . إذا كان ذلك العنصر الخليط من أهالى مسقط فيه شىء كثير من الفظاظة ، فإن هذه الحال لا تنطبق على الداخل ، حيث لقيت الكثير من الكرم والأمانة كما لقيت بعض المجاملة بين حين وآخر . أضف إلى هذا أنه ليست لشيخ مسقط سوى سلطة واهية جداً على مشايخ الداخل فهم يدينون له ببعض الاحترام ، ولكنهم لا يدفعون له مالا ولا يزودونه برجال ، ولو أراد الحصول منهم على مثل ذلك فنى استطاعتهم ولا ريب أن يتحدوه بالامتناع فى قلاعهم . وأرى أن طيبة أهل الداخل ناجمة عن اعتدال أسلوب حكم المشايخ ذى الصبغة الجمهورية إذا جاز هذا التعبير . والناس هناك ليسوا بالأغنياء ولكنك لا تجد فيهم فقيراً . [٢٨]

١٣٨ — عاد محمد على باشا الذى كان قد أهمل أمور نجد وشرق جزيرة العرب ما يقرب من العشرين عاماً ، عاد ينظر إليها باهتمام جديد . فنى عام ١٢٥٤ هـ (ديسمبر ١٨٣٨ م) بعث جيشاً تغلب على الإمام فيصل جنوبى الرياض وأخذه أسيراً ، فكانت نهاية عهد حكمه الأول . وحمل فيصل إلى القاهرة وأعيد فرض الحكم الأجنبى مدة قصيرة .

---

(٢٧) اوشيه — ايلوى « قصة رحلات فى الشرق » (١٨٤٣ م) مجلد ٢ ، ص ٦٥٤ و ٦٨٤ .
(٢٨) أوشيه — ايلوى ، مجلد ٢ ، ص ٥٧٥ — ٥٧٦ .

١١ – فترة خلو العرش ١٢٥٤ – ١٢٥٦ هـ (١٨٣٨ – ١٨٤٠م)

١٣٩ – عند ما سلمت الحكومة السعودية للعدو الذى يفوقها قوة ، أشرع زعماء قبيلة نعيم وبينهم حمود بن سرور ومحمد بن عبد الله فتولوا زمام الأمور فى منطقة البريمى وهى بلادهم الأصلية ، ولسان حالهم يقول إذا لم يحكمنا آل سعود فنحن نفضل أن نحكم أنفسنا بأنفسنا . وقد أيدت المصادر الرسمية البريطانية مراراً أن نعيم كانت مستقلة فى البريمى خلال فترة خلو العرش القصيرة هذه ، وليست هناك أية بادرة أو إشارة تدل على امتداد سلطة مسقط أو أبو ظبى أو أى دولة خارجية أخرى إلى هذا الإقليم .

١٤٠ – أخذت الحكومة البريطانية تنظر بعين غير عين الرضا إلى تقدم محمد على باشا الجديد فى جزيرة العرب . وفى عام ١٢٥٤ هـ (يناير ١٨٣٩ م) احتلت قوة بريطانية عدن ، وفى فبراير تلقى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى تعليمات « لاستخدام نفوذه فى وقف . . . أية تعديات أخرى »[١] تقوم بها قوات محمد على .

١٤١ – وأدرك خورشيد باشا ، الذى جعله محمد على محافظاً على نجد ، أن أية حركة يراد بها فتح عمان ستكون صعبة جداً ، لذلك أخذ يسعى لتأمين مركز له يجعل سعد بن مطلق ، وهو أمير البريمى السابق فى زمن الحكومة السعودية ، مندوباً عنه هناك . ولما كان محمد على باشا لا يزال يظهر أنه يعمل فى نجد باسم خالد ، أحد أبناء سعود الكبير[٢] فقد وافق سعد بن مطلق بدافع من ولائه لآل سعود على أن يتعاون مع خورشيد باشا فى هذا المضمار . ولدى

---

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٢ .
(٢) مختارات بمباى ، ص ١٥٦ .

وصول سعد إلى الساحل الجنوبى الشرقى فى عام ١٢٥٤ هـ (أوائل ١٨٣٩ م) حاول أن يحمل زعماء نعيم على الاعتراف بالحكم الجديد الذى قام فى نجد ولكن هؤلاء الزعماء الذين سبق لهم أن اعترفوا طائعين مختارين بسعد أميراً عليهم عندما قدم موظفاً حقيقياً للدولة السعودية، والذين اعترفوا به بهذه الصفة فيما بعد (الفقرة ١٦٤ فيما بعد) رفضوا الآن قبوله عند ما علموا أن هناك أجانب يسندونه .[٣]

١٤٢ — وكتب سعيد بن سلطان حاكم مسقط فى رسالة إلى مشايخ البريمى « يحضهم على بذل جميع المساعى للمحافظة على استقلالهم »[٤] وهذا دليل لا جدال فيه على أن حاكم مسقط لم يكن يدعى لنفسه بالسلطة على البريمى أو أية ممتلكات هناك، على الرغم من أن هذا حدث بعد مرور أقل من عشرين عاماً على علاقته القصيرة بالبريمى بواسطة الأمير السعودى بتال المطيرى (الفقرة ٨١ السابقة) .

١٤٣ — تعهد زعماء القرى الساحلية ، ومن جملتها أبو ظبى ، أمام مساعد المعتمد السياسى البريطانى « تعهداً جدياً بألا تكون بينهم وبين مبعوث المصريين (أى سعد بن مطلق) أية علاقات ودية ، بل — على العكس — أن يقوموا بمناوأته » .[٥] وعلى الرغم من هذا التعهد تقبل خليفة بن شخبوط ، الذى كان البريطانيون يتوقعون بكل ثقة أن يتعاون معهم فى أبو ظبى ، محاولات سعد بترحاب وشرع فى مراسلات مباشرة معه . ولكى يعيد البريطانيون هذا الزعيم النافر إلى حظيرتهم ، بعثوا بالسفينة «هيو لندزى» وهى السفينة البخارية الأولى التى شوهدت فى الخليج الفارسى ، لتقوم « بحركات عجيبة من نوع جديد »[٦] تجاه ساحل بلدته .

---

(٣) مختارات بمباى ، ص ٣٣٥ و ٤٤٦ .

(٤) مختارات بمباى ، ص ٢٠٩ و ١٢٨ .

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٢ .

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٣ .

١٤٤ – وشجعت الحكومة البريطانية رؤساء قبيلة نعيم فى البريمى « على أن يثبتوا فى عزمهم على المحافظة على استقلالهم » . [٧] وأخذت تفكر فى إرسال وكيل لها يقيم فى البريمى ، ولكن هذا لم يتم . كما عقدت النية على تزويد نعيم بالذخائر إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك . وكتب المعتمد فى الخليج إلى سعد ابن مطلق مبيناً له أن البريمى قد وضعت تحت الحماية البريطانية ، ولكن الحاكم العام للهند أصدر قراراً ينقض رأى المعتمد عندما تناهى ذلك إلى سمعه . [٨]

١٤٥ – ولم يمض وقت طويل حتى غادر سعد بن مطلق الساحل متوجهاً إلى الحسا . وبعد مغادرته قام خليفة شيخ أبو ظبى « ضارباً عرض الحائط بجميع عهوده ومواثيقه » [٩] بمهاجمة نعيم فى البريمى « تنفيذاً ، كما ذكر آنئذ ، لاتفاقية بينه وبين سعد بن مطلق تلزمه بمضايقة أهالى ذلك الإقليم بجميع الوسائل المتوفرة لديه ، ريثما يعود المبعوث المصرى بقوة كبيرة كافية » . [١٠] ورد رجال نعيم هذا الهجوم ، وأشعر المعتمد البريطانى شيخ أبو ظبى بأنه « إذا لم يقدم خلال ثلاثة شهور كتاباً مرضياً من رؤساء البريمى يشهدون فيه بأنه أزال جميع بواعث الشكاوى القائمة ضده ، فإنه سيعتبر عدواً للحكومة البريطانية ويرغم على دفع مبلغ ألف ريال ألمانى تعويضاً معقولا عن الأضرار التى ألحقها بمشايخ نعيم وآل بو شامس ، وعقاباً له على خرقه مواثيقه وعهوده الجدية التى قطعها للحكومة البريطانية » . [١١] ومن الواضح أن الحكومة البريطانية لم تكن تعتبر البريمى فى عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ملكاً لأبو ظبى .

---

(٧) مختارات بمباى ، ص ٤٤٧ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٤ .

(٩) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

(١٠) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

(١١) مختارات بمباى ، ص ٤٨١ .

١٤٦ – رفض رجال قبيلة نعيم الذين يعيشون فى قطر دفع الزكاة حينما طلبها منهم رئيس البحرين ولم يفلح المحافظ الذى عينه محمد على باشا على الحسا فى إرغامهم على ذلك عندما أرسل قوات نظامية لتحصيل الزكاة بالقوة[١٢] وكان أهالى هذه البقعة من جزيرة العرب مستعدين للقيام بما يفرضه عليهم الدين بكل ارتياح ، وذلك بتأدية الزكاة إلى حكومة إسلامية صحيحة كحكومة آل سعود إلا أن الحالة كانت مختلفة تماماً عندما لم تكن الحكومة القائمة حائزة على احترامهم وثقتهم وولائهم . وكانت الإجراءات التعسفية التى قامت بها قوات الاحتلال سبباً لإثارة حفيظة الأهالى ، وانتهت باغتيال محافظ الحسا فى شعبان عام ١٢٥٥ﻫ (اكتوبر ١٨٣٩ م) .[١٣]

١٤٧ – وفى عام ١٢٥٥ ﻫ (يناير ١٨٤٠ م) عقد المعتمد البريطانى اجتماعاً فى عجمان على الساحل لرؤساء البريمى أبلغهم فيه ما يلى :

> . . . على الرغم من عدم إمكان وضعهم تحت الحماية المباشرة للحكومة البريطانية ، فإنها تنظر إلى جهودهم فى صيانة استقلالهم بعين الارتياح ، ومن شأن ذلك أن يكفل لهم رضاها وحسن نيتها . . .[١٤]

ولم يقتصر المعتمد البريطانى على التشجيع الشفوى فى حث الرءوساء على التمسك باستقلالهم .

> بل زاد على ذلك توزيعه الأرز والأموال والذخيرة عليهم ، إبرازاً لفوائد اتصالهم بالبريطانيين ، ونظم هذا التوزيع بشكل جعل من الواضح أن الحكومة تبذل مساعداتها لمؤازريها المخلصين .[١٥]

١٤٨ – وأوفدت الحكومة البريطانية فى عام ١٢٥٥ ﻫ (يناير ١٨٤٠ م) الكابتن أتكنز هامرتون إلى البريمى لجمع المعلومات عن الإقليم وسكانه . وفيما يلى بعض الفقرات من تقرير هامرتون :

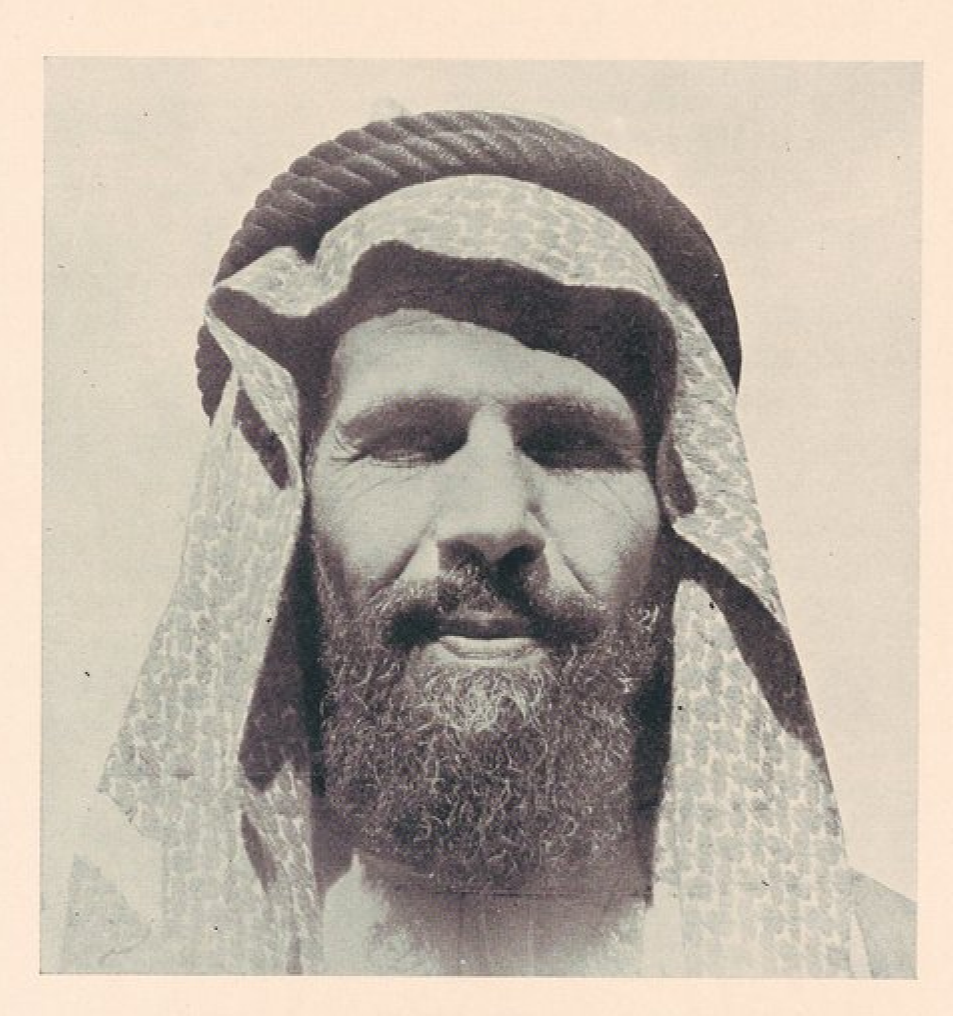
---

(١٢) مختارات بمباى ، ص ٤٤٨ .

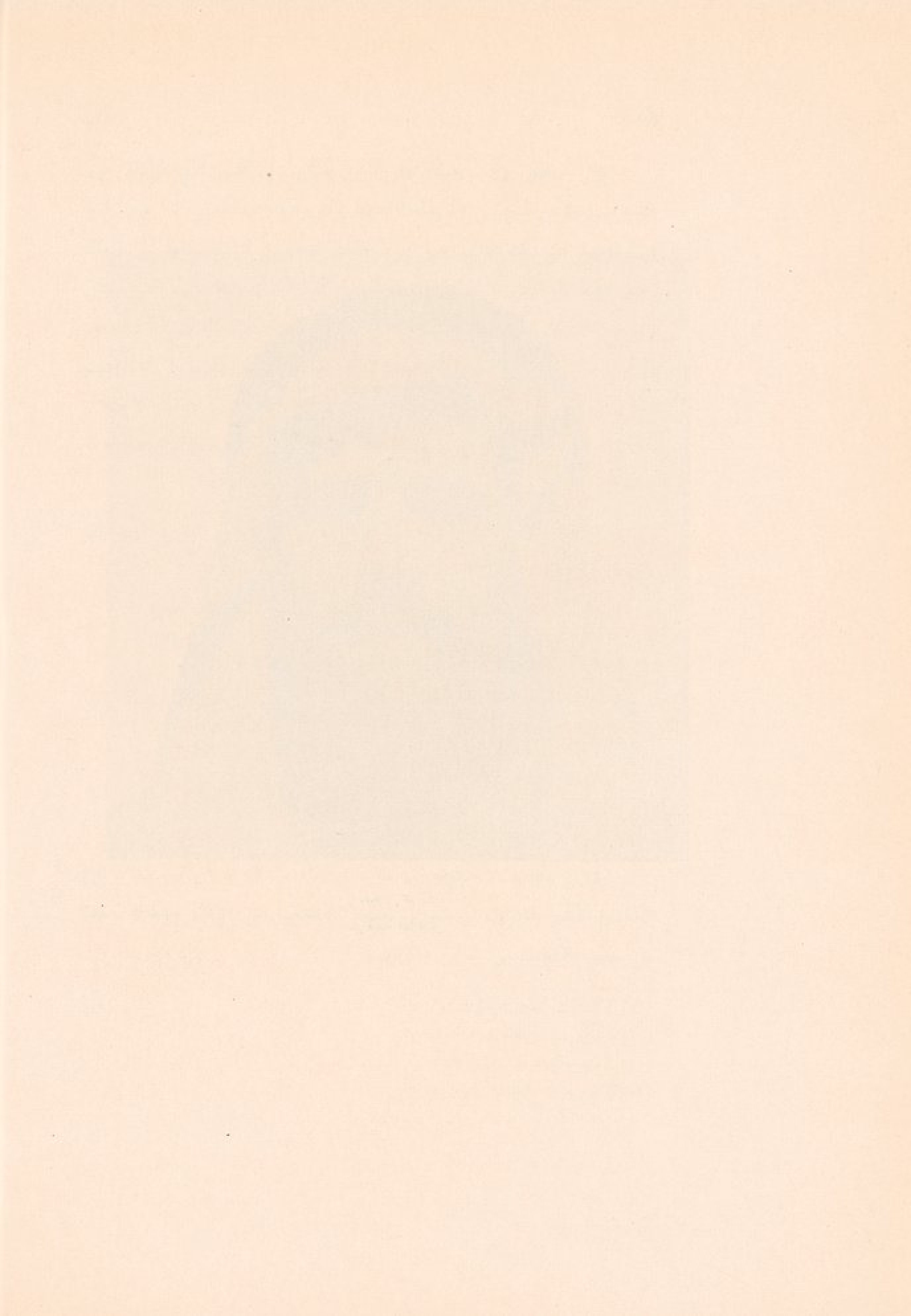
(١٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٨٧ .

(١٤) منتخبات بمباى ، ص ٣٣٧ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٠٥ .



سعيد بن مبارك
من قبيلة المناصير



البريمى بلدة كبيرة إلى حد ما ، مبنية من قوالب الطوب المجففة ، ويحيط بها سور مبنى من نفس الطوب ، غير أن الجزء الأكبر من البلدة يبدو فى حالة متهدمة ، كما أن السور مهدم تماماً . ويقع إلى الجانب الجنوبى من البلدة فى سهل منبسط ، قصر مربع تقريباً ، يحيط به خندق جاف عرضه حوالى ٢٤ قدماً فى داخله سور ارتفاعه ثمانية أقدام لحماية الرماة الذين يدافعون عن الخندق . وعلى مسافة ثلاثين قدماً تقريباً ، ووراء هذا السور ، يقع سور القصر وارتفاعه أربعة عشر قدماً ، وسمك قاعدته خمسة أقدام فى حين أن سمك السور فى أعلاه يتراوح بين ثمانى عشرة بوصة وقدمين . وعلى أركان القصر أبراج مستديرة الشكل غير متقنة البناء ، على أن البناء كله بالطوب المجفف . . .

والعرب الذين فى يدهم قصور البريمى ، هم فرع من قبيلة تسكن المنطقة المتاخمة . ويطلق عليهم فى الغالب نعيم البريمى ، والشخص الذى يعتبر الرئيس الأول فيهم يقيم فى مكان يدعى السنينة على بعد ثمانية عشر ميلا تقريباً من البريمى . وإذا اتحد الجميع تحت إمرته فإن عددهم قد يبلغ ألفين وسمائة مقاتل ، غير أن هناك أربعة رؤساء على الأقل ممن يتظاهرون بأن لهم سلطة مستقلة نوعاً ما ، وهم الذين يجب أن يعتبر خضوعهم لرئيس السنينة ناشئاً إلى حد ما عن اختيارهم كما أن قوتهم المتحدة عرضة فى الواقع لأن يصيبها الضعف كثيراً بسبب الحسد وسوء التفاهم اللذين قد ينشآن فيما بينهم .

ويبدو أن أهمية البريمى فى الدرجة الأولى مستمدة من مزارع النخيل التى تنمو دون عناء كبير ، وتبلغ مرتبة الكمال بفضل المياه الغزيرة التى تغمرها عند ما تندفع إلى السهل الذى تقع فيه البريمى فى قنوات تمتد من الجبال المجاورة .
ويعتبر تمر البريمى أجود من أى تمر يزرع فى مقاطعة عمان . والقمح الذى ينبت فى الوادى يعد من أجود الأصناف إلا أنه لا يزرع على نطاق واسع ، أما الفاكهة كالبرتقال والليمون والعنب والتين والمانجو والزيتون والرمان فتنمو بنجاح عظيم .

إن قصر البريمى – كما يعتقد – أقامه الوهابيون الذين ما كادوا يقيمون سلطتهم على ساحل جزيرة العرب حتى نشروا مذهبهم وفرضوا دفع الزكاة أو خمس الأموال . . . وتحت إشرافه (مطلق المطيرى) اكتسب القصر شكله الحالى وقد حفر حوله خندق يكون الآن خط دفاعه المنيع .

وبقيت البريمى بصورة عامة فى قبضة الوهابيين إلى أن تلاشى حكمهم ونفوذهم فاستقلت قبائل نعيم بحيازة البريمى . وبسبب أهميتها العظيمة ، لما تتمتع به من مركز وفوائد أخرى ، فإن احتلالها أمر لا بد منه لأية قوة تريد غزو عمان .(١٦)

---

(١٦) مختارات بمباى ، ص ١١٦ – ١١٨ .

ولا توجد كلمة واحدة في هذا التقرير الوافي عن أية حقوق لمسقط أو أبوظبي في البريمي .

١٤٩ — وفي عام ١٢٥٦ هـ (أبريل ١٨٤٠ م) عين الكابتن هامرتن مقيماً بريطانياً في مسقط ، ولكنه لحق بسعيد بن سلطان عندما قام برحلته الثانية إلى شرق إفريقيا ، فأسس قنصلية في زنجبار التي أصبحت « منذ ذلك الوقت المركز الرئيسي لإقامة سعيد » . (١٧) وعندما تضاءل شبح الخوف من توسع محمد علي باشا ، كان اهتمام البريطانيين بشئون سعيد في زنجبار أعظم من اهتمامهم بشئون عاصمته السابقة على ساحل خليج عمان . وعلى الرغم من جميع الأشياء التي فعلها الإنكليز لسعيد ، لم يستطيعوا بعد أن يكسبوه كلية إلى جانبهم ، إلا أنه كان يتقدم نحوهم . وفي يوم وصول هامرتون إلى زنجبار

لاحظ صورتين موضوعتين في إطارين فاخرين مذهبين ومعلقتين على جانبي كرسي الإمام في الغرفة التي كان يعقد فيها مجلسه . وكان موضوع الصورتين عبارة عن اشتباكات بحرية بين السفن الحربية الأمريكية والانكليزية ، ظهرت فيها سفن انكلترا تو استيلاء الأمريكان عليها ، وعملية انزال العلم الانكليزي ورفع العلم الأمريكي على الصارية . ولاحظ خلال زيارته الثانية أن هاتين الصورتين قد انزلتا ووضع مكانهما صورتان لموقعة نفارينو . (١٨)

١٥٠ — وفي عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) أدت مقاومة بريطانيا العظمى ودول أخرى إلى قلب الأوضاع رأساً على عقب ضد محمد علي باشا ، إلا أن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي زعزع مركزه في أواسط جزيرة العرب وشرقها .

ويبدو من الملاحظات الرشيدة التي أبداها المستر فرينل (الوكيل القنصل الفرنسي في جدة) وهي ملاحظات قيمة وصحيحة لأن هذا الوكيل استطاع خلال مدة إقامته الطويلة في جزيرة العرب التي كان يتقن لغتها ، أن يقوم بدراسة عميقة لعادات

---

(١٧) مختارات بمباي ، ص ٢١١ .

(١٨) كروفتون « القنصلية القديمة في زنجبار » (١٩٣٥ م) ص ٤ ، مبني على رسالة من هامرتون إلى حكومة بمباي .

البلاد وتاريخها وتقاليدها ، أقول يبدو من هذه الملاحظات أن سلطة محمد على برمتها ما كانت لتستطيع اخضاع القبائل العربية . وعلى الوالى أن يهنيء نفسه لأنه استطاع أن يجد ذريعة ملائمة لسحب قواته من داخل البلاد التى ما كانت – بفضل تعلقها القوى بالاستقلال – لتحتمل وجود أية قوات احتلال فى أرجائها.(١٩)

وفى عام ١٢٥٦ هـ (أواخر ربيع ١٨٤٠ م) انسحبت قوات محمد على باشا من الحسا ومن ثم من نجد بعد ذلك بقليل ، وترك خالد بن سعود لتولى زمام الأمور على أن يخضع لإشراف المحافظ الذى نصبه محمد على باشا فى المدينة المنورة .

---

(١٩) كوشليه ، القنصل الفرنسى العام فى مصر ، فى رسالته إلى تيير بتاريخ ١٠ يونيو ١٨٤٠ ، فى كتاب ادوار دريو « مصر وأوربا : الأزمة من الى ١٨٣٩ إلى ١٨٤١ م » مجلد ٢ (١٩٣٠ م) ص ٣٠٧ .

١٢ – حكم خالد بن سعود ١٢٥٦ – ١٢٥٧ هـ (١٨٤٠ – ١٨٤١ م)

١٥١ – وبينما مكن جلاء قوات محمد على باشا خالد بن سعود من السير نحو الاستقلال فى نجد ، كانت افكار خالد تتجه ، شأنه فى ذلك شأن بقية أفراد آل سعود ، إلى البريمى وعمان . وقد تحققت السلطات البريطانية المعاصرة من اتجاه شعور الأهالى فى المنطقة :

> ... ومع أن الرؤساء البحريين من العرب كانوا يجاهرون بعزمهم على التمسك باستقلالهم ، فقد عرف عنهم أنهم يقومون بالدسائس والمراسلات معه (أى سعد ابن مطلق ممثلا لخالد) .[١]

١٥٢ – وانتقل خالد بن سعود فى عام ١٢٥٧ هـ (أواخر ١٨٤١ م) من نجد إلى الحسا . وظن المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أن خالداً يفكر فى إرسال سعد بن مطلق إلى عمان ، فأوفد إليه فى نوفمبر اللفتننت جوب فى الحسا لإبلاغه معارضة البريطانيين لهذه الخطوة . ولم توافق الحكومة البريطانية فى الهند كل الموافقة على ما فعله المعتمد، إذ لم تكن راغبة « فى تتبع تصرفات الأمير بالدقة التى كانت تتبع بها تصرفات المصريين . كما أنها (أى حكومة الهند) عند ما علمت بتلك المهمة ، كانت تميل إلى الشك فى لياقتها ... »[٢] ولم ينتج شىء عن الموضوع ، على كل حال ، إذ لم يكن خالداً قوياً بحيث يتمكن من بقاء مركزه رئيساً للدولة عندما ثار عليه شخص آخر من أفراد البيت السعودى هو عبد الله بن ثنيان .[٣]

---

(١) مختارات بمباى ، ص ٤٥١ .
(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٦ – ١١٠٧ .
(٣) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٩٥ .

١٣ – عهد عبد الله بن ثنيان ١٢٥٧ – ١٢٥٩ هـ (١٨٤١ – ١٨٤٣ م)

١٥٣ – وحالما أصبح عبد الله بن ثنيان حاكماً في الرياض ، اتجه بفكره أيضاً إلى البريمى وعمان . ويقول لوريمر :

> ومهما يبلغ أمير الوهابيين من الضعف فإن كرامته كانت تقتضى فى هذه الفترة أن يثبت على مطالبه فى السيادة على عمان البعيدة . . . [١]

وكتب عبد الله إلى رؤساء الإقليم يشعرهم بعزمه على إرسال سعد بن مطلق ليكون ممثلا سعودياً هناك ، « ويدعوهم بشكل ودى أن يتحدوا ويقدموا إليه كل معونة ومساعدة »[٢] ونجح المعتمد البريطانى بالوكالة الكولونيل روبرتسون فى الحصول على أصول كتب عبد الله ما عدا الكتاب الموجه إلى خليفة بن شخبوط فى أبو ظبى ، الذى « ادعى لنفسه حق الاحتفاظ بالكتاب وأنكر حق السلطة البريطانية فى أن تطلبه منه »[٣] وقد كتب الكولونيل روبرتسون إلى عبد الله :

> يشرح له الأثر السيء الذى نجم عن نشر التعاليم الوهابية بين رؤساء القراصنة والذى أدى إلى إنزال القصاص بهم من قبل الحكومة البريطانية ، ويستنكر محاولاته الحالية لوضعهم مرة أخرى تحت سلطة الوهابيين ونفوذهم حيث أن قصده من ذلك هو أن يعيد إلى أذهانهم أعمالهم الماضية فى ذلك المجال عند ما سبق لهم أن استثيروا بشكل مماثل من قبل أسلافه ، وأن يثير الميول الوحشية فى هؤلاء الذين استقروا الآن مواطنين مسالمين فيعرضهم لانتقام الحكومة البريطانية المعادل . [٤]

فبعث عبد الله بن ثنيان برد على هذا الكتاب شرح فيه بصدق واختصار سياسة الحكومة السعودية وصرح عن

---

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٨ .

(٢) مختارات بمباى ، ص ٤٥٢ .

(٣) مختارات بمباى ، ص ٤٥٢ .

(٤) مختارات بمباى ، ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .

نيته فى التعاون مع الحكومة البريطانية للقضاء على أعمال القرصنة ، وانه كان قد أذاع نيته هذه على أهالى عمان الذين يدعوهم رعاياه ، وكذلك على الأهالى فى بلاد أخرى يناشدهم الامتناع عن انزال الأذى بالآخرين ، وأن يسلكوا فيما يتعلق بالبحر السبيل المبين . (٥)

١٥٤ — وشرع عبد الله بن ثنيان أيضاً فى القيام بمراسلات مع رؤساء البريمى وقد اعترف الموظفون البريطانيون فى ذلك الوقت بأن من بين هؤلاء من « خطب ود الحاكم الوهابى الجديد وصداقته ، ورغبوا فى تقديم خضوعهم له . . . »(٦) أما فيما يتعلق بالإقليم بصورة عامة فقد قيل « إن رؤساء العرب يميلون بشكل عام إلى استعادة النفوذ الوهابى » . (٧)

١٥٥ — وفى أوائل عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) فر فيصل بن تركى من القاهرة (٨) ، ووصل إلى نجد ، ولم يكن خالد بن سعود أو عبد الله بن ثنيان قد تمكنا من اكتساب الصفة الشرعية الكاملة لأن يخلفاه فى نظر أهالى نجد الذين استولى عليهم الفرح لعودة زعيمهم السابق .

١٥٦ — وفى ربيع عام ١٢٥٩هـ (١٨٤٣ م)قام أخ لرئيس أبو ظبى على رأس جماعة تقصد النهب ، قوامها مائة وخمسون شخصاً من راكبى الجمال ، فاتجهوا إلى الداخل حيث ابتدأوا بمهاجمة أفراد من قبائل بنى قتب ثم بقافلة عائدة من البريمى إلى الشارقة . واشترك الرئيس ذاته فى العام نفسه بغارة مماثلة على الكثير من قطعان الغنم والإبل وأموال منقولة أخرى عائدة إلى بنى قتب ونعيم وقبائل أخرى. (٩)

---

(٥) مختارات بمباى ، ص ٤٥٣ .
(٦) مختارات بمباى ، ص ٤٥٣ .
(٧) مختارات بمباى ، ص ١٥٨ .
(٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ٩٩ .
(٩) مختارات بمباى ، ص ٤٨٤ — ٤٨٥ .

١٤ ـ العهد الثانى لحكم الإمام فيصل بن تركى ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ (١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م)

١٥٧ ـ افتتح فيصل بن تركى عهده الثانى بأن أقام حكمه فى الرياض عام ١٢٥٩ هـ (يونيو ١٨٤٣ م) . [١] وكانت هذه بداية مدة استغرقت أكثر من عشرين عاماً وثبت أنها كانت من أفضل العهود فى تاريخ جزيرة العرب الحديث ، ومن أعظمها استقراراً . ولم يقتصر الأمر على مسارعة سكان نجد لمبايعته ، بل تطايرت الأنباء مسرعة إلى جميع البلاد التى كانت منضمة للدولة من قبل ، فقوبلت بسرور فى كل مكان .

١٥٨ ـ ويصف لوريمر ، المؤرخ البريطانى الرسمى ، فيصلا بأنه « متميز بالوقار وضبط النفس . . . محترم لعدالة أحكامه . » [٢] ويستمر قائلا :

> يبدو أن فيصلا احتفظ فى أراضيه بالنظام الكامل ، ومنذ السنة الأولى من حكمه أظهر نشاطاً عظيما فى حماية قوافل الحجاج السنوية القاصدة إلى البلاد المقدسة من غارات البدو . [٣]

١٥٩ ـ وقد وجه فيصل رسالة عامة إلى رعاياه بمجرد توليه العرش وهى رسالة مشابهة فى معانيها لتلك الرسائل التى حررها خلال عهده الأول (الفقرة ١٢٤ السابقة) . فبعد أن حث الناس على أداء فرائضهم مسلمين ومواطنين صالحين أكد أهمية دفع الزكاة . [٤] وقد قرئت الرسالة فى جميع مساجد الدولة وهى الأمكنة المعتادة لتجمع الناس ، وتكررت قراءتها بعد ذلك مرة كل شهرين .

---

(١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٩ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٠٩ .

(٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٥ .

١٦٠ — وفى عام ١٢٥٩ ﻫ (يوليو ١٨٤٣ م) أى بعد شهر من استرداد العرش بعث الإمام فيصل رسلا إلى رؤساء عمان الساحلية والداخلية ، بما فى ذلك البريمى ، يخبرهم بأن سعد بن مطلق سيذهب إليهم بعد انتهاء فصل القيظ لإعادة السلطة السعودية إلى الإقليم . وقد رجع اثنان من الرؤساء فى البريمى إلى الحكومة البريطانية فى هذا الشأن ، مستعلمين عن موقفها إزاء ذلك .

> وكان جوابها لهما أن مراسلات الحكومة البريطانية معهم فى السابق كانت تشير فقط إلى تقدم القوات المصرية وبصدد العلاقة القائمة بين عظمة محمد على ونجد . إلا أن هذه الظروف تغيرت تماماً الآن ، وقد أزيل الخطر برحيل تلك القوات التى كانت تحت قيادة خورشيد باشا ، من البلاد . ولهذا فان نية الحكومة البريطانية هى التخلى عن كل تدخل فى الشئون الداخلية لجزيرة العرب . (٥)

ويمكن استرعاء اهتمام خاص إلى سياسة بريطانيا فى تحاشى « كل تدخل فى الشئون الداخلية لجزيرة العرب » .

١٦١ — وكان الإمام فيصل — كسائر أسلافه وخلفائه من آل سعود — يرغب فى أن يكون على صلات حسنة مع الحكومة البريطانية . وما دامت الحكومتان تتبعان سياسة سليمة يقصد منها المحافظة على مصالحها المشتركة ، وما دامت الحكومة البريطانية ممتنعة عن « كل تدخل فى الشئون الداخلية لجزيرة العرب » فليس ثمة من عقبة فى طريق تقدم العلاقات الودية ، ويبدو ذلك جلياً فيما احتوت عليه سجلات بمباى من المراسلات التى تمت بين الجانبين عام ١٢٥٩ﻫ (١٨٤٣ م) :

> وفى نفس هذا الوقت أيضاً تلقى المعتمد رسالة من الأمير (فيصل) يعبر بها عن رغبته فى تجديد العلاقات الودية التى كانت قائمة بين والده تركى والحكومة البريطانية . وقد أجيب على رسالته الطيبة بما ينبغى ، وأكد له أن غرض الحكومة البريطانية الوحيد فى هذه الناحية هو قمع السلب والنهب وحقن الدماء فى أعالى البحار ، ثم تأمين سلامة السكان ذوى النية الحسنة على شواطىء الخليج ليتمكنوا من القيام

(٥) مختارات بمباى ، ص ٤٥٤ .

بأعمالهم المختلفة . وكانت هذه الآراء – كما صرح الأمير – هى نفس الأفكار التى تجول فى خلده . وكان لابد من أن يترك العلم بوجود اتصال ودى بين السلطات البريطانية وحاكم نجد أثراً طيباً مفيداً فى أذهان أهل البحر من العرب .[٦]

١٦٢ – وعند ما غادر الإمام فيصل نجد لزيارة الأراضى السعودية قرب الخليج الفارسى قام باتخاذ اجراءات تأديبيه قرب القطيف فى أواخر عام ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) على قبائل المناصير وآل مرة وبنى هاجر ، وكانوا جميعهم متهمين بخرق قوانين الإسلام والدولة[٧] .

١٦٣ – وفى أوائل عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) قضى الإمام فيصل نحو أربعين يوماً فى الحسا حيث زاره عدد كبير من رؤساء قبائل البادية ورؤساء عمان . وعين أحمد بن محمد السديرى أميراً جديداً فى مقاطعة الحسا .[٨]

١٦٤ – وأرسل الإمام فيصل سعد بن مطلق المطيرى أميراً على البريمى فى ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)، وكان يرافقه الشيخ ناصر بن على العَرينى ليتولى القضاء باسم الحكومة السعودية . وينتمى الشيخ ناصر إلى العرينات وهم من أشهر فخوذ نجد . أما سعد بن مطلق فتصفه السجلات البريطانية بأن له « نفوذاً شخصياً عظيما بين القبائل العربية ، كما أن له معرفة تامة بمصالحهم المختلفة المتعارضة» .[٩] وفى هذه السجلات وصف لاستقباله فى البريمى .

... سارع أصحاب قصور البريمى لتقديم خضوعهم عندما سمعوا بقرب وصوله وتقدم الرؤساء البحريون ليخدموه ، كما التحمت به قبائل نعيم والظواهر وآل بوشامس وسلموا له القصور التى أرادها ، وبالاختصار كان الجميع يتنافسون فى إظهار الترحيب ، ويتسابقون فى الإعراب عن تأييدهم له .[١٠]

---

(٦) مختارات بمباى ، ص ٤٥٤ .
(٧) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٠٨ .
(٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١١٠ .
(٩) مختارات بمباى ، ص ٤٤٦ .
(١٠) مختارات بمباى ، ص ٤٥٦ .

ومن بين القبائل الأخرى التى جددت ولاءها للحكومة السعودية، خلاف ما ذكر فى هذا الاقتباس، البلوش الذين يعيشون فى القسم الجنوبى من الظاهرة، وهناك وثيقة مؤرخة ٩ جمادى الأولى عام ١٢٦١ هـ (نحو ١٦ مايو ١٨٤٥ م) وعليها خاتم سعد بن مطلق، وقد حفظها شيوخ البلوش، وتوجد صورة لها مرفقة بهذا العرض. وهذه الوثيقة ذات أهمية بالغة لأسباب ثلاثة، الأول أنها تظهر أن الأمير السعودى كان يدير فى أعماله العادية جميع الشئون المتعلقة بكافة الإقليم الذى تقع البريمى فى وسطه، وقد امتد اختصاصه حتى تلك الأماكن البعيدة نسبياً مثل بلدة المازم التابعة للباوش، أما السبب الثانى فلأنها تظهر أن جهاز الإدارة كان على الطراز العادى الذى تسير عليه الدولة السعودية، وكانت تحال إلى السلطات القضائية المسائل التى تدخل ضمن اختصاصها، ولم تكن البريمى مجرد مركز حدود أمامى تحتله حامية دولة أجنبية، وإنما كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة التى تتبعها كما كانت عاصمة إقليمية بالمعنى الكامل، وأما السبب الثالث فهو أن هذه الوثيقة تعكس تعلق البلوش المتين بالقضية السعودية، إذ احتفظوا فى حرص بهذه الوثيقة مدة مائة وعشرة أعوام، وذلك رقم قياسى فى إقليم لا تبقى فيه إلا أوراق قليلة أكثر من جيل واحد.

١٦٥ — وعند ما وصل سعد بن مطلق إلى البريمى كان سعيد بن سلطان لا يزال فى شرق إفريقيا وقد ترك ولده ثوينى نائباً فى مسقط. ويصف مساعد المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ثوينى المذكور بأنه «رجل ذو مزاج ضعيف ومتقلب بشكل عجيب، كما أنه شخص غير صالح ولا قدرة له على الاحتفاظ بهيبة والده أو فرض الطاعة على رعاياه».[١١] وعندما كان ثوينى يواجه بالمصاعب كانت «طريقة تصرفه المعتادة»[١٢] اللجوء إلى طلب النصح من المعتمد البريطانى وربما كان هذا هو السبب الذى جعل البريطانيين يرضون به ثم يقفون بجانبه

(١١) مختارات بمباى، ص ٢١٥ — ٢١٦.
(١٢) مختارات بمباى، ص ٢١٦.

عندما خلف والده فى حكم مسقط . ولما جرت المباحثات بين ثوينى وسعد بن مطلق بشأن العلاقات بين الدولة السعودية ومسقط ، نصح المعتمد البريطانى ثوينى :

> بأن ينشىء تفاهماً حسناً مع الأمير الوهابى ، إذا استطاع ، وأن يقبل الشروط التى قد يقدمها إليه ، ما لم يكن فيها ما يزرى بمهابة والده . أما إذا ثبت أن طلبات فيصل تتسم بطابع الغطرسة أو المغالاة بحيث تقضى على استقلاله كحاكم ، فإن من الحكمة إذ ذاك أن يذكر للأمير أنه لا يستطيع قط أن يخضع للاحتياجات المطلوبة على يديه مالم توافق الحكومة البريطانية—التى هى حليفته — على ذلك .[١٣]

١٦٦ — وقد ضعفت سلطة سعيد بن سلطان حاكم مسقط فى شاطىء الباطنة ، بله المناطق الداخلية من عمان ، وهى أكثر توغلا وأصعب اتصالا . وبلغ فيه الضعف أن اعترف عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) باستقلال قريبه حمود ابن عزان ، ورئاسته على صحار . وكان ذلك بتوسط المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى .[١٤] واشترك حمود فى المفاوضات التى جرت بين سعد بن مطلق وثوينى فى عام ١٢٦١ هـ (النصف الأول من ١٨٤٥ م) . واتفق فى النهاية على أن يدفع حمود أتاوة سنوية مقدارها ٥٠٠٠ ريال إلى الحكومة السعودية بينما وعد ثوينى بالكتابة إلى والده فى طلب التعليمات . وقد أمر سعيد بن سلطان ولده بأن يقتصر فى حالة حدوث خلاف مع الوهابيين على الدفاع عن الحصون وأن لا يغادر مسقط بأى حال من الأحوال .[١٥] ولا يعقل أن يكون هذا موقف حاكم واثق من عدالة ادعاءاته بممتلكات واسعة فى جزيرة العرب .

١٦٧ — وفى أوائل عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) ألف سعد بن مطلق قواته فى الغبى ، وهو مكان يقع على مسافة إلى الجنوب الشرقى من البريمى « ولم تتوان

---

(١٣) مختارات بمباى ، ص ٢١٦ .

(١٤) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٥ و ٣٢٠ و ٣٢١ .

(١٥) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .

القبائل عن الطاعة »[١٦] وتبين العبارة التالية فى سجلات بمباى تشكيل هذه القوة :

> ... لقد جمعت قوة كبيرة فى سرعة . وقد جمع من بنى قتب وحدهم قوات مساعدة وصلت إلى ٣٠٠ فارس وألف من المشاة ، وهرعت أعداد كبيرة من القبائل الأخرى للانضمام تحت لوائه .[١٧]

« ولم يكن من السهل مقاومة مثل ذلك الجيش القوى »[١٨] كما لم تكن مسقط فى وضع ملائم للمقاومة :

> وكل شىء ... كان فوضى واضطراباً فى مسقط . إما لم يشعر أحد بالخطر المحدق به ، وإما كان مستسلماً للقضاء المحتوم ، سواء أكان الصمود أم السقوط . ولم يكن ثمة جنود ، أو على الأقل رجال يستحقون ذلك الاسم . وكانت الحامية قد عززت منذ زمن بمن انضم إليها من القبائل المجاورة ، ولكن هؤلاء تركوا المكان وعادوا إلى ديارهم . وهكذا كانت حالة مسقط العزلاء . وهكذا كان خمول سكانها حين تعرضت بلادهم لتهديد الوهابيين .[١٩]

وفى هذه المرحلة الحرجة تدخل البريطانيون كعادتهم دائماً لصون مسقط من السقوط . وكتب المعتمد إلى الإمام فيصل فى عام ١٢٦١ هـ (٢٥ يونيو ١٨٤٥ م) « معترضاً على إجراءاته فى عمان ، وراجيا منه إن كان يقدر صداقة الدولة البريطانية ، ألا يسمح بغزو ممتلكات عظمة الإمام (حاكم مسقط) » .[٢٠] وكذلك كتب المعتمد إلى سعد بن مطلق « راغباً إليه أن يقف الحركات الحربية ريثما يتلقى تعليمات أخرى من رئيسه (فيصل) » .[٢١] وتلقى ثوينى فى ذلك الوقت أوامر جديدة من والده « تخوله — إذا ألجأته الضرورة القصوى — أن يدفع إلى

---

(١٦) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .
(١٧) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .
(١٨) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ .
(١٩) مختارات بمباى ، ص ٢١٧ — ٢١٨ .
(٢٠) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .
(٢١) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .

الوهابيين أتاوة سنوية قدرها ٦,٠٠٠ ريال » .[٢٢] وقد رد الإمام فيصل على كتاب المعتمد بجواب رقيق عبر به عن الشعور العظيم بالصداقة التى يكنها للحكومة البريطانية .[٢٣] ولم ينس أن يتوسع « بعض الشيء فى الكلام عن حقه فى ممارسة السلطة على مقاطعة عمان » .[٢٤] أما مسقط فقد وقف فيصل فيها موقف المصالحة « وانتهى الأمر بشكل مرض لسلطات مسقط أكثر مما كانوا يستحقونها أو يتوقعون » .[٢٥] ووافق ثوينى بالنيابة عن والده على دفع أتاوة سنوية مقدارها خمسة آلاف ريال وانسحبت القوات السعودية ، واستقر السلام .

١٦٨ – وكانت سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) سنة مليئة بحوادث الاغتيال فى أبو ظبى ، ففى الصيف وثب مغتصب على خليفة بن شخبوط فقتله وقتل أخاه . واغتيل القاتل بدوره بعد شهرين ولكن نجله عاد فأخذ بثأره ، وانتهت إلى حين « مناظر القتل وإراقة الدماء »[٢٦] وأسرع المعتمد البريطانى « الذى كان يراقب سير الأمور باهتمام . . . فبذل ما فى وسعه من تأييد معنوى »[٢٧] لتنصيب سعيد بن طحنون زعيما جديداً .

١٦٩ – وصفت منزلة سعيد بن سلطان فى جزيرة العرب فى عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) فى رسالة من هامرتون القنصل البريطانى فى زنجبار إلى حكومة بمباى جاء فيها :

> بدا لى دائماً أن الامام (سعيد حاكم مسقط) لا يظهر إلا قليلا من العناية بممتلكاته فى جزيرة العرب فيما يتجاوز المواني البحرية . وأن نفوذ صاحب العظمة فى عمان

---

(٢٢) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .
(٢٣) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .
(٢٤) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .
(٢٥) مختارات بمباى ، ص ٢١٨ .
(٢٦) مختارات بمباى ، ص ٤٨٨ .
(٢٧) مختارات بمباى ، ص ٤٨٨ .

الداخلية قد ولى دون رجعة بسبب الطابع الواهن لحكومته ، وهو ما يعرفه ويشعر به وأوفد صاحب العظمة فى العام الماضى الشيخ على بن مسعود من زنجبار إلى عمان ليحاول الظفر برجال من القبائل المختلفة فى عمان ليساعدوا صاحب العظمة فى الحرب التى يشنها الآن على سكان سيوى ، غير أن الشيخ عاد دون أن يتمكن من الظفر بسيف واحد من قبائل عمان . (٢٨)

ويقول رجبى الذى خلف هامرتون « إن غيابه (سعيد) عن عمان قضى على نفوذه بين القبائل وكاد يتسبب فى فقد جميع ممتلكاته فى جزيرة العرب » (٢٩) وكانت المحاولة التى جرت عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) لإحياء إمامة الأباضيين القديمة ، نتيجة لفقدان الأمل فى حاكم مسقط من قبل أهالى عمان وبوجه خاص القاطنين منهم فى الداخل . واجتمع فى الرستاق العاصمة القديمة كبار الأباضيين قادمين من جهات وبلدان مختلفة ، لانتخاب إمام لعمان بأسرها . وقد توصلوا إلى الاتفاق ثلاث مرات ، ولكن فى كل مرة كان الشخص المنتخب يرفض قبول ذلك المنصب .(٣٠) وكان أحد الثلاثة المنتخبين حمود بن عزان ، حاكم صحار ورئيسها منذ عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) (الفقرة ١٦٦ السابقة) وهو أحد أعمام عزان بن قيس ، الذى أصبح فى ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) الإمام الوحيد المنتخب فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) (الفقرة ٢٢٠ اللاحقة) ومن بين الزعماء الاباضيين الذين اشتركوا فى البحث عن إمام جديد فى عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى ، جد الإمام الثانى فى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) .

١٧٠ — وتتحدث المصادر البريطانية الرسمية عن تناقض التأييد الشعبى لسعد ابن مطلق عقب نجاحه الأول ، ولكن هناك مبالغات ظاهرة وتشويهاً للحقائق فى الأقوال التى وردت إن الطريقة التى قام بها أهالى المنطقة بتأييد سعد بعد

(٢٨) أوردها رجبى فى أوراق باجر ، وجه ورقة ٢١٩ وظهرها .

(٢٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢١٩ .

(٣٠) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٠٩ — ٢١١ .

الاحتلال الموقت للبريمى من قبل زعيم أبو ظبى عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) (الفقرة ١٧٣ اللاحقة) تقيم البرهان على أنه إذا كان هنالك شعور بالاستياء من شخص سعد ، فإنه لم يكن يمثل القوة التى ترغب المصادر البريطانية فى أن يتصورها الناس . ويتضح من سجلات بمباى أن مركز المعارضة الرئيسى من جانب بعض القبائل كان فى الباطنة على الجانب الآخر من الجبال من جهة البريمى . [٣١]

١٧١ – وقد حل عبد الرحمن بن ابراهيم محل سعد بن مطلق المطيرى أميراً على البريمى عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) وهو من أهالى بلدة منفوحة الواقعة فى نجد [٣٢] . وقد وصل الأمير الجديد إلى مقر عمله تصحبه حاشية مؤلفة من عشرين شخصاً فقط ، وهو عدد ملائم جداً لمثل هذا المنصب فى زمن السلم . ولم يبق عبد الرحمن طويلا فى البريمى ، ولما غادرها أقام مكانه محمد ابن سيف العجاجى . [٣٣]

١٧٢ – وبعد أن عقد سعيد بن سلطان معاهدة مع البريطانيين سرى مفعولها من عام ١٢٦٣ هـ (أول يناير ١٨٤٧ م) لمنع استيراد الرقيق من ممتلكاته الإفريقية ، ارتكب أول مخالفة لهذه المعاهدة « وهى قضية فادحة » [٣٤] من قبل ثوينى بن سعيد ، ممثل والده فى مسقط ، وكان ذلك فى السنة ذاتها . وقد قام الشاب « بتبرئة نفسه من ملامة هذه الصفقة بالقول والإصرار على أنه ليس فى المعاهدة ما يحظر شراء الرقيق أو بيعهم من الأحباش وإنما أشارت المعاهدة فقط إلى المتاجرة بالزنوج والصوماليين وكذلك ثبت أن فخامته (ثوينى) ثار على الوكيل البريطانى لاقدامه على التدخل فى هذا الموضوع ، ومع أنه امتنع

(٣١) مختارات بمباى ، ص ٢١٩ .
(٣٢) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١١٧ .
(٣٣) « عقود الجمان » ص ٩٢ و ١٥٣ .
(٣٤) مختارات بمباى ، ص ٢٢٠ .

عن إظهار غضبه له شخصياً إلا أن العبارات التى استعملها فى التكلم عنه مع الآخرين كانت قاسية ومنطوية على الإهانة » .[٣٥] وطلب من سعيد أن يفهم ابنه أن الرقيق هو الرقيق سواء كان « زنجياً أو صومالياً أو حبشياً» .[٣٦] واستمرت الحكومة البريطانية فى اعترافها بثوينى نائباً عن والده فى مسقط .

١٧٣ — وفى عام ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) قرر سعيد بن طحنون حاكم أبوظبى أن يتحدى الحكم السعودى فقام بمهاجمة البريمى . وكان سعد بن مطلق ، أكفأ المندوبين السعوديين فى ذلك الوقت ، غائباً عن البريمى ، وكانت الحامية الصغيرة بقيادة محمد بن سيف العَجاجى تنعم بالاطمئنان والأمن ، الأمر الذى جعلها غير مستعدة لصد ضربة مفاجئة . يضاف إلى ذلك أن قوة أهالى البريمى المعهود فيها المقاومة كانت قد ضعفت بسبب نزاع قام بين آل بوخربيان وآل بوشامس ، الفرعين الرئيسيين لقبيلة نعيم .[٣٧] وفى أول الصيف احتل سعيد بن طحنون قصراً سعودياً فى جزء من الواحة تابع للظواهر وبعد شهر استولى على القصرين السعوديين الرئيسيين فى وسط الواحة وهما قصر الصبارة وقصر الخندق[٣٨] وفى الحال ، رد فيصل على هذا العدوان الذى لا مبرر له بأن أرسل سعد بن مطلق على رأس قوة تأديبية . ولدى اقتراب سعد من البريمى ، أخفق فى حماية فصيلته ، لأنه لم يرسل عيوناً إلى جميع الجهات . وحاول رؤساء دبى والقواسم أن يحذروا سعداً من أن سعيد بن طحنون كان يكمن له فى الطريق ، لكن رسلهم لم تلتق بسعد ، ووقعت القوة السعودية فى الكمين وهزمت فى العانكة الواقعة غربى البريمى . وكان من بين القتلى الشيخ عبد الرحمن بن عزاز القاضى السعودى

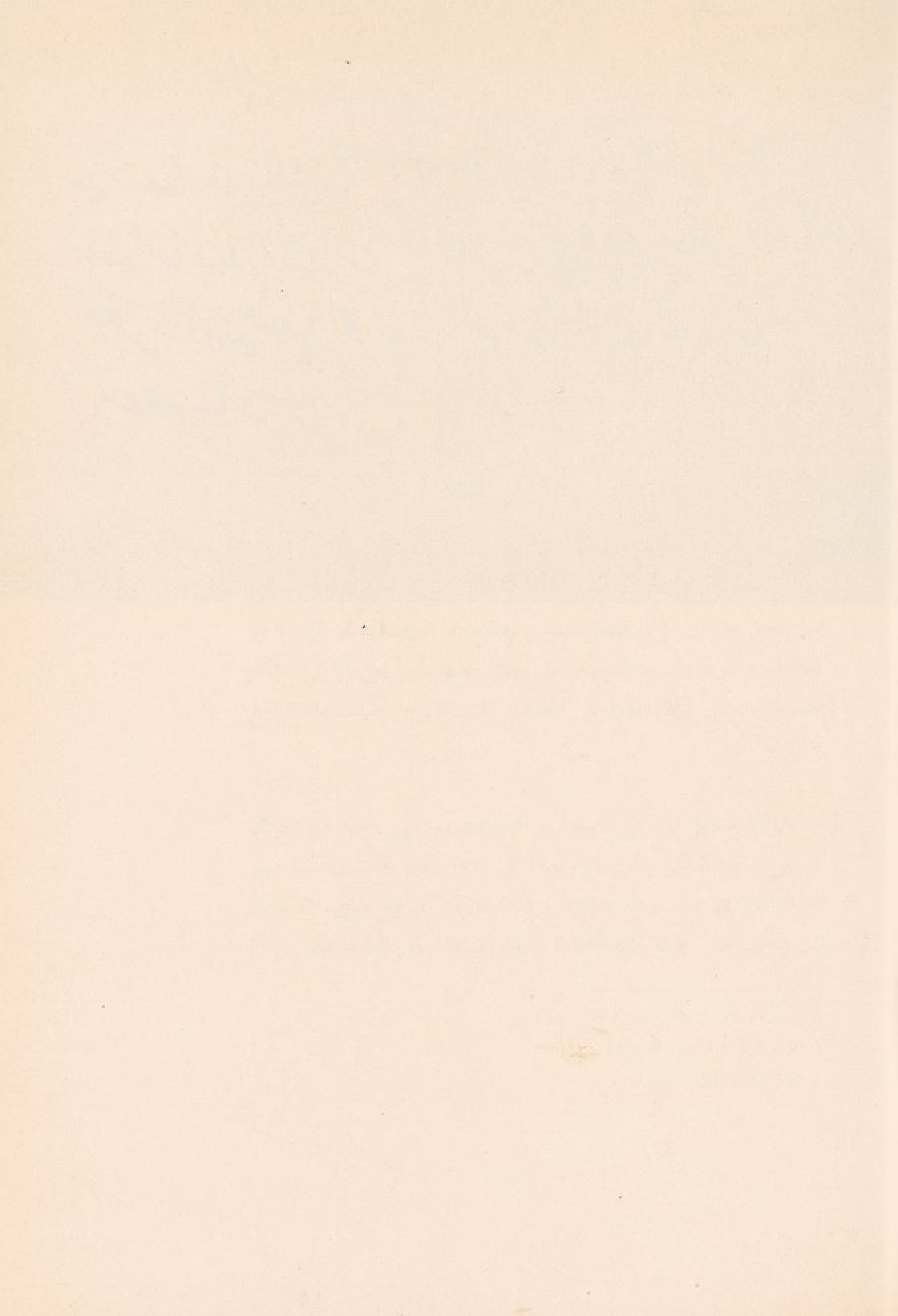
---

(٣٥) مختارات بمباى ، ص ٢٢٠ .

(٣٦) مختارات بمباى ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٣٧) « عقود الجمان » ، ص ٩٣ .

(٣٨) مختارات بمباى ، ص ٤٩٠ .



من سعد ابن مطلق الى الاخ خلفان ابن بنيه اعلم البلاد ووجه
عبد الله ابن لاشد ابن ... على يدي عليه يطلب وان كنت
حق تخلصه حقه والا ... عند الشيخ العريبي ليكون لديك
معلوما والسلام

1261

1209

الذى رافق الحملة . (٣٩) وفر سعد من ميدان هزيمته إلى الساحل حيث قام الرؤساء والأهالى بجمع قواهم لمعاونته على استرداد موقفه المفقود . وكانت القوى المتحالفة على تأييد سعد قوية لدرجة جعلت سعيد بن طحنون يدرك أن بقاءه فى البريمى أمر ميئوس منه . فوافق فى عام ١٢٦٥ هـ (فبراير ١٨٤٩ م) بدون وقوع أية معركة على إبرام صلح نص فيه على أن

تعاد قصور البريمى إلى سعد بن مطلق ، ويطوى كل ما مضى فى صفحة النسيان ، ويعود كل فريق إلى الوضع الذى كان قائماً قبل نشوب القتال . (٤٠)

ويعتبر احتلال البريمى هذا الذى استمر مدة ثمانية أشهر ، المرة الوحيدة فى التاريخ لوقوع الواحة فى يد حاكم أبو ظبى . ومع أن الصلح نص على أن « يطوى كل ما مضى فى صفحة النسيان » إلا أن ضمير سعيد بن طحنون أخذ فى تأنيبه خصوصاً بعد أن عرف تماماً قوة الدولة السعودية وعزمها ، وبعد مرور أقل من عامين جاء إلى الإمام فيصل يلتمس الصفح عما اقترفت يداه (الفقرة ١٧٩ اللاحقة) . وبعد أن استعاد سعد بن مطلق منصبه أميراً على البريمى ، قام بتسوية ما بين فرعى نعيم من الخلاف الذى كان من أسباب هذا التراجع الموقت (٤١) .

١٧٤ — وعلى الرغم من أن سعيد بن طحنون فى أبو ظبى ، جرؤ على احتلال البريمى ، فإنه لم يكن بالمعنى التام سيداً على بلاده . فقد لجأت فى نهاية موسم صيد اللؤلؤ فى صيف عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) ، جميع قوارب القبيسات إلى ساحل قطر حيث كان أصحابها يأملون الاستقرار فى العديد بدلا من أن

---

(٣٩) ابن بشر ، مجلد ٢ ص ١١٧ — ١١٨ .

(٤٠) مختارات بمباى ، ص ٤٩١ .

(٤١) « عقود الجمان » ص ٩٣ .

تعود إلى أبو ظبى وقد أوعز إليهم رؤساء دبى والقواسم باتخاذ هذه الخطوة على أساس أن الإمام فيصلا آل سعود « سيقوم قريباً بإرسال قوة لإعادة بناء العديد وإحلالهم فيها » .[٤٢] ولجأ سعيد بن طحنون إلى الخداع للحيلولة دون وقوع هذا الانشقاق من قبل عناصر لها شأنها من أبناء شعبه :

> إذ قام بإلقاء القبض على رؤساء القبائل الذين بقوا فى أبو ظبى وألقى بهم فى غياهب السجون . ثم أوفد رسولا من قبله لإقناع الزعماء بالعودة إلى ديارهم . واستقبلهم فى عودتهم بجميع مظاهر الاحترام والترحاب وأظهر لهم من الأسباب ما حملهم على الاعتقاد بأنه نسى ذنوب الماضى وصفح عنها ، وبأنهم لم يعودوا ليقاسوا سخط رئيسهم ، وبالاختصار فقد أفلح فى تهدئة روعهم ووضعهم فى جو من الطمأنينة الراسخة . وكم كانت دهشتهم فى فجر اليوم الذى تلا وصولهم عند ما أفاقوا فوجدوا مراكبهم قد جردت فى الليل من قلوعها ودفاتها وصواريها ، وبذلك انقطعت بهم سبل الهرب كما جوبهوا بالأوامر الصادرة إلى أهالى أبو ظبى بأن على جميع الأطراف التى لها حقوق على قبيلة القبيسات أن تطالب بدفعها فى الحال ، وفرضت عليهم غرامة لا تقل عن ألفى ريال . وقد أدركوا فى النهاية أنهم وقعوا فريسة شخص لم يكن يخامرهم الشك فى استقامته وقد كان وضعهم فى الواقع مؤلماً ودقيقاً جداً إذ أرغموا على دفع الأموال المطلوبة منهم ولم يكن هناك مناص من بيع مراكبهم بما تحمله من كل ما يملكون من بضائع .[٤٣]

١٧٥ — ولما لم يرض الإمام فيصل عن مسلك سعد بن مطلق خلال زحفه شرقاً (الفقرة ١٧٣ السابقة) استبدل به أميراً آخر على البريمى فى أوائل عام ١٢٦٦ هـ (أواخر ١٨٤٩ م) .[٤٤]

١٧٦ — فى عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م) قام سعيد بن طحنون ، بعد أن أخفق فى محاولة احتلال البريمى بصورة دائمة ، بأعمال تخريبية بجوار الواحة

---

(٤٢) مختارات بمباى ، ص ٤٩٢ .

(٤٣) مختارات بمباى ، ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

(٤٤) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٢٩ .

« فخرب مجارى المياه التى تسق النخيل ».[٤٥] كما « الحق بالمزروعات والبلاد المتاخمة للبريمى جميع أنواع الضرر » .[٤٦] وتروى القصص التى يتحدث بها أهل البريمى أن سعيد بن طحنون ردم سبعين من مائتى فتحة أو أكثر كانت تتخلل القناة الرئيسية التى تمر تحت الأرض وتروى حقول البريمى .[٤٧]

١٧٧ – وفى عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م) قرر ثوينى الذى كان لا يزال يمثل والده سعيد بن سلطان فى مسقط ، أن ينضم إلى سعيد بن طحنون فى أبو ظبى لمهاجمة السعوديين فى البريمى . ولأجل هذا أراد أن يحصل على معونة من ابن عمه حمود بن عزان ، زعيم صحار المستقل فرتب اجتماعاً معه .

> . . . أعرب سعادته (ثوينى) عن أمله فى أن ينضم رئيس صحار إلى الشيخ سعيد ابن طحنون وإليه فى الحملة المنوية على البريمى . إلا أن السيد حمود لم يتأثر بهذا . فلم تقنعه الكلمات ولا الحجج بالتزحزح عن موقفه وكان جوابه واحداً – أنه لا يستطيع أن ينضم وان ينضم إلى سعادته ، فبينه وبين آل بوخريبان (من قبيلة نعيم) حلف وثيق ، وهم معارضون للمشروع ، فهو لم يكن يستطيع مساعدة الحملة ولم يكن يريد أن يساعدها .
>
> أثار عناد الضيف غير المتوقع حفيظة سعادته ، مما جعله يقدم على خيانة الأمانة ونقض أصول الضيافة ، بشكل يندر أن تجد له – فيما أعتقد – نظيراً فى التاريخ العربى ، إذ قرر أن يأسر ضيفه ، فقبض عليه فى شناص وقيده ثم نقله إلى البارجة مقيداً بالسلاسل .[٤٨]

تقدم ثوينى بعد القبض على حمود ولكن « كعهده واجه فشلا وتقهقراً » .[٤٩]

---

(٤٥) مختارات بمباى ، ٤٩٣ .

(٤٦) مختارات بمباى ، ٤٩٤ .

(٤٧) تصريح قاضى البريمى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان .

(٤٨) مختارات بمباى ، ص ٢٢٩ .

(٤٩) مختارات بمباى ، ص ٢٢٩ .

فاضطر إلى العودة إلى مسقط . وعانى السجين حمود المعاملة التالية على يدى ثوينى بسبب رفضه محاربة الدولة السعودية :

. . . لقد رسف بالسلاسل وحجز فى مكان حار لا يطاق حيث لم يمنح حرية ولا راحة ولا خلاص من الجهد فتدهورت صحته وانحطت من جراء هذه المعاملة القاسية .(٥٠)

وانزعجت الحكومة البريطانية من تصرفات ثوينى فكتب مساعد المعتمد فى الخليج الفارسى :

وهكذا كانت المشاهد الدموية والاغتيالات التى شابت أحداث تاريخ مسقط — وهكذا كانت النتائج المرة لسياسة السيد ثوينى ولم يكن هناك أى أمل فى أن تأتى أيام أفضل .

واستنفد المعتمد كل حجة ، وفعل كل ما فى وسعه ، كى يتوسط بين الخصوم الثائرين — إلى حد أنه ذهب شخصياً إلى مسقط وجاهد ليوفق بينهم . إلا أن أمثال هؤلاء الخصوم لم يمكن التوفيق بينهم. إذن ماذا يصنع ؟ أيسمح للمتنازعين بأن ينغمسوا ثانية فى فظائع حرب دموية عنيفة ؟ أتستمر الحكومة البريطانية فى مراقبة ما ينزل من الأذى بحليفها القديم الوثيق الامام (حاكم مسقط) مراقبة سلبية فى الوقت الذى كان فيه بعيداً أيضاً ؟ أجل إلى حد ما . فالحكومة البريطانية من عادتها الامتناع عن التدخل الإيجابى فى شئون القبائل العربية الداخلية . وبالرغم من حزن ممثليها لإراقة الدماء الحالية راقبوا بمرارة شديدة بغى السيد ثوينى وظلمه دون أن يفكروا فى معاضدة قضيته . إلا أنهم لم يخذلوا عظمته (سعيد بن سلطان) فى ساعة الشدة . وأشاروا بأن يعود سريعاً إلى ممتلكاته المضطربة ، كما انتقدوا فى منتهى الكياسة تصرفات ابنه ومثله فأوضحوا لعظمته المنهاج الملائم لسيره . لقد قدموا فى الواقع كل عون معنوى يستطيعونه .(٥١)

وقد «استنكرت» الحكومة البريطانية فى الهند «بشدة تصرف السيد ثوينى

---

(٥٠) مختارات بمباى ، ص ٢٣٠ .

(٥١) مختارات بمباى ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

المذبذب » . (٥٢) ولكن والد ثوينى ، سعيد بن سلطان ، « وافق على تصرفاته إذ أنه كان على الأرجح يطيع تعليمات والده . . . » . (٥٣) ويقول باجر إن الموت « من التعذيب والجوع » هو « المعاملة الطبيعية التى كان المسجونون السياسيون المعروفون عرضة لها من قبل السلطات العمانية (أى سلطات مسقط) » . (٥٤)

١٧٨ ــ خالف مواطنو رئيس أبو ظبى فى خريف عام ١٢٦٦ هـ (١٨٥٠ م الهدنة البحرية المفروضة من قبل البريطانيين « مخالفة عظيمة » . (٥٥) وفى سجلات بمباى وصف الإجراءات التى اتخذها البريطانيون ضد أبو ظبى ، كما يلى :

> ان الشجاعة التى أظهرها اللفتننت ما نرز فى قيادة المركب البحرى « دجلة » ، وكذلك اللفتننت ترونسون فى قيادة « الفرات » ، وفى التقدم بمركبيهما فى الخور الضيق الذى يمتد ثلاثة أميال إلى المرسى الداخلى لميناء أبو ظبى مما جعل القرية والمراكب الوطنية على الشاطىء فى مرمى مدافعهم ، هذه الشجاعة أثارت دهشة الشيخ سعيد بن طحنون الذى لم ير من قبل سفينة حربية بريطانية قريبة من وطنه هذا مما جعله يذعن للمطالب الموجهة إليه بلا تردد أو مماطلة . (٥٦)

وقد قال مساعد المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى إن تصرف سعيد بن طحنون بعد فترة قليلة كان ينطوى « على الأنانية والرياء وليس على الأمانة والإخلاص » . (٥٧)

١٧٩ ــ فى أوائل عام ١٢٦٧ هـ (نوفمبر ١٨٥٠ م) غادر الإمام فيصل

---

(٥٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥٤) باجر ، ص ٤٠ .

(٥٥) مختارات بمباى ، ص ٤٩٤ .

(٥٦) مختارات بمباى ، ص ٤٩٤ .

(٥٧) مختارات بمباى ، ص ٤٩٥ .

ومعه جمع كبير مدينة الرياض وتقدم شرقاً فى رحلة تفتيشية لبعض المناطق السعودية المتاخمة للخليج الفارسى . فعسكر مدة شهر عند آبار حليوين التى لا تبعد كثيراً إلى الجنوب عن خور العديد . وخلال إقامته فى حليوين انضم إليه أحمد السديرى ، أمير الحسا ، كما أتى عدد كبير من رؤساء القبائل ليجددوا عهود ولائهم . ومن حليوين اتجه الإمام إلى رمال العريق شرقى سلوة ، ومن هناك أرسل ابنه عبد الله إلى شبه جزيرة قطر ثم لحق به بعد مدة قصيرة . [٥٨] وفى الصيف توجه سعيد بن طحنون من أبو ظبى لزيارة فيصل فى قطر، وبعد أن بهره عزم الإمام فيصل وقوته ، عبر عن ندمه لاعتدائه على البريمى ، وطلب الصفح ، فتلطف فيصل ومنحه إياه . [٥٩]

١٨٠ — ينهى ابن بشر تاريخه عن الدعوة إلى التوحيد وعن آل سعود بعودة الإمام فيصل من قطر إلى الحسا والرياض عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) وكان فيصل قد أمر الأمير أحمد السديرى خلال إقامته فى الحسا التى استغرقت عشرين يوماً

> أن ينظر فى المصالحة الخاصة والعامة ، من اصلاح الثغور (كالبريمى) ونفى الخبائث والشرور ،وحض الناس على الاجتماع للصلوات فى المساجد . . . [٦٠]

وأذن الإمام بعد وصوله إلى الرياض لمن رافقه من الجند بالعودة إلى ديارهم «وأرسل عماله على عادته لخرص الثمار وقبض الزكاة من البلدان والعربان. » [٦١] وتوافدت عليه الوفود من كل صوب وحدب ، وكانت الأرض سليمة مصونة .

---

(٥٨) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٥٩) «عقود الجمان» ص ٩٦ . ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦٠) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦١) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٣ .

١٨١ – وصل سعيد بن سلطان حاكم مسقط إلى تفاهم مع رئيس القواسم فى عام ١٢٦٨ هـ (مايو ١٨٥٢ م) ، فأرسل إليه الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم من يقف على كتابى هذا ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بأنى قد اعطيت الشيخ سلطان بن صقر عهد الله وأمانه على يد أخيه الشيخ صالح بن صقر بأن لا أتعرض لجماعته ولا أمد يدى على بلدانه وطوارفه من الخطم ومغرب مشمل إلى أطراف الظاهرة ولا أعين عليه خصم يخاصمه والحال بيننا واحد باتصال حبل الصداقة ما دام هو ثابت بمنع يده عن طوارف ومن تعلق بى حتى لا يخفى والله شاهد ورقيب ، حرر فى ٢٧ من شهر رجب المرجب ١٢٦٨ هـ (نحو ١٧ مايو ١٨٥٢ م)

صحيح

سعيد بن سلطان

بيده

(ختم)[٦٢]

إن المكان المسمى الخطم[٦٣] (خطم ملاحة أو خطمة ملاحة) لا يزال حتى الآن الحد الفاصل بين أراضى سلطان مسقط على ساحل خليج عمان ، وأراضى القواسم . وإن اعتراف سعيد بأن أراضيه لا تتعدى « أطراف الظاهرة » ذو أهمية خاصة . أما تعهد مسقط هذا فإن له تاريخاً سيذكر فيما بعد (الفقرة ٢٣٤ اللاحقة) .

١٨٢ – فى عام ١٢٦٩ هـ (نوفبر ١٨٥٢ م) ترك سعيد بن سلطان مسقط فى رحلة أخرى إلى زنجبار .

---

(٦٢) « عقود الجمان » ص٩٧ .

(٦٣) يجب تفادى الالتباس بين هذا وبين منطقة الختم الواقعة بين البريمى والظفرة .

وكان سفره إشارة بدء الثورة فظهرت اضطرابات جديدة كما أظهرت قبائل الباطنة سخطها بكل صراحة . لقد كانت دولة عظمته شعلة من الفتنة .[٦٤]

تلك هي الحالة المعتادة عند ما كان سعيد غائبا ، وهكذا كانت الحالة عندما وصل عبد الله بن فيصل إلى البريمي موفداً من والده الحاكم السعودي .

١٨٣ – لقد أظهر الإمام فيصل اهتمامه برفاهية الممتلكات السعودية فى شرق الجزيرة العربية بتعيين ابنه الأكبر عبد الله مبعوثاً فى البريمي وتوقف عبد الله فى طريقه عند سلوة ليعاقب بعض أبناء المناصير ونعيم وبنى هاجر الذين أخلوا بالسلم وبأمن الدولة .[٦٥]

١٨٤ – وصل عبد الله بن فيصل ، مصحوباً بأحمد السديرى أمير الحسا السعودى ، إلى البريمي فى عام ١٢٦٩ هـ (مارس ١٨٥٣ م) ، وتقول السجلات البريطانية :

لقد جاءهم منصفاً ومصلحاً للأخطاء التى حلت بأبنائه (الشيوخ) فى عمان .[٦٦]

يصف المؤرخ العربى ابن عيسى استقباله فى البريمي بالكلمات التالية :

فلما قرب من البلاد تلقاه الرؤساء والأكابر والأعيان للسلام ، وقابلوه بالسمع والطاعة والانقياد . وكان عاقلا حليما عادلا شهماً حازماً حسن التدبير فعاملهم بالرفق والإحسان فاطمأن الناس واستبشروا بقدومه . وانهالت عليه الهدايا والتحف ، وقبض خراج البلاد .[٦٧]

---

(٦٤) مختارات بمباى ، ص ٢٣٢ .

(٦٥) ابراهيم بن عيسى « عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر » (مخطوط ، ١٣٠٢ هـ) ص ١٠ .

(٦٦) مختارات بمباى ، ص ٢٣٢ .

(٦٧) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ١٠ .

وترسم السجلات البريطانية صورة مشابهة :

> ... لقد هرولت جميع القبائل المرتعبة لمقابلة قائدها (عبد الله بن فيصل) ، وبدت تتنافس فى تقديم الولاء والطاعة إليه . وبادر الرؤساء البحريون بالمود به وتقديم التماساتهم ورواية قصص رعبهم .(٦٨)

ولا يزال قصر الخندق الذى نزل فيه عبد الله فترة وجوده فى البريمى يسمى فى بعض الأحيان بقصر عبد الله بن فيصل . وقد تقاطر الناس من جميع أنحاء الإقليم ، خلال إقامته التى امتدت إلى أوائل ١٢٧٠ هـ (ديسمبر ١٨٥٣ م)، ليقدموا الولاء ، فاستقبلهم عبد الله بكرم عربى أصيل ، وأقام لهم الولائم وخلع عليهم الهدايا من كسى ومنح .فكان لهذه الزيارة أثر عميق فى نفوس أهالى إقليم البريمى وقوة شعورهم بالولاء لآل سعود .(٦٩)

١٨٥ ــ كانت قضية العلاقات مع مسقط إحدى القضايا الرئيسية التى جابهت عبد الله بن فيصل فى البريمى . لقد ذكرت عدة أمثلة عن استعداد سعيد بن سلطان وابنه ثوينى لمهاجمة السعوديين كلما وجدوا الفرصة مناسبة لذلك ، وكان هناك أيضاً موضوع العقوبة التى يجب أن تنزل بثوينى جزاء غدره الفظ برئيس صحار عندما رفض الانضمام إلى الأعمال العدوانية ضد البريمى (الفقرة ١٧٧ السابقة) . وكان فى استطاعة عبد الله أن يطالب ويحصل على أية شروط ، ولكنه اكتفى باتفاقية خالية من الشدة بشكل واضح . وتمت معاهدة هجوم ودفاع بين الدولة السعودية ومسقط ، تنص على أن تدفع مسقط أتاوة سنوية مقدارها ١٢,٠٠٠ ريال بالإضافة إلى مبالغ متأخرة مقدارها ٦٠,٠٠٠ ريال وتنص

---

(٦٨) مختارات بمباى ، ص ٢٣٢ .

(٦٩) « عقود الجمان » ص ٩٨ – ٩٩ .

على « التزويد العادى بالمؤن والإمدادات » .[٧٠] وتعهد الرئيس السعودى مقابل هذا « أن يساعد سعادته (ثوينى) فى ساعات الشدة ، وبقيت حدود كلتا المنطقتين كما كانت عليه سابقاً » .[٧١] وهذه الحدود ليست معينة ، إلا أن البريمى وكثيراً من الأراضى الواقعة وراءها كانت تؤلف جزءاً لا يتجزأ من الدولة السعودية .

١٨٦ — لدى قيام المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى بزيارة الساحل الجنوبى الشرقى بقصد عقد معاهدة جديدة يوقعها الرؤساء البحريون ، وجد نفسه فى « مركز لا بد من الاعتراف بأنه دقيق ومحرج ».[٧٢] لقد كان جميع الرؤساء باستثناء دبى عند عبد الله بن فيصل فى البريمى .[٧٣] ولم يسرعوا بزيارة المعتمد . وتذكر سجلات بمباى :

> . . . لقد كان تفكيرهم الآن منهمكاً فى خطط الوهابيين ، بحيث لم يكن أحد منهم قادراً أو مستعداً للعودة إلى مقره .[٧٤]

وقبل أن ينفد صبر المعتمد ، الذى لو نفد لربما دعا إلى استعمال « درجة من القسر مخالفة كلية لقواعد السياسة البريطانية» ،[٧٥] عاد الرؤساء البحريون إلى الساحل فقبلوا ، نتيجة لوساطة المعتمد ، عقد معاهدة سلم دائمة تنص على

---

(٧٠) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .

(٧١) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .

(٧٢) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .

(٧٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٧٣ .

(٧٤) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .

(٧٥) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .

« صلح تام فى البحر على الدوام » .[٧٦]

١٨٧ — أرسل عبد الله بن فيصل فى عام ١٢٦٩ ﻫ (صيف ١٨٥٣ م) أحمد السديرى إلى ضنك ، حيث بقى وقتاً من الزمن . ويقول الوكيل البريطانى فى الشارقة إن قوات سعودية أخرى قد استقرت فى عدة مناطق فى عمان .[٧٧] وبعد مغادرة ضنك توجه أحمد السديرى شرقاً إلى ينقل مصطحباً معه ستمائة من راكبى الجمال والخيالة وعدداً كبيراً من رجال قبائل المنطقة من أبناء بنى قتب وغيرهم[٧٨] ومن هناك اتجه إلى الجبل الأخضر الواقع فى قلب عمان الداخلية ، حيث قدم له أكبر زعماء المنطقة أتاوة .[٧٩]

١٨٨ — وتوضح وثيقتان أعطيتا من عبد الله بن فيصل للبلوش امتداد السلطة السعودية إلى ما وراء البريمى ، ولا تزال أصول هاتين الوثيقتين فى حوزة الحكومة السعودية :

> من عبد الله بن فيصل إلى من يراه السلام
> وبعد من قبل مال عبد الله بن راشد بن اسماعين (اسماعيل) البلوشى الذى ببلد ضنك لا يعارضه أحد فيهم بشىء من الأنواب غير الزكاة ليكون ذلك معلوم والسلام .
>
> ٢٠ محرم سنة ١٢٧٠ ﻫ
> (نحو ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٥٤ م)
> (ختم)

---

(٧٦) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٥٣ .

(٧٧) يعقوب بن بشير ، الوكيل البريطانى فى الشارقة إلى الكابتن أرنولد بوروزكبل ، المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ، ٢٥ شوال ١٢٦٩ ﻫ (نحو أغسطس ١٨٥٣ م) .

(٧٨) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٣ ذى القعدة و ٩ ذى الحجة ١٢٦٩ ﻫ (نحو ٢٨ أغسطس و ١٣ سبتمبر ١٨٥٣ م) .

(٧٩) يعقوب بن بشير إلى كمبل ، ٩ ذى الحجة ١٢٦٩ ﻫ (نحو ١٣ سبتمبر ١٨٥٣ م) .

من عبد الله بن فيصل إلى من يراه السلام
وبعد من قبل زكاة المازم من التمر والحب حنا مخرجينها لعبد الله بن راشد ابن اسماعين فلا يعارض فى ذلك ليكون معلوم والسلام .

٧ صفر سنة ١٢٧٠ هـ
(نحو ٩ نوفمبر ١٨٥٣م)
(ختم)

لقد كان عبد الله بن راشد البلوشى عاملا من عمال الزكاة التابعين للإدارة السعودية فى البريمى (الفقرة ١٩٢ اللاحقة) . ويعتبر دفع حصة من حصيلة الزكاة إلى جباتها (العاملين عليها) قانوناً مقرراً فى الشريعة الإسلامية .[٨٠]

١٨٩ — وفى أوائل عام ١٢٧٠ هـ (فى أواخر ١٨٥٣ م) وجد ثوينى ، الذى كان نائباً لحاكم مسقط ، نفسه فى مأزق مرة أخرى :

لقد كان شعور استياء قبائل الباطنة تجاه السيد ثوينى من الشدة بحيث أن كل واحد منهم تقريباً رفض دفع فلس واحد أتاوة ، واشتعلت الاضطرابات فى كل مكان . . .[٨١]

واعتمد ثوينى لكونه عاجزا عن تخليص نفسه ، على عبد الله بن فيصل الذى كان قد أبرم مؤخراً معه معاهدة (الفقرة ١٨٥ السابقة) :

لقد قام سعادته بإحالة عبد الله بن فيصل إلى شروط المعاهدة ودعاه لأن يعيد العصاه إلى ولائهم له .[٨٢]

---

(٨٠) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية ٦٠ .
(٨١) مختارات بمباى ، ص ٢٣٣ .
(٨٢) مختارات بمباى ، ص ٢٣٤ .

١٩٠ – غادر عبد الله بن فيصل البريمى إلى نجد فى أوائل عام ١٢٧٠هـ (أواسط ديسمبر عام ١٨٥٣ م) ، وخلفه أحمد بن محمد السديرى أميراً للبريمى . وهاجمت قبيلتا بنى قتب والد روع قبيلة المناصير فى الجواء فى نفس الوقت الذى غادر فيه فيصل البريمى تقريباً ، فقتلوا خمسة وعشرين من رجالهم واستولوا على ثلاثمائة من جمالهم . وبحث المناصير عن عبد الله فى سيره إلى نجد وقدموا إليه شكواهم ، فأعطى تعليماته إلى أحمد السديرى ليرسل إليه رؤساء القبائل المعنية . ولدى وصولهم تمكن من مصالحتهم وبذلك دفنوا جميع خلافاتهم .(٨٣)

١٩١ – كان أحمد بن محمد السديرى ، أمير البريمى الجديد ، من ألمع شخصيات عصره فى الدولة السعودية . ولد فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى (أوائل التاسع عشر الميلادى) ، وهو سليل عائلة استقرت فى نجد منذ أربعة قرون أو نحوها . وقبل سقوط الدرعية قاتل قوات محمد على باشا ، كما أنه كان أميراً على الحسا قبل أن يعين فى البريمى ، وقد خلفه محمد أكبر أبنائه فى منصبه السابق . كان أحمد جد الملك الراحل عبد العزيز لأمه وأصبحت عائلته على صلة وثيقة بآل سعود :

> . . . كان ثلاثة عشر رجلا على الأقل من السدارى يشغلون مناصب أمراء فى المملكة العربية السعودية خلال عام اليوبيل (١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠ م)(٨٤)

ويقول ابن بشر إن الإمام فيصل قد اختار أحمد السديرى أميراً للحسا ثم للبريمى لحسن سيرته وصفاء سريرته . ولقد اختار الله أحمد وأبناءه للقيام بالأعمال الطيبة كما أن سكان المناطق التى حكموها لم يلمسوا منهم أية أعمال غير جديرة بالثقة التى وضعت فيهم . فلم يحدث أن اكتنز أحدهم المال لنفسه خلال مدة

---

(٨٣) يعقوب بن بشير إلى كمبل ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ (نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣ م) .
(٨٤) فلبى «اليوبيل العربى» (١٩٥٢ م) ص ٢٧١ .

خدمته ، بل كانوا يبذلون جهودهم لمعونة المكروبين ، كما أن ولاءهم للإمام كان مضرب المثل . (٨٥)

١٩٢ ـ كتب عبد الله بن فيصل لدى مغادرته البريمى ، إلى رؤساء الأقاليم يقول : « إنى توجهت إلى نجد وأنتم تكونون فى شوفت الله ثم شوفت الأمير أحمد ابن محمد السديرى وتكونون فى طاعته » . (٨٦) ويقول مؤرخ آل بو سعيد إن إن عربان الشمال (أى عربان إقليم البريمى) وحضر الظاهرة اعترفوا بإدارة أحمد السديرى . (٨٧) وتعلن وثيقة ، لا تزال فى حوزة الحكومة العربية السعودية ، مؤرخة ٥ ربيع الثانى سنة ١٢٧٠ هـ (نحو ٥ يناير ١٨٥٤ م) وتحمل خاتم أحمد ، تعلن جميع أبناء قبيلة بنى هناء ، بما فيهم سكان قريتى الحيل وضمّ الواقعتين فى عمان الداخلية ، أن عبد الله بن راشد البلوشى (الفقرة ١٨٨ السابقة) قد عين عاملا للزكاة فى منطقتهم . وتستطرد الوثيقة قائلة « ومن منع الزكاة فلا يلوم إلا نفسه » ويقول لوريمر إن أحمد

> كان على ما يلوح يبذل قصارى جهده يمنع شيوخ عمان المتصالحة من تبادل الاعتداءات وليكبح جماح البدو . . . (٨٨)

١٩٣ ـ وكان أحمد السديرى كسابقيه ، يتخذ من قاضى البريمى السعودى ـ وكان القاضى لا يزال الشيخ ناصر بن على العرينى ـ ساعده الأيمن فى شئون الإدارة (٨٩) (الفقرة ١٦٤ السابقة) . وتعرض أمير البريمى فى رسالة منه إلى

(٨٥) ابن بشر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٣ .

(٨٦) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠ هـ (نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣ م) .

(٨٧) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٥٤ .

(٨٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٤ .

(٨٩) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٤ رجب ١٢٧٠ هـ (نحو ٢ ابريل ١٨٥٤ م) .

ابن رئيس القواسم لمبادىء الحكم السعودى ولتدبير الأمور بما يتفق وقوانين الشريعة :

> إنكم تعلمون أن مجينا إلى هذه النواحى من طرف الإمام فيصل لأجل تأمين البادية والحضر ولا تكون فتنة بين الإسلام والفتنة الذى صارت قبل فى بلادكم وصلوا عندكم ولا أصاحتوهم على طريق الشرع حتى صدرت فتنة أعظم من الأولى والذين قتلوا والذين جرحوا كلهم فى الذمة وكنا مرادنا مصاحة البلاد وتسكين العباد وانقطاع الفتن . (٩٠)

١٩٤ ـ قدم الكابتن كمبل المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى والذى عمل فى تلك المنطقة مدة طويلة ، تقريراً مطولا فى عام ١٢٧٠ هـ (١ يوليو ١٨٥٤ م) عن ممتلكات حاكمى مسقط والبحرين والرؤساء البحريين فى منطقة الخليج وعن دخلهم وعائلاتهم وغير ذلك مما يتصل بهم . وهذا التقرير تقرير هام جداً إذ أنه يكشف عن أمور متعلقة بالرأى البريطانى الرسمى قبل قرن ، وذلك عقب ستة وخمسين عاماً من ارتباط الحكومة البريطانية بمعاهدة مع حاكم مسقط ، وبعد مضى زمن أطول على إظهار الحكومة البريطانية اهتماماً لأول مرة بالرؤساء العرب على الساحل الجنوبى الشرقى . وفيما يلى مقتطفات من التقرير لها علاقة بالموضوع :

> إن إمام مسقط مستقل ، إلا أنه يدفع الزكاة أو الأعشار الدينية للحاكم الوهابى الأمير فيصل (الإمام فيصل) ويبلغ مقدارها ٢٠,٠٠٠ ريال سنوياً ، وذلك بمقدار ١٢,٠٠٠ ريال عن مسقط و ٨,٠٠٠ ريال عن صحار . (٩١)

وعلى الرغم عن أن كمبل قد أخطأ فى تعريف هذه المبالغ «أعشاراً دينية» إلا أنها قد ذكرت فى حاشية التقرير «مقادير سنوية تدفع أتاوة» (قارن بالفقرة ١٩٥ اللاحقة) وهذا هو الصحيح . ويستطرد التقرير فيقول :

---

(٩٠) أوردها يعقوب بن بشير فى رسالة إلى الكومودور روبنسون (؟) ١٨، رجب ١٢٧٠هـ (نحو ١٦ ابريل ١٨٥٤ م) .

(٩١) مختارات بمباى ، ص ٢٨٨ .

تمتد أراضى الامام الواقعة على ساحل عمان من رأس الحد إلى صحار . ويمتلك الامام بالإضافة إلى ممتلكاته على الساحلين الغربى والإفريقى التى آلت إليه بالوراثة ، جزيرتى هرمز والقسم ، كما أن قبائل ساحل مكران ، الواقعة ما بين جاشك وبسم ، قد اعترفت به سيداً عليها . ولا يمكن تقدير مساحة ممتلكات الامام بالضبط .[٩٢]

هذا هو النص الكامل لرد كمبل على طلب الحكومة الخاص بإرسال معلومات عن « حدود الأقاليم (الخاصة بحاكم مسقط) وتقدير مساحتها بالأميال المربعة » . إن لمن العسير وضع بيان يفوق هذا فعالية فى الدفاع عن وجهة نظر المملكة العربية السعودية فى أن أراضى هذا الحاكم وأجداده مقصورة ، منذ قرن مضى والآن ، على ساحل خليج عمان ولا تمتد كثيراً إلى الداخل ، فما بالك بامتدادها إلى أى جزء من أجزاء إقليم البريمى . ويستمر التقرير فيقول :

إن هذه الدول (المشيخات العربية البحرية) دول مستقلة إلا أنها تعترف بسيادة الحاكم الوهابى حينما تمكنه قوته أو منازعتهم من ممارسة ذلك . وينتظر من رؤساء هذه الدول أن يقدموا مساعدات حربية لحملاته وأن يمدوا جنده بالمؤن حين وجود الجند ، كما هو الحال مع حامية البريمى فى عمان .[٩٣]

هذه هى الإشارة الوحيدة إلى البريمى الواردة فى تقرير كمبل البالغ ثلاث عشرة صفحة مطبوعة ، ويعترف فيه بلا تحفظ بتبعية البريمى إلى الدولة السعودية . ولم يرد أى شىء هنا عن مسقط أو أبو ظبى .

إن الممتلكات الإقليمية للدول البحرية مقصورة على المناطق المأهولة الواقعة على ساحل البحر ، ويمكن القول بأنها محددة بأسوار قراهم وبساتين النخيل الواقعة بجوارها مباشرة .[٩٤]

هذه فى الواقع صورة صحيحة واضحة لما هى عليه هذه المشيخات الصغيرة الواقعة على الساحل . لقد كتب هذا قبل أن يقرر الموظفون البريطانيون فى الخليج

---

(٩٢) مختارات بمباى ، ص ٢٨٩ .
(٩٣) مختارات بمباى ، ص ٢٩٢ .
(٩٤) مختارات بمباى ، ص ٢٩٢ .

ببضع سنين أن المصالح البريطانية تحتم تشجيع إحدى هذه المشيخات على الأقل ، وهي أبو ظبي ، على اتباع سياسة توسيعية تطمح فى الوصول إلى ما وراء أسوار القرية (إن أبو ظبي ، على خلاف المشيخات الأخرى ، ليس لديها بساتين نخيل تذكر) لتطالب بأراض واسعة والواضح أنها تعجز عن السيطرة عليها .

١٩٥ – على الرغم من أن السجلات البريطانية المعاصرة كتلك المقتطفة فى الفقرة السابقة ، تشير إلى المبالغ المدفوعة للحكومة السعودية من قبل حاكم مسقط ، على أنها « زكاة » فإن المصادر العربية المعاصرة تستعمل اصطلاحات أخرى تؤيد الرأى القائل إن هذه المبالغ كانت تشكل أتاوة سياسية لا زكاة حقيقية . إن الاصطلاح الذى يستعمله ابن رزيق هو « قانون » .[٩٥] بينما يستعمل الوكيل البريطانى فى الشارقة « قاعدة »[٩٦] و « رسم »[٩٧] و « مدى »[٩٨] وهى كلمة عامية فى الساحل الجنوبى الشرقى بمعنى دين أو مبلغ يتحتم على الإنسان دفعه .

١٩٦ – زار سعيد بن سلطان الذى كان حاكم مسقط وزنجبار ، القنصل البريطانى هامرتون فى دار القنصلية فى زنجبار عام ١٢٧١ هـ (١٥ إبريل ١٨٥٤ م) ويصف هامرتون ما حدث فى رسالة إلى حكومة بمباى فيقول :

> لقد وضع (الحاكم) يد ابنه فى يدى ، وأراده أن يسترشد بنصائحى فى جميع المصاعب ، وألا يقوم بأى عمل دون استشارتى . ثم نهض العرب فقبلوا يدى قائلين بأنهم مقتنعون الآن بفضل الله تعالى وبفضل قدرة جلالة الملكة فكتوريا القوية ، بأن كل شيء سيسير حسناً معنا .[٩٩]

---

(٩٥) ابن رزيق ، ظهر ورقة ٢٥٤ .

(٩٦) يعقوب بن بشير إلى الكابتن فيلكس جونز ، المعتمد فى الخليج الفارسى ، ١٣ صفر ١٢٧٣ هـ (نحو ١٣ أكتوبر ١٨٥٦ م) .

(٩٧) يعقوب بن بشير إلى جونز ، ١٣ صفر ١٢٧٣ هـ (نحو ١٣ أكتوبر ١٨٥٦ م) .

(٩٨) يعقوب بن بشير إلى كمبل ، ٢٤ ربيع الأول ١٢٧١ (نحو ١٥ ديسمبر ١٨٥٤ م) .

(٩٩) مقتطفة من كروفتون « القنصلية القديمة فى زنجبار » ص ٢٣ .

ووضعت الحكومة البريطانية عينها فى هذا الوقت على قطعة من الأرض ظنت أن باستطاعة حاكم مسقط أن يدعى بملكيتها . وكانت جزائر خوريا موريا الواقعة تجاه الساحل الجنوبى لجزيرة العرب ، تحتوى فى ذلك الحين على مستودعات سماد ذرق الطيور وكانت من أغنى ما يوجد فى العالم . وكان هذا النوع من السماد يعود بأرباح طائلة على المتعاملين به . ويلخص الأستاذ كوبلاند الوضع فيقول :

وحين سنحت الفرصة للقيام بأعمال تجارية فى أطراف « ممتلكات » سعيد ، كما حدث فى أواخر حكمه ، سارع رجال الأعمال البريطانيون لاغتنامها . فإنها ، بالرغم من أنها كانت محدودة المجال ، كانت على ما يظهر تبشر بأرباح طائلة بالنسبة إلى رأس المال المستثمر . وحيث أنه كان من المنتظر أن تفيد أعمالهم هذه قسما هاماً من الأمة البريطانية فإن الوزراء البريطانيين كانوا على أتم الاستعداد لمساندتهم ، وحتى لو كان ذلك يعنى ضم جزء صغير من الأراضى إلى الإمبراطورية البريطانية . (١٠٠)

ويجدر بنا هنا أن نقص قصة جزائر خوريا موريا فى شىء من الإسهاب ، وذلك للدلالة على سلوك الحكومة البريطانية فى الماضى فيما يتعلق بالتصرف بالأقاليم العربية وفقاً لمصالحها . لقد قررت الحكومة البريطانية أن الترتيبات التى تعود بالفائدة القصوى يمكن أن توضع سراً (١٠١) . وقد أصدرت وزارة الخارجية تعليمات إلى الكابتن فريمانتل قائد سفينة جلالتها « جونو » الذى كان على وشك الإبحار إلى الشرق . وكان اللورد كلارندون ، وزير الخارجية ، قد اعترف بأن « من الواضح أنه لا حق لنا فى تلك الجزائر ، ولا نعرف تماماً لمن الحق فيها » . (١٠٢) ولكنه رأى الاتصال بحاكم مسقط فى هذا الصدد . « أن مسألة وجود السماد يجب الاجتهاد فى إخفائها عن الأنظار تماماً . . . وإذا ما تردد الأمام (حاكم

---

(١٠٠) كوبلاند « شرق افريقيا وغزاته » ص ٥٢٤ .
(١٠١) كوبلاند ، ص ٥٢٦ .
(١٠٢) كوبلاند ، ص ٥٢٥ .

مسقط) فى التنازل بلا مقابل (فإن على فريمانتل) أن يعرض عليه مبلغاً أقصاه عشرة آلاف جنيه استرليني . [١٠٣] ودون كلارندون فى مضبطته أن « لعاب الإمام سيسيل لمبلغ ٥٠٠٠ أو ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني يدفع له مقابل أشياء عديمة الفائدة بالنسبة له » . [١٠٤] وحين وصل فريمانتل إلى زنجبار كان حاكم مسقط غائباً ، فكتب هامرتون إلى الحاكم بما يتضح من هذه الفقرة :

> لم أشر إلى السماد ولكننى جعلته (أى الامام) يفهم أن بريطانيا تريد أن تمتلك هذه الجزائر لتمنع تسربها إلى ملكية أية أمة أخرى ، كما أنها ستنتفع بها محطة لتزويد البواخر البريطانية بالفحم ومحطة بحرية للمخازن . [١٠٥]

ولحق فريمانتل بسعيد بن سلطان فى مسقط . ولدى طرقه الموضوع عرض سعيد أن يتنازل عن الجزائر بلا مقابل . [١٠٦] فأبلغ فريمانتل كلارندون :

> لقد أنهى كلامه (أى سعيد) قائلا إن احتاجت جلالة الملكة أى قسم آخر أو ممتلكاته بأكلها ، سواء فى جزيرة العرب أو فى افريقيا ، فإنه على أتم الاستعداد لأن يتخلى عنها لجلالتها . [١٠٧]

وقام وزير المستعمرات ، الذى عهد إليه بإدارة الممتلكات الجديدة ، بسؤال كلارندون

> عما إذا كان ذلك التنازل بلا مقابل عن الجزائر يمكن أن يعد ملزماً ، من ناحية الانصاف والعدل ، بما أنه قد حصل عليه باخفاء متعمد لقيمة ما تنوزل عنه. [١٠٨]

---

(١٠٣) كوبلاند ، ص ٥٢٧ .
(١٠٤) كوبلاند ، ص ٥٢٧ .
(١٠٥) كوبلاند ، ص ٥٢٨ .
(١٠٦) يوجد النص الإنكليزى لوثيقة التنازل فى ايتشيسون « المعاهدات » مجلة ١١ ، ص ٣٠٢ ، حيث يجب أن يكون التاريخ الأول ١٤ يوليو ١٨٥٤ بدلا من ١٤ يونيو ١٨٥٤ .
(١٠٧) كوبلاند ، ص ٥٣٠ .
(١٠٨) كوبلاند ، ص ٥٣١ — ٥٣٢ .

وكان رد وزارة الخارجية صريحاً ، إذ قالت :

إن الهدف الظاهر من الحصول عليهم هو إيجاد مخزن فحم للسفن بين الهند والسويس ، بينما الهدف الحقيقى هو الاستيلاء ، لأهداف بريطانية ، على السماد المفروض أنه موجود فى الجزائر .(١٠٩)

وحاول اللورد كلارندون أن يريح ضميره بإرسال علبة نشوق إلى سعيد « دليلا على تقدير الحكومة البريطانية لاستعداده للامتثال لرغباتها »(١١٠) ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الأباضيين أمثال سعيد يستنكرون استعمال جميع أنواع التبغ . . وصرحت حكومة بمباى أن الجزائر « لا تصلح البتة . . . محطة للتزويد بالفحم . . . وبما أنه ليس لها أية موانى فإنه لا يمكن لعدو الدفاع عنها حيال القوة البحرية البريطانية » .(١١١) وحين وصلت أولى الفرق البريطانية لاستغلال السماد الذى فى الجزائر ، طردها عرب المنطقة الذين أكدوا أن هذه الجزائر « لم تكن أبداً ملكاً للإمام » .(١١٢) ووافق المعتمد السياسى البريطانى فى عدن على هذا الرأى ، قائلا إن سعيداً ليس له أية سلطة فعلية على الجزائر وإن التنازل « باختصار لاغ » .(١١٣) إلا أن الحكومة البريطانية تمسكت بالجزائر فأرسلت سفينة بريطانية حربية لحماية الشركة المستغلة، وبتسخير العمال انتزعت مستودعات الجزائر الثمينة خلال السنوات القليلة التى تلت . ومن ذلك الوقت لم تعرها الحكومة البريطانية أى اهتمام يذكر . وينهى الأستاذ كوبلاند سرده قائلا :

لا نستطيع أن نقول إن سكان الجزائر قد استفادوا إذ أصبحوا رعايا الملكة فكتوريا بدلا من رعايا السيد سعيد .(١١٤)

---

(١٠٩) كوبلاند ، ص ٥٣٢ .
(١١٠) كوبلاند ، ص ٥٣٢ .
(١١١) كوبلاند ، ص ٥٣٤ – ٥٣٥ .
(١١٢) كوبلاند ، ص ٥٣٥ .
(١١٣) كوبلاند ، ص ٥٣٦ .
(١١٤) كوبلاند ، ص ٥٤٤ .

١٩٧– وزار أحمد السديرى الشارقة فى عام ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) حيث حاول رئيس القواسم أن يقنعه بالانضمام إلى هجوم على أبو ظبى . إن رد الأمير السعودى على هذا العرض كما أورده الوكيل البريطانى فى الشارقة جدير بالملاحظة :

أنا لا أعاهد على مثل هذا ومرادك حرب بنى ياس وحكومة مسقط وكلهم لهم معاهدة مع الإمام فيصل، ونحن نحافظ على العهد والصداقة فلا يمكن أن نمايلك عليهم.(١١٥)

فلما سمع رئيس القواسم هذا ، طلب الصفح لعرضه هذا الأمر إلا أن الأمير كلمه بشدة :

أنت يا شيخ ينبغى أن تعاهد على السمع والطاعة عن المخالفة .(١١٦)

وفى رسالة أخرى كتبت فى نحو هذا الوقت يطرى الوكيل البريطانى تصرف الأمير السعودى وخلقه الممتازين .(١١٧)

وبعد فترة كتب الأمير رسالة إلى الوكيل ، نقتطف منها ما يلى :

. . . نحمد الله الذى تتم به الصالحات . . . ونحن كذلك لا نحب إلى الخير والعافية وأن يكون حال الجميع جميل .
ولا نعامل أحد إلا بالصدق وحسن السيرة . ومن أبا عن الزين وعدم التوفيق له من الله . . .(١١٨)

١٩٨– فى عام ١٢٧٠ هـ (صيف ١٨٥٤ م) أصدر أحمد السديرى تعليماته إلى قبيلة المناصير فى الظفرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى إلى قبائل بنى قتب ونعيم وبنى كعب والغفلة والدروع ليحافظوا على السلم العام المفروض

---

(١١٥) يعقوب بن بشير إلى كبل ، شعبان ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) .
(١١٦) يعقوب بن بشير إلى كبل ، شعبان ١٢٧٠ هـ (مايو ١٨٥٤ م) .
(١١٧) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٩ شعبان ١٢٧٠ هـ (نحو ٢٧ مايو ١٩٥٤ م) .
(١١٨) واردة فى رسالة من يعقوب بن بشير إلى كمبل ، ٢٣ شوال ١٢٧٠ هـ (نحو ١٩ يوليو ١٨٥٣ م) .

من قبل الدولة السعودية . ومثل المناصير فى المباحثات جريو رئيس آل بلشعر . (١١٩) وقد برهن المناصير على أنهم صعاب المراس فاضطر الأمير السعودى لإرسال حملة عليهم فى الجواء وذلك فى أشهر الشتاء . فقتل خمسة وعشرون من المناصير واستولى على ستمائة من جمالهم . وحسب مقتضيات الشريعة أخذ الأمير خمس الغنيمة للدولة . (١٢٠) ويقول لوريمر عن هذه الحملة :

. . . ولدى رفض شيخ أبو ظبى أن يكون مسئولا عن تصرفات المناصير ، جرد (أحمد السديرى) حملة ناجحة ضد هذه القبيلة التى تعيش على النهب والسلب . (١٢١)

١٩٩ — كان مبعوث أحمد السديرى فى عامى ١٢٧٠ و ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ و ١٨٥٥ م) لأخذ الأتاوة من حاكم مسقط هو سيف بن على الظاهرى ، أحد كبار شخصيات قبيلة الظواهر فى البريمى . (١٢٢)

٢٠٠ — تراسل الإمام فيصل فى عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) مع المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ، فوصف رسالته فى البريمى

بأنها رسالة منقذ كبح جماح قبائل الداخل الهمجية ، ومنعها من السلب وقتل أهالى الساحل العزل. (١٢٣)

وأشار الإمام بارتياح « إلى التفاهم الذى دام مائة عام بيننا وبين الحكومة البريطانية فيما يتعلق بسلامة التجار والمسافرين المارين بالبحر » . (١٢٤)

---

(١١٩) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٥ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ (نحو ١٩ أغسطس ١٨٤٥ م).
(١٢٠) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٣ صفر ١٢٧١ هـ (نحو ١٥ أكتوبر ١٨٥٤ م) .
(١٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٦ .
(١٢٢) يعقوب بن بشير إلى كبل ، ٢٤ ربيع الأول ١٢٧١ هـ (نحو ١٥ ديسمبر ١٨٥٤ م) و ١٧ ربيع الثانى ١٢٧١ هـ (نحو ٧ يناير ١٨٥٥ م) .
(١٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٤ .
(١٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١١٨ .

٢٠١ ـ وفى عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) وقعت مشاكل بين سعيد بن طحنون وبين عدد كبير من أفراد بنى ياس . لقد قتل أحد رجال القرية الكبار أخاه فأراد سعيد أن يقتله ، وانحاز الناس إلى جانب القاتل ، ووافق سعيد على التخلى عن عقوبة الإعدام ، ولكن ما أن أحضر القاتل أمامه حتى « استل خنجره وقتله بنفسه » .[١٢٥] فثار الناس وطردوا سعيداً من البلدة واختاروا خلفاً له ابن عمه زايد بن خليفة . وبعد تولية زايد مباشرة طالبه البريطانيون بدفع تعويض لعمل من أعمال القرصنة الذى قامت به سفن تملكها أبو ظبى ، بجوار خورالعديد .[١٢٦]

٢٠٢ ـ حين حاول سعيد بن طحنون استرجاع مكانته خلال شهر ذى الحجة عام ١٢٧٢ هـ (يوليو ١٨٥٦ م) ، ناشد زايد الإمام فيصل أن يساعده ، فأصدر الإمام تعليماته إلى أحمد السديرى فى البريمى ليقدم إليه المساعدة التى يحتاجها .[١٢٧] وبهذه الطريقة استطاع زايد أن يستعيد سلطته فى أبو ظبى بينما خسر سعيد بن طحنون حياته فى القتال .

٢٠٣ ـ توفى سعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار فى ١٩ صفر ١٢٧٣هـ (١٩ أكتوبر ١٨٥٦ م) على ظهر سفينته « فيكتوريا » وهو فى طريقه من عاصمته السابقة إلى عاصمته الجديدة . وقبل وفاته بوقت قصير « وحتى وهو فى حالة نصف غيبوبة ، كان يطلب باستمرار الكولونيل هامرتون ، القنصل البريطانى فى زنجبار وقد كانت بينهما علاقات ود قديمة . ويشك فى أن سعيدا كان يريد أن يدله على مكان كنوزه المخبأة ، والتى لم يعثر عليها رغم البحث

---

(١٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٦٨ .

(١٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٠ .

(١٢٧) روس فى التقرير الإدارى (١٨٧٩ – ١٨٨٠ م) ص ٤٩ .

الدقيق ». [١٢٨] وقد خلف سعيداً حاكماً لمسقط ابنه ثوينى ، بينما خلفه حاكماً لزنجبار ابنه ماجد .

٢٠٤ ــ عاد أحمد السديرى إلى الحسا نحو عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) وحل مكانه أميراً للبريمى ابنه تركى . لقد دبر تركى خلال اثنى عشر عاماً أمور إقليم البريمى بذكاء حاد ويد حازمة واهتمام عظيم بأمور الناس الذين تحت إمرته . وهو الذى بنى القصر الشهير فى وسط الواحة المعروف باسم قصر السديرى . [١٢٩] وامتدت الأراضى التى كانت تحت سلطته غرباً إلى أطراف الحسا . [١٣٠] بما فى ذلك الظفرة بأكملها . وكان يوظف فى أعمال الأمن أفراد قبيلة المناصير من الظفرة . [١٣١] وكان ممثله لتسلم الأتاوة السنوية من مسقط ، محمد بن سيف ، أحد رؤساء النجادات فى قرية العين الواقعة فى القسم الجنوبى من واحة البريمى. [١٣٢] وقوى تركى علاقاته فى الواحة بزواجه من ابنة أحمد بن محمد من آل سرور ، أكبر شيوخ الظواهر ، بينما تزوج أخوه عبد الرحمن ، وقد كان مشتركاً معه فى الإدارة ، من ابنة سلطان بن محمد الصلف، أحد رؤساء آل بوخريبان من نعيم . [١٣٣] لقد كانت محافظة تركى السديرى على السلم وصيانته للأمن العام وخدمته لاحتياجات المواطنين السعوديين فى إقليم البريمى ، من الروعة بحيث أن سجل إدارته خلال السنوات العديدة التالية كان خالياً من أى اضطراب أو نزاع . فكان الناس يقومون بأعمالهم العادية ، ربما من غير أن يصنعوا تاريخاً ، ولكنهم كانوا يحيون حياة آمنه تحت الحماية التى

(١٢٨) سعيد – روته « سعيد بن سلطان » ص ٨٩ .

(١٢٩) « عقود الجمان » ص ١٥٧ .

(١٣٠) « عقود الجمان » ص ١٠٦ .

(١٣١) « عقود الجمان » ص ١٠٧ .

(١٣٢) « عقود الجمان » ص ١١٥ .

(١٣٣) « عقود الجمان » ص ١٠٦ .

قدمت إليهم مقابل تأديتهم واجباتهم مواطنين فى الدولة السعودية ، حسب توصيات الإمام فيصل (الفقرة ١٥٩ السابقة) .

٢٠٥ – وفى الفترة عينها تولى تركى ، أحد أبناء سعيد بن سلطان ، الحكم على صحار تحت سلطة أخيه ثوينى فى مسقط . وفى حوالى عام ١٢٧٥ هـ (أكتوبر ١٨٥٨ م) كتب تركى هذا إلى ثوينى يقول :

وقد اخبرتك أخانا الفعل الذى جرى من خدامك نعيم أهل القابل وهم لا صاروا رعية حتى اننا نهيهم . . . وهذا شىء لا يخفى على أحد انه فعل أهل الظاهرة (رعايا الأمير الوهابى) .(١٣٤)

إن الإشارة فى هذا النص إلى أهالى الظاهرة على أنهم رعايا الحاكم السعودى قد أضافها المترجم ، وهو الموظف البريطانى باجر ، الذى صرح بهذا دون أى تحفظ أو استثناء .

٢٠٦ – وعلى الرغم من أن ماجد قد تولى الحكم على زنجبار بعد وفاة والده سعيد بن سلطان ، إلا أن أخاه ثوينى الذى كان فى مسقط لم يتخل فى بادئ الأمر عن ادعائه بالسيادة على الأراضى الافريقية . وتدخلت الحكومة البريطانية فحكّمت فى النزاع اللورد كاننج نائب الملكة فى الهند الذى أصدر قراره عام ١٢٧٧ هـ (٢ إبريل ١٨٦١ م) بجعل مسقط وزنجبار دولتين مستقلتين بعضهما عن بعض.(١٣٥) إن قاعدة «فرق تسد» قاعدة قديمة يضعها الباحثون عن تعزيز سلطتهم نصب أعينهم . وأبدى البريجادير كوفلن المعتمد السياسى البريطانى فى عدن الذى كان مسئولا عن هيئة التحقيق التى بنى نائب الملكة على أساس أبحاثها قراره ، أبدى الملاحظات التالية فيما يتعلق بالدولتين المعنيتين ، مسقط وزنجبار :

---

(١٣٤) أوراق باجر ، وجه ورقة ٧٥ .

(١٣٥) النص الانكليزى فى ايتشيسون «المعاهدات» مجلد ١١ ، ص ٣٠٣ .

. . . ان التكوين السياسى العجيب ، إن صح هذا التعبير ، لهاتين الدويلتين ، . . . والطبع الشرس والتعصب المتمكن للقبائل العربية فى جميع المسائل المتعلقة بأى شكل من الأشكال بحقوقهم الموروثة ، بله طمعهم الجشع . . . (١٣٦)

وفى مكان آخر يتحدث البريجادير كوفلن عن حاكم مسقط بأنه « أحد الأمراء المحليين الذين يعملون تحت رئاستنا » .(١٣٧) ووجد القس باجر ، المستشرق الذى قدم خدمات جليلة للهيئة ، أن ثوينى فى مسقط لم يكن مسروراً من تصرفات المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى . وتكلم ثوينى

عما عده تدخلا لا مبرر له من قبل المعتمد فى أبو شهر وعن تدخل وكلائه المحليين فى الخليج الفارسى فى حقوقه كحاكم . (١٣٨)

وجمع باجر أيضاً معلومات ممتعة (الملحق ٩٢) عن العلاقات بين المعتمد والرؤساء البحريين مدة ثمانية أعوام بعد توقيع معاهدة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) التى كثيراً ما يشار إليها بأنها أعظم نعمة أسبغها البريطانيون على أهالى الخليج . ويلخص باجر الوضع كما وجده فيقول :

إن اعتقادى القوى ، من تجاربى الشخصية مع القبائل العربية ومما سمعته عن تلك المنطقة بالذات ، هو أن نفوذ المعتمد البريطانى بالخليج كان من شأنه أن يكون أكثر نفعاً لوكانت أعماله تتم فى روح أوسع من المجاملة والمصالحة ، ولو كانت أحكامه تقترن بغرامات أقل . أما واقع شعور الرؤساء البحريين فهو الترحيب بوجود أية قوة بحرية أخرى فى الخليج وذلك باعتباره فرصة مواتية لقطع جميع العلاقات الودية مع البريطانيين . (١٣٩)

٢٠٧ ــ وقد وقعت الحكومتان البريطانية والفرنسية تصريحاً مشتركاً فى عام ١٢٧٨ هـ (١٠ مارس ١٨٦٢ م) تتعهدان فيه « بأن تحترما على أساس المقابلة

---

(١٣٦) أوراق باجر ، وجه ورقة ١٨٥ .
(١٣٧) أوراق باجر ، ظهر ورقة ٢٦ .
(١٣٨) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٧٤ .
(١٣٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٩٠ .

بالمثل، استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبار » .(١٤٠) وقد ظهر فى عدة مناسبات فيما بعد أن هذا التصريح هو الحائل الرئيسى دون ضم مسقط إلى الإمبراطورية البريطانية مباشرة أو فرض حماية بريطانية عليها .(١٤١) ولهذا يمكن أن نلاحظ بعض الظروف التى أحاطت بذلك التصريح :

> لقد أشار التصريح — بسبب خطأ كتابى — إلى سلطان مسقط كما لو كان سعيد لا يزال حياً، ولم تحدث تجزئة فى بلاده،(١٤٢) وعلى الرغم من أن الاتفاق كان مقصوداً أن ينطبق على شرق افريقيا فقط ، إلا أنه تقرر مده إلى عمان حيث أثير الموضوع بصفة عرضية .(١٤٣)

وعلى الرغم من أن حكومة الهند هى التى كانت مسئولة عن تصريف العلاقات مع مسقط ، إلا أنها « ظلت جاهلة بوجوده (التصريح) حتى عام ١٨٧١ ».(١٤٤) أى مدة تسع سنوات بعد توقيعه . وهكذا دخلت الحكومة البريطانية بهذا الشكل العرضى المرتجل فى تعهدات جدية بصدد مستقبل دولة مسقط .

٢٠٨ — وقد تعين اللفتننت كولونيل لويس بلى معتمداً بريطانياً بالخليج الفارسى فى عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) ، وقد لعب دوراً هاماً على مسرح

---

(١٤٠) النصوص الانكليزية والفرنسية فى ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣٠٤–٣٠٥ .

(١٤١) يذكر لوريمر أن التصريح قد وجد فيما بعد تقييد غير مريح . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٤٧ .

(١٤٢) « عند ما رأى المسيو توفنيل (وزير الخارجية الفرنسية) الصورة الأولى (للتصريح) أشار ملاحظاً أن ثمة حاكمين اثنين . وكان لدى كاولى (اللورد كاولى ، السفير البريطانى فى باريس) فكرة مبهمة بأنهما شخص واحد » . كوبلاند « استغلال شرق افريقيا » (١٩٣٩ م) ص ٣٦ ، هامش ١ .

(١٤٣) كوبلاند ، ص ٣٥ .

(١٤٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٤٧ و ٤٧٧ .

الحوادث هناك خلال الأعوام التسعة التالية . وقد جاء بلى إلى الخليج بعد اتصال طويل مع الجنرال جون جيكوب الذى كان بلى معجباً بآرائه الصريحة عن موقف بريطانيا فى الشرق إلى درجة أنه جمعها ونشرها فى مجلد لتنوير الجمهور البريطانى . وتلخص هذه الآراء فى الصفحات الأولى من هذا المجلد :

سر حكمنا فى الهند

ان الحكم الذاتى أمر ضرورى لازم للعنصر الانجلو ساكسونى ، أما الشرق فإذا فرضت عليه أن يأخذ نصيباً فى الحكم ، فنى الحال لن تجد حكومة على الإطلاق . فبينما يعتبر الأول أن أى تدخل لا لزوم له فى حريته أمر خاطىء كما أنه يفكر ويتصرف على أساس أن لجميع الناس حقوقاً متساوية ، إذا بالثانى يعتبر أن اجباره على حكم نفسه هو منتهى الطغيان والظلم . وهو ينتظر أن يحكم وأن يكون ذلك الحكم صالحاً ، وإلا فإنه ربما يثور ويهلك حكامه الفاسدين ، ولكنه لا يحاول بشكل ما أن يقيم معالم الحرية .

ومن الواضح أن عنصرين من الناس ، مختلفين فى الشعور وفى مبادىء العمل ، لا يمكن قط أن يحكما فى نجاح بنظام واحد يفرض عليهما معاً . ولكن بينما يعجز أهالى الهند عن حكم أنفسهم بأنفسهم ، إلا أنهم يشعرون مثل باقى البشر بالإخلاص والعرفان نحو أولائك الذين يرفعون مركزهم الأدبى والفكرى والاجتماعى ، كما أنهم مدفوعون برغبة قوية وحمية صادقة لإظهار جدارتهم بالمركز المحترم الذى رفعوا إليه . وفى الوقت الذى يتشككون فيه فى اندادهم ولا يقبلون حكمهم ، فإنهم يخضعون بسرور للجنتلمان الإنكليزى الذى يعترفون ويشعرون جميعاً بأنه أسمى منهم ومتميز عليهم .

ولهذا فإننا نحتفظ بالهند لكوننا فى الحقيقة ، كما نحن بالسمعة ، عنصر أرقى من العنصر الآسيوى . ولو لم يكن هذا التميز الطبيعى لما احتفظنا ولا استطعنا الاحتفاظ بالبلاد مدة أسبوع واحد . ولذلك فإذا كنا حقيقة عنصراً متميزاً أدبياً ومحفوزاً بدوافع سامية وحائزاً على صفات أرقى من العنصر الآسيوى فإنه كلما ازداد فهم أهالى الهند لنا وكلما زدنا من قدرتهم على ذلك الفهم ، ثبتت قوتنا وتوطدت . ولذلك فلنترك دعوى المساواة جانباً ولنتقبل مركزنا الحقيقى عنصراً مسيطراً . وعلى أساس وضعنا فلنوطد حكمنا بأن نضع لهم مثالا عالياً ، وبأن نشعرهم بقيمة الصدق والأمانة ، وبأن نرفع قواهم الأدبية والفكرية .

أما إذا لم نكن ممتازين على الهنود ، فإن أية محاولة للاحتفاظ بسيادتنا عليهم تكون ميئوساً منها كما تكون آثمة ، وان بريطانيا لا ترغب ، ولا تستطيع ، أن تكون قوية فى الباطل . – (١٨٥٤ م) .(١٤٥)

وقد أوصى بلى ، إذ وجد أبو شهر على جانب الخليج الفارسى مركزاً غير ملائم لمقر المعتمد ، باختيار موضع آخر فى الأراضى التابعة لمسقط يكون :

صالحاً لأن يصبح مستعمرة أو على الأقل قطرة من الحياة المتحضرة فى محيط من البربرية على طول الساحل العربى ، بحيث تدخل وسائل المدنية الصحيحة السليمة ، وهى وسائل طبيعية فى عملها لكنها بطيئة ، فنطرد هذه البربرية والهمجية المريضة . واعتقد انك تجد مثل هذه الوسائل ، سواء فى قمع القرصنة أو الرق ، أثبت وفى النهاية أنجح من القطع الحربية أو التهديد إلخ ومن الزيارات الرسمية من جانب معتمدكم.(١٤٦)

٢٠٩ – وفى عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) قام البدو من نعيم وآل مرة والمناصير بإخلال الأمن وذلك بارتكاب أعمال النهب فى منطقة الحسا . فاتخذ عبد الله بن الإمام فيصل إجراءات تأديبية ضدهم ، منزلا بهم العقاب عند مورد حليوين جنوب خور العديد (١٤٧).

١١٠ – زار اللفتننت كولونيل بلى الإمام فيصل فى الرياض فى شوال عام ١٢٨١ هـ (مارس ١٨٦٥م) ، وهى أول مرة يتوغل فيها معتمد بريطانى إلى هذا الحد داخل جزيرة العرب . ويقول بلى إن هدفه من هذه الزيارة كان فى الدرجة الأولى إقامة علاقات صداقة مع الحاكم السعودى :

. . . لقد شعرت واثقاً أنه إذا ما استطعت أن أعيد اقامة العلاقات مع حاكم كفيصل ، فإننا نستطيع أن نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل دون أن نخشى أن هذا النفوذ سيبذل فى اتجاه يتنافى والاتجاه التمدنى .(١٤٨)

---

(١٤٥) الكابتن لويس بلى «آراء البريجادير جنرال جون جيكوب ونظراته» (الطبعة الثانية ١٨٥٨ م) ص ١ – ٢ .

(١٤٦) مقتطفة فى لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٢٥٥ .

(١٤٧) ابن عيسى «عقد الدرر» ص ٥٠ .

(١٤٨) لويس بلى «تقرير عن رحلة إلى عاصمة الوهابيين الرياض فى قلب جزيرة العرب» (١٨٦٦ م) ص ٧ .

إلا أن الكوماندر هوجارث ، بعد أن عمل مديراً للمكتب العربى التابع للحكومة البريطانية فى القاهرة خلال الحرب العالمية الأولى ، كان فى مركز يمكنه من أن يربط بين بعثة بلى ورحلة أخرى إلى الرياض قام بها قبل عامين وليم جيفورد بالجريف ، وكان البريطانيون يشتبهون فى أنه جاسوس لنابليون الثالث . ويقول هوجارث إن بلى « قد أرسل بقصد أن يقدم عروضاً أكثر سخاء مما قدم سلفه».(١٤٩) وإنه لمن العسير أن نتوقع من رجل متشبع بفلسفة الجنرال جيكوب إلا أن يجد جهد حركة الدعوة إلى التوحيد « مبذولا فى الدرجة الأولى فى اتجاه الشر »(١٥٠). ولكن بلى يقول إن

> جميع الاطراف قد اعترفت بأن الأمير فيصل بن سعود (الامام فيصل بن تركى آل سعود) هو حاكم شديد عادل ، لم يسبق له مثيل فى النجاح فى كبح جماح قبائله ، كما كان يود أن يزرع بينهم عادات المتحضرين ، وأن يوجه أفكارهم نحو الزراعة والتجارة . (١٥١)

وأبلغ بلى الإمام فيصل أن

> ليس للحكومة الانكليزية أى غرض فيما يختص بقبائل جزيرة العرب عدا أن تراهم يعيشون فى سلام ورخاء فى حدود ديارهم وتحت سلطة حكامهم . (١٥٢)

وإن هذا يعيد إلى الذاكرة نية البريطانيين عام ١٢٥٩ ﻫ (١٨٤٣ م) فى « التخلى عن كل تدخل فى الشئون الداخلية لجزيرة العرب » (الفقرة ١٦٠ السابقة) ، دون الإشارة إلى قول بلى عن « قطرة من الحياة المتمدنة ، فى محيط من البربرية على طول الساحل العربى » (الفقرة ٢٠٨ السابقة) أو إلى الأعمال

---

(١٤٩) هو جارث « جزيرة العرب » ص ١١٥ .

(١٥٠) بلى ، ص ٧ .

(١٥١) بلى ، ص ٧ .

(١٥٢) بلى ، ص ٥١ .

التى قامت بها الإمبراطورية البريطانية من حماية أية مشيخة من المشيخات البحرية . وقد قدم الإمام فيصل بياناً إلى بلى عن مدى اتساع أملاكه :

لقد كان دائم الحديث عن نفسه بصيغة الجمع ، واعتبر جميع جزيرة العرب تقريباً مملكة له . وقال « إن أرض جزيرة العرب هذه ، من الكويت عبر القطيف ورأس الخيمة وعمان ورأس الحد وفيما وراءها ، التى منحنا إياها الله » . . . ثم قال « إن مسقط تؤدى لنا الاتاوة وقد استولينا عليها بقوة السلاح . وكان الإمام السيد سعيد المتوفى يفهم الأمور ويتمشى مع الترتيبات . ولكن السيد ثوينى كان يختلف عن ذلك ، ويجب قهره بالقوة » . (١٥٣)

إن بلى لا يطعن فى دقة هذا البيان سواء فى الحديث الذى دار بينه وبين الإمام أو فى تقريره إلى حكومة بمباى . إنه هو نفسه فى مكان آخر يحدد مدى اتساع مساحة الدولة السعودية فيقول :

إنها تسيطر على ساحل الخليج الفارسى الغربى ، وعلى ساحل عمان . وتتلقى الأتاوات نقداً أو عيناً ، من رؤساء البحرين وأبو ظبى ودبى وأم القيوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة . كما أنها تملك مركزاً عسكرياً بارزاً فى البريمى ، يقع على مسافة بين هؤلاء الرؤساء وسلطنة مسقط ، التى تدفع الأتاوة أيضاً . (١٥٤)

وتحدث الإمام فيصل بعض الشىء أيضاً عن طبيعة حكمه فقال :

. . . . لتكن جزيرة العرب مهما كانت ، فهى لنا . وإننا لنجرؤ على القول بأنك تتساءل كيف باستطاعتنا أن نظل هكذا هنا ، منعزلين عن سائر العالم . ومع هذا فنحن قانعون . إننا أمراء بطبيعتنا على قدرنا . « إننا نشعر بأنفسنا ملوكاً فى كل شىء» . وقال إن بإمكانه أن يحكم العرب التابعين له ، وإن خطته هى أن يضرب بشدة على أيدى رؤساء القبائل حين يقوم أتباعهم بأعمال السلب أو يرتكبون جرائم أخرى . (١٥٥)

وقرب نهاية زيارة بلى قال محبوب بن جوهر ، أحد أفراد حاشية الإمام (وليس كاتبه كما فهم بلى خطأ) والذى أصبح فيما بعد أميراً على البريمى ،

---

(١٥٣) بلى ، ص ٥١ — ٥٢ .
(١٥٤) بلى ، ص ٧٣ .
(١٥٥) بلى ، ص ٥٥ .

(الفقرة ٢٣٣ اللاحقة) إن « الإمام قد خوله سلطة عرض معاهدة تبادل تلزمه بمنع عرب عمان والخليج من ارتكاب أعمال السلب أو الإضرار بمنشآتنا البرقية » .[١٥٦] وبالنظر لهدف بلى الواضح فى تحسين العلاقات ، فقد كان متوقعاً منه أن يبدى اهتماماً بهذا العرض ، إلا أنه لا لسبب سوى شعوره بأن مسلك محبوب الشخصى كان « يقوم على رفع الكلفة إلى حدما ، فقد رفض العرض كلياً » .[١٥٧]

٢١١ – وفى ملحق لتقريره عن رحلته إلى الرياض يورد بلى قائمة بأسماء القبائل الخاضعة للدولة السعودية ، وقيمة الزكاة السنوية التى تدفعها كل قبيلة منها . ومع أن القائمة ليست كاملة ، فإنها لا تغفل ذكر آل مرة ، الذين دفعوا ٣٠٠٠ ريال ، والمناصير الذين دفعوا ٢٠٠٠ ريال .[١٥٨]

٢١٢ – وفى عام ١٢٨٢ هـ (يونيو ١٨٦٥ م) أصيب الإمام فيصل بنوبة شلل ، فتولى ابنه الأكبر عبد الله إدارة شئون الدولة . وأدت حادثة وقعت فى الصيف إلى تدهور العلاقات بين البريطانيين والحكومة السعودية ، كما سيذكر ذلك فى القسم الخاص بحكم عبد الله (الفقرة ٢١٤ اللاحقة) . وتوفى الإمام فيصل فى رجب من نفس العام .[١٥٩] وبويع عبد الله حاكماً جديداً . إن وفاة فيصل قد حرمت جزيرة العرب من رجل يعد من أعظم رجالاتها فى العصر الحديث . وإن ذكراه ما زالت موضع التقدير والاحترام فى الجزيرة بأسرها ، ورجال الفرع الذى ينتمى إليه من آل سعود يطلقون على أنفسهم اليوم لقب آل فيصل بكل اعتزاز وفخر .

---

(١٥٦) بلى ، ص ٥٧ – ٥٨ .

(١٥٧) بلى ، ص ٩٣ .

(١٥٨) بلى ، ص ٩٣ .

(١٥٩) إن التاريخ المضبوط كان ٢١ رجب ١٢٨٢ . ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٥٤ .

١٥ ـ العهد الأول لحكم الامام عبد الله بن فيصل ١٢٨٢ - ١٢٨٧ هـ (١٨٦٥ - ١٨٧١م)

٢١٣ ـ كان عبد الله ، وهو الوكيل الرئيسى لأبيه مدة طويلة فى تسيير أمور الدولة ، على أتم استعداد لمواصلة الحكم السعودى حسب مبادئه التقليدية . فصيانة الأمن وتطبيق العدل وجمع الزكاة ، كلها سارت فى الطريق المعتادة، خلال فترة حكمه إلى أن ظهرت فجأة نكبة الحرب الأهلية .

٢١٤ ـ وعجلت حادثة وقعت فى صور ، الواقعة فى أقصى أطراف جزيرة العرب فى ناحية الشرق ، قبل وفاة الإمام فيصل بفترة قصيرة ، على خلق أزمة مع الإنكليز . لقد أرسل تركى السديرى ، رداً على التماس تقدم به أفراد من قبيلة الجنبة ، وهم مقيمون فى صور ، أرسل فرقة من الجند إلى هناك . ونشأ نزاع فى البلدة ، لا يزال الكثير من تفصيلاته مجهولا ، وطبقاً لما ترويه السجلات البريطانية فقد قتل شخص واحد وجرح آخر وقدر التجار الهندوكيون وهم رعايا بريطانيون، خسارتهم بمقدار ٢٧,٧٠٠ ريال . [١] ، ومع أن الحادث يدعو إلى الأسف ، إلا أنه ليس بالخطورة التى صوره بها المسئولون البريطانيون المعاصرون ، بالإضافة إلى أنه لم يجر تحقيق لتحديد الجهة التى تقع على عاتقها مسئولية ذلك العمل . وتقول رسالة تلقاها المعتمد البريطانى ويدل فحواها على أنها واردة من الإمام فيصل ، بأن الأوامر قد صدرت لإطلا ق سراح أى من الرعايا البريطانيين الذين من الممكن أن يكون قد ألقى القبض عليهم مع إعادة ممتلكاتهم إليهم .[٢] وعلى الرغم من لهجة رسالة الإمام الودية ، فإن الحكومة

---

(١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٢٢ .

البريطانية أخذت تعمل بطريقة كان قد استنكرها القس باجر قبل ذلك بأربع سنوات (الملحق ٩٢) .

> . . . بعد أن أدركت السلطات البريطانية فى الهند أن السياسة والمصالح الشخصية تتطلب منها التخلى عن موقفها الحيادى المعتاد ، أوعزت إليه (أى حاكم مسقط) بالمقاومة وأبدت استعدادها لمساعدته بالعتاد والسفن الحربية لإعادة تدعيم سلطته فى الأماكن التى قضى عليها الوهابيون فيها . وبناء على مشورة الكولونيل بلى ، فقد جرى تزويد ثوينى بمدفعين وبكمية كبيرة من مسحوق البارود وأسلحة أخرى لمهاجمة البريمى التى كان من الواضح أنها مفتاح الطريق إلى السلطة الوهابية فى عمان ، وبدأ السلطان فى جمع قبائله استعداداً للحملة . . . [٣]

وباتخاذ هذه الحادثة البسيطة عذراً سخيفاً ، تخلى البريطانيون فى هذه الفترة عن سياسة عدم التدخل فى شئون جزيرة العرب الداخلية ووقفوا بقوتهم وراء حاكم مسقط سعياً وراء إخراج السعوديين كلياً من البريمى وشرق جزيرة العرب .

٢١٥ – وفى عام ١٢٨٢ هـ (يناير ١٨٦٦ م) أرسل بلى إنذاراً إلى الحاكم السعودى . وإذ انقضت الفترة المحددة لتلقى جواب على الإنذار ، تلك الفترة التى كانت قصيرة بالنظر إلى صعوبة المواصلات فى جزيرة العرب ، قام البريطانيون بالهجوم على الجنبة فى صور وعلى السعوديين فى الدمام والقطيف ، غير أنهم صدوا فى الدمام بشكل مشين .[٤] وبعد عدة أيام من هذه الهجمات تسلم بلى رداً من الإمام عبد الله على رسالته العنيفة ، وهو الرد الذى رفض أن ينتظره والذى كان مؤرخاً من عدة أيام قبل الهجوم الذى لا مبرر له على الدمام . وقد عرض الإمام قبول بلى نفسه وسيطاً بين الدولة السعودية وحاكم مسقط وإرسال مندوب لبحث حادث صور الذى أكد الإمام بأنه من صنع أفراد الجنبة المقيمين هناك . وكانت الطريقة التى عالج به المعتمد أمر هذا الحادث صدمة ، إلى حد ما ، للسلطات البريطانية نفسها فى الهند :

---

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٤ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٢٣ – ١١٢٤ .

فقد وجهت حكومة الهند لومها لشدة المطالب المقدمة من قبل ممثليهم فى القطيف وصور ولقصر الوقت المسموح به للاستجابة إلى الشروط البريطانية فى كلا المكانين . إلا أنهم قنعوا عموماً بنتيجة تلك الأعمال .[٥]

٢١٦ ــ وانتهت أيضاً حملة حاكم مسقط على البريمى وهى الحملة التى أوحى بها البريطانيون ، إلى نهاية غير مشرفة . فبينما كان بلى فى انتظار أنباء سقوط البريمى ، قتل ثوينى ، حينما كان يستعد للسير من صحار ، بيد ابنه سالم خلال نومه . ولم يذرف البريطانيون الكثير من الدمع على ثوينى الذى يقول لوريمر إن صفاته الرئيسية كانت كما يظهر هى « الضعف والنفاق »[٦] إلا أن البريطانيين ترددوا بادئ الأمر فى الاعتراف بقاتل أبيه حاكماً . وبعد سرد أعمال سالم التعسفية المختلفة يقول بلى :

لقد أعلن بالإضافة إلى هذا قوانين تنطوى على السخف والتعصب وتمس الرعايا البريطانيين المقيمين فى أراضيه و بهذا ألقى بجميع مرافق الدولة فى أحضان الفوضى.[٧]

ولكن سالماً اضطر إلى مواجهة الواقع وأدرك أنه لن يستطيع الاحتفاظ بمنصبه حاكماً إلا بمساعدة البريطانيين ، فأسرع فى بدء صفحة جديدة وقدم للحكومة البريطانية ضمانات كافية لإرضائها ، فاعترف به رسمياً بعد أشهر قليلة .[٨]

٢١٧ ــ حسب ما ترويه السجلات البريطانية فقد زار محمد بن عبد الله ابن مانع بلدة أبو شهر فى عام ١٢٨٢ هـ (مارس ١٨٦٦ م)، وصرح للمعتمد البريطانى نيابة عن الإمام عبد الله بن فيصل أنه لن « يتلف أو يهاجم أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيا مملكة مسقط ، ما عدا

(٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٥ .
(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٦ .
(٧) « تقرير عن رحلة إلى الرياض عاصمة الوهابيين » ص ٧٧ .
(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٨ .

تسلم الزكاة التى كانت مألوفة منذ القدم » (الملحق ٩١) . غير أن محفوظات الحكومة العربية السعودية لا تضم نسخة معاصرة لهذه الوثيقة ، كما أنه لا يوجد أى ذكر لهذه المهمة فى كتب التاريخ العربية للملكة العربية السعودية . وأقل ما يمكن أن توصف به الترجمة الإنكليزية لهذا التصريح هى أنها غير سلسة ، أما من حيث الدقة فإنه لا يمكن تقرير دقتها إلا بعد مضاهاتها بالأصل العربى ، إذا وجد هذا الأصل . وإذا فرضنا أن الترجمة دقيقة فى جوهرها فإن التصريح ، إن فسر تفسيراً صحيحاً ، يتمشى والسياسة العامة للحكومة العربية السعودية فى ذلك الحين وفى هذا الوقت . ويشير هذا السرد التاريخى إلى أن الاعتداء على العرب المجاورين لم يكن أبداً من سياسة الحكومة العربية السعودية وبمشيئة الله فإنه لن يكون كذلك أيضاً ، وعلى كل حال فإن الإشارة إلى تسلم « الزكاة » من مسقط فى هذه الترجمة هو أمر مضلل فى الواقع إذ أن المراد هو تحصيل الأتاوة (قارن بالفقرتين ١٩٤ و ١٩٥ السابقتين) . وكتب البريجادير السر وليم كوفلن ، الذى كان مسئولا عن لجنة مسقط زنجبار (الفقرة ٢٠٦ السابقة) كتب عام ١٢٨٣ هـ (٢ يونيو ١٨٦٦ م) يقول :

> لقد اتفق على تلك الأتاوة عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) مع السيد ثوينى المتوفى الذى كان آنئذ محافظ مسقط نيابة عن والده السيد سعيد الذى وافق على الاتفاق فيما بعد . وكانت هذ الأتاوة تعتبر أول واجبات دولة مسقط .
>
> وكانت تدفع بانتظام من قبل السيد سعيد خلال فترة حياته كما أنه أمر بها بعده واستمر ابنه وخليفته السيد ثوينى فى تأديتها . (٩)

وفسر الموظفون البريطانيون تحصيل الأتاوة بأنه أمر ينطبق على مسقط فقط . والقس باجر ، الذى عمل أيضاً مع لجنة مسقط وزنجبار فى عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) ، اعتبر أن التصريح يعنى :

---

(٩) أوراق باجر ، وجه ورقة ٣٥٤ .

أن (الإمام عبد الله) ان يهاجم القبائل العربية المتحالفة مع البريطانيين ، لا سيما قبائل عمان ، ما دامت الزكاة المعتادة المفروضة على تلك الإمارة تدفع فى حينها.[١٠]

وكتب ايتشيسون الذى كان فى تلك الفترة وكيل وزارة الخارجية لحكومة الهند يقول :

. . . . إنه (أى الإمام عبد الله) ان يؤذى الرعايا البريطانيين فى أراضيه ، وان يهاجم أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما قبائل مسقط ، كما أنه سيقصر مطالبه من تلك الدولة على تسلم الأتاوة المعتادة .[١١]

وفى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) كتب اللفتننت كولونيل روس ، المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى يقول :

إن الأمير امتنع عن مهاجمة دول عربية متحالفة ودياً مع الحكومة البريطانية ، كما أنه سيكتفى بتسلم الأتاوة من دولة مسقط .[١٢]

٢١٨ — وفى عام ١٢٨٤ هـ (صيف ١٨٦٧ م) ثار تركى بن سعيد بن سلطان (الفقرة ٢٠٥ السابقة) على ابن أخيه سالم وتقدم نحو مسقط . وتسلم سالم الذى كان حتى ذلك الحين أداة البريطانيين المختارة مبلغ ٤٠,٠٠٠ ريال من نائب الملكة فى الهند لاستعمالها ضد تركى.[١٣] وأعلنت الحكومة البريطانية أنها لن تعترف بتركى حتى ولو انتصر ، وأن السفن الحربية البريطانية ستدك جميع الحصون التى قد يستولى عليها .[١٤] ففشلت الثورة .

٢١٩ — وفى عام ١٢٨٥ هـ (سبتمبر ١٨٦٨ م) اتخذ البريطانيون إجراءات تأديبية ضد رئيس أبو ظبى الذى كان قد قام بهجوم « فى منتهى

---

(١٠) باجر ، ص ١٠٦ .

(١١) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ١٨٥ .

(١٢) التقرير الإدارى (١٨٧٩ — ١٨٨٠ م) ص ٥٠ .

(١٣) أوراق باجر ، وجه ورقة ٣٦٩ .

(١٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٩ .

الخداع والتخريب »[١٥] على أهالى قطر قبل عام تقريباً من ذلك التاريخ . واضطر زايد بن خليفة لتسليم ثلاثة مدافع هى كل ما كان فى حوزته . إلا أن البريطانيين قرروا بعد ذلك بوقت قصير إعادتها له لأنه بدونها عاجز عن الدفاع عن عاصمته (وهى قريته الوحيدة) فى وجه البدو المجاورين.[١٦] إن هذا هو الرئيس العظيم الذى أراد الكولونيل بلى بعد ثلاثة أعوام أن يمنحه جميع الساحل من أبو ظبى إلى خور العديد (الفقرة ٢٣٥ اللاحقة) وذلك بدون أية صلاحية أو مبرر.

٢٢٠ — وشهدت عمان عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) تطورات بالغة الأهمية إذ اتفق الأباضيون فيما بين أنفسهم ، بعد أن وجدوا أنه غير ممكن إقامة حكومة إسلامية عادلة ومستقرة تحت زعامة مسقط ، على إحياء الإمامة القديمة . واختاروا لهذا المنصب عزان بن قيس ، أحد أفراد آل بو سعيد . وفى الخريف أحدقت قوات الأباضيين تحت قيادة عزان بمسقط وبذل الكونيل بلى الذى كان آنئذ فى الميناء مصادفة ، كل ما فى وسعه لمساعدة سالم (وبالإمكان هنا أن نعيد إلى الأذهان ملاحظة هوجارث عن أن بريطانيا ارتبطت بمساعدة حكام مسقط ضد أهالى عمان) .[١٧] إلا أن هذا لم يكن كافياً إذ أرغم سالم على الفرار على ظهر سفينته « البرنس أوف ويلز ». وجرى انتخاب عزان فى مسقط.[١٨] ولأول مرة فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) أصبح للأباضيين فى عمان إمام حقيقى يقدمون له فروض الطاعة .

٢٢١ — وبينما كان بلى يحاول المحافظة على مركز سالم فى مسقط تلقى برقية من الحكومة البريطانية فى الهند تقول :

---

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٠٠ .
(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٢٣ .
(١٧) الفقرة ٢٢ السابقة .
(١٨) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٣٧ .

> لا تكن متسرعاً فى الاعتراف بخلع السلطان السيد سالم ولا تستعمل القوة لمصلحته .
> وفى حالة الانتخاب فإن الحكومة تفضل السيد تركى .[١٩]

لقد كان تركى هو ذلك الرجل الذى تحدث باجر عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) عن « تعسفه الذى لا يطاق ».[٢٠] وقد كانت الحكومة البريطانية مستعدة على ما يظهر لقبول أى شخص خلاف من يختاره أهالى عمان .

٢٢٢ – ولم ترفض الحكومة البريطانية الاعتراف بعزان خلال فترة إمامته القصيرة فحسب ، بل اتخذت خطوات أخرى لتقويض سلطته وإنهاء عهد هذا الإمام الذى ربما اعتبر من « أكفأ حكام عمان المعاصرين وأتعسهم ».[٢١] وكما يقول لوريمر ، فإنه لولا أعمال الحكومة البريطانية :

> لربما استطاع عزان على كل حال أن يتغلب على جميع مصاعبه وأن يجعل من عمان ، فترة من الزمن على الأقل ، شبه مملكة منظمة .[٢٢]

٢٢٣ – ونزح القبيسات عن أبو ظبى مرة أخرى عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩م) على أثر السخط الذى انتابهم من قسوة حكم زايد بن خليفة واستقروا فى العديد (قارن بالفقرة ١٣٠ السابقة) .

٢٢٤ – وتوجه تركى السديرى أمير البريمى فى ١٢٨٥ هـ (إبريل ١٨٦٩ م) إلى الشارقة للمساعدة فى تسوية الصعاب الطارئة بين أفراد الأسرة الحاكمة . ونشب قتال فى البلدة خلال وجود تركى بها انتهى بمقتله . أما الذين اقترفوا هذا العمل ، فقد غشاهم الندم ، بعد أن رأوا أن عملهم التحريضى هذا قد حرم

---

(١٩) أوراق باجر ، ظهر ورقة ٣٧٧ .
(٢٠) أوراق باجر ، وجه ورقة ٢٧٣ .
(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩١ .
(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩٢ .

الإقليم من زعيم عمل بدون كلل لرفاهية الأهالى طوال سنوات عديدة من الزمن . وخلف تركى فى منصبه أميراً على البريمى أخوه عبد الرحمن .[٢٣]

٢٢٥ ـ وبعد أن قام عزان إمام الأباضية الجديد بتوطيد حكمه فى عمان الداخلية ، قرر فى عام ١٢٨٦ هـ (أوائل صيف ١٨٦٩ م) التحرك متجهاً إلى البريمى . وكان السعوديون قد قدموا قبل ذلك بخمسة أعوام لمساعدة عزان عندما وقع فى أزمة شديدة .[٢٤] غير أن نكران الجميل نقيصة فى الناس شائعة ، وقد رأى عزان الآن الفرصة السانحة التى هيأها موت تركى السديرى . وقيل أحياناً إن قبيلة نعيم فى البريمى هى التى دعت عزان للذهاب إلى هناك ، غير أن الكولونيل ديسبرو الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط يقول بالإشارة إلى ذلك فى تقريره بتاريخ ٨ يونيو « الحقيقة هى أن التوصل إلى الصدق أمر صعب ».[٢٥] وربما أن زعيماً أو زعيمين ممن كانوا غير راضين موقتاً ، قد خاطبا عزان بهذا الصدد ، ولكن غالبية القبيلة ظلت على ولائها للجانب السعودى . دخل عزان الواحة فيما بعد فى الصيف بيد أنه لم يفلح فى السيطرة على المكان بأسره ، إذ أنه عقب مرور أكثر من شهرين على وصوله « كانت بعض القرى لم تخضع له بعد » .[٢٦] ومكث عزان مدة قصيرة عاد بعدها إلى بلاده. وبعد ذلك بقليل سمع الكابتن واى مساعد المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى من رئيس دبى :

> أن أهالى البريمى يريدون الإمام عبد الله بن فيصل وليس السيد عزان ، وإذا ما قدم الإمام عبد الله أو أرسل مندوباً ، والمفهوم أنه سيفعل هذا فى فصل الشتاء ، فإن جميع الأطراف سينضمون إليه ضد السيد عزان .[٢٧]

---

(٢٣) « عقود الجمان » ص ١٥٤ .
(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٧٣ و ١١١٥ .
(٢٥) أعمال وزارة الخارجية فى حكومة الهند ، أغسطس ١٨٦٩ ، رقم ٣٢١ .
(٢٦) الأعمال ، فبراير ١٨٧٠ ، رقم ١٦٧ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٦٩ م
(٢٧) الأعمال ، فبراير ١٨٧٠ ، رقم ١٦٧ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٦٩ م .

وقد أكد هذه المعلومات رئيس عجمان .

٢٢٦ – ولم يستهن الإمام عبد الله بن فيصل بضياع البريمى ، العاصمة الإقليمية فزحف بقواته فى عام ١٢٨٦ هـ (شتاء ١٨٦٩ – ١٨٧٠ م) إلى إقليم الحسا توطئة لمهاجمة عزان .[٢٨] إلا أنه اضطر إلى التخلى عن فكرة الحملة فى النهاية ، إذ لم تسقط الأمطار فى الظفرة ذلك الشتاء مما جعل سلوك هذا الطريق أمراً يكاد يكون مستحيلا على جيش كبير . وكان على عبد الله أيضاً أن يأخذ حذره نظراً للثورة التى قامت على حكمه من جانب أخيه سعود الذى ظهر فى البريمى فى عام ١٢٨٦ هـ (أوائل ١٨٧٠ م) . ولكن سعود على كل حال لم يمكث طويلا هناك إذ اتجه غرباً تمهيداً للاشتباك مع أخيه.[٢٩]

٢٢٧ – وقد ظل سالم ، بالرغم من قيام عزان بطرده من مسقط ، يدعى لنفسه بحق الحكم رافضاً الاعتراف بحق عزان فى ذلك ، وبذل عدة جهود لاستعادة مركزه . ولكن قبيل نهاية عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) أصبح من الواضح أن فرص سالم فى النجاح كانت قليلة أو معدومة إطلاقاً . وحل مكانه تركى بن سعيد بوصفه أقوى منافس لسلطة عزان . وقد سمح البريطانيون لتركى ، مع علمهم التام بأهدافه ، بمغادرة الهند فى أواخر عام ١٢٨٦ هـ (أوائل عام ١٨٧٠ م) إلى شرق جزيرة العرب .[٣٠] وقد سبق لتركى ، وهو الجد الأكبر لسلطان مسقط الحالى ، أن تطلع إلى العرش فيما قبل ذلك (الفقرة ٢١٨ السابقة) وأصبح الآن أمل البريطانيين الأول فى إعادة تأسيس ذلك النوع من الحكم المفضل لديهم فى مسقط ، وهو الحكم الذى يعتمد على سلطتهم ويخدم رغباتهم .

---

(٢٨) ابن عيسى «عقد الدرر» ص ٧٢ .

(٢٩) ابن عيسى «عقد الدرر» ص ٧٣ .

(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٨٦ .

٢٢٨ ــ ولما كان تركى بن سعيد يدرك أن مركز عزان كان أضعف ما يكون فى الظاهرة حيث الأهالى سنيون وليسوا أباضيين، تحرك للعمل ضده فى ذلك الإقليم . ولكن لاقى تركى بعض الصعاب فى محاولاته لكسب قبيلة نعيم إلى جانبه . وفى محرم ١٢٨٧ هـ (٢٧ إبريل ١٨٧٠ م) بعث الوكيل السياسى فى الشارقة إلى بلى بتقرير يقول فيه :

يظهر أن محمد بن على (أحد رؤساء نعيم) ليس راضيا فى قرارة نفسه بالسيد تركى . [٣١]

وبعد فترة وجيزة ذكرت حكومة الهند فى رسالة إلى وزير الدولة لشئون الهند أن تركى قد انسحب من عمان موقتاً لأنه لا ينتظر أن يؤيده محمد بن على النعيمى. [٣٢] وكان أهالى البريمى لا يريدون عزان (الفقرة ٢٢٥ السابقة) كما أنهم كانوا لا يريدون تركى ، لأنهم لم يعتادوا الخضوع لحكم آل بو سعيد فى مسقط .

٢٢٩ ــ وفى عام ١٢٨٧ هـ (سبتمبر ١٨٧٠ م) عاد تركى بن سعيد إلى عمان وحاول الاستيلاء على البريمى. وكانت نعيم آنئذ قد استعادت الحصول على القصور فى الواحة باستثناء واحد منها . [٣٣] ولكن الحصار الذى فرضه تركى انتهى إلى الفشل الذريع. [٣٤] ولدى مغادرته البريمى، التقى تركى بجيش عزان فى المنطقة المجاورة لضنك ، وأحرز عليها انتصاراً مهد السبيل لانهيار زعامة عزان فى ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) . وكتب باجر فى عام ١٢٨٧ هـ (أواخر ١٨٧٠ م) يصف البريمى بأنها « الآن فى قبضة نعيم الذين يدفعون الزكاة للأمير الوهابى » . [٣٥] ولم تتجاوز علاقة عزان الضئيلة بالبريمى إلا ما يزيد على العام

---

(٣١) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ .
(٣٢) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ ، رقم ١٢٢ بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٧٠ .
(٣٣) باجر ، ص ١١٧ .
(٣٤) الأعمال ، ديسمبر ١٨٧٠ ، بتاريخ ٢ أكتوبر ١٨٧٠ م .
(٣٥) ابن رزيق ، ترجمة باجر ، ص ٤ ، هامش ٢ .

بقليل . وطيلة هذه المدة كانت الحكومة البريطانية وكبار آل بو سعيد ، وهم سالم ومن بعده تركى ، يعتبرونه ثائراً على دولة مسقط وليس حاكماً شرعياً . وتلقى تركى الجد المباشر للأسرة الحاكمة فى مسقط ، صداً عنيفاً فى المرة الوحيدة التى حاول فيها السيطرة على البريمى .

٢٣٠ ـ ونزل سعود بن فيصل آل سعود الذى ثار على أخيه الإمام عبد الله (الفقرة ٢٢٦ السابقة) إلى البر بالقرب من الحسا وهزم الجيش الذى بعث به عبد الله لمقاومته فى عام ١٢٨٧ هـ (أواخر ١٨٧٠ م) .[٣٦] وفى أوائل العام التالى لجأ عبد الله إلى شمال جزيرة العرب تاركاً الميدان خالياً أمام سعود ليصبح حاكماً على الدولة السعودية . وهذه الحرب الأهلية التى نشبت بين أبناء فيصل ، كانت أمراً مفجعاً ، لاسيما وأن عبد الله وسعود كانا رجلين موهوبين حرص كل منهما بدوره على التمسك بتقاليد بيته وذلك عن طريق منح رعاياه نعمة العدل والإدارة المنصفة . وجرت هذه الحرب فى أعقابها فترة من الضعف النسبى على الدولة السعودية ، حيث كان كبار الرجال مضطرين لتركيز كثير من اهتمامهم فى الصراع حول السلطة العليا فى نجد . يضاف إلى ذلك ، أن هذا الخلاف قد أتاح الفرص للمعتدين لوضع أيديهم على بعض الممتلكات السعودية ، وأولهم الأتراك فى الحسا ثم آل رشيد فى نجد نفسها . وعلى كل حال ، فإنه يقتضى النظر إلى هذه الفترة من الضعف النسبى على وضعها الصحيح . فأول ما فى الأمر هو أن مجموع الفترة لم يتجاوز الثلاثين عاماً تقريباً ، بينما لم تستغرق فترة خلو العرش عندما فقد آل سعود سلطته فى الرياض أكثر من ثلث تلك المدة . وانتهى النزاع بين الإخوة فى أقل من جيل واحد ، إذ قام الإمام عبد الرحمن ، وهو الأخ الأصغر لعبد الله وسعود و والد الملك الراحل عبد العزيز ، بحسم الخلافات التى أدت إلى انقسام بيته .

---

(٣٦) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٧٥ .

٢٣١ – ويقدم إبراهيم فصيح العلامة العراقى الذى كتب وصفاً لنجد فى عهد الإمام عبد الله (الفقرة ٣٥ السابقة) ، تفصيلات عن أعمال جهاز الحكومة السعودية . فقد قامت بجمع الزكاة طبقاً لتعاليم الشريعة على مواشى البدو ، وكذلك على المنتجات الزراعية العائدة لأهالى الحضر . أما الحصيلة التى كانت تجمع ، فكانت تكاد لا تكفى لتغطية نفقات الدولة ، التى كانت تشمل دفع قواعد محددة لرؤساء القبائل ، ومخصصات العائلة المالكة وعلماء الدين والقضاة ، والعناية بالفقراء والمعوزين فى طول البلاد وعرضها . ولم تحتفظ الدولة السعودية بجيش نظامى ، إذ كان بإمكانها تجنيد مائة ألف مقاتل تقريباً من القبائل فى أوقات الشدة . ويقول العلامة العراقى ، إن مائة من هؤلاء الجنود هم كفء لألف من غيرهم ،لأن شجاعتهم هى كشجاعة أولئك الذين ذكروا فى القرآن : «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد » .[٣٧] وكان عدد الموظفين الدائمين فى الإدارة حوالى الألف فى نجد ، ومثل هذا العدد تقريباً فى الحسا والقطيف ، وما يقرب من الخمسمائة فى عمان التى كانت تضم طبعاً البريمى والجزء الغربى للمناطق المتنازع عليها الآن .[٣٨] ومع أن هذا الجهاز كان صغيراً بشكل غير عادى لإدارة شئون مجموعة كبيرة من السكان ، تنتشر فى منطقة شاسعة ، إلا أن الدولة قد تمكنت من إبقاء البدو تحت سيطرتها ومن صيانة الأمن.[٣٩] وأصبح جميع أهالى نجد على علم بمبادئ الدين الإسلامى التى عادت عليهم بفوائد عظيمة فى تنظيم أسلوب حياتهم اليومية.[٤٠] ووصفت قبيلة المناصير بأنها خاضعة لآل سعود.[٤١] وفى عمان كانت المدن والمناطق المأهولة بالبدو

---

(٣٧) القرآن الكريم ، سورة الفتح ، الآية ١٦ .

(٣٨) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١١٤ وظهرها .

(٣٩) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١٠٠ .

(٤٠) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١٢٧ .

(٤١) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » ظهر ورقة ١٠٧ .

تدين بالطاعة وتتبع الشريعة.[٤٢] فى حين أن قبائل متعددة فى تلك المناطق من عمان الواقعة شمالى البريمى كانت خاضعة لحكم الإمام السعودى .[٤٣]

---

(٤٢) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » ظهر ورقة ١٢٩ .
(٤٣) ابراهيم فصيح « عنوان المجد » وجه ورقة ١٠٨ .

١٦ – حكم الإمام سعود بن فيصل ١٢٨٧ – ١٢٩١ هـ (١٨٧١ – ١٨٧٥م)

٢٣٢ – لم يكن سعود بن فيصل ليقل فى كفاءته عن المستويات العالية التى وضعها أئمة بيته ، غير أنه استولى على السلطة بأن ثار على أخيه الذى كان مستمراً فى معارضته له خلال مدة حكمه . أضف إلى ذلك ، أن تقدم الأتراك فى إقليم الحسا خلال الأشهر الأولى لحكمه ، صرف هذا الحاكم الجديد عن واجبه الهام فى رعاية مصلحة شعبه الروحية والمادية .

٢٣٣ – وفى عام ١٢٨٧ هـ (أوائل عام ١٨٧١ م) عين محبوب بن جوهر أحد الأتباع المخلصين القدماء للإمام الراحل فيصل (الفقرة ٢١٠ السابقة) أميراً سعودياً على البريمى ، وقد رحب به أحد إخوة رئيس الشارقة الذى كان قد طرد زايد بن خليفة من أحد قصور صعرا واحتفظ به لآل سعود فى انتظار مثل هذا التعيين .[١] وبعث ويدربرن ، سكرتير حكومة بمباى بالنيابة ، بتقرير إلى أيتشسيون وزير خارجية حكومة الهند قال فيه :

> ومثالا على مطالب أمراء الرياض فى عمان ، فإنى أرغب فى أن أبين أن أول عمل قام به وكيل الإمام الوهابى سعود ، عند ما استولى على البريمى ، هوأنه طلب من المشايخ تقديم فروض الولاء له .[٢]

وكتب محبوب فى عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) رسالة إلى ناصر بن خلفان وهو تاجر فى الشارقة ، يقول فيها :

> . . . الحركات ساكنة والبلاد مطمئنة بالله تعالى ثم بالإمام سعود أدام الله وجوده .[٣]

---

(١) « عقود الجمان » ص ١٤٤ . كان زايد ينزل فى القصر باسم الامام عزان بن قيس .

(٢) الأعمال ، سبتمبر ١٨٧١ ، رقم ٤٣ .

(٣) أوردت فى « عقود الجمان » ص ١٤٦ .

٢٣٤ ـ أصبح تركى بن سعيد الحاكم الفعلى لمسقط بعد عزل الإمام عزان ووفاته فى عام ١٢٨٧ هـ (نهاية شهر يناير ١٨٧١ م) ، لكنه لم يتلق اعترافاً من الحكومة البريطانية بحكمه إلا بعد ذلك بنحو سبعة أشهر . [٤] وسلم تركى خلال فترة الانتقال إلى القواسم وثيقة تهدف للعمل على استقرار علاقاته معهم طبقاً للتعهد الذى كان والده قد أعطاه نحو عام ١٢٦٩ هـ (١٨٥٢ م) (الفقرة ١٨١ السابقة) ، وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الواثق بالله المنان تركى بن سعيد بن سلطان إلى كافة من يراه . أما بعد فقد صار القرار بيننا والشيخ الأخ حمد بن ماجد بن سلطان بن صقر على ما جرى بين سيدنا الوالد سعيد بن سلطان والوالد الشيخ سلطان بن صقر بثبات الصحبة والصداقة كذا الحوز والاحرام من خطم أملاحه مشمل هو للقواسم ما عدى بلد خصب بما حوته من الأطراف وان لهم منا الحشمة التامة والكرامة العامة والنفع لا ينقطع كما جرى فى زمن سيدنا الوالد سعيد وزيادة وعلى هذا عهد الله وأمانه لا حيلة ولا دغيلة اليوم ودوم كيلا يخفى على القاصى والدانى والسلام

كتبه مملوكه بأمره سليمان بن سالم فى ١٥ صفر المظفر ١٢٨٨ (نحو ٦ مايو ١٨٧١)

صحيح
تركى بن سعيد
بيده
(الختم) [٥].

وينبغى استلفات النظر هنا إلى العبارة الخطيرة التى تقول « لا حيلة ولا دغيلة اليوم ودوم » ، وكذلك إلى أن الوثيقة وضعت بعد مرور أكثر من ثلاثة شهور على وصول تركى إلى الحكم . ولم يرد ذكر لأية شروط يقتضى على القواسم تنفيذها ، كذلك لم يجر تحديد أية خدمات يتعين عليهم القيام بها .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٤٩٩ .
(٥) « عقود الجمان » ص ٩٧ – ٩٨ .

واستعلمت الحكومة البريطانية من تركى عن هذه الوثيقة بعد ثمانية أعوام من ظهورها :

> ولكنه أنكر هذه الاتفاقية الآن على أساس أنها وضعت قبل توليه مقاليد السلطنة ، وبأنها كانت مقيدة ببعض الخدمات التى يتعين على الشيخ القاسمى أن يؤديها ، إلا أن الأخير لم يؤد شيئاً من هذا (٦) .

ويظهر أن الحكومة البريطانية قد قبلت هذا التفسير . (٧)

٢٣٥ ـ وفى عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) اتخذ الكولونيل بلى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى خطوة يظهر أنها ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بالمطالب التى تنظر فيها هيئة التحكيم . ففى عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) ذكر الكابتن كمبل أحد أسلاف بلى فى منصب المعتمد ، أن الممتلكات الإقليمية للمشيخات البحرية (بما فى ذلك أبو ظبى) « مقصورة على البقاع المأهولة على ساحل البحر ، ويمكن أن يقال بأنها محددة بأسوار قراها ، وبساتين النخيل المتاخمة » (الفقرة ١٩٤ السابقة) . وليست ثمة إشارة ولا فى السجلات البريطانية قبل عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) ، حسبما يمكن تقريره ، بأن أراضى أبو ظبى كانت تمتد مسافة بعيدة على طول الساحل ، أو تتوغل إلى أى بعد فى الداخل . أما الكولونيل بلى فقد تطوع من نفسه فى اتخاذ إجراء تحكمى عندما أصدر حكماً فى صالح أبو ظبى يلحق بها أكثر من خمسمائة كيلومتر من الساحل . غير أن الحكومة البريطانية لم تكن مرتاحة بوجه خاص إلى هذا العمل الذى قام به بلى ، كما سيتضح ذلك (الفقرة ٢٣٦ اللاحقة) ، غير أنها لم ترفض ذلك كلياً ، ومع مرور الزمن فإنها أخذت تولى هذا العمل ونتائجه تقديراً أكبر . ويتكون عمل بلى هذا من تقريره أن قرية العديد تعود إلى أبو ظبى . ويبين تاريخ المكان ،

---

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٨٠ .

(٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٢٦ .

وقد جرى سرده ببعض التفصيل (الفقرات ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٥ و ١٧٤ و ٢٢٣ السابقة) . إن سكان العديد ، حين يكون فى العديد سكان ، إنما هم إمّا من أهالى نجد أو من الخارجين على سلطة أبو ظبى ، ولم يكن رئيس أبو ظبى قد مارس قط حكماً هناك أو اعترف له بذلك (انظر البيان الذى قدمه الشيخ عبد الله آل ثانى حاكم قطر السابق فى الملحق ١١٢) . وعلى كل حال ، فقد قام بلى بإبلاغ حكومة بمباى عام ١٢٨٧ هـ (١١ مارس ١٨٧١ م) بأنه قد جمع معلومات تشير إلى أن العديد تتبع أبو ظبى. [٨] إلا أن بلى لم يبين هذه المعلومات ، كما أنه يستحيل أن نتصور ، حتى مع الاستناد إلى بينات بريطانية رسمية أخرى ، كنه هذه المعلومات . وعلى أساس هذه المعلومات المزعومة ، كتب بلى إلى زايد بن خليفة فى أبو ظبى يبلغه أن العديد تابعة له ، ويقول له :

> وبناء على ذلك ، فإننى أعتبرك محقاً تماماً فى الطلب من كل شخص مقيم فى العديد أن يخضع لحكمك. [٩]

وكتب بلى فى نفس الوقت إلى القبيسات المقيمين فى العديد يقول :

> . . . . على أثر القيام بتحقيق دقيق ، ، فإن جميع القرائن تتفق فى اعتبار العديد جزءاً لا يتجزأ من أراضى شيخ أبو ظبى ، فإذا ما رغبتم فى الاستقرار بالعديد ، فيجب أن يكون ذلك بموافقة شيخ أبو ظبى ، على أن تخضعوا لحكمه . وإلا فإن هناك خطراً من أن يجد شيخ أبو ظبى ، الذى قد قام الآن بتنفيذ شروط الهدنة البحرية بإحالة الموضوع إلى المعتمد ، نفسه مضطراً فيما بعد إلى إرغامكم على ذلك بالقوة . [١٠]

ومع أن الأسس التى بنى عليها بلى قراره ما زالت غير مفهومة ، إلا أن الدافع لا يصعب استخلاصه . فقد كانت تستحوذ على بلى فكرة تلقيح « محيط البربرية على طول الساحل العربى بقطرة من الحياة المتحضرة » يدخلها البريطانيون

---

(٨) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٦٩ .

(٩) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧١ بتاريخ ٤ مارس ١٨٧١ .

(١٠) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٠ بتاريخ ٤ مارس ١٨٧١ .

(الفقرة ٢٠٨ السابقة) . ولما كانت سياسة الحكومة البريطانية لا تحبذ – على العموم – ضم أراض من البر فى جزيرة العرب بشكل مباشر (باستثناء عدن كما هو ملاحظ) ، فإن أحسن وسيلة لتحقيق هذا الهدف كانت عن طريق الحكام الذين هم أداة طيعة فى يد البريطانيين . وكان زايد شيخ أبو ظبى قد كتب إلى بلى قبل ذلك بعامين يقول :

أنا طوع أمرك فى كل شىء ، وآمل أن تبعث إلى بالتوجيهات وأنا لا أرغب فى استشارة أحد غيرك . وأنا مقتنع بأنك سوف تعمل على أن أكون موضع الرعاية.[١١]

وإن محاولة توسيع سلطة زايد بحيث تبدأ من أسوار قريته حتى قاعدة شبه جزيرة قطر كان المقصود منها أيضاً خدمة الأهداف البريطانية وذلك بإقامة حاجز فى وجه الحكم السعودى ذى النفوذ الذى شعر بلى بأنه « مبذول فى الدرجة الأولى فى اتجاه الشر » (الفقرة ٢١٠ السابقة). وكذلك أصبح هذا التوسيع بعد وقت قصير يعتبر مفيداً فى مقاومة التوسع التركى فى شرق جزيرة العرب (الفقرة ٢٤٢ اللاحقة) . ومع أن هذه الاعتبارات السابقة كانت ترجع فى الدرجة الأولى إلى الساحل بين أبو ظبى والعديد إلا أن تصرفات بلى استعملت أيضاً فى خدمة المصلحة البريطانية حين نشأت مشكلة تقرير مصير الأراضى الداخلية الملاصقة لهذا الساحل (الفقرة ٣٠٧ اللاحقة) .

٢٣٦ – أما أهالى العديد فلم يتقبلوا أمر المعتمد هذا بوداعة ، إذ قام رئيسهم بطى بن خادم بتذكير الميجر سدنى سميث مساعد المعتمد فى عام ١٢٨٨ هـ (يوليو ١٨٧١ م) بأن القبيسات قد استقروا فى العديد بتصريح من المعتمد صدر فى كتاب منه عام ١٢٨٦هـ (٢٧ أغسطس ١٨٦٩م) وقال بطى :

إننا فقراء، ونملك نحو ١٢ قارباً للغوص على اللؤلؤ فقط ولفقرنا هذا و بسبب المجاعة فليس لدينا ما نقتات به إلا الحشائش والأسماك كما أننا لا نملك شيئاً يمكن لزايد أن

(١١) الأعمال ، مايو ١٨٦٩ ، رقم ٢٢٧ بتاريخ ٣ مارس ١٨٦٩ .

يقبله منا ، فزايد يملك نخيلنا ونساءنا وممتلكاتنا . . . إلخ فى أبو ظبى . إن زايد رجل طاغية ، ونحن تخلينا عنه بسبب ظلمه الشديد . (١٢)

وكتب بطى أيضاً إلى بلى فى هذا الوقت يقول :

. . . لو أننا رأينا زايد قد سار سيراً طيباً مع الناس فى الماضى ، لما كنا قد تركناه لكننا تركناه بسبب ظلمه . فنحن قوم فقراء . وإذا ما قال زايد بأن العديد له فإن هذا غير صحيح فهى أراضى أجدادنا ولا حق له علينا . (١٣)

فكان على بلى أن يبعث بتقرير إلى حكومة بمباى فى عام ١٢٨٨ هـ (٣١ يوليو ١٨٧١ م) جاء فيه :

... إن أهالى العديد يقولون إن العديد ليست تابعة لابو ظبى وإنهم راغبون فى العيش جماعة مستقلة تحت راية ساحل الصلح . وإنه عرضت عليهم الحماية التركية ولكنهم رفضوا قبولها حتى الآن .

ويفترض بأنه إذا ما حاولت أبو ظبى الآن إرغام هؤلاء فإنهم سيقبلون الراية التركية وبذلك يعقدون الأمور أكثر فأكثر . (١٤)

وكان الأتراك آنئذ فى الحسا (الفقرة ٢٣٧ اللاحقة) وبذلك تورط المعتمد أكثر مما كان يتوقع . وتأخرت الأوراق المتعلقة بهذا الموضوع لسبب ما فى الوصول إلى حكومة الهند العليا ، وعندما قرأها فى النهاية أيتشيسون وزير الخارجية ، دون فى عام ١٢٨٩ هـ (٢٣ مارس ١٨٧٢ م) ما يلى :

من المحتمل أن يكون الكولونيل بلى على صواب فى أن العديد جزء من أراضى أبو ظبى ، ولكنه ليس هناك أى داع إلى قيامنا فى الوقت الحاضر بالبت فى الموضوع مع أن الكولونيل بلى قد بت فيه عملياً بإبلاغه الكلا الطرفين . وإن وجهات نظر حكومة بمباى صحيحة ، ويبدو من العبث إصدار أوامر على مثل هذه الأوراق القديمة التى تتعلق بأمور من المحتمل أن تكون قد هدأت الآن . (١٥)

---

(١٢) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٦ بتاريخ ٢١ يوليو ١٨٧١ .
(١٣) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٥ بتاريخ ٢٣ يوليو ١٨٧١ .
(١٤) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٧٣ .
(١٥) الأعمال ، مارس ١٨٧٢ ، رقم ٣٦٨ .

وهنالك تعليق على ذلك بتوقيع (ن) – وهو على الأرجح اللورد نابيير أوف ميرشستاون الذى كان يعمل آنئذ نائباً للملكة يقول : « حسناً جداً » وعلى كل حال فإن هذه ليست هى المرة الأولى التى يتقبل فيها موظف كبير غلطة موظف صغير لكى يجنب نفسه مؤونة تصحيحها .

٢٣٧ – وقد انتهز مدحت باشا ، والى بغداد العثمانى وكان نشيطاً جداً ، فرصة اضطراب الأمور فى الدولة السعودية فبعث بحملة عسكرية إلى إقليم الحسا فى عام ١٢٨٨ هـ (صيف ١٨٧١ م) . وقام الأتراك بوضع حاميات لهم فى الحسا نفسها وفى نقطتين رئيسيتين على الساحل ، ولكنهم لم يحرزوا آنئذ أو فيما بعد أية سيطرة فعلية على المناطق المحيطة بهم . ومع أنهم أطلقوا على هذه الأراضى اسماً مضللا وهو سنجق نجد ، إلا أن إقليم نجد الجغرافى الحقيقى ظل برمته خارج نطاق أعمالهم .

٢٣٨ – وفى عام ١٢٨٨ هـ (أواخر ١٨٧١ م) قام سعود بن فيصل بمحاولة باسلة لطرد الأتراك من مركزهم الجديد ، فهاجمهم فى الحسا بمساعدة آل مرة وقبائل أخرى . وعندما وجد أنه ليس بالإمكان التغلب على مدافعهم ومعداتهم الحديثة ، رجع هو وأتباعه من البدو إلى المناطق المتنازع عليها الآن ، ومكث فيها وقتاً طويلا .[١٦] ولم تكن هذه آخر مناسبة تكون فيها هذه الأراضى ملجأ لزعماء آل سعود عندما تدور عليهم دوائر الحروب (قارن بالفقرة ٢٧٥ اللاحقة)

٢٣٩ – وقد عاش عبد الرحمن بن الإمام فيصل الراحل عدة شهور خلال عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) فى الدوحة فى حمى قاسم آل ثانى رئيس قطر .[١٧] فهنا ملجأ آخر لآل سعود وقت الحاجة (قارن بالفقرة ٢٧٥ اللاحقة) .

---

(١٦) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٨٢ . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٧٠ .

(١٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٠٨ .

٢٤٠ – وظل محبوب بن جوهر أميرا سعودياً على البريمى حتى عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ، عندما اضطر إلى أن ينسحب بسبب الاضطرابات التى وقعت فى نجد . وقبيل مغادرته ، وضع مع رؤساء نعيم الموالين ترتيبات خولتهم صلاحية العمل باسم الحكم السعودى .[١٨]

٢٤١ – وفيما يلى فقرتان مقتطفتان من التقرير السنوى لمكتب المعتمد فى الخليج الفارسى فى الفترة التى تلت مباشرة انسحاب محبوب من البريمى ، تعرضان صورة لذلك الإقليم تختلف تماماً عما كانت عليه الحالة تحت الأمير السعودى (الفقرة ٢٣٣ السابقة) :

> لقد وجد الرؤساء العرب وأتباعهم بعد أن منعوا من الانغماس فى ميلهم للمشاكسة فى البحر ، مخرجا لشعورهم بأن انهمكوا فى مشاحنات أبدية فى البر .[١٩]
>
> ويظهر أن جنون القتال الذى يلوح أنه يسيطر عموماً على أذهان العرب ، لم يفقد شيئاً من حدته بين الزعماء الشجعان فى تلك الرقعة من البلاد الواقعة على الساحل الغربى للخليج ، الذى كان يعرف فيما سبق بساحل القرصنة ، وذلك فى السنة التى يدور البحث عنها . وإن نطاق هذا التقرير وكذلك المصلحة فى هذه المسألة ، لا يسمحان بتقديم سرد تفصيلى لجميع المناوشات الصغيرة والاشتباكات والهجمات الليلية وغارات النهب التى تشكل الحوادث فى أسلوبهم فى القتال الشبيه بحرب العصابات...
> ... وإن الضرر الذى يلحق بالازدهار التجارى والمصلحة العامة للبلدان المنغمسة فى هذه الحروب المتواصلة ، هو أمر يرثى له . . .
>
> ... ومما يؤسف له أن المساعى الودية المبذولة من قبل الوكيل البريطانى لمكتب المعتمد للحصول على تسوية ودية لهذه الاختلافات ، لم تؤت حتى الآن ثمار النجاح .[٢٠]

٢٤٢ – لقد سبق أن أشرنا (الفقرة ٢٣٦ السابقة) إلى عرض الحماية التركية على أهالى العديد عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . ومضى الأتراك خلال عدة السنوات التالية يظهرون اهتمامهم بذلك المكان :

---

(١٨) « عقود الجمان » ص ١٥٥ .

(١٩) التقرير الإدارى (١٨٧٣ – ١٨٧٤ م) ص ٣ .

(٢٠) التقرير الإدارى (١٨٧٤ – ١٨٧٥ م) ص ٢ – ٣ .

زار العديد عام ١٢٩٠ ﻫ (١٨٧٣ م) أربعة من الأتراك الذين وضعوا ترتيبات تقضى بأن يدفع السكان سنوياً مبلغ أربعين أو خمسين ريالا بواسطة الشيخ قاسم فى الدوحة ، ثم انصرفوا بعد أن حال نوع الماء الردىء دون إنشاء مركز لهم هناك . وفى عام ١٢٩١ ﻫ (١٨٧٤ م) ذكر الشيخ زايد فى أبو ظبى أن الموظفين الأتراك المحليين كتبوا إليه يؤكدون بأن العديد تحت حمايتهم ويطلبون منه عدم التدخل هناك بيد أنه عجز عن إبراز رسائلهم عند ما طلب منه ذلك . وتأكد فى عام ١٢٩٢ ﻫ (١٨٧٥ م) أنه كان لدى رئيس العديد راية تركية وراية لساحل الصلح وأنه كان يستخدم كلا منهما حسبما تقتضيه الظروف . وعند ما زار الكابتن جوثرى العديد فى عام ١٢٩٣ ﻫ (١٨ أكتوبر ١٨٧٦ م) على ظهر المركب « مى فرير » وجد راية ساحل الصلح مرفوعة ولكنه علم بأن الأتاوة كانت لا تزال تدفع لتركيا .(٢١)

ولم يوضع حكم بلى فيما يتعلق بالعديد موضع التنفيذ فى الحال ولكن قيمته العملية أخذت تتجلى أكثر فأكثر بالنسبة للبريطانيين . وكانت قطر أقرب من غيرها إلى المراكز التى حصل عليها الأتراك فى إقليم الحسا ، غير أن حاكم قطر لم يكن فى نظر البريطانيين ركناً يعتمد عليه ، فكانت أبو ظبى أقرب بقعة بارزة يستطيع البريطانيون عندها أن يوقفوا توسع الأتراك ، وكان من الواضح أنه من الأجدى للبريطانيين جعل أراضى أبو ظبى تنتهى فى العديد بدلا من انتهائها عند أسوار بلدة الشيخ .

٢٤٣ — وعلى الرغم من مخاوف البريطانيين ، فإن ما سمى بحكم الأتراك فى إقليم الحسا كان حكماً مزعزعاً ينقصه التأييد الشعبى . وفى عام ١٢٩١ ﻫ (١٨٧٤ م) ذكر اللفتننت كولونيل روس خليفة بلى فى منصب المعتمد البريطانى :

. . . لقد جأر العرب المقيمون بالشكوى من ظلم الموظفين والجنود الأتراك .
. . . وانتقلت المسألة التركية الوهابية إلى مرحلة جديدة تتجه نحو تقلص نفوذ الأتراك وسلطتهم فى تلك المقاطعة (الحسا) .(٢٢)

---

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٨ — ٨١٩ .
(٢٢) التقرير الإدارى (١٨٧٣ — ١٨٧٤ م) ص ٩ .

ومع أنه كان على أهالى شرق جزيرة العرب أن يذعنوا إلى قوة الأتراك العسكرية الكبيرة ، إلا أنهم كانوا فى قرارة نفوسهم يدينون بالولاء لحكامهم الأقدمين من آل سعود .

٢٤٤ – إن أول ثورة خطيرة فى مسقط على تركى بن سعيد وقعت فى أواخر عام ١٢٩٠ هـ (يناير ١٨٧٤ م) عندما احتلت قوات الأباضيين القادمة من الداخل بلدة مطرح المتاخمة لمسقط . بينما كان باستطاعتهم أن يحتلوا مسقط لولا أن تركى كان قد اشتراهم بمبلغ طائل من المال وتنازل لهم عن أشياء كثيرة . فكان لهذه القصة المعهودة النتيجة العادية التالية :

> لقد عقدت الحكومة البريطانية النية عقب هذا ، على بذل التأييد الفعال فى البحر لصاحب العظمة السيد تركى ضد الثوار .(٢٣)

وتحركت ثلاث سفن بريطانية للعمل على تأييد تركى على ساحل الباطنة . وقد بلغ الحال مع تركى إلى مرحلة ، كتب عنه الميجر مايلز الوكيل السياسى البريطانى بالنيابة والقنصل فى مسقط :

> إن مركز صاحب العظمة السيد تركى وسلطته ، أخذا يضمحلان باستمرار منذ زمن ، نظراً لاعتلال صحته ولأسباب أخرى ، ولذلك فإن بإمكاننا أن نعتبر المدة الباقية له فى الحكم قطعا فترة مقلقلة ضعيفة .(٢٤)

٢٤٥ – وقام عبد الرحمن بن فيصل فى أواخر عام ١٢٩١ هـ (أواخر ١٨٧٤ م) ، تؤيده الآلاف من آل مرة وغيرهم من رجال القبائل ، بحصار المتصرف التركى داخل حصنه فى الحسا . وثار أهالى ذلك الإقليم أنفسهم

---

(٢٣) التقرير الإدارى ، (١٨٧٣ – ١٨٧٤ م) ص ٧٦ .

(٢٤) التقرير الإدارى ، (١٨٧٣ – ١٨٧٤ م) ص ٧٧ .

على الأتراك وقتلوا عدداً من جنودهم ، غير أن الإمدادات أنقذت الأتراك المحاصرين ، وأصبح لزاماً على عبد الرحمن أن يعود أدراجه إلى الرياض .[٢٥]

٢٤٦ ـ وفى أواخر عام ١٢٩١ هـ (نحو نهاية شهر يناير ١٨٧٥ م) توفى سعود بن فيصل متأثراً من مرض قد أصيب به .[٢٦] فنادى أهالى نجد بأخيه عبد الرحمن خليفة له ، غير أن مدة حكمه لم تتجاوز نصف العام إلا بقليل . وكان عبد الرحمن ذا موهبة كبيرة فى شئون التوفيق ، وقد أمكنه فى عام ١٢٩٢ هـ (أواخر ١٨٧٥ م) التوفيق بين عبد الله وبين أبناء سعود ، فعاد عبد الله إلى العرش ليبدأ العهد الثانى لحكمه . وقنع عبد الرحمن بمنصب المستشار الرئيسى لأخيه .

---

(٢٥) ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٨٨-٨٩ . لوريمر ، مجلد ١ ص ١١٣٢ .

(٢٦) إن التاريخ الصحيح هو ١٨ ذى الحجة ١٢٩١ هـ . ابن عيسى « عقد الدرر » ص ٩١ .

١٧ – العهد الثانى لحكم الإمام عبد الله بن فيصل ١٢٩٢ – ١٣٠٧ هـ (١٨٧٥ – ١٨٨٩ م)

٢٤٧ – لم يكن العهد الثانى لحكم الإمام عبد الله موفور الحظ كعهده الأول فى الأيام التى سبقت ثورة أخيه . لقد طرأ الضعف على الدولة بسبب الصراع الطويل على السلطة ، كما كان الأتراك ما زالوا يحتفظون بمراكز عسكرية تعزل الرياض عن الاتصال بالبحر عند المناطق المجاورة للحسا ، كذلك كانت سلطة آل رشيد الجديدة تنمو فى شمال جزيرة العرب منافسة لآل سعود .

٢٤٨ – وفى ١٢٩٢ هـ (نوفمبر ١٨٧٥ م) ترك اللفتننت كولونيل مايلز مقره كوكيل سياسى لبريطانيا فى مسقط ليقوم بزيارة إلى البريمى لم تتجاوز فى مدتها يوماً واحداً . وبطبيعة الحال كانت المعلومات التى قدمها على أساس ما شاهده بنفسه، أدعى بكثير للاعتماد عليها من المعلومات التى جمعها عن طريق الإشاعات والتقول . ووجد مايلز أن الواحة قد « عادت الآن إلى نعيم أصحابها الأصليين » .(١) وقد تمكن من أن يرى هذه الحقيقة بسهولة خلال الساعات القليلة التى أقامها هناك . ويقول مايلز عن هذه القبيلة :

> إن أقوى القبائل الغافرية وأبرزها فى الوقت الحاضر هى نعيم التى تنقسم إلى قسمين متساويين متباينين ، الكل منها بطون كثيرة ، ويبلغ مجموع القبيلة نحو عشرين ألف نسمة . وهم يحتلون البريمى نفسها وكذلك صعرا ، وامتلاكهم للقصر يمكنهم من السيطرة على القرى بأكلها . ومنذ أيام السيد عزان لم تتدخل حكومة مسقط فى الواقع فى شئونهم ، غير أنهم طبعاً يدينون بالولاء للسلطان الحالى .(٢)

---

(١) مايلز « بلدان الخليج الفارسى وقبائله » مجلد ٢ ، ص ٥٣٧ .

(٢) مايلز « على الطريق بين صحار والبريمى فى عمان ، مجلة الجمعية الاسيوية فى البنغال ، مجلد ٤٦ (١٨٧٧ م) ص ٥٢ .

إن القول بأن نعيم كانت طبعاً تدين بالولاء إلى سلطان مسقط ، ما هو إلا مجرد تصريح يفتقر إلى بينة ، وهو الأمر المتوقع من موظف بريطانى كان على صلة وثيقة بسلطان مسقط مدة طويلة . أما القبيلة فى الحقيقة فقد كانت تدين فى ذلك الوقت كما تدين الآن بالولاء لآل سعود ، ويؤيد ذلك بيان مايلز نفسه عندما قال إنه منذ أيام عزان فإن القبيلة « لم تتدخل حكومة مسقط فى الواقع فى شئونها » .

٢٤٩ — ولم يشارك الكولونيل روس سلفه فى أوهامه بصدد العديد فقد كتب إلى حكومة الهند فى ١٢٩٣ هـ (يوليو ١٨٧٦ م) يقول :

> على ساحل قطر فى خور العديد تقع قرية لبنى ياس الذين هم بزعامة الشيخ بطى بن خادم . وهؤلاء المستوطنون كانوا قد انشقوا على أبو ظبى منذ بضع سنوات ، ومنذ ذلك الحين ورئيس ذلك المكان يتحرق لمهاجمة العديد وإخضاع السكان لسلطانه . على أنه لم يرخص له بالتوجه بحراً ، كما أن سلوك الطريق البرى على طول الشاطىء متعذر عملياً . (٣)

هذا ولم يكن المعتمد الجديد قد أعطى تعليمات بعد فيما يتعلق بوجهة النظر الرسمية . ولو كان كل الساحل بين أبو ظبى والعديد يشكل جزءاً لا يتجزأ من أملاك أبو ظبى ، لما كان سلوك الطريق البرى على طول الشاطئ يعتبر متعذراً عملياً . إذ يكن الطريق كذلك بالنسبة للسعوديين فى ترددهم المنتظم بين الحسا والبريمى . وعلى الرغم من أن الكولونيل بلى قرر أن قبيسات العديد هم رعايا لحاكم أبو ظبى إلا أن بيان لوريمر يشهد بأنهم منشقون وثائرون :

> لقد ظلت العلاقات عدائية بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبى منذ عام ١٨٧٦ فما بعده ، وذلك بسبب وجود الثائرين من بنى ياس فى العديد . . . (٤)

---

(٣) التقرير الإدارى (١٨٧٥ — ١٨٧٦ م) ص ٣ .

(٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .

٢٥٠ — ويحتوى تقرير إدارة مكتب المعتمد فى الخليج الفارسى لعام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ — ١٨٧٧ م) ، الذى أعده اللفتننت كولونيل بريدو القائم بأعمال المعتمد ، على عبارة عن العديد .

لقد كانت قرية بنى ياس فى العديد تحت زعامة الشيخ بطى بن خادم سبباً فى إيجاد بعض المتاعب لمكتب المعتمد . فإن بنى هاجر وغيرهم من بدو القبائل المغيرة الذين يسكنون بجوار العديد والذين لم يكن للشيخ عليهم سلطة فعالة ، قد قاموا فى أكثر من مرة بالحصول على قوارب فى هذا الميناء واستعملوها بالقوة والإكراه فى أعمال القرصنة ، وقد وردت أنباء خلال العام الماضى عن بعض الاعتداءات على السفن التجارية المسالمة . إن قرب العديد من الممتلكات التركية على ساحل قطر يشكل بعض الصعوبة فى إيقاع العقوبات الرادعة بهؤلاء المتمردين ، وذلك نظراً للارتياب بأن أية حركة تقوم بها السلطات البريطانية يمكن أن تؤدى إلى تشجيع الشيخ على أن يضع نفسه تحت السيادة المباشرة للباب العالى . على أن هناك بعض الدلائل التى ظهرت مؤخراً وهى تشير بأن الأهالى قد انتابهم الملل من مركزهم غير المريح ، وتبرر التقارير الأخيرة وجود بعض الأمل بإقامة مصالحة بين الشيخ الخارج ورئيس أبو ظبى الذى كان يدعى دائماً بالعديد جزءاً لا يتجزأ من أراضيه .[٥]

ويذكر لوريمر آل مرة من بين القبائل البدوية ذات النشاط فى جوار العديد ثم ، يذهب إلى سرد ما وقع بين الحكومتين البريطانية والعثمانية فيقول :

لقد وقع عدد من أعمال القرصنة من جانب آل مرة فى عامى ١٢٩٣ و ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ — ١٨٧٧ م) وآل مرة هى قبيلة بدوية تتبع اسميا الاتراك ، وكانت تلك الأعمال تجرى من موانى العديد الصغيرة . ولم يستطع رئيس العديد أن يحول دون هذه الأعمال ، ولذلك أضحى من الضرورى تقديم احتجاجات للحكومة التركية . وبينما تحاشت حكومة صاحبة الجلالة ذكر العديد بالذات حتى لا تثير مشكلة إقليمية مزعجة ، إلا أنها استلفتت نظر الباب العالى إلى ازدياد القرصنة على طول ساحل قطر ، نتيجة لامتداد السيادة التركية فى ذلك الاتجاه ، وعبرت حكومة جلالتها عن تصميمها بعدم السماح فى تعكير صفو الهدوء فى منطقة الخليج الفارسى من جانب المغيرين ، سواء كانوا قادمين من أماكن مثل الدوحة الواقعة بالفعل ضمن الممتلكات التركية أو كانوا تابعين لقبائل اعترفت بالسيادة التركية ، ومبحرين من موانى شيوخ مستقلين لا يقوون على الحيلولة دون إساءة استعمال أراضيهم .

---

(٥) التقرير الإدارى (١٨٧٦ — ١٨٧٧ م) ص ٢ — ٣ .

فأنكرت الحكومة التركية فى ردها علمها بأعمال القرصنة على ساحل قطر وطلبت تزويدها بالتفصيلات .(٦)

ويظهر أن حكومة صاحبة الجلالة لم تكن متأكدة تماماً من صحة ما أراد بلى أن ينسبه . حتى تكون مستعدة لإثارة موضوع تبعية العديد مع الحكومة العثمانية فى هذا الوقت .

٢٥١ – وفيما يتعلق بتطورات الأمور فى العديد عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) فقد أكد الكولونيل روس مرة أخرى أن سكان ذلك المكان لم يعتبروا أنفسهم رعايا لرئيس أبو ظبى ، إذ قال :

إن المنشقين عن أبو ظبى تخلوا عن ولائهم لرئيس قبيلتهم وأنكروا سلطته .(٧)

وبالنظر إلى الاعتداءات التى كانت تقع على السفن من جانب آل مرة وغيرهم من القبائل بجوار العديد ، فقد قررت حكومة الهند أن تحاول إيجاد صلح بين القبيسات وبين زايد رئيس أبو ظبى وأن تعمد ، إذا اتضحت استحالة الصلح ، إلى تأييد زايد فى فرض سلطته على العديد (مثال آخر على سياسة « عدم التدخل » القديمة) . أما القبيسات ، وقد قاسوا الكثير من ظلم زايد ، فقد رفضوا قبول سلطته عليهم . وذكر الكولونيل روس أن شيخ العديد قرر كتابة أنه أصبح يعتمد على مساعدة الأتراك .(٨) وفى أواخر عام ١٢٩٤ هـ (أواخر عام ١٨٧٧ م) صحب الكولونيل روس زايد على ظهر السفينة البريطانية « تيزر » إلى العديد ، « بقصد منع أى لجوء للشدة أو القسوة اللذين لا مبرر لهما » .(٩) (هكذا كانت أخلاق زايد فى نظر حلفائه) . ولدى وصول البريطانيين مع زايد ، وجدوا أن القبيسات قد هجروا البلدة بعد أن قوضوا بيوتهم وردموا

---

(٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .
(٧) التقرير الإدارى (١٨٧٧ – ١٨٧٨ م) ص ٣ .
(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٧٠ .
(٩) التقرير الإدارى (١٨٧٧ – ١٨٧٨ م) ص ٤ .

الآبار . وكانت هذه هى نهاية قرية العديد . ولم يكن زايد يرغب فى بقاء القبيسات المستقلين هناك ، كما أنه لم يكن يرغب فى أن يحل محلهم أحد :

> حيث أن شيخ أبو ظبى يعترض على تجديد قرية العديد فسيظل المكان غير مأهول ، وحيث أن الآبار أصبحت مردومة فان يكون هناك ما يجتذب الأعراب الناهبين للجوء إليها من المناطق المجاورة .[١٠]

وتوجد فى هذا العرض صورة تبين أطلال العديد كما تبدو فى الوقت الحاضر . ومنذ عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) كانت القبائل السعودية من المناصير وآل مرة وبنى هاجر ترتاد العديد وما يجاورها . وقد قام المناصير بإعادة فتح إحدى الآبار التى طمرها القبيسات ، وأزالوا مدفعاً قديماً كان يسد عنق البئر . ولكن على الرغم من ذلك فإن وجود قرية كان يسكنها فى يوم من الأيام أناس قدموا من أبو ظبى ، مع التجاهل بأنهم كانوا فى الواقع منشقين ، ما زال ذريعة تعلق عليها ادعاءات خيالية بالحدود ، وهى ذريعة لم تنسها الحكومة البريطانية .

٢٥٢ ــ وزحف اباضيو عمان الداخلية على تركى بن سعيد سلطان مسقط مرة أخرى عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧م) ، عندما روعهم « عدم تدين عظمته وانحلال أخلاقه » .[١١] وبغض النظر عما كان عظمته قد فعل ، فقد كان لزاماً على الحكومة البريطانية أن تسانده . وظهرت السفينة الحربية « تيزر » على المسرح وقذفت بقنابلها أولئك الذين يعارضون فى مسلك عظمته . وللمرة الثانية أنقذ تركى من معارضة ثائرة غاضبة .

٢٥٣ ــ وفى صيف عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) قاد أبناء سعود بن فيصل ثورة على الأتراك فى إقليم الحسا . وكانت القوات السعودية تتألف فى الدرجة الأولى من البدو ، فحاصرت الحامية التركية فى القطيف وتظاهر البريطانيون

---

(١٠) التقرير الإدارى (١٨٧٧ – ١٨٧٨ م) ص ٤ .

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٠٥ .

أن بوسعهم إنقاذ أشخاص آخرين إلى جانب سلطان مسقط . على الأقل ، يقول الكولونيل روس أن القطيف « تدين بخلاصها فى المقام الأول إلى ظهور سفينة صاحبة الجلالة «فلتشر » التى كانت تجوب البحر ضد القراصنة » .(١٢) وعلى كل حال فقد كان يتحتم على الأتراك أن يبعثوا بإمدادات كبيرة من العراق حتى يتموا قمع الحركة . وعندما انسحب الزعماء السعوديون إلى البحرين أشار البريطانيون على رئيس تلك الجزائر « بعدم لياقة حماية أشخاص عرفوا مؤخراً باتصالهم بأعمال الاضطرابات فى أراضى دولة صديقة مجاورة » .(١٣) ضاربين عرض الحائط بالتقاليد العربية المرعية التى تقضى باحترام مبدأ الالتجاء السياسى . وسمح الموظفون البريطانيون لأنفسهم مرة أخرى فى أن يداعبهم الأمل برؤية نهاية الدعوة إلى التوحيد (قارن بالفقرة ٧٩ السابقة) . وكتب الكولونيل روس يقول :

> . . . إن حكم طائفة الوهابيين الدنيوى ، يسير سريعاً نحو الاضمحلال . وإن أساطير أعمالهم الشرسة أصبحت قصصاً قديمة من قصص العهود الغابرة .(١٤)

ويقول الكولونيل فى نفس الوقت تقريباً إنه وقعت خلال السنة « أكثر من عشرين حادثة من سلب القوارب ونهبها » .(١٥) ومن الواضح أن حكومة جلالتها كانت تفضل ضعف الأتراك النسبى المقترن بالقلاقل فى البر والبحر ، كما كان الحال ، على قوة العهد السعودى وأمنه .

٢٥٤ — ويقدم لوريمر قائمة طويلة تتضمن حوادث عديدة مخلة بالأمن اشترك فيها المناصير وآل مرة وبنى هاجر فى إقليم الحسا خلال الفترة من ١٢٩٥ إلى ١٣٢٥ هـ (١٨٧٨ م إلى ١٩٠٧ م) .(١٦) ولهذه القائمة أهميتها

---

(١٢) التقرير الإدارى (١٨٧٨ — ١٨٧٩ م) ص ٦ . قارن بلوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٨٣ .
(١٣) التقرير الإدارى (١٨٧٨ — ١٨٧٩ م) ص ٥ . قارن بلوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٤ .
(١٤) التقرير الإدارى (١٨٧٨ — ١٨٧٩ م) ص ٦ .
(١٥) التقرير الإدارى (١٨٧٨ — ١٨٧٩ م) ص ٧ .
(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٩٨٣ — ٩٨٧ .

لسببين : أولا ، أنها تبين صلة هذه القبائل الوثيقة بالمناطق التى لا نزاع فى طابعها السعودى ، وثانياً أنها تكشف عن تمرد القبائل فى حالة غياب قبضة الحكومة السعودية القوية وانعدام ذلك النفوذ الرادع فى الشريعة الإسلامية .

٢٥٥ ـ وفى عامى ١٢٩٥ و ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ و ١٨٧٩ م) ، لم يكن هناك أى قتال يستحق الذكر فى المناطق المجاورة للساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى . وكانت هذه أول مرة لا يجرى فيها قتال هناك أثناء غياب الأمير السعودى عن البريمى . وكتب الكولونيل روس فى تقرير له ، بأنه قد قيل إن ذلك « يعود جزئياً إلى حالة العوز والفاقة التى كانت عليها القبائل المختلفة » .[١٧] ولم يشر الكولونيل إلى أى سبب آخر .

٢٥٦ ـ وقدم الكولونيل مايلز عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩م) القائمة التالية إلى حكومة الهند ليبين المدن والحصون التى يحكمها الولاة المعينون من قبل تركى ابن سعيد :

صور	قوادر	السيب
سمائل	خصب	المصنعة
نزوى	ازكى	مطرح
نخل	السويق	ظفار
قريات	شناص[١٨]	

ويلاحظ بأنه ليس بين هذه الأماكن مكان واحد يقع فى الظاهرة أو فى إقليم البريمى أو بالقرب من أى منهما .

٢٥٧ ـ وفى عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) انشق بعض أفراد نعيم فى جوار البريمى على أنفسهم وتدخل أمير بلدة عجمان ، وهو أحد أبناء هذه القبيلة ،

---

(١٧) التقرير الإدارى (١٨٧٨ – ١٨٧٩ م) ص ٣ .
(١٨) التقرير الإدارى (١٨٧٨ – ١٨٧٩ م) ص ١١٦ .

لتسوية هذه المسألة.[١٩] وزار الواحة بنفسه لهذا الغرض . وعندما كان أفراد قبيلة نعيم يعانون هذه المصاعب خلال فترة أفل فيها نجم الحكم السعودى ، فإنهم لم يتوجهوا إلى أبو ظبى أو مسقط (قارن بالفقرة ٢٦٩ اللاحقة) .

٢٥٨ — وبينما كانت القبيسات مستقرة فى العديد ، فإن ذلك المكان « قد وقع إلى حد كبير » تحت سلطة الشيخ قاسم (حاكم قطر) ».[٢٠] وخاض قاسم غمار حرب متواصلة تقريباً ضد زايد رئيس أبو ظبى مدة عشر سنوات أو ما يقاربها تبدأ من عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨١م) . وكانت ملكية العديد هى إحدى النقاط التى دار حولها النزاع . وكما يتضح من البيان الذى قدمه عبد الله ابن قاسم (الملحق ١١٢) ، فإن قطر تطالب بالعديد فى حالة عدم تقدم السعوديين بالمطالبة بها ، وما طرأ على الدولة السعودية من حالة ضعف موقت آنئذ يبرر عمل قاسم فى اتخاذ ذلك الموقف . وقد زاد وجود الأتراك فى أراضى قاسم من مخاوف البريطانيين وشدد من تصميمهم على اعتبار العديد تابعة لزايد مع أنه لم يمارس أية سلطة هناك .

٢٥٩ — وفى عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) نشبت ثورة هائلة على حكم تركى ابن سعيد، والمفهوم أن أهالى عمان كان هدفهم إبدال السلطان بإمام .[٢١] وظهرت السفينة الحربية البريطانية « فيلومل » للمساعدة على حفظ عرش السلطان المتداعى من الانهيار . ولمنع تكرار مثل هذه المصاعب قامت الحكومة البريطانية فى عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م)

> وأعلنت للعموم عزمها على تقديم مساندة فعالة للسيد تركى فى حالة وقوع هجمات على مسقط . وكان لذلك أثر ناجع فى حفظ السلام خلال بقية أيام حياته .[٢٢]

---

(١٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٣٢ — ٧٣٣ .

(٢٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨١٩ .

(٢١) لوريمر ، مجلد ١ ، جزء ٢ ، ص ٢٣٧٥ .

(٢٢) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ، ٢٧٨ .





منظر أخذ من جنوب أطلال العديد ، وتبدو بقايا القصر إلى اليسار فى حين يبدو شاطىء خور العديد إلى اليمين .

وقد صدر ذلك التصريح في حفل أقيم بمسقط لتقديم وشاح « نجمة الهند من درجة فارس وقائد أعظم » إلى تركى .(٢٣)

٢٦٠ – والطرق التى كان يلجأ إليها تركى بن سعيد للاحتفاظ بالعرش ، فى الوقت الذى لا يدعو البريطانيين لمساعدته ، يوضحها سلوكه نحو أحد زعماء الداخل فى عام ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) بحسب ما ترويه السجلات البريطانية الرسمية . فقد دعا تركى ذلك الزعيم إلى مسقط ، قاصداً تبديله « بتابع أكثر طاعة وإخلاصاً » وقد ثارت شكوك الزعيم فلم يحضر ، ولكن تركى جدد له الدعوة بعدها بقليل .

وإذ تلقى (الشيخ محمد) وعداً بالأمان ، وصدق كلام الرسل ، حضر أمام السلطان الذى اعتقله وسجنه فى الحال . ثم وافق الشيخ محمد على تسليم حصن ازكى بشروط معينة . ولكن القبيلة ، حين علمت بهذه الشروط ، غضبت للمعاملة التى عومل بها زعيمهم ، ونقضت الاتفاقية .(٢٤)

فلا غرابة إذن فى قول لوريمر :

وعلى كل حال فقد استمر الاضطراب القبلى وتجاهل سلطة السلطان فى المقاطعات البعيدة وفى بعض المقاطعات القريبة أيضاً .(٢٥)

٢٦١ – ووجد تركى بن سعيد أن أصدقاءه أيضاً يسببون له المشاكل فى بعض الأحيان :

أعرب سلطان مسقط فى عام ١٣٠٣ هـ (يناير عام ١٨٨٦ م) عن مخاوفه من أهداف زعيم أبو ظبى الشيخ زايد بن خليفة ، الذى أشيع أنه ينوى أن يغير على ساحل الباطنة . وذكر وكيل مكتب المعتمد فى الشارقة أن الشيخ زايد قد قام شخصياً باتصالات مع أعداء السلطان فى الشرقية بقصد تعكير صفو السلام فى أراضى مسقط . إلا أن

---

(٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٩ .
(٢٤) التقرير الإدارى (١٨٨٤ – ١٨٨٥ م) ص ١٧ .
(٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٦ .

> الشيخ زايد نفى عن نفسه أى قصد للقيام بأية أعمال عدوانية ضد السلطان وعبر عن صداقته المستمرة لعظمة السيد تركى .[٢٦]

٢٦٢ — وقد اتهم أفراد قبيلة المناصير بنهب بعض القوارب فى حصيان وغنتوت وغناضة عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) . ومع أن الساحل الذى تقع عليه هذه الأمكنة يبعد نحو خمسين كيلو متراً فقط عن بلدة أبو ظبى إلا أنه مما هو جدير بالذكر أن الكولونيل روس المعتمد البريطانى لا يشير إليها بأكثر من كونها « تحت سلطة رئيس أبو ظبى اسمياً » .[٢٧] وأثيرت مسألة ما إذا كان هذا الرئيس مسئولا عن أعمال المناصير المزعومة . ويقول الكولونيل روس :

> لم يثبت لى بشكل واضح أن المناصير ، وهم الذين اتهموا بأعمال الشغب ، يخضعون فى الحقيقة لسلطة الشيخ زايد وإشرافه .[٢٨]

ويتحدث لوريمر عن الحادثة نفسها فيقول :

> . . . بما أنه لم يتضح أنه يمكن اعتبار شيخ أبو ظبى مسئولا عن الأعمال السيئة التى قامت بها قبيلة خارجة عن القانون وهائمة على وجهها ، فإن السلطات البريطانية لم تعمل أكثر من أن تترك المسألة لشرفه ولتقديره لواجب العدالة .[٢٩]

ولا توجد هناك أية إشارة تدل على أن زايد قد استجاب لهذه المناشدة بأن قام بأى إجراء ملموس . وأن هذا الرأى الذى أخذ به المعتمد البريطانى بعد دراسته بشأن العلاقة بين المناصير وشيخ أبو ظبى — فى وقت كانت فيه الدولة السعودية ضعيفة وكان يحكم أبو ظبى أقوى الشيوخ فى تاريخها — يمكن اتخاذه ضد البيان الذى تقدم به فيما بعد شيخ آخر لأبو ظبى بأن قبيلة المناصير هى خاضعة

---

(٢٦) التقرير الإدارى (١٨٨٥ — ١٨٨٦ م) ص ٦ .
(٢٧) التقرير الإدارى (١٨٨٧ — ١٨٨٨ م) ص ٦ .
(٢٨) التقرير الإدارى (١٨٨٧ — ١٨٨٨م) ص ٦ .
(٢٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٣٥ .

له ، متخذاً من هذا البيان سنداً لادعاءاته الإقليمية (الفقرة ٧٧ من الفصل الخامس فيما بعد) .

٢٦٣ – وكان لزايد بن خليفة رئيس أبو ظبى مطامع فى البريمى حيث أرغمه قواسم الشارقة على التخلى عن القصر الذى احتله مدة قصيرة فى صعرا عندما كان يعمل باسم الإمام عزان (الفقرة ٢٣٣ السابقة) . وفى عام ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧ م) اتخذ خطوة أخرى سعياً وراء تحقيق مطامعه وذلك بمهاجمة الظواهر فى البريمى ، وهم « الذين عارضوا نفوذه فى ذلك المكان ».[٣٠] وكان الظواهر حذرين من زايد نتيجة لإنذار شيخهم محمد بن أحمد الذى قال لهم :

> إن هذا الرجل لم ير من قبل إلا خضرة البحر وقد رأى اليوم خضرة المال (أى النخيل) . [٣١]

وسأل زايد أحد أصحابه عن موقف الظواهر فيما لو جاءهم . فأجابه صاحبه بأنهم كانوا جياعاً عراة يتطلعون إلى مقدمه كيما يطعمهم ويكسوهم . فنقلت هذه الملاحظة إلى الظواهر الذين بعثوا إلى زايد يبلغونه بأنه لن يدخل أراضيهم ، وفضلوا البقاء على جوعهم وعريهم.[٣٢] ومع أن زايد أحرز انتصاراً موقتاً عليهم إلا أنه لم يفلح فى تحطيم روحهم .

٢٦٤ – وكان الكولونيل روس على أهبة الاستعداد لإحباط أى تهديد موجه ضد تركى بن سعيد صنيعة البريطانيين :

> . . . وفى عام ١٣٠٤ هـ (يوليو ١٨٨٧ م) قامت مجموعة خطيرة جداً بحركة ضد السلطان قضى عليها فى مهدها ، واحبطت كلياً بفضل العمل السريع الحازم الذى اتخذته أنا والوكيل السياسى الكولونيل موكلر بموافقة حكومة الهند . . . [٣٣]

---

(٣٠) التقرير الإدارى (١٨٨٧ – ١٨٨٨ م) ص ٦ .

(٣١) « عقود الجمان » ص ١٩٣ .

(٣٢) « عقود الجمان » ص ١٩٣ .

(٣٣) التقرير الإدارى (١٨٨٧ – ١٨٨٨ م) ص ٥ .

وقد أخبر الكولونيل موكلر فريدرخ روزن وهو مستشرق رحالة ديبلوماسى ألمانى زار مسقط آنئذ .

> إن وصول الأعداء إلى أبواب مسقط كان فى كل عام بمثابة نذير لجيش السلطان بالاختفاء فى أقبية المدينة وكهوفها ، وكان حفظ النظام موكولا فى معظمه إلى إحدى السفن البريطانية الحربية الصغيرة التى كانت تجوب الخليج . وكان على السلطان بالطبع أن يلجأ إلى أية وسيلة مهما بلغت من القسوة للقضاء على أشد خصومه خطراً. (٣٤)

٢٦٥ ــ وفى عام ١٣٠٥ هـ (أواخر عام ١٨٨٧ م) انتزع أبناء سعود بن فيصل مدينة الرياض من يد عمهم الإمام عبد الله . (٣٥) وكتب أكبر هؤلاء الأبناء محمد المعروف بغزلان ، والذى كان يطلق عليه « فارس جزيرة العرب » (٣٦) فى الحال إلى زعماء الساحل الجنوبى الشرقى والأراضى الواقعة إلى الداخل منه ، معلناً اعتلاءه العرش . (٣٧) فحتى فى أيام الشدة لم ينس آل سعود أتباعهم القدماء فى إقليم البريمى . وعلى كل حال فإن الخصام بين العم وأبناء أخيه قد أتاح الفرصة لمحمد آل رشيد الذى كانت قوته تنمو وتطرد فى شمال جزيرة العرب للزحف جنوباً إلى الرياض . (٣٨) ودام الصراع بين آل سعود وآل رشيد على أواسط نجد طيلة السنوات الأربع التالية .

٢٦٦ ــ توفى تركى بن سعيد فى مسقط فى عام ١٣٠٥ هـ (يونيو ١٨٨٨ م) ويصفه لوريمر بأنه كان « هزيل الأخلاق ، وغادرا فى مسلكه أحياناً » . (٣٩) لقد كان ضعيفاً » (٤٠) ، وهو ما كان يرغب فيه البريطانيون على ما يظهر ، إذ أن

---

(٣٤) فريدرخ روزن ، « ذكريات دبلوماسى ألمانى فى الشرق » (١٩٣٠ م) ص ٤٧ .
(٣٥) ابى عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .
(٣٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٨ .
(٣٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٣٧
(٣٨) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .
(٣٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٧ .
(٤٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٨ .

ذلك قد أدى إلى « اعتماده على البريطانيين كلياً » .[٤١] ويؤكد لوريمر ضعف سلطته فيقول :

لقد كانت سلطة السلطان فى كل الأماكن الواقعة بعيداً عن عاصمته ، حتى فى نهاية حكمه ، إما اسمية أو واهية .[٤٢]

ويجب استرعاء النظر هنا إلى بيان لوريمر ، الذى ينير السبيل فيما يتعلق بادعاء مسقط بجزء من البريمى . إن وادى حتى ، وهو من أهم الوديان فى الجزء الغربى من سلسلة جبال الحجر ، يقع على بعد نحو سبعين كيلو مترا إلى الشمال الشرقى من البريمى . ويقول لوريمر إن حجرين ومصفوت ، وهما قريتان تقعان فى الجزء الأعلى من الوادى « يبدو أنهما كانتا تابعتين فى الأصل لسلطنة عمان شأنهما فى ذلك شأن الجزء الأسفل لوادى حتى الذى ما زال تابعاً لها إلى الآن .[٤٣] ويمضى فيقول « وفى فترة تلت فيما بعد أثناء حكم السيد تركى أذعن سلطان عمان نظراً لعجزه عن الدفاع عن حجرين ضد نعيم فى البريمى ، إلى إحالتها عملياً لشيخ دبى » .[٤٤] والتفسير الوحيد الممكن لهذا القول هو أن سلطان مسقط لم يملك أية سلطة إطلاقاً على قبيلة نعيم فى البريمى ، كما أنه بالإضافة إلى ذلك كان عاجزاً تماماً عن حماية ممتلكات كانت فى السابق تابعة لعائلته ضد هذه القبيلة مما اضطره إلى التنازل عن حقه فيها .

٢٦٧ ــ ولم يكن فيصل بن تركى الذى خلف والده أقوى من أبيه فى مسقط :

. . . لقد كانت سياسته (أى فيصل) بليدة جعلت أكثر القبائل ميلا له تنفر منه ، ومرد ذلك إلى إهماله أكثر منه إلى عدم كفاءته .[٤٥]

---

(٤١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٢٢ .
(٤٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥١٧ .
(٤٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٢ .
(٤٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٢ .
(٤٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣١ .

ولم يتحسن مركز عظمته فى الواقع من حيث الإشراف على الإدارة فى سائر أنحاء البلاد عموماً ، إن لم تكن فى تقهقر .(٤٦)

٢٦٨ – وفى ذى الحجة عام ١٣٠٥ هـ (أغسطس عام ١٨٨٨ م) قتل أمير الرياض الرشيدى ثلاثة من أبناء سعود بن فيصل من بينهم غزلان .(٤٧) (الفقرة ٢٦٥ السابقة) . وتوفى الإمام عبد الله فى الرياض فى ٢ ربيع الثانى ١٣٠٧ هـ (نهاية عام ١٨٨٩ م) .(٤٨) وهكذا ففى وقت يزيد قليلا على عام واحد فقد آل سعود معظم زعمائهم ، إلا أن عبد الرحمن بن فيصل بقى ليواصل الكفاح ضد آل رشيد .

٢٦٩ – وفى عام ١٣٠٦ هـ (إبريل ١٨٨٩ م) قصد أمير بلدة عجمان مرة أخرى إلى البريمى (قارن بالفقرة ٢٥٧ السابقة) « حيث توسط بين قسمين متخاصمين من قبيلة نعيم وأجرى صلحاً بينهما » .(٤٩)

---

(٤٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣٢ .
(٤٧) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦١ .
(٤٨) ابن عيسى ، « تاريخ نجد » ، ص ٦٢ .
(٤٩) التقرير الإدارى (١٨٨٩ – ١٨٩٠) ص ٥ .

١٨ ـ حكم الإمام عبد الرحمن بن فيصل ١٣٠٧ ـ ١٣٠٩ هـ (١٨٨٩ ـ ١٨٩١ م)

٢٧٠ ـ لقد اعترف أهالى نجد بعبد الرحمن قبل هذا إماماً عليهم (الفقرة ٢٤٦ السابقة) ، والآن فقد وقف وحده زعيماً للقضية السعودية . وإن حوادث الماضى القريب قد استنزفت قوة أتباعه إلا أنه حافظ بعناد على نواة الدولة السعودية إلى أن اضطر فى النهاية إلى التخلى أمام قوة أعدائه . ومع ذلك فإنه لم يفقد الأمل وبذل أقصى ما يمكن من الجهد بأن نشأ ولده عبد العزيز ودربه ليكون حامى الدولة ومرشدها فى القرن العشرين .

٢٧١ ـ وفى ذى الحجة عام ١٣٠٧ هـ (نهاية يوليو ١٨٩٠ م) أخذ عبد الرحمن بن فيصل وأعوانه أمير الرياض الرشيدى أسيراً . وجاء ابن رشيد بنفسه على رأس جيشه لمقاتلة عبد الرحمن وحاصره فى الرياض مدة أربعين يوماً . وإذ عجز عن إرغام المدافعين عن المدينة على الاستسلام قبل ابن رشيد أن يعترف بعبد الرحمن حاكماً على الرياض وجنوب نجد . وقد حضر المفاوضات التى أدت إلى هذه النتيجة عبد العزيز بن عبد الرحمن وكان آنئذ صبياً فى العاشرة من عمره حيث اطلع فى هذه السن المبكرة على كيفية معالجة شئون الدولة .[١]

٢٧٢ ـ وفى عام ١٣٠٨ هـ (النصف الأول لعام ١٨٩١ م) أحرز ابن رشيد نصراً عظيماً فى المليداء على حلفاء عبد الرحمن فى نجد . وانسحب عبد الرحمن الذى جاء لنجدتهم آنئذ ، أمام قوة ابن رشيد الفائقة فجلا عن الرياض ، ثم

---

(١) أمين الريحانى « تاريخ نجد الحديث » (الطبعة الثانية ١٩٥٤ م) ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

توجه ليقيم مع إحدى قبائل البدو فى الصحراء .[٢] ولم يمض وقت طويل حتى تمكن عبد الرحمن من استعادة الرياض ، ولكنه لم يستقم طويلا فيها حتى تغلب عليه ابن رشيد وخرج الإمام عبد الرحمن من الرياض ودمر ابن رشيد تحصينات البلدة وخرب عدداً كبيراً من بساتين النخيل .[٣]

٢٧٣ ـ وأعرب حاكم مسقط عن تقديره للطريقة التى اتبعها البريطانيون فى إبقاء عائلته على العرش بإعطاء التعهد السرى التالى فى عام ١٣٠٨ هـ (٢٠ مارس ١٨٩١ م) :

> إن السيد فيصل بن تركى بن سعيد سلطان مسقط وعمان يعد ويتعهد على نفسه وورثته وخلفائه بعدم التخلى عن ممتلكات مسقط وعمان أو أى من ملحقاتهما أو بيعها أو رهنها أو السماح باحتلالها لغير الحكومة البريطانية .[٤]

---

(٢) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦٣ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٤٠ .

(٤) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣١٨ .

١٩ – فترة خلو العرش ١٣٠٨ – ١٣١٩ هـ (١٨٩١ – ١٩٠٢ م)

٢٧٤ – استمر احتلال الرياض وأواسط نجد من قبل آل رشيد ما يزيد على عشر سنوات قليلا ، وكان يختلف فى طبيعته عن الاحتلال السابق من قبل قوات محمد على باشا . فالرجال القادمون من الشمال كانوا عرباً وكانوا أتباعاً للدعوة إلى التوحيد كما كانوا يلقون احتراماً أعظم مما لقى الغزاة الزاحفون تحت راية أجنبية . على أنهم فشلوا بسبب حكمهم الظالم فى تقويض دعائم الولاء القديم لآل سعود الذين كان الناس فى نجد والممتلكات السعودية الأخرى يترقبون عودتهم بفارغ الصبر .

٢٧٥ – وبعد مغادرة الرياض طاف عبد العزيز بن عبد الرحمن مع عربان آل مرة فى ديرتهم ، فتعرف على المناطق المتنازع عليها وعلى سكانها . وفى السنين التى تلت ، كثيراً ما كان الملك يقول إنه مستعد أن يتخلى عن أى قسم من ممتلكاته ما عدا هذه المناطق ، وذلك لأنها استمرت على ولائها له وقدمت له الملجأ حين عزت الملاجىء الأخرى (قارن بالملحق ٧) . ثم لجأ الإمام عبد الرحمن وعائلته إلى قطر الدولة الصديقة ومن ثم ذهبوا إلى الكويت .

٢٧٦ – وفى عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) نشر النائب جورج نثانيل كرزن كتاباً بعنوان « بلاد فارس والقضية الفارسية » . ولمدة أعوام عديدة بعد ذلك كان كرزن ، الذى خدم نائباً للملك فى الهند وزيراً للخارجية ، أحد الصناع الرئيسيين للسياسة البريطانية فى الشرق . وإن كرزن ، وهو أصرح فى كتاباته وأقواله من كثير من زملائه ، ليلقى كثيراً من الضوء على روح الاستعمار البريطانى وأعماله . فى الكتاب المشار إليه يتحدث كرزن بجرأة عن محمية الخليج الفارسى البريطانية .[١] ولأسباب خاصة بالحكومة البريطانية ، لم يحدث

(١) أوردها لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢٠ .

أبداً أن ذهبت هذه الحكومة إلى حد إقامة محميات رسمية فى الخليج ، إلا أن كرزن لا يترك مجالا للشك فى الطريقة التى كان ينظر البريطانيون فيها إلى وضعهم هناك . ولا يمكن القول بأن كرزن عندما كان عضواً فى البرلمان كان يتكلم بصوت يختلف عن صوت كرزن عندما أصبح من كبار رجال الحكومة البريطانية . ويقول لوريمر إن كرزن فى السنة الأولى من عمله نائباً للملك ، وصف فى « رسالة تاريخية » مؤرخة ٢١ سبتمبر ١٨٩٩ م ، « مصالح البريطانيين ووضعهم فى الخليج الفارسى ، بلهجة مطابقة للهجة المستعملة فى كتابه ».[٢] ويعلق لوريمر قائلا :

لقد كان واضحاً من توصياته أن اتصاله بالمشكلة عن قرب كرجل أكثر مسئولية وأن خبرته المتزايدة قد عززا رأيه فى أن المحافظة على تفوق البريطانيين السياسى فى فى الخليج الفارسى ، أمر ذو أهمية حيوية بالنسبة للإمبراطورية البريطانية.[٣]

ويتكلم كرزن فى كتابه عن مسقط فيقول :

إن أمريكا هى الدولة العظمى الوحيدة بالإضافة إلى بريطانيا العظمى الممثلة فى مسقط بواسطة قنصل . ويشغل هذا المركز تاجر إنكليزى ومن المحتمل أن ليس لديه ما يفعله سوى مراقبة إرسال شحنات التمر ، حين يأتى فصل الحصاد . . وبالإضافة إلى عمله السياسى مستشاراً للسلطان ، فإن الوكيل البريطانى عليه كافة الواجبات القنصلية تجاه رعايا الملكة من الهنود ، الذين يقيم بضعة آلاف منهم ، بقصد التجارة ، فى البلدة وما يجاورها ، وقد جمعوا فى أيديهم جميع أعمال الاستيراد والتصدير تقريباً . وقد استدللت من تصرف هؤلاء الرجال ، وكذلك من تصرف العرب أنفسهم الذين كانوا عادة يحيوننا أو يقرئوننا السلام ، استدللت أن التفوق البريطانى قوى الدعائم ونظام محبوب فى مسقط . أما عمان فيمكن النظر إليها بحق كلاحقة بريطانية . فنحن ندفع إعانة مالية لحاكمها ، كما أننا نملى سياستها ، ولهذا يجب ألا نسمح بأى تدخل أجنبى . وليس عندى شك كثير فى أنه سيأتى وقت ، بعد أن تنحى هذه الدويلات البدائية أمام حضارة مطبوعة بالصداقة ، يصبح فيه من الضرورى

---

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢١ .
(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢١ .

أن نفرض نفوذنا بشكل أكثر فعالية ويصبح العلم البريطانى يرفرف فوق قلاع مسقط .[٤]

٢٧٧ – وبحضور المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ، وقع رئيس أبو ظبى فى شعبان ١٣٠٩ هـ (مارس ١٨٩٢ م) ، نيابة عن نفسه وعن ورثته وخلفائه ، « اتفاقية احتكارية » تحتوى على الشروط التالية :

إنى لا أدخل أبداً فى قرار ما ولا محاورة مع أحد من الدول سوى الدولة البهيتة (البهية) الانكليس بغير رضاء الدولة البهية الانكليس لا أقبل أن يسكن فى حوزة ملكى وكيل من دولة غير البهية الانكليس – أبداً لا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا أعطى للتصرف أو للتبوؤ بنوع ما شيئاً من ممالكى لأحد إلا الدولة البهية الانكليس .[٥]

إن هذه الاتفاقية ، التى ما زال معمول بها ، قد فسرها البريطانيون فى بعض المناسبات على أنها تعنى أن الرئيس قد تخلى عن حقوقه حتى فى إرسال رسالة مجاملة إلى إمام الدولة السعودية أو أى حاكم عربى أو مسلم آخر . إلا أن زايد نفسه لم يراع دائماً أمر هذا التخلى بصورة جدية (الفقرة ٢٨٨ اللاحقة) ، وقد أظهر أبناؤه وخلفاؤه رغبة مماثلة فى تجاهله فى بعض الأوقات (الفقرة ٣٢٣ اللاحقة) .

٢٧٨ – ادعى زايد شيخ أبو ظبى عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) أن أراضيه تمتد حتى جوار الوكرة فى قطر ، أى نحو ستين كيلو متراً بعد خور العديد . وعلى الرغم من أن البريطانيين قد أيدوا ادعاءه بملكية العديد ، وذلك فى سبيل مصالحهم ، فقد كان هذا الادعاء الجديد واضح السخف بحيث أنهم طالبوه بالتوقف « ولم توافق حكومة الهند على ادعائه هذا » .[٦]

---

(٤) كرزن « بلاد الفرس والقضية الفارسية » (١٨٩٢ م) مجلد ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٥) « المعاهدات الجارية » ص ١٩ . يذكر ايتشيسون أن تاريخ المعاهدة ٦ مارس ، ولكنه يرد فى النصين العربى والانكليزى فى « المعاهدات الجارية » ص ١٩ ، على أنه ٥ مارس .

(٦) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

٢٧٩ ـ هاجم رجال القبائل من عمان الداخلية سلطان مسقط ، فيصل ابن تركى ، فى عاصمته فى شعبان ١٣١٢ هـ (فبراير ١٨٩٥ م) . وبعد الهروب من القصر فوق أسطحة منازل البلدة ، لجأ السلطان إلى الوكالة البريطانية[٧].

وتمسك الغزاة بالبلدة حتى الشهر الذى تلاه ، حين أخرجهم السلطان مقابل دفع مبلغ ضخم نقداً . ولكن تصرف السلطان فى هذه الحادثة دل على أنه لا يمكن وضع ثقة كبيرة فيه فى المستقبل . ومن ثم درست حكومة الهند بجد إمكانية ضم مسقط أو إعلان الحماية على عمان . وحين أدركت الحكومة البريطانية أنه « ربما لم يكن من الحكمة فتح باب المفاوضات مع فرنسا لسحب إعلان عام ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م »[٨] أبلغ رؤساء عمان بقرار الحكومة البريطانية على أنه نظراً إلى المصالح البريطانية الهامة فى بلدتى مسقط ومطرح ، فإنها لن تسمح بأى هجوم على هاتين البلدتين يقوم به الشيوخ ، مهما كان الخلاف بينهم وبين السلطان .[٩] وإذ غضب السلطان لعدم مساعدة البريطانيين له مساعدة فعالة خلال الهجوم على مسقط ، فقد تلقى « الإعلان بفتور غير متوقع » ، وقد تظاهر بأنه يعتبره أمراً طبيعياً . واعترض أيضاً ، بحجة التكاليف على إقامة حفل رسمى لاعلام الجميع بأوامر الحكومة ، وهكذا كتب بدلا من هذا إعلاناً ، بعد أن وافق على صيغته المعتمد السياسى البريطانى ، ووزعه على زعماء البلاد ، وذلك فى عام ١٣١٣ هـ (أواخر ١٨٩٥ م) .[١٠]

٢٨٠ ـ إن اندلاع النيران أمر مألوف فى قرى ساحل الصلح ، حيث يبنى الكثير من البيوت من مواد سريعة الاشتعال . فى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)

---

(٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٣٨ .

(٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ . التصريح الانكليزى الفرنسى الخاص بعام ١٨٦٢ م يعرض فى الفقرة ٢٠٧ السابقة .

(٩) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٠ .

(١٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ .

اندلع عدد كبير من الحرائق ، وكان من أكبرها فى بلدة أبو ظبى حيث نهب بدو بنى ياس «الممتلكات التى استطاع المالكون انقاذها من النيران». [١١] وهكذا كانت سلطة زايد بن خليفة الذى كان آنئذ فى أوج حكمه على أفراد أهاليه من البدو .

٢٨١ – فرضت الحكومة البريطانية غرامة على زايد شيخ أبو ظبى قدرها ٢١٠٠ ريال فى عام ١٣١٣ هـ (فبراير ١٨٩٦ م) وذلك لأن عبيدا قد استوردوا إلى بلاده . وقيل فى هذا الوقت إن زايد كان يتآمر على حياة وكيل مكتب المعتمد البريطانى فى الشارقة ، وقد اعتبر أن القول له ما يبرره [١٢] فأنذر زايد، وأنقذ الوكيل من الاغتيال .

٢٨٢ – « كان عداء السيد فيصل (حاكم مسقط) للمصالح البريطانية من الوضوح الآن بحيث أن نائب الملكة فى الهند اللورد ألجن أثار برقياً فى عام ١٣١٤ هـ (يونيو ١٨٩٦ م) إمكانية استغلال فرصة الأحداث القائمة فى مدغشقر للحصول على موافقة الحكومة الفرنسية على فرض الحماية البريطانية على عمان . إلا أن وزارة الخارجية ردت تقول إنها رغم تقديرها لأهمية محاولة الحصول على محمية إلا أنها تظن أنه لا يمكن القيام بهذا الإجراء بنجاح فى الوقت الحاضر». [١٣]

٢٨٣ – ومن وقت لآخر كان زايد رئيس أبو ظبى يتخذ خطوات ليوطد مركزه أكثر فى واحة البريمى . ونحو عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٧م) قام « بالاستيلاء على أرض الجاهلى على الحدود الجنوبية الغربية للمنطقة المزروعة أو قام بتعميرها » [١٤] (وكما يتضح من الملحق ٩٣ ، ليس الاستيلاء طريقة مجهولة لدى شيوخ أبو ظبى). وبعد فترة قصيرة أوجد خليفة بن زايد، قرية المسعودى

---

(١١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٥٠ .

(١٢) لوريمر ، مجلد ١ ، جزء ٢ ، ص ٢٥٠٤ – ٢٥٠٥ .

(١٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥١ .

(١٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٧١ .

فى الطرف الشمالى الغربى للواحة . أما اليوم فكلتا الجاهلى والمسعودى مهجورتان أو نحو ذلك (انظر الفقرة ٧٣ من الفصل الثانى فيما سبق عن الجاهلى) . واشترى زايد أيضاً خلال هذه الفترة قطع أرض مختلفة فى الواحة ، ولا يزال بعضها على الأقل ملكاً خاصاً لسلالته .

٢٨٤ — لم يكن سلطان مسقط راضياً عن البريطانيين ولا كان البريطانيون راضين عنه ، أما أهل عمان فكانوا غير راضين عن الطرفين . وكان أحد إخوة الإمام الراحل عزان بن قيس ، قد استولى على مدينة الرستاق إحدى عواصم الإمامة القديمة ، وحكمها مستقلا عن السلطان نحو خمسة وعشرين عاماً . ولدى وفاته فى أوائل عام ١٣١٦ هـ (أوائل صيف ١٨٩٨ م) خلفه ابن أخيه سعود ، وهو أحد أبناء الإمام عزان . ودعا سعود لدى وصوله إلى الحكم كبار الأباضيين من سائر أنحاء البلاد للاجتماع فى الرستاق ، حيث درسوا إمكانية انتخابه إماماً . وقويت الآمال فى أراضى الأباضيين وقد قال أحد الشعراء :

فإن شاء الإلــه فعــن قريب يقال له الإمام ابن الإمام[15]

إلا أن الوقت لم يكن قد حان بعد لإحياء الإمامة ، فانفض المجتمعون من غير أن يحققوا شيئاً سوى تأكيد الرفض العام لسلطة سلطان مسقط .

٢٨٥ — « لقد حان الوقت الآن للعودة إلى موضوع علاقة البريطانين بعمان . وإذ نفعل هذا فباستطاعتنا أن نفرض أن السياسة البريطانية فى عمان ، مع أنها لم تكن قط أكثر صداقة ومساعدة للسلطان مما كانت عليه فى السنين التى تلت ثورة عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) مباشرة ، باستطاعتنا أن نفرض أنها كانت تبعد عن النجاح بدرجة متزايدة ، فقد كان هناك نفور يتزايد من جانب السلطان وانتهى التوتر الذى قام فى هذه المدة بانفصال تام . والأسباب الرئيسية

---

(١٥) أورده عبد الله السالمى فى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٢٩٠ .

لتحول السلطان كانت الموقف المحايد الذى وقفه المندوبون البريطانيون فى أزمة عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) وكذلك النتائج المكدرة التى تلت ذلك من المطالبة بتعويضات — وكان البريطانيون مصدر أكثر هذه المطالب — ثم نمو النفوذ الفرنسى فى مسقط ».[١٦] وكانت إحدى المشاكل الخاصة بطلبات التعويض هى أن السلطان « تشبث بعناد بوجهة النظر القائلة بأنه ينبغى ألا يكون للرعايا البريطانيين أسبقية على الرعايا العمانيين ».[١٧] وهى وجهة نظر يبدو أنها كانت قريبة من الكفر فى أعين الحكومة البريطانية . إلا أن السبب الرئيسى لتدهور العلاقات المستمر كان « الصداقة المتزايدة بين السلطان وفرنسا ».[١٨] فقد عين السلطان وزيراً جديداً كان « بالإضافة إلى جهله بالقراءة والكتابة ، خرفا ، كما أنه كان أداة أطوع فى يد الزمرة الفرنسية » من سابقه .[١٩] وبالإضافة إلى هذا « فالمصالح الفرنسية فى مسقط كانت تزدهر على يد شخص ذى منصب مزدوج غريب ، فهو كاتم أسرار السلطان وترجمان نائب القنصل الفرنسى ... وفى مركزه هذا كان بوسعه حتما أن يقف على مراسلات السلطان مع الوكيل البريطانى ، فالرسائل المرسلة من السلطان إلى الوكالة كانت فى بعض الأحيان تكتب بخطه ».[٢٠]

٢٨٦ — وظهر بيان فى عام ١٣١٦ هـ (٢٠ نوفمبر ١٨٩٨ م) فى « مجلة المناقشات البرلمانية الفرنسية » يقول إن سفينة حربية فرنسية قد أنشأت (بعد موافقة السلطان فيما يظن) محطة للتزويد بالفحم فى بندر الجصة ، وهو مرفأ

---

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٠ .
(١٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٣ .
(١٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .
(١٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .
(٢٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٥٦ .

طبيعى قريب من مسقط . (٢١) أما اللورد كرزن الذى تقلد مهام منصبه نائباً للملكة فى الهند فى عام ١٣١٦ هـ (يناير ١٨٩٩ م) فقد جاء رد الفعل من جانبه على هذا الوضع عنيفاً كعادته فى ذلك . ففى ٩ فبراير سلم المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ، بناء على تعليمات من اللورد كرزن ، إنذاراً إلى السلطان يطلب فيه إلغاء الامتياز الممنوح للفرنسيين ، ويقدم مطالب أخرى . وحضر إلى مسقط القائد العام للبحرية فى الهند بنفسه ، وهنا أذعن السلطان . وطلب المعتمد من تلقاء نفسه من السلطان أن يعلن الإلغاء فى مجلس عام ، الأمر الذى اعتبره وزير الدولة لشئون الهند نوعاً من التمادى ، « واستنكر بشدة » هذا الجزء من الإجراءات . (٢٢)

لقد غضبت الحكومة الفرنسية ، كما غضب اللورد سالزبرى (٢٣) الذى وصف عمل المعتمد بأنه « غلطة خطيرة قد تؤدى إلى الكثير من المشاكل » . وفى ٢٧ إبريل بعد أن اطلع اللورد سالزبرى على تقرير حكومة الهند بصدد هذه المسألة ، دون رأيه بأنه « يجب أن لا يلزم الوكيل البريطانى نفسه فى مكاتبة رسمية باقتراح يتعلق بمسألة قائمة بين حكومة جلالتها والحكومة الفرنسية من شأنه أن يغضب الحكومة الفرنسية دون تخويله السلطة من حكومة جلالتها . ثم إنه أمر مزعج للغاية أن تعلم حكومة جلالتها لأول مرة بموضع هذا الاقتراح – الذى كتبه الوكيل – عن طريق السفير الفرنسى ». (٢٤)

٢٨٧ – و « فى ١٣١٧ هـ (نوفبر ١٨٩٩ م) أعرب الشيخ أحمد (وهو أخ لقاسم حاكم قطر) عن رغبته فى إقامة علاقة أوثق مع الدولة البريطانية ، طالباً الإذن باحتلال العديد ، وكان ذلك فى اجتماع مع الكولونيل ميد المعتمد

(٢١) لقد اكتشف بعد ذلك أن سلطان مسقط قد منح الفرنسيين محطة للتزويد بالفحم فى عام ١٣١٥ (٧ مارس ١٨٩٨ م) من غير أن يحدد موقعها بالضبط . لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٦٠ .

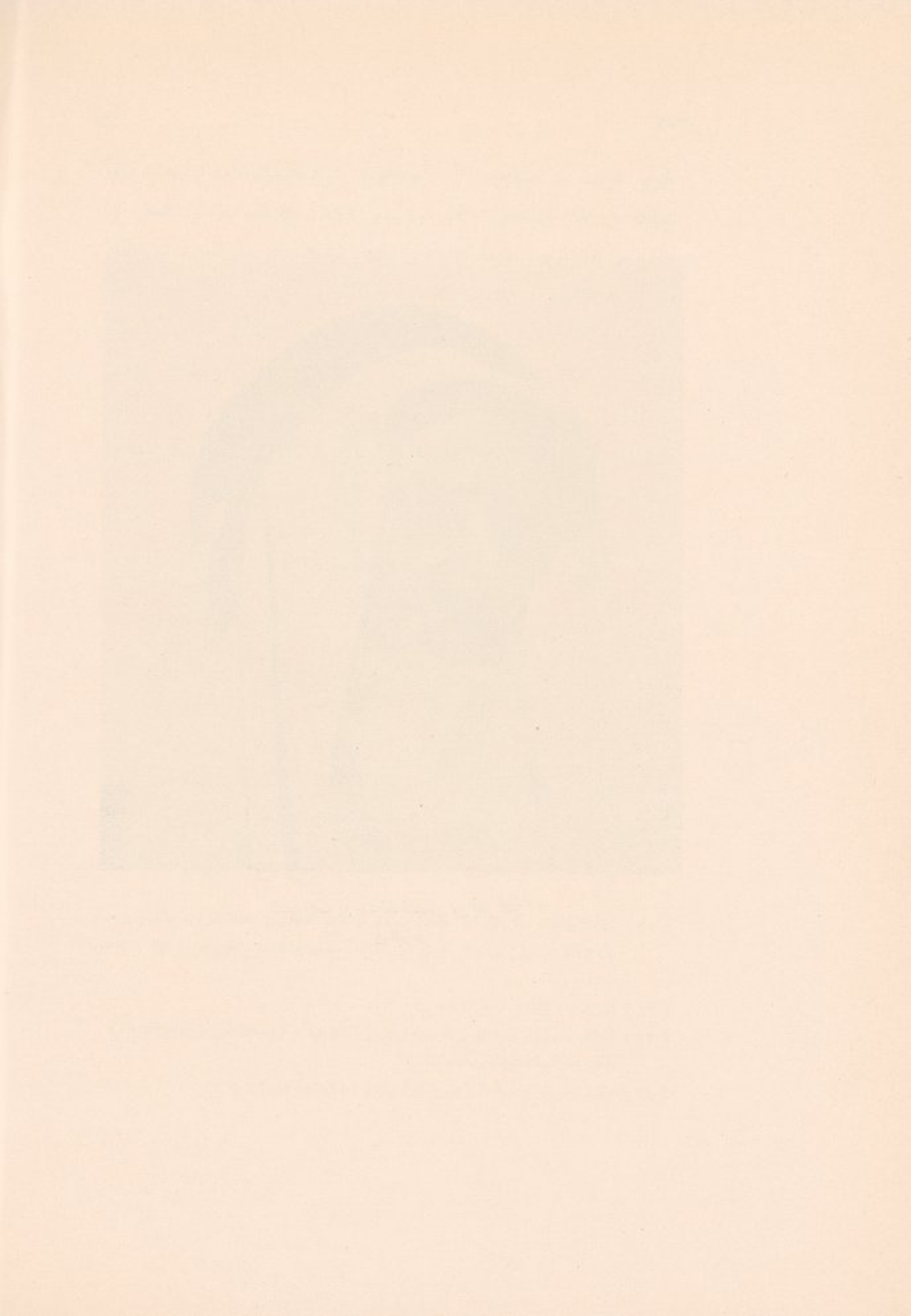
(٢٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٩٩ .

(٢٣) إن اللورد سالزبرى ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، لم يصدق حتى على طلب الإلغاء ، ولكن اعتراضاته البرقية وصلت متأخرة .

(٢٤) فيليب جريفز « حياة السر برسى كوكس » (١٩٤١ م) ص ٦٢ .



الشيخ محمد بن عبد الله النجادى من أهل العين
فى البريمى



السياسى ، فى الوكره . ولكن إجراء ما لم يتخذ رداً على طلباته ، لأنه لم يؤيدها كتابة ». [٢٥] ومن الطريف أن نلاحظ السبب الذى تذرع به البريطانيون فى عدم اتخاذهم أى إجراء .

٢٨٨ – واكتشف البريطانيون فى عام ١٣١٧ هـ (أوائل ١٩٠٠ م) أن زايد رئيس أبو ظبى لم يكن ليحترم شروط « معاهدته الاحتكارية » (الفقرة ٢٧٧ السابقة) . فبالإضافة إلى استرساله فى « مكاتبات ودية » مع المحافظ الفارسى لموانى الخليج ، فقد تسلم رأسين من الخيل هدية من الفرس وسيف شرف من الشاه ، « مع رسالة مديح ، تحمل الختم الملكى ، قرئت علناً فى مجلس فى أبو ظبى » . [٢٦] وفوق هذا فقد اتخذ لنفسه راية تختلف عن الراية التى خصصها البريطانيون لاستعماله ، « ولكن مجرد الاحتجاج كان كافياً » إذ توقف الشيخ فى الحال عن معاملاته المباشرة مع الموظفين الفرس ، كما أن استعماله للراية الجديدة قد توقف ولو أن ذلك لم يتم فى الحال » . [٢٧]

٢٨٩ – وانتظر اللاجئون من آل سعود فى الكويت بصبر فارغ اليوم الذى يستطيعون فيه العودة إلى موطن آبائهم وأجدادهم . وعندما قاد مبارك ، حاكم الكويت ، حملة إلى نجد قرع الفتى عبد العزيز أبواب الرياض بنفسه فى عام ١٣١٨ هـ (أوائل ١٩٠١ م) ، وقد نجح فى دخول المدينة ولكن حامية ابن رشيد استعصمت فى الحصون . وفى ذلك الوقت منى مبارك بهزيمة كبيرة على يد ابن رشيد فى معركة الصريف ، وبذلك اضطر عبد العزيز إلى الانسحاب مكرهاً من الرياض بعد أن أصبح موقفه لا يحتمل الدفاع . [٢٨]

---

(٢٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٨٢٩ .
(٢٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٤ .
(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٤ .
(٢٨) ابن عيسى « تاريخ نجد » ص ٦٤ – ٦٥ .

٢٩٠ – وبعث المبشر الأمريكى الدكتور جيمس كانتين من مسقط فى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) يقول :

وحتى مؤخراً . . . فإنه يبدو أن العادة عندهم (البريطانيين) أن يمثلهم فى المنطقة الواقعة بين بغداد ومسقط رجال لا تتعدى تجاربهم الدبلوماسية محيط الهند ، وينحصر عملهم فى تنقلهم المرح بين الأندية والحياة العسكرية ، وعبثهم بالأمراء المحليين الذى لا يقل مرحاً عن ذلك التنقل .[٢٩]

٢٩١ – وفى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) اهتمت حكومة الهند بموارد الفحم الواقعة بجوار صور ، داخل الأراضى التى يدعى بها سلطان مسقط . وقد وقع الوكيل السياسى البريطانى الميجر كوكس والجيولوجى البريطانى ، اللذان ذهبا لفحص هذه الموارد ، فى مشاكل مع القبائل . « وكانت رسائل السلطان عديمة الفائدة » .[٣٠] « وفى تلك الأيام أخبر عرب الداخل كوكس أن رسلا ورسائل قد ذهبت من صور إلى جميع زعماء الهناوية لإنذارهم بأن السلطان فيصل كان يبيع صور إلى البريطانيين وأخبروه أن الأهالى كانوا منفعلين جداً » .[٣١] وظهر السلطان بنفسه على مسرح هذه الحوادث ولكنه « وصل بدون عدة الحرب إذ أنه خلال نزوله من المركب ، هوت إلى قاع البحر على عمق خمسين قامة ثلاثة أكياس تحتوى على ثلاثة آلاف ريال وصندوق من الذخيرة » .[٣٢] وحاول كوكس أن يجتمع مع كبير زعماء الإقليم ، إلا أن الزعيم قال « لا أراه ولا ولا يرانى » .[٣٣] وكانت نهاية هذا الأمر « أن اقترحت حكومة الهند وسائل متعددة لتقوية سلطة السلطان هناك . ومن الوسائل التى حققت شراء مركب

(٢٩) اقتبسها جريفز « حياة كوكس » ص ٥٥ .
(٣٠) جريفز « حياة كوكس » ص ٧٣ .
(٣١) جريفز « حياة كوكس » ص ٧٣ .
(٣٢) جريفز « حياة كوكس » ص ٧٤ .
(٣٣) عبد الله السالمى « تحفة الأعيان » مجلد ٢ ، ص ٣٠١ .

بخارى يمكنه من زيارة الميناء ».[٣٤] وأصبحت الحكومة البريطانية تدرك إمكانية وجود موارد طبيعية فى أراضى جزيرة العرب الواقعة تحت حمايتها ، كما أدركت التهديد الذى يمس مركزها المسيطر إذا ما قامت جهات خارجية باستخراج هذه الموارد ، لذلك فقد حصلت من السلطان فى أواخر محرم ١٣٢٠ هـ (٣١ مايو ١٩٠٢ م) على تعهد بعدم منح أى امتياز لمناطق الفحم بالقرب من صور لأية دولة أو شركة أجنبية « إلى أن تمنح الحكومة البريطانية الفرصة للقيام بهذا العمل بالتضامن مع السلطان نفسه » .[٣٥] وبالرغم من أن اتفاقية السلطان لعام ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) بصدد التنازل عن الأراضى (الفقرة ٢٧٣ السابقة) و « الاتفاقية الاحتكارية » التى وقعها شيخ أبو ظبى فى عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) (الفقرة ٢٧٧ السابقة) ، قد ظهرتا إلى حيز الوجود بسبب ظروف غير متعلقة بهذا الموضوع ، فقد صيغتا بعبارات فضفاضة بحيث أنهما برهنتا فيما بعد عن فائدتهما للبريطانيين بهذا الخصوص .

٢٩٢ ــ وقد قام المبشر الأمريكى المعروف صامويل زويمر بزيارة قصيرة للبريمى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) فوجد أنها « لاتزال مركزاً وهابياً » .[٣٦] ولم يقل شيئاً عن مدى السلطة التى تتمتع بها أبو ظبى هناك . ولكنه يقول بكل وضوح عن انعدام سلطة مسقط فيما يلى :

> إن القبائل الرئيسية شرقى البريمى هى الكنود والمقابيل والشوامس وبنى غيث . وهؤلاء العرب وكذلك عرب البريمى ، لا يعترفون بسلطة سلطان مسقط ، بل لهم زعماء من بينهم ، وهم مع الاسف فى حزازات دائمة بعضهم مع بعض .[٣٧]

---

(٣٤) جريفز « حياة كوكس » ص ٧٤ .

(٣٥) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٣ . والترجمة الإنكليزية لهذا التعهد واردة فى ص ٣١٨ .

(٣٦) زويمر « ثلاث رحلات فى شمال عمان » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١٩ (١٩٠٢) ص ٦٢ .

(٣٧) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٦٣ .

وهذا القول يتمشى مع ما قاله زويمر فى مكان آخر ، وهو قول يستمد أهميته من أن أخاه بيتر كان قد عاش فى مسقط مدة خمس سنوات :

> إن سلطة سلطان مسقط ، السيد فيصل بن تركى ، فى الوقت الراهن لا تمتد كثيراً إلى أبعد من العاصمة وضواحيها .(٣٨)

ويقول صمويل زويمر عن بلدة أبو ظبى التى استقبله فيها رئيسها زايد بن خليفة نفسه :

> إن سكان أبو ظبى لا يتجاوز عددهم عشرة آلاف نسمة وباستثناء أفراد قلائل من البانيان من أهالى السند ، فالجميع إما عرب أو زنوج . وباستثناء وجود حفنة من البيوت وقصر مهيب ، فإن جميع البلدة مبنية من سعف النخيل ، وتمتد نحو ميلين اثنين على شاطىء البحر .(٣٩)

وكانت البلدة عندما كان زايد فى ذروة قوته ، تزيد أربعة أوخمسة أضعاف على حجمها الحالى . أما زويمر ، فقد كان لبلدة دبى وقع أكبر فى نفسه فسماها «العاصمة الحقيقية لشمال عمان» .(٤٠)

٢٩٣ — ولم يفقد عبد العزيز الأمل لدى فشل حملته الأولى على الرياض . فقد ترك الكويت عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) مرة أخرى ، يجمع حوله رجال القبائل الموالين أثناء توجهه جنوباً فى إقليم الحسا . وعسكر فى الجزء الجنوبى من الإقليم بقصد صيام شهر رمضان ، وهوالجزء الذى لا يبعد كثيراً عن المواقع التى كان يجوبها مع البدو وهو فتى صغير (الفقرة ٢٧٥ السابقة) . وزحف بعد انقضاء شهر الصيام مباشرة بسرعة إلى الرياض مصطحباً معه حفنة من الرجال حتى لا تنكشف حركاته . وفى ٤ شوال ١٣١٩ هـ (منتصف شهر يناير

---

(٣٨) زويمر « جزيرة العرب ، مهد الاسلام » (١٩٠٠ م) ص ٧٩ .

(٣٩) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٥٦ .

(٤٠) زويمر « ثلاث رحلات » ص ٥٦ .

١٩٠٢م) [٤١] قام بعمل يعتبر من أروع الأعمال وأجرئها فى التاريخ الحديث لجزيرة العرب ، عندما استولى على العاصمة القديمة وقتل أمير ابن رشيد فيها .
وهكذا عاد آل سعود إلى وطنهم ليبقوا فيه .

---

(٤١) ابن عيسى «تاريخ نجد» ص ٦٥ .

٢٠ – حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ١٣١٩ – ١٣٧٣ هـ (١٩٠٢ – ١٩٥٣ م)

٢٩٤ – إن حياة الملك الراحل عبد العزيز أشهر من أن تحتاج هنا إلى سرد مطول . وإن الكتاب ورجال السياسة البريطانيين كانوا فى طليعة أولئك الناس الذين اعترفوا بأنه كان من أعظم رجال عصره . وأن ما أحرزه من إعادة تنصيب آل سعود ، وبناء ملك فى أقل من عشرين عاماً ، وإيجاد الوحدة ، ونشر الأمن والسلام فى جزء كبير من جزيرة العرب ، كان موضع تقدير العالم وإعجابه . ومع إدراكه التام للفوائد التى قد تعود على شعبه بفضل اتباع الوسائل العلمية الحديثة واستخدام الأدوات الميكانيكية من الخارج ، فقد ظل حتى آخر يوم من أيامه مخلصاً لدينه وعروبته ، متمسكاً بتقاليد بيته ، متبعاً فى حكمه سيرة آبائه وأجداده ، طبقاً لقواعد الشريعة الإسلامية .

٢٩٥ – لم تتأخر أنباء فتح عبد العزيز للرياض فى الوصول إلى إقليم البريمى حيث هلل الناس لسماعهم بعودة آل سعود إلى الحكم .[١] وكان من بين أوائل المهنئين زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى إذ بعث ببعض ابل عمان الممتازة هدية لعبد العزيز الذى بعث إليه بدوره أربعة رؤوس من الخيل العربى الأصيل .[٢]

٢٩٦ – « فى عام ١٣١٩ هـ (١٩٠٢ م) ، وبعد أن أشبعت فكرة فرض الحماية البريطانية الرسمية على عمان الساحلية بحثاً ، جرى فحص دقيق للنظام القائم وأعلن فى النهاية أنه مرض تماماً . . . ويجب أن يفهم فى الوقت نفسه أن شيوخ عمان الساحلية كانوا لا يزالون جهلة رجعيين يميلون إلى الشكوك الصبيانية » .[٣]

---

(١) عقود الجمان » ص ١٦٠ .

(٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ .

(٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٦٤٢ .

٢٩٧ – وسافر الميجر كوكس الوكيل السياسي البريطاني في مسقط من أبو ظبي إلى البريمي في عام ١٣٢٠ هـ (مايو ١٩٠٢ م). ويلاحظ كوكس أن «وضع إمارات ساحل الصلح بعضها تجاه بعض يكاد يعتمد كلياً على شخصيات الشيوخ الحاكمين في ذلك الوقت». [٤] وكان زايد بن خليفة عند زيارة كوكس قد مضى على ممارسته السلطة نصف قرن تقريباً، تمكن خلاله من اكتساب نفوذ شخصي يفوق بكثير ما كان يحتفظ به أبناؤه وخلفاؤه من نفوذ. ومع أنه كان لشخصية زايد وقعها في نفس كوكس إلا أن الأخير لم يتأثر بعاصمة زايد، وهي بلدته الوحيدة، ويشير كوكس إلى أنها «بقعة يسودها الجهل». [٥] وقد وجد كوكس الطريق بين أبو ظبي والبريمي «قفرا [٦]» ومليئاً في الواقع بالرمال الجرداء». [٧] وبالتالي فقد احتفظت البريمي بعلاقات تجارية «وخصوصاً في هذه الأيام، مع الشارقة ودبي التي أصبحت ميناء تقصده سفن الشركة البريطانية للهند». [٨] أما في البريمي نفسها، فقد وجد كوكس أن شيوخ نعيم يتمتعون «بمركز خاص بحكم تاريخهم في الماضي». [٩] ويتحدث عن نفوذ زايد في البريمي، إلا أنه يبين بجلاء أن ذلك كان يقوم على أساس «ممتلكاته المادية» [١٠] هناك حيث توجد «بساتين النخيل الكبيرة» التي يملكها. [١١] ولم يكن هناك في المناطق الداخلية التي تمتد من أبو ظبي إلى ما وراء عبري،

---

(٤) الميجر جنرال السير برسي كوكس «بعض الرحلات في عمان» المجلة الجغرافية البريطانية، مجلد ٦٦ (١٩٢٥) ص ٢٠٠.

(٥) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٠.

(٦) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٤.

(٧) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٥.

(٨) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٧.

(٩) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٧.

(١٠) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٧.

(١١) كوكس «بعض الرحلات» ص ٢٠٠.

أى موظف سياسى يمثل أية من أبو ظبى أو مسقط ، كما لم تكن هناك علامة ما تدل على ممارستهما لأية سلطة سياسية . ويعطى كوكس صورة عن الحالة المزرية التى آل إليها الإقليم فيقول :

> . . . لقد بحثنا فى شئون عمان وكذلك حالة القلاقل العامة السائدة . وهنا ، فى بلدة كبيرة مثل عبرى فإن لدى الأهلين مناعة ضد عمليات الثأر طالما يظلون داخل البلدة ولا يسمحون لجماعات من الخارج فى النوم داخل أسوارهم . فهم يخافون من الزوار كما كان الزوار يخافون منهم . وفى الواقع ، فى كثير من الأماكن التى توجد فيها حزازات قبلية ترى الرجال لا ينامون فى بيوتهم بل يقصدون إلى جهة فى الخارج . والسبب فى هذا هو أنه إذا ما علم أن رجلا نام فى بيته فباستطاعة أعدائه أن يعرفوا مكان العثور عليه إذ أن هناك خدعة عادية يقوم بها الأعداء الغادرون وذلك بالقدوم ليلا إلى بيت ما وإيقاظ ساكنه الذى يهب سريعاً وبدون تفكير ، وبذلك يكون الدخلاء قد تأكدوا من رجلهم . ومن ناحية أخرى فإن النوم فى الخارج يجعل من المستحيل التمييز بين رجل وآخر ، وبذلك يكون الجميع فى مأمن .(١٢)

ولم تكن الحياة هكذا فى أيام الإدارة السعودية الحازمة قبل سنوات قليلة من ذلك .

٢٩٨ — وقام الإمام عبد الرحمن — عندما تأهب لمغادرة الكويت فى عام ١٣٢٠ ﻫ (مايو ١٩٠٢ م) للانضمام إلى ولده عبد العزيز فى الرياض — بإرسال كتاب إلى المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى أنهى فيه إليه أنه من قبيل تفضيله للصداقة البريطانية قد رفض عرضاً قدم به إليه فى الكويت موظف روسى . ويبين لوريمر هنا رد الفعل المنطوى على الفتور من جانب الحكومة البريطانية فيقول :

> إن عمل المعتمد فى عدم رده على هذا الكتاب قد أقرته حكومة الهند كما صدرت إليه التعليمات بعدم إظهار تشجيع لابن سعود لان سياسة الحكومة البريطانية هى الابتعاد عن شئون نجد ، خاصة ما دامت لم تستقر .(١٣)

---

(١٢) كوكس « بعض الرحلات » ص ٢١١ .

(١٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٧ .

٢٩٩ ـ ولم تكن فرنسا وتركيا الدولتين الوحيدتين اللتين أزعجتا الموظفين البريطانيين من حين لآخر بتحديهما لمركز بريطانيا فى الخليج الفارسى . وقصة الألمان وسكة حديد بغداد والكويت معروفة جداً لا تحتاج إلى ترديد . ورد فعل بريطانيا على التقدم الألمانى فى الخليج الفارسى يتمثل فى الملاحظة التالية التى أبداها روزن : « إذا عطس شخص ألمانى فى مكان ما فى الخليج الفارسى فقد كان ذلك يعتبر محاولة لزعزعة أسس الإمبراطورية » .[١٤] وأبدت روسيا فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر اهتماماً بإقليم الخليج وتبعاً لذلك فقد ازداد النشاط الروسى فى السنوات الأولى من القرن العشرين . وكان الطراد « اسكولد » من بين السفن الحربية الروسية التى زارت الخليج عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) :

> وبما أن أهالى الخليج الفارسى كانوا يتخيلون آنئذ أن مدى قوة أية سفينة يعتمد على عدد مداخنها ، وحيث أن للسفينة « اسكولد » خمس مداخن ، فقد كان لظهورها أثر قوى .[١٥]

ويظهر أنه لم يكن لدى البحرية البريطانية أية سفينة حربية لها خمس مداخن تستطيع بواسطتها التأثير على سكان الإقليم ، إلا أن ظهور أى طراد روسى كان يحمل البريطانيين على إرسال سفينة بريطانية تفوقه من حيث الحمولة . أما سلوك الروس على ظهر طراداتهم فلم يكن ليلقى ارتياحاً من قبل البريطانيين الذين هم أكثر خبرة من الروس :

> لقد كانت زيارات هذه السفن إلى موانى الخليج الفارسى تحمل عموماً طابع الكثير من مظاهر الاحتفال ، وكانوا يلجئون إلى الإسراف فى التحيات والمجاملات الرسمية لتكسب الإجراءات بهجة ورونقاً وفى أكثر من مناسبة واحدة كانت أبواب السفينة نفسها تفتح للرعاع من عامة العرب أو الفرس . وعلق القنصل البريطانى فى البصرة بأن « قليلا من التحفظ من شأنه أن يكون له وقع أقوى على العقلية الشرقية » .[١٦]

---

(١٤) روزن « ذكريات » ص ٤٩ .

(١٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٢٩ .

(١٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٣٠ .

ومع ذلك فقد تنازل البريطانيون عن بعض كبريائهم فى إحدى زياراتهم الأخيرة لدرجة أنهم سمحوا « لبعض أهالى مسقط » بالصعود إلى ظهر السفينة « أمفترايت» .[١٧] وأدت مناورات الفرنسيين والألمان والروس إلى بيان سياسى ألقاه فى ١٣٢١ هـ (٥ مايو ١٩٠٣ م) اللورد لانزداون بصفته وزيراً للخارجية ، قال فيه :

. . . يجب أن نعتبر إنشاء قاعدة بحرية أو ميناء محصن فى الخليج الفارسى من جانب أية دولة أجنبية أخرى ، تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، وبكل تأكيد يجب أن نقاومه بجميع الوسائل التى تحت تصرفنا .[١٨]

٣٠٠ — وفى سبيل تأكيد هذا الإنذار الوارد فى بيان اللورد لانزداون[١٩] قام اللورد كرزن فى ١٣٢١ هـ (مايو ١٩٠٣ م) بجولة فى الخليج الفارسى فى شهرى نوفبر وديسمبر ، وهو أول نائب للملك فى الهند يزور ذلك الإقليم . واستقبل كرزن استقبالا حافلا فى مسقط حيث « كان الناس غير الراضين عن البريطانيين راضين بحرارة عن الولائم والألعاب النارية والترفيه » ، كما يقول جريفز مؤرخ كوكس .[٢٠] ونقل كرزن لوزير الدولة لشئون الهند انطباعاته عن سلطان مسقط ودولته فقال :

. . . لقد كان سلوك عظمة السلطان فى جميع هذه المناسبات منطوياً على البساطة والوقار . وكان يتصرف تصرف التابع المخلص للحكومة البريطانية أكثر منه ملكاً مستقلا . . . ولم يلتمس أية ارتباطات أخرى كما أنه لم يسع لانتزاع تعهد جديد . وكانت الحالة وما أحاط بها فى نظره برهاناً كافياً لتعزيز اعتماده على صداقتنا وبث روح الاستجابة لرغباتنا ، الأمر الذى يعكس الفضل العظيم العائد للميجر كوكس الوكيل السياسى الذى عينته فى مسقط عام ١٨٩٩ والذى جعل الحاكم فى أقل من أربع سنوات يتحول عن شعوره بالشك ، إن لم يكن بالعداء المباشر ، إلى الاحساس

---

(١٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٧٦ .

(١٨) أوردها لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(١٩) اللورد نيوتن « ترجمة حياة اللورد لانزداون » (١٩٢٩) ص ٢٤٣ .

(٢٠) جريفز « حياة كوكس » ص ٩٠ .

بالثقة والتقدير . ومن الناحية الأخرى ، فانه فى الوقت الذى تجلت فيه رغبة السلطان فى اعتبار نفسه فى مصاف أمراء الهند من حيث علاقاتهم بالتاج البريطانى ، فقد تجلى أيضاً ذلك التباين فى موقفه الدولى . وإن التناقض ما بين ذلك الوضع الفعلى لحاكم يكاد يعتمد هو وشعبه وتجارته علينا كلياً ، وبين الوضع النظرى الذى تتمتع بموجبه فرنسا — الممثلة بقنصل والتى لا رعايا ولا تجارة لها تقريباً — بمعاهدة متساوية مع بريطانيا ، هذا التناقض يؤكد الرغبة فى أن ننهى بأدنى تأخير ممكن هذه الحالة الشاذة ، التى يجب أن يقال إنها تثير السخرية .(٢١)

وفى الشارقة أقيم حفل كبير لزعماء الساحل وجه إليهم فيه كرزن الكلمة التالية :

أيها المشايخ من الروابط التى حصلت بيننا على هذا الطريق وجعلت بها الدولة حسب رضاكم محافظة لقيام الصلح بين القبائل نشأت فيما بين حكومة الهند وبينكم علاقات سياسية التى صارت الدولة البريطانية بسببها اميراً عليكم ومحافظاً لكم وما بقيت لكم رابطة بأحد من الدول الأخر — كل واحدة من الحكومات المعروفة باسم الحكومات ذات المعاهدة قد أوجبت على نفسها كما لا يخفى عليكم أن لا تعمل معاهدة ولا مكاتبة مع دولة من الدول غير البرطانية — وأن لا تقبل من الدول الأخر وكيلا وأن لا تترك من يدها شيئاً من بلادها — هذه الشرائط واجبة على كل واحد منكم وانتم ما زلتم قائمين عليها بالخلوص وهكذا هى واجبة من الجانب الثانى على الحكومة البرطانية أيضاً — فما دامت المشايخ قائمين عليها بالصدق لا يمكن لأحد أن يضر حقوقكم وحريتكم .

ثم أذكر أمراً واحداً الذى فيه المشايخ انفسهم مقدرة التجنب من الشر فى الزمان الآتى — لا تبغى الدولة البرطانية المداخلة فى أموركم الداخلية — ولم تفعل ذلك فى زمان ماض بشرط أن المشايخ يحكمون على بلادهم بالعدالة ويحترمون حقوق تجار الأجانب الذين هم يسكنون فيها . . . .(٢٢)

أيها المشايخ هذه هى العلايق الكائنة بين الدولة البهية البرطانية وبينكم وجلالة ملك الدولة البهية البرطانية يسكن منكم على بعد ما حصل لاحد منكم زيارته ولا يحصل أبداً . . .

---

(٢١) أوردها جريفز فى « حياة كوكس » ص ٩١ .

(٢٢) « المعاهدات الجارية » ص ٣ — ٤ .

٣٠١ – « وفى عام ١٣٢١ هـ (فبراير ١٩٠٤ م) أبلغت جكومة صاحب الجلالة حكومة الهند أنه فى معرض التسوية العامة للأمور السياسية التى هى قيد المفاوضة مع فرنسا ، ستبذل محاولة للحصول على اعتراف فرنسى بالحماية البريطانية على عمان ، ولكنها فى الوقت نفسه ، استعلمت عما إذا كان هناك أى متياز أصغر فى عمان تستطيع أن تسعى للحصول عليه إذا تعذر الحصول على الحماية . وكان رد اللورد كرزن أنه لا يوجد حل مرض لقضية عمان سوى الاعتراف بها محمية بريطانية ، أو بالأحرى إلغاء تصريح عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) » .[٢٣] ولم ينجم عن هذا أى شيء لأن « فرنسا كانت غير مستعدة للتخلى عن أية حقوق لها بموجب تصريح ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) .[٢٤]

٣٠٢ – ولم يرحب الأتراك بنهضة السلطة السعودية فى نجد . وحاولت الحملات التركية من عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) إلى ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أن تخضع نجد ، ولكن عبد العزيز كان أكثر من ند لهم .[٢٥] وبلغ بالغزاة لدرجة أن قائدهم حاول أن يرشو عبد العزيز ليسمح ببقاء الحاميات التركية فى البلاد .[٢٦] ولكن الحاكم السعودى رفض هذه الرشوة بإباء ، وبعد برهة وجيزة انسحبت القوات التركية .

٣٠٣ – إن السبب الأول الذى حمل البريطانيين على إعارة أية أهمية للتطورات فى نجد خلال هذه الفترة ، هو اهتمامهم بالمحافظة على الوضع القائم فى الكويت ، بدفعهم فى ذلك الخطر الألمانى أكثر مما يدفعهم أى اهتمام حقيقى بمصلحة حاكم تلك المشيخة وشعبها . وعند ما كان الأتراك يعدون العدة

(٢٣) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٥٧١.

(٢٤) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٣٥١ .

(٢٥) الريحانى « تاريخ نجد الحديث » ص ١٤٠ – ١٦٤ .

(٢٦) الريحانى « تاريخ نجد الحديث » ص ١٦١ – ١٦٢ .

لحملتهم الأولى على نجد فى ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ، كان السر نيقولاس أوكونور ، السفير البريطانى فى اسطنبول ، « يشك فيما إذا كانت إعادة تأسيس الإمبراطورية الوهابية فى نجد أمراً مفيداً من جميع الوجوه » .[٢٧] وعلى كل حال فإن حكومة الهند « أشارت بأن سلطة الوهابيين قد أصبحت الآن إقليمية وليست تعصبية ، وأن كرامة البريطانيين ستتأثر فى الكويت إذ ما منع الشيخ (مبارك) من مساعدة حليفه (عبد العزيز آل سعود) وأن استيلاء الأتراك على نجد قد يكون أكبر شراً من السيطرة الوهابية . . . ».[٢٨] ومما يؤسف له أن الحكومة البريطانية لم تنظر دائماً إلى الأحداث فى جزيرة العرب بمثل هذا العطف والتقدير اللذين أولتهما حكومة الهند فى هذه المناسبة . وفكرت حكومة الهند أيضاً فى إرسال ضابط بريطانى إلى الرياض كيما تزداد معرفة بالحالة هناك ولكن وزير الدولة لشئون الهند ، المستر سن جون برودريك (الذى أصبح فيما بعد اللورد ميدلتون) « أصدر تعليمات إلى اللورد كرزن بعدم اتخاذ أية خطوة للدخول فى علاقات أوثق مع نجد أو إرسال أى مبعوثين إلى هناك بدون موافقة الحكومة ».[٢٩] وفى عام ١٣٢٢ هـ (أواخر ١٩٠٤ م) « أعربت » الحكومة فى لندن « عن رغبتها فى أن يفهم بجلاء بأن نفوذها ومصالحها يجب أن تقتصر تماماً على ساحل شرق جزيرة العرب» .[٣٠] وهكذا ، منذ مضى أقل من نصف قرن ، صدر تأكيد جديد فى مستوى عال للسياسة البريطانية التقليدية بعدم الاهتمام بشئون داخل جزيرة العرب ، ويستمد هذا التأكيد أهمية خاصة من أنه يشير إلى وضع نشأ عن القوة المتزايدة للحاكم السعودى الجديد .

---

(٢٧) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٨ .

(٢٨) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٨ .

(٢٩) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٢ .

(٣٠) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٩ .

٣٠٤ – إن فى الإمكان اعتبار جولة كرزن البحرية عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) (الفقرة ٣٠٠ السابقة) بمثابة الذروة لعصر قديم فى جزيرة العرب أشرف على نهايته. وفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) قام عبد العزيز آل سعود بجولة برية فى الإقليم الواقع فى الجانب الغربى من الخليج، الأمر الذى يعتبر من أولى بشائر العهد الجديد فى جزيرة العرب. وكان الأتراك يتظاهرون بأنهم يتمتعون بالسلطة فى سائر أنحاء الإقليم الواقع بين نجد والخليج، ولكن عبد العزيز فى عام ١٣٢٣ هـ (يوليو ١٩٠٥ م) زحف بشجاعة على رأس قواته المسلحة إلى قلب هذا الإقليم وعسكر فى رمال الجافورة التى لا تبعد كثيراً عن سلوة وقاعدة شبه جزيرة قطر. وإن أقل ما يقال فى هذا الصدد إن الأتراك قد أحرجهم هذا الاستخفاف من قبل هذا الزعيم العربى الذى سبق له أن أربكهم فى نجد (الفقرة ٣٠٢ السابقة). ولما كانوا عاجزين عن صده فقد بعثوا إليه فى النهاية بضابط ليقوم بزيارة مجاملة له.[٣١] وفى خلال ذلك كان عبد العزيز منهمكاً فى التوفيق بين قبائل البدو ومن آل مرة وبنى هاجر والعجمان، الذين كانوا فى السابق يتنازعون فيما بينهم، وبين زعماء قطر.[٣٢] ويلاحظ لوريمر بأنه فعل ذلك «ليظهر بمظهر المحب للأمن والنظام».[٣٣] ولكن تاريخ عبد العزيز فيما بعد يكفى ليبين أن هذا لم يكن تظاهراً من جانبه. وبعث قاسم آل ثانى حاكم قطر إلى عبد العزيز رسالة ترحيب وهدايا قيمة، ثم جاء بنفسه لزيارته فى العريق عند قاعدة قطر.[٣٤] وفى فصل الخريف وجه عبد العزيز رسائل إلى جميع رؤساء ساحل الصلح يبلغهم فيها عن نجاحه فى التوفيق بين القبائل وعن وصوله إلى قطر، وعن أمله فى زيارة إقليمهم فى عام ١٣٢٤ هـ (ربيع ١٩٠٦ م). وكان

---

(٣١) لوريمر، مجلد ١، ص ١١٥٠.
(٣٢) انظر بيان الملك عبد العزيز للسر أندرو ريان فى الملحق رقم ٧.
(٣٣) لوريمر، مجلد ١، ص ١١٥٠.
(٣٤) لوريمر، مجلد ١، ص ٨٣٥.

من الطبيعي أن يبعث عبد العزيز بمثل هذه الرسائل لأنه ، كما يقول لوريمر ، « لم تتوقف بالمرة ، وفى أى وقت ، المراسلات بين ساحل الصلح العمانى وأواسط جزيرة العرب ». [٣٥] ويصف لوريمر درّ الفعل من جانب الزعماء لهذه الأنباء فيقول :

> لقد تلقى شيوخ الهناوية فى أبو ظبى ودبى هذه المراسلات بخوف لأنهم توقعوا تضاؤلا عظيما لنفوذهم نتيجة لتدخل الوهابيين ، ومقابل ذلك تلقى شيوخ الغافرية المراسلات بتيه وزهو لأنهم كانوا يتطلعون إلى الخلاص من أولوية أبو ظبى التى دامت عشرين عاماً . وافتتحت فى الحال مراسلات بين شيخ أبو ظبى وسلطان عمان حليفه ورفيقه الهناوى الذى قد يشجع ظهور الوهابيين رعاياه من بنى غافر على القيام عليه . وفعلا فقد اعتبر شيخ أبو ظبى هذه المسألة من الأهمية بحيث تكفى لحمله على زيارة مسقط فى عام ١٣٢٣ هـ (نوفمبر ١٩٠٥ م) . [٣٦]

إن هذه الفقرة لتعتبر من أهم الفقرات العديدة المقتطفة فى هذا العرض من كتاب لوريمر . وإذا ما درست بدقة فإنها تبين لماذا اختارت الحكومة البريطانية ، عقب فترة طويلة من التردد (الفقرتان ٨٦ و ٩٣ من الفصل الخامس فيما بعد) أبو ظبى ومسقط فى السنوات الأخيرة أداة لمعارضة المطالب العادلة للمملكة العربية السعودية فى أراض ظلت سعودية مدة أكثر من قرن ونصف . وتظهر هذه الفقرة أيضاً أنه كان هناك عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ثلاث دويلات فقط — أبو ظبى ومسقط ودبى — يمكن الاعتماد عليها فى معارضة عودة الإدارة السعودية بكامل قوتها إلى إقليم البريمى . أما دبى فقد اتضح لها منذ ذلك الحين أين تقع مصالحها الحقيقية . ولم تكن فصاحة اللورد كرزن [٣٧] من القوة بحيث تفرق ما بين العربى وأخيه العربى ، وبين المسلم والمسلم ، اللهم إلا فى حالة أولئك الحكام الذين كانوا مدينين فى بقائهم لإحسان الدولة البهية البريطانية .

---

(٣٥) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ .

(٣٦) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ٧٤٦ — ٧٤٧ .

(٣٧) « المعاهدات الجارية » ص ١ — ٤ .

٣٠٥ – ولمدة تجاوزت العشرين سنة بعد أن تولى الملك الراحل عبد العزيز رئاسة الدولة السعودية كان عليه أن يجابه أعداء فى الشمال والشرق والغرب كانوا جميعهم يسعون إلى حرمانه من حقوق آبائه وأجداده وبذلك يقفون دون تحقيق رغبات الناس الذين انضموا إليه من صميم قلوبهم . وقد أظهر مهارة فائقة فى تناوله أعداءه الواحد تلو الآخر ، ولكن كثرة هؤلاء الأعداء هى التى حالت فى مراحل حياته الأولى دون استرجاع بعض أجزاء ملك بيته التى كان متعلقاً بها بصورة خاصة . ولم يتمكن فى ١٣٢٣ هـ (خريف ١٩٠٥ م) من القيام برحلته المزمعة إلى البريمى لأن الأتراك وآل رشيد كانوا يهددون مركز حكمه فى نجد الذى كان عليه العودة إليه . وفى ١٣٢٤ هـ (إبريل ١٩٠٦ م) أحرز انتصاراً عظيماً على آل رشيد فى روضة مهنا ،[٣٨] ولكن انتصاراً واحداً لم يكن كافياً إذ بقيت أمامه سنوات عديدة من قتال لابد منه قبل إحراز الظفر النهائى . ويذكر لوريمر أن أعمال عبد العزيز كانت بمثابة « تجاهل تام ، بل واحتقار ، للسلطة العثمانية فى أواسط جزيرة العرب ».[٣٩] وقد شدد طرد القوات التركية من نجد من عزم الحكومة العثمانية على مساندة آل رشيد فى معارضتهم لسلطة الدولة السعودية الآخذة فى النمو .

٣٠٦ – وعقب انتصار عبد العزيز على آل رشيد فى روضة مهنا ، بعث بمندوب يبلغ الكابتن بريدو ، الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين ، أنه « يشعر الآن بأنه بلغ من القوة بحيث يستطيع طرد الأتراك من الحسا وأنه راغب بعد ذلك فى الدخول فى علاقات تعاهدية مع الحكومة البريطانية ».[٤٠] وكانت فكرة عبد العزيز الأولى ، أنه مقابل تعهد البريطانيين بحماية الساحل

(٣٨) الريحانى « تاريخ نجد الحديث » ص ١٥٧ .
(٣٩) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٥٣ .
(٤٠) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ .

ضد الهجمات التركية من البحر ، فإنه يسمح لهم بالاحتفاظ بضابط سياسى فى الحسا أو القطيف .[٤١] « ولم يشجع الكابتن بريدو هذه المقترحات إطلاقا ».[٤٢] بيد أن الميجر كوكس المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى ، نظراً لتقديره الحقيقة الواقعة من أن عبد العزيز أصبح « الآن سائداً فى أواسط جزيرة العرب ».[٤٣] شعر بأنه يجب رسم سياسة فى هذا الشأن لعرضها على الحكومة البريطانية للنظر فيها . وفى عام ١٣٢٤ هـ (١٦ سبتمبر ١٩٠٦ م) ، بعث كوكس برسالة إلى حكومة الهند عرض فيها الفوائد التى تنجم عن التوصل إلى اتفاق مع عبد العزيز :

> وهى (١) أن تجاهل محاولاته لإنشاء صداقة معنا قد يجعل منه عدواً ، و (٢) أن التفاهم معه سيزيل قلق سلطان مسقط وشيوخ ساحل الصلح العمانى ويحسن علاقاتنا مع الأخيرين ، و (٣) أن تأييد ابن سعود سيساعدنا على قمع أعمال القرصنة فى المناطق الشمالية للخليج ، و (٤) أن هنالك دلائل تشير إلى أن تدخل الأتراك فى أواسط جزيرة العرب سيوحد القبائل لمقاومتهم تحت زعامة ابن سعود ، وإذا نحن لم نؤيدهم فقد يتصلون بدولة أخرى .[٤٤]

ثم يعلق مؤرخ حياة كوكس على ذلك بقوله :

> لم يكن كوكس ليتوقع أن تقبل وزارة شئون الهند أو أن تقر وزارة الخارجية اقتراحه بعقد حلف مع ابن سعود خصوصاً وأن هذا الحاكم الطموح لم يكن يخفى نواياه بمهاجمة الاتراك حالما يستكمل قوته . . . . ولقد رغب كوكس فى أن يبرز لرؤسائه فى هذه المناسبة كما فعل فى مناسبات أخرى ، النتائج المنطقية للسياسة والالتزامات البريطانية . فأخبرهم أنهم فى الواقع لا يستطيعون حماية الزعماء الصغار فى جزء كبير من ساحل جزيرة العرب على الخليج ، فى الوقت الذى لا يبالون فيه بالأحداث التى تجرى فى داخل جزيرة العرب . ولا يمكن لمثل هذه السياسة أن تصيب نجاحاً إلا إذا شل زعماء أواسط جزيرة العرب نشاط بعضهم بعضاً

---

(٤١) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٦٠ .

(٤٢) لوريمر ، مجلد ١ ، ص ١١٦٠ .

(٤٣) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ .

(٤٤) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٤ — ١٠٥ .

بانقسامهم . أما إذا وجدوا قائداً كما سبق أن فعلوا مراراً فى الماضى ، فلا بد للبريطانيين عندئذ من إنشاء علاقات معه . وقد ظهر هذا القائد الآن . (٤٥)

والملاحظة التالية التى أبداها مؤرخ حياة كوكس دقيقة بوجه خاص :

ورغما عن ذلك ، فإن تاريخ علاقات الحكومة البريطانية مع العالم العربى فيما بعد تترك أثراً يوحى بأنها ربما أضاعت فرصة عظيمة فى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . وإنه لمن المؤكد على كل حال أن كوكس أول دبلوماسى بريطانى يتنبأ بأن عبدالعزيز آل سعود سيطرعلى سياسة جزيرة العرب ، كما أنه كان الأول فى التنبيه إلى أهمية كسب صداقة الرجل السياسى المحارب الذى أصبحت كلمته اليوم هى القانون فى الجزء الأكبر من جزيرة العرب . (٤٦)

وفى عام ١٣٢٤ (أواخر ١٩٠٦ م) قام عبد العزيز بالاتصال ثانية بالكابتن بريدو عن طريق قاسم حاكم قطر . وعندما كتب كوكس إلى حكومة الهند عن ذلك « نبه إلى ضرورة إرسال جواب بات حول الاتصالات التى قام بها ابن سعود ، كما أشار إلى أنه إذا ترك ذلك دون جواب فإنه سوف يتهم بالإهمال وعدم المجاملة لدى حاكم الرياض وكذلك لدى الزعماء الذين كانوا وسطاء »(٤٧) . وصرفت وزارة شئون الهند وحكومة الهند أواخر عام ١٣٢٤ وأوائل عام ١٣٢٥ (الشهور الأولى من عام ١٩٠٧ م) فى دراسة هذا الأمر وبحثه . أما السير نيقولاس أوكونور السفير البريطانى فى اسطنبول الذى كان قد استشير فى الموضوع فقد « عارض بشدة أى تورط فى جزيرة العرب »(٤٨) . ووافقه على ذلك المستر جون مورلى (اللورد مورلى فيما بعد) وزير الدولة لشئون الهند . وفى عام ١٣٢٥ هـ (٣ مايو ١٩٠٧ م) اتخذ مورلى قراره النهائى ، وأبلغ حكومة الهند ما يلى :

---

(٤٥) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٥ .

(٤٦) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٥ .

(٤٧) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٦ .

(٤٨) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٧ .

إن نصوص جوابها المقترح تدعو إلى الاعتراض عليها من حيث أنها تعنى « الموافقة على توطيد السلطة الوهابية » وإذا كان من الضرورى للميجر كوكس أن يعطى جواباً إلى وسطاء ابن سعود فعليه أن يخبرهم أنه طالما أن مقترحات الأمير الوهابى تشتمل على اعتبارات "يستحيل على حكومة صاحب الجلالة أن تأخذ بها » فجيب عدم توقع أى جواب . . . (٤٩)

وبهذه الغلظة صدت الحكومة البريطانية المحاولة المخلصة الثانية التى قامت بها الحكومة السعودية ، التى عادت مؤخراً ، للدخول فى علاقات ودية . وبهذا الجفاف أكدت الحكومة البريطانية سياستها بأنه لا شأن لها فى الأمور الداخلية لجزيرة العرب .

٣٠٧ – لقد سبق أن أوضح بجلاء بأن محاولة صنع دولة كبيرة من بلدة أبو ظبى الصغيرة بدت عام ١٢٨٨ ﻫ (١٨٧١ م) عندما أصدر الكولونيل بلى رأيه الشخصى بأن العديد تابعة لزايد بن خليفة (الفقرة ٢٣٥ السابقة) . على أن اهتمام بلى لم يتعد الساحل على كل حال . واستمرت الحكومة البريطانية بعد أيامه فى اتباع سياستها التقليدية بتجنب التورط فى شئون الداخل ، تلك السياسة التى أكدتها مرة أخرى عام ١٣٢٥ ﻫ (١٩٠٧ م) (الفقرة ٣٠٦ السابقة) . وفى الواقع أن أجزاء كثيرة من الداخل بقيت أرضاً مجهولة لدى الموظفين البريطانيين . ثم طرأ فى أوائل سنى القرن العشرين تغير ملحوظ . ففى عام ١٣٢١ ﻫ (١٩٠٣ م) أمر اللورد كرزن بوضع دليل عن الخليج الفارسى وكلف المستر جوردن لوريمر أحد موظفى الهند المدنيين بالقيام بهذا العمل . فقام لوريمر خلال مدة السنوات الثلاث التالية بجمع المعلومات وعمل على إعداد دليل ضخم ، وذلك بمساعدة فعالة من جانب الموظفين البريطانيين الذين كانوا يعملون فى الخليج . أما المجلد الثانى من الدليل ، وهو عبارة عن معجم جغرافى ، فقد جرى طبعه ١٣٢٦ ﻫ

---

(٤٩) جريفز « حياة كوكس » ص ١٠٧ .

(١٩٠٨ م) ، غير أن المعلومات التى يشتمل عليها لا تذهب عموماً أبعد من عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) . ويتسم هذا المجلد بالدقة والاستيعاب عندما يتناول لوريمر وزملاؤه بالبحث المناطق التى زاروها ودرسوها بأنفسهم دراسة وافية . غير أن هناك أقاليم ، خصوصاً فى جزيرة العرب ، لم يرها لوريمر أو الآخرون ، بل إن هناك بعض الأقاليم التى لم يسمعوا بها قبل الشروع فى إعداد كتابهم هذا . واللفتننت كولونيل فريزر هنتر ، الذى أعد الخريطة الكبيرة لجزيرة العرب المشهورة بخريطة هنتر وهى التى أعدت بقصد إلحاقها بالدليل ، هو أحسن من يروى قصة الجواء فى الظفرة ، فيقول :

> لقد عثر عام ١٩٠٦ على لؤلؤة ثمينة جداً اتجاه الطرف الأقصى لجزيرة مسندم . فادعى شيخ البحرين أن جميع اللآلىء التى عثر عليها فى تلك المياه تخصه أو أنها يجب أن تمر عن طريقه . أما شيخ قطر فقد ادعى أن اللؤلؤة عثر عليها أحد أتباعه ولذلك ، يجب التصرف فيها عن طريقه . فنشأ نزاع كبير كان من نتائجه مقتل شيخ قطر وحصولنا على بعض المعلومات الجغرافية الهامة عن عمان الساحلية ، ثم تأجل إصدار كتاب لوريمر . لقد ادعى الرجل الذى عثر بالفعل على اللؤلؤة بأنه من قرية شاة فى الجواء ، وبما أن أحداً لم يسبق له أن سمع بمثل هذه الأماكن فإن الكولونيل كوكس (السر برسى الآن) ، الذى كان معتلمداً سياسياً فى الخليج الفارسى ، قد اكتشف ، فى خلال محاولاته لتسوية النزاع ، بأن الرجل لا ينتمى إلى قطر أو إلى البحرين ، وإنما يأتى من منطقة الربع الخالى ، وهو الجزء الصحراوى المفزع فى جنوب جزيرة العرب . وبمواصلة الكولونيل كوكس لتحقيقاته استطاع أن يقدم مجموعة من المعلومات تتعلق ببينونة والظفرة الوسطى والقفا والجواء وغيرها من أجزاء عمان الساحلية الأمر الذى أدى إلى ملء مساحة كبيرة من الفراغ الذى كان موجوداً فى خريطة جزيرة العرب كما أنه زاد فى الشهرة التى اكتسبها عن جدارة مرجعاً أصيلا لشئون الجزيرة . (٥٠)

وينوه لوريمر فى نبذة من كتابه عن الظفرة ، وهو أول كتاب يقرأ فيه البريطانيون شيئاً عن قرى الجواء ، بأن معلوماته مستقاة من الميجر كوكس والكابتن بريدو الوكيل السياسى فى البحرين ، وكذلك من عبد اللطيف وكيل

---

(٥٠) هنتر « ذكريات عن خريطة جزيرة العرب والخليج الفارسى » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ٥٤ (١٩١٩ م) ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

مكتب المعتمد البريطانى فى الشارقة ، وجميعهم اعتمدوا على مصادر محلية وبعبارة أخرى لم يقم أحد منهم بزيارة الإقليم ، واستقيت معلوماتهم من العرب الذين لهم بعض المعرفة بالإقليم . وبما أن المعلومات المبينة فى هذه النبذة تشكل أول أساس لاعتراف البريطانيين الذى جاء فيما بعد بادعاء بهذا الإقليم تقدمت به أبو ظبى ، فإن الموضوع يستحق التحليل بكل عناية . فمن الناحية الأولى تتضح طبيعة عدم الوثوق والبت فى صحة المعلومات من أسلوب لوريمر فى صفحاته التى تنتثر فيها عبارات وكلمات مثل « يبدو » و « ربما » و « من الممكن » و « من المحتمل » و « الرأى الأكثر ترجيحاً » و « مشكوك فيه » و « بلا شك » و « يمكن الأخذ به » و « يمكننا موقتاً ترتيب الأقسام » و « لا نزاع فيه » و « طبقاً للتقرير الذى يبدو لأسباب عديدة أكثر ما يمكن الاعتماد عليه » و « إذا أخطأ هذا الرأى » و « تواجهنا هنا تناقض خطير فى المعلومات » .[٥١] وليس هناك إذن ما يدعو إلى الدهشة فى أن تكون المعلومات الجغرافية ينقصها الشىء الكثير . فالقول فى أول النبذة بأن الظفرة جزء من عمان لا يتفق وأى تعريف لعمان ، إلا أن يكون ذلك التعريف مصطنعاً تماماً ومعداً ليخدم أغراضاً سياسية ، وكذلك فإن المعلومات الواردة عن سكان الظفرة خاطئة مضللة . فالمؤلف يصف بنى ياس بأنهم « أنصاف متحضرين »وذلك فى سياق يفهم منه أن المناصير لم يصلوا حتى إلى هذه الدرجة ، ويعزو هذا إلى طبيعة المناصير بأنهم « بدو تماماً »[٥٢] . وقد أبانت الحكومة العربية السعودية أن البدو لا يقلون « تمدناً » عن الحضر (الفقرة ٥ من الفصل الثالث فيما سبق) . وأما أن المناصير ليسوا بدواً فى مجموعهم ، فهو أمر قد اعترف به لوريمر نفسه الذى يتحدث فى العبارة التالية عن « قرى المناصير »

(٥١) تظهر هذه جميعها فى الصفحتين الأوليين من نبذة لوريمر عن الظفرة . لوريمر ، مجلد ٢ ، ٤١٢ ص — ٤١٣ .

(٥٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

فى الظفرة . والقول إن « القرى المأهولة على الدوام والمسماة محاضر تتبع جميعها بنى ياس »[٥٣] ليس صحيحاً (قارن بالفقرة ٥٢ من الفصل الثانى والفقرة ٣٠ من الفصل الثالث فيما سبق) . والإشارة بأن المناصير يتجنبون الامتلاك الفردى للنخيل ، وإنما يحوزونه فقط من قبيل « الممتلكات القبلية المشتركة » ليست إشارة صحيحة .[٥٤] والتحدث عن بينونة بأنها أبرز المراعى لبنى ياس أمر غير صحيح . وتقدير عدد أفراد القبائل الذى يبين أن بنى ياس يتفوقون على المناصير فى الظفرة بنسبة خمسة إلى واحد هو أمر غير واقعى بالمرة . والاتجاه الظاهر من جميع هذه المعلومات المغلوطة هو الدلالة على أن لبنى ياس صلة أوثق من المناصير بالظفرة و بقرى الجواء . والفصلان الثانى والثالث من هذا العرض يبينان أن العكس هو الصحيح . فمما لا جدال فيه أن العرب الذين اعتمد عليهم المؤلفون كانوا جميعاً أفراداً من بنى ياس نفسهم أو من مواليهم . وبالإضافة إلى ذلك فإذا قورن قول لوريمر بأن «هناك قبيلتين فقط من الظفرة وهما بنى ياس والمناصير»[٥٥] ، بالمعلومات المدرجة فى الفصل الثالث[٥٦] يتضح النقص الموجود فى معالجة لوريمر للموضوع (وكل القبائل التى تجاهلها هى قبائل سعودية) . ويلخص لوريمر فى نبذته عن الظفرة بقوله إنها « تقع جميعاً داخل نطاق النفوذ السياسى لشيخ أبو ظبى ولهذا يمكن اعتبارها تابعة لإمارته »،[٥٧] ولو أن لوريمر نفسه يتحفظ بعض الشىء بصدد صحة ذلك ، حيث أنه يستأنف كلامه فيقول :

---

(٥٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٤) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٥) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٦) انظر بوجه خاص الاقسام التى تتناول قبائل آل مرة والعوامر والمناهيل وآل راشد والعفار .

(٥٧) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٧ . لقد أشير إلى هذا القول فى تصريح أدلى به بالنيابة عن الشيخ شخبوط حاكم أبو ظبى فى الدمام فى ١٣٧١ هـ (٣١ يناير ١٩٥٢ م) (قارن بالفقرة ٧٧ من الفصل الخامس) وذلك برهاناً على إدعاءاته فيما يختص بالظفرة .

إن أهالى الجواء من بنى ياس يعتبرون أنفسهم من رعايا الشيخ ، غير أن مدى خضوع المناصير لنفوذه أمر مشكوك فيه . (٥٨)

وكان شأن لوريمر وكوكس في عدم إدراكهما لجميع نتائج عملهما شأن بلى فى عدم إدراكه لنتائج عمله . وإن النتيجة التى توصل إليها لوريمر فيما يتعلق بوضع الظفرة السياسى يمكن ألا يكون قد قصد بها صفة الإلزام الموجودة فيما ادعى به بلى من نسبه العديد لأبو ظبى . بيد أن الحكومة البريطانية رأت فى ذلك فائدة مماثلة عندما حانت الفرصة . لقد قدم بلى ذريعة لإعطاء أكثر من خمسمائة كيلو متراً من الساحل لأبو ظبى ، ثم أتى لوريمر بذريعة أخرى ليلحق بالساحل قطعة من الداخل لم يكن قد سمع بها عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . وبأمر بريطانى أريد إنشاء أوسع إمارة بين مشيخات ساحل الصلح (٥٩) بشكل يختلف كلياً عن الوصف الدقيق الذى أعطاه الكابتن كمبل عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) (الفقرة ١٩٤ السابقة) . وإنه لأمر غريب فى الواقع أن تجرى محاولة فيما بعد للتصرف بشكل تحكمى فى مصير إقليم كبير لم يسبق له أن رأى وجه رجل إنكليزى ، وذلك على أساس بحث قام به لمدة قصيرة خارج المنطقة نفسها ثلاثة موظفين بريطانيين قد اتضح بجلاء أن النتائج التى توصلوا إليها بصدد النقاط الأساسية إما ناقصة أو مضللة أو خاطئة كلياً . ولكن الأمر يصبح مفهوماً إذا ما رجعنا بالذاكرة إلى قصة ما وقع لجزائر خوريا موريا كما رواها مؤرخ إنكليزى (الفقرة ١٩٦ السابقة) . لقد لاقت هذه الجزائر مصيرها بسبب وجود ثروة من السماد تغطى سطحها . والموارد الطبيعية لكثير من أجزاء جزيرة العرب كانت ما تزال غير معروفة عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، غير أن البريطانيين بدأوا فى التفكير باستغلال ما قد يكشف عنه المستقبل ، إما بأنفسهم أو عن طريق آخرين (الفقرة ٢٩١ السابقة) . ثم إن هناك اعتباراً

(٥٨) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٥٩) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

آخر يفوق ذلك أهمية ، فقد كانت هناك قوة جديدة بدأت تعود إلى الظهور بسرعة فى جزيرة العرب وما كان البريطانيون لينظروا إلا شزراً إلى أية قوة فى الجزيرة سواهم وفى عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) أبدى وزير الدولة لشئون الهند معارضة الحكومة البريطانية فى «الموافقة على توطيد السلطة الوهابية» (الفقرة ٣٠٦ السابقة). والموظفون البريطانيون فى جهلهم الذى كانوا عليه قبل زمن لوريمر بجغرافية الظفرة ربما كانوا جاهلين بانتساب هذا الإقليم إلى الدولة السعودية خلال معظم القرن التاسع عشر ، بيد أنهم كانوا على علم بعض الشىء بتاريخ البريمى . وما من وسيلة أفضل للحيلولة دون عودة السعوديين إلى هناك ، من إنشاء ما يسمونه بدولة تقوم على الأرض بين الحسا والبريمى ، الأمر الذى يخلق مع مضى الزمن ذريعة لإقامة علامات يكتب عليها «ممنوع التخطى».

٣٠٨ — وطبع المجلد الثانى من دليل لوريمر عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)، وهو يحتوى أيضاً على نبذة عن واحة البريمى لها أهمية خاصة لكونها قائمة على أساس دراسة الميجر كوكس المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى (الفقرة ٢٩٧ السابقة) وكذلك على شىء من دراسة الكولونيل مايلز الوكيل السياسى السابق فى مسقط (الفقرة ٢٤٨ السابقة).[٦٠] وليس هناك حاجة تدعو إلى تحليل هذه النبذة تحليلا مفصلا . فإن صلب الموضوع هو فى الجملة الافتتاحية التى يعرف بها البريمى بأنها

> واحة هامة فى إقليم الجو تقوم على رقعة بين سلطنة عمان وعمان الساحلية يمكن وصفها بعمان المستقلة .[٦١]

وهكذا يؤكد الموظفون البريطانيون الذين كانوا فى خير وضع يسمح لهم بمعرفة الحقيقة ، أى المعتمد نفسه ومساعديه ، استقلال البريمى فى ذلك الحين ،

---

(٦٠) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٦١) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٠ .

عندما لم تكن الدولة السعودية خلال نموها الجديد قد وصلت إلى ذروة اكتمالها . ومن الضرورى أن نبين بجلاء أن هذا التأكيد قد جاء عندما بلغ نفوذ زايد بن خليفة فى أبو ظبى أقصى مداه ، إذ أن زايد توفى قرب الوقت الذى ظهر فيه الكتاب (الفقرة ٣١٢ اللاحقة) . وكما لا يدع لوريمر أى مجال للشك فى أن البريمى تقع خارج مشيخة أبو ظبى فإنه فى نبذته عن تلك المشيخة(٦٢) يقول ما يلى :

> إن حدود أبو ظبى إلى الداخل ليست معينة : ويقال إنها تصل شرقاً إلى واحة البريمى ، لكن دون أن تشملها .(٦٣)

ولا يوجد فى النبذة الواردة عن البريمى أى ذكر لأية سلطة لسلطان مسقط على أى جزء من الواحة . وعلى كل حال فإن لوريمر ، مرة أخرى ، يذهب بعيداً ليزيل أى شك فيما يتعلق بوضع البريمى بالنسبة لمسقط فيقول فى نبذته عن سلطنة عمان :

> إن سلطنة عمان لا تشمل – كما شرح فى النبذة عن عمان – عمان بالمعنى الجغرافى . إذ أن عمان الواقعة على ساحل الصلح وواحة البريمى ورقعة محضة ، بالرغم من أنها تابعة لعمان (فى المعنى الجغرافى) فإنها ليست داخل ممتلكات السلطان .(٦٤)

ويمضى لوريمر فيقول :

> بالإمكان القول بأن خط الحدود البرية للسلطان ، فى الجانب الواقع فى اتجاه البريمى وإلى الشمال من الصحراء الكبرى ، يقع عند خط قمم الجبال بين ذلك المكان (أى البريمى) وساحل خليج عمان .(٦٥)

---

(٦٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ – ٤١٠ .

(٦٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٦٤) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٨٢ .

(٦٥) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٣٨٦ .

وبموجب هذا التعريف فليست البريمى وحدها بل وبقية الظاهرة تقع خارج سلطنة مسقط . وإن هذه المقتطفات لتلخص النتائج المبينة ، منذ أقل من خمسين عاماً ، فى المجلد الرسمى الذى كان منذ ذلك الحين الدليل المرشد لممثلى بريطانيا فى الخليج الفارسى .

٣٠٩ – وحتى ما يكتب لوريمر بوصفه موظفاً بريطانيا ، فإن أفضل ما يوسعه القول عن حكومة مسقط هو ما يلى :

> إن حكومة عمان تفتقر إلى النظام والكفاءة وسلطة السلطان خارج منطقتى مسقط والباطنة هى إما واهية أو مجرد اسمية . . .
>
> وأما فى عمان نفسها فللسلطان ولاة فى أزكى ونزوى إلى جانب مركز فى منح تحت إدارة والى نزوى . ولكن وضعه فى هذه المنطقة غير مأمون ، ولا ينطوى على أى اشراف فعلى .(٦٦)

وللبيان التالى الذى قدمه لوريمر علاقة بأى ادعاء يمكن أن يتقدم به السلطان بسلطة على القبائل :

> لم يسبق قط للسلطات القبلية أن سلمت للسلطان أفراداً من القبائل باعتبارهم مجرمين لمعاقبتهم .(٦٧)

٣١٠ – كان عبد العزيز آل سعود قد وضع الخطط لاستعادة الممتلكات الشرقية للدولة السعودية فى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ، غير أنه واجه صداً شديداً من البريطانيين عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (الفقرة ٣٠٦ السابقة) . ولم ينس الحسا والظفرة والبريمى خلال السنوات القليلة التالية ، غير أن الحالة فى نجد شغلته كما أن الحالة فى الشرق لم تكن بعد على أحسن مايرام . ففى نجد تمركز آل رشيد الذين كان الأتراك يشجعونهم ويساعدونهم ، فى الشمال ، وحيث

---

(٦٦) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٤١٩ .
(٦٧) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢٠ .

أن قوة عبد العزيز أخذت تنمو فإن شريف مكة الجديد فى الغرب ، الحسين ابن على ، دخل فى عداد خصوم الدولة السعودية . وكان عبد العزيز فى الشرق يحدق تدريجياً بمراكز الأتراك مخضعاً القبائل لسلطته (الفقرة ٣٠٤ السابقة) وعازلا بشكل فعال الحامية التركية فى حصونهم القليلة . وكانت قبيلة آل مرة التى تنتشر بطونها شرقاً حتى داخل الظفرة من أولى القبائل التى انضمت إلى الجانب السعودى ، وهى القبيلة التى كان عبد العزيز يروح ويغدو معها فى صباه (الفقرة ٢٧٥ السابقة).ولو أن أعداء عبد العزيز فى أواسط جزيرة العرب كانوا أقل قوة مما كانوا عليه لقام فى الغالب بزيارته المزمعة للبريمى ، دون أن يحتل أولا إقليم الحسا الواقع فى منتصف الطريق ، كما سبق لجده تركى بن عبد الله أن فعل عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) (الفقرة ١٠٤ السابقة) ، إلا أن ذلك كان من شأنه أن يكشف خطوط مواصلاته للأتراك الذين مع أنهم لم يكونوا من القوة بحيث ينجحون فى حكم المنطقة التى يدعون بها ، إلا أنهم لم يكونوا خصما يهمل . ورأى عبد العزيز بعد أن أخذ جميع ذلك بعين الاعتبار أن من الأفضل أن يتمهل بعض الشىء إلى أن تحين الساعة التى يوجه فيها ضربته القاصمة .

٣١١ — وفى أوائل عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) زار مسقط جورج لويد الذى أصبح فيما بعد اللورد لويد ، أحد رجالات الإمبراطورية البريطانية . وكتب فى يومياته عن رحلته يقول :

> وقعت غارة قبل وصولى بسبعة أيام فقط من قبل العرب الذين نجحوا فى حمل رئيس وزراء السلطان معهم وقيل إنهم قتلوه فيما بعد .(٦٨)

وبعد أن تأمل لويد الحالة فى مسقط كما وجدها ، نادى بالرأى التالى :

---

(٦٨) أوردها آدم فى « حياة اللورد لويد » (١٩٤٨ م) ص ٣٧ .

. . .إنه قد تستدعي الأهمية الملحة أن نثبت أنفسنا بشكل دائم فى مسقط فى وقت مبكر . (٦٩)

٣١٢ – لقد توفى زايد بن خليفة وفاة طبيعية نحو عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) بعد أن تمتع بالحكم فى أبو ظبي أكثر من خمسين عاماً . وإنه لمن الغرابة بمكان أن نلاحظ أن وفاة هذا الزعيم الكبير كان لها أثر بسيط بحيث أن تاريخ وفاته بالضبط لم يعد يذكر تماماً فى الساحل.(٧٠) وقد تنازل نجل زايد الأكبر ، خليفة ، عن شرف خلافة أبيه ، إلى أخيه طحنون ، وقد يكون السبب فى ذلك أنه أحس بشعور خفى بأن اضمحلال أبو ظبي بعد بلوغها الذروة أصبح أمراً محتوماً . وحكم طحنون ، الذى هو الآن مجرد اسم لا أكثر على الساحل ، لمدة السنوات الأربع التالية تقريباً . بطريقة هادئة لم تكتنفها أية حوادث أو وقائع تذكر . ولم تعد أبو ظبي مركزاً لقوة متحركة تحاول شق طريقها إلى طليعة مشيخات ساحل الصلح ، بل عادت إلى دورها العادى ، دور قرية الصيد الصغيرة الناعسة فكانت أقل نشاطاً بكثير من جارتيها دبى والشارقة المليئتين بالحركة والعمل ولم يعكر صفو هذا الدور إلا عندما وقع اختيار الحكومة البريطانية بعد عشرين سنة على أبو ظبي أداة مناسبة لتنفيذ سياستها (الفقرة ٣٥٦ اللاحقة) .

٣١٣ – ويتكلم الصحفى البريطانى لوفات فريزر فى كتاب نشره عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) عن زيارة قام بها لمسقط فيقول :

وحتى داخل دولة مسقط لم تكن سلطة السلطان تكاد تمارس بأمان خارج البلدتين المتجاورتين مسقط ومطرح . وفى اليوم السابق لزيارتى مطرح كانت البلدة محصورة ومهددة من جانب عصابة من قطاع الطريق فى الجبال . والسلطان (فيصل ابن تركى) رجل رقيق وقور ، يحب التصوير . ولديه اهتمام شديد بالسفن الحربية ،

---

(٦٩) آدم ، ص ٣٨ .

(٧٠) يذكر الناس هناك سنتى ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) و ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تاريخاً لوفاته .

ولكن حكمه يمتد إلى مرمى بصره ، ولا شيء أبعد من ذلك . ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يدوم . (٧١)

٣١٤ – وقد حل حمدان بن زايد محل أخيه طحنون حاكماً لأبو ظبي فى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وكان حمدان أكفأ خلفاء زايد خلال الخمسين سنة الماضية ، إذ أنه ورث نصيباً من براعة أبيه وطموحه أكبر من نصيب أى من أخوته أو أبناء اخوته . وعلى الرغم من ذلك فإن حمدان لم يتمتع بنفوذ يماثل ما كان يتمتع به والده كما أن حكمه دام عشرة أعوام فقط بدلا من نيف وخمسين . ومع أن حمدان كان فى البداية لا يميل إلى مصادقة آل سعود إلا أنه بعد أن نضج تفكيره فى السنوات التالية ، انتهى إلى تقدير فوائد الصداقة مع هذا البيت مما يؤدى فى النتيجة إلى رفاهية جميع الأهلين فى شرق جزيرة العرب . وسوف نسوق فيما بعد بعض الدلائل على صداقته مع الشخصيات البارزة فى الدولة السعودية (الفقرة ٣٢٣ اللاحقة) .

٣١٥ – وفى عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) كان عبد العزيز قد أصبح قوياً لدرجة تمكنه من الزحف على الأتراك فى الحسا دون الارتباط مع البريطانيين كما كان يظن ذلك ضرورياً فى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) (والفقرة ٣٠٦ السابقة) . وقد تجلت صحة تقديراته فى السهولة التى استسلم بها الأتراك كما سيجرى سرد ذلك فى الفصل الخامس حيث يعالج موضوع استرداد الحسا من الوجهةالدولية . ولأن إمارة الحسا كانت تعتبر منذ الأيام الأولى للدولة السعودية من أبرز المقاطعات التابعة للدولة وأهمها ، فقد اختار عبد العزيز لها ابن عمه وموضع ثقته عبد الله بن جلوى وكيلا له فيها فكان يدير الشئون السعودية فى شرق الجزيرة منذ ذلك الوقت حتى وفاته عام ١٩٣٥ م بيد حازمة عادلة ، متمسكاً

---

(٧١) لوفات فريزر « الهند أيام كرزن وبعده » (١٩١١ م) ص ٩٠ – ٩١ .

بأحسن تقاليد الحكم الإسلامى كما هى مبينة فى فقرات عديدة من هذا الفصل .

٣١٦ – إن « سنة فتح الحسا » ما زالت تعتبر عند أهالى شرق جزيرة العرب من أشهر الأحداث فى تاريخهم الحديث . وإن كثيراً من الحوادث لتؤرخ بها . وإن عودة الراية السعودية قد جلبت معها استقرار الإدارة السعودية فى جميع نواحيها المحترمة منذ القدم . وكان من بين ذلك الجباية السنوية للزكاة وهى قائمة على أسس منتظمة من أحكام الشريعة ، وكان الناس يقبلون طواعية على دفع الزكاة مساهمة منهم فى النظام الذى منحهم الأمن والطمأنينة فى ظل حماية الحكومة . وكان جمع الزكاة من قبائل المنطقة الشرقية – المناصير وآل مرة وغيرهم – يوجه فى بادئ الأمر من الرياض ، وذلك يؤكد مرة أخرى أنه على الرغم من أن الحسا هى حلقة اتصال مناسبة ، إلا أنها ليست حلقة اتصال جوهرية فى حد ذاتها بين الحكومة المركزية وبين المناطق المتنازع عليها الآن.[٧٢] ومع مرور الزمن انتقلت مسئولية الجباية إلى الأمير عبد الله بن جلوى واستقرت على هذه الطريقة فأصبحت منذ ذلك الحين من اختصاص أمير الحسا (الذى هو الآن أمير المنطقة الشرقية) .

٣١٧ – وجرى بين عبد العزيز آل سعود وبين الوكيلين السياسيين لبريطانيا فى كل من البحرين والكويت « اجتماع ودى »[٧٣] فى العقير حوالى بداية عام ١٣٣٢ (نهاية ١٩١٣ م) . وكان الوكيل فى الكويت هو الكابتن شيكسبير الذى أصبح فيما بعد أول ممثل لبريطانيا لدى بلاط عبد العزيز . ويبدو أن هذا الاجتماع قد كان أول خطوة ملموسة اتخذت لإقامة علاقات بين الحكومتين ، وهو الأمر الذى كان قد اقترحه عبد العزيز ووالده منذ عام

(٧٢) وجباية الزكاة فى هذه المناطق فى السنوات الأخيرة قد جرى بحثها أيضاً فى الفقرات ٣٧ – ٤٨ من الفصل السادس فيما بعد. إن القبائل الشرقية ، كما هو وارد فى الفقرة ٣٠٤ السابقة ، قد دخلت تحت سلطة عبد العزيز قبل طرد الأتراك .

(٧٣) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ١٨٨ .

١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) (الفقرة ٢٩٨ السابقة) . وأما الاتفاقية الإنكليزية التركية التى وقعت (ولكن لم يصدق عليها) قبل ذلك بشهور (٢٩ يوليو عام ١٩١٣ م) فإنها لم تحل دون قيام هذين الوكيلين بالتعامل مع عبد العزيز بصورة مباشرة ، كما أنهما لم يكشفا لعبد العزيز أمر توقيع هذه الاتفاقية (قارن بالفقرة ١٢من الفصل الخامس فيما بعد) .

٣١٨ – وبينما كان عبد العزيز منهمكاً فى إعادة توطيد حكم آل سعود فى إقليم الحسا والمناطق الواقعة شرقه كانت هناك دولة قديمة فى أقصى شرق جزيرة العرب قد أخذت تنبعث من رفاتها . وإن الأسباب التى من أجلها زحف أهالى عمان مرة أخرى على سلطان مسقط قد سردتها المس جرترود بل الرحالة والمستشرقةالبريطانية فى مقال كتبته فى « نشرة الشئون العربية » السرية(٧٤) فى نهاية عام ١٨٣٤ هـ (٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٦ م) عندما كانت تعمل مع نهاية عام ١٣٣٤ هـ السر برسى كوكس فى العراق :

> . . . أصبح حكام مسقط معرضين للنفوذ الأجنبى الأمر الذى أفقدهم عطف القبائل فى الداخل . ويعود سبب القلاقل الأخيرة إلى هذا النفوذ الأجنبى ، وإلى اعتماد سلاطين مسقط على القوة البحرية العسكرية الأجنبية ، وكذلك إلى خضوعهم ، مرغمين ، للمطالب الأجنبية فيما يتعلق بأمور المتاجرة بالرقيق وبالسلاح . وقد رأى السلطان الراحل السيد فيصل بن تركى فى قيام الحكومة البريطانية بالقضاء على تجارة الأسلحة فائدة جلية لنفسه ، حيث أصبح رعاياه الثائرون عاجزين عن التزود بالأسلحة لاستعمالها ضده . إلا أن عدم ارتياح القبائل لذلك قد وصل إلى ذروته قبل وفاته . (٧٥)

٣١٩ – وفى عام ١٣٣١ هـ (مايو ١٩١٣ م) قام الرؤساء الدينيون وزعماء قبائل الداخل ، باسم أهالى عمان على وجه العموم ، بانتخاب الشيخ سالم بن

---

(٧٤) خلاصة أعمال الاستخبارات التى كانت تطبع دورياً من قبل المكتب العربى التابع للحكومة البريطانية فى القاهرة خلال الحرب العالمية الأولى .

(٧٥) جرترود بل « الحرب العربية » (١٩٤٠ م) ص ٢١ .

راشد الخروصى أول إمام فى القرن العشرين.(٧٦) وقد أضحى الشعور ضد آل بو سعيد قوياً (٧٧) إلى درجة أن أى اهتمام لم يوجه لانتخاب أى فرد من أفراد هذا البيت ، كما حدث فى حالة عزان عام ١٨٦٣ . وبانتخاب الخروصى عاد المنتخبون إلى بيت أقدم ، وأسرة كانت قد أخرجت عدداً من الأئمة قبل ظهور آل بو سعيد بزمن طويل . وقد أظهرت الإمامة الجديدة تفوقها فى الحال على قوات السلطان فى الميدان . وإذ انزعج البريطانيون لهذا الموقف ، فقد قامت الحكومة البريطانية بإرسال قوات هندية على عجل إلى أطراف مسقط ، كما قام الميجر نوكس الوكيل السياسى بإرسال كتاب إلى الإمام متهماً إياه بمقاومة « حضرة سلطانكم المعظم السيد فيصل بن تركى » ومحذراً إياه بأن الحكومة البريطانية لن تسمح لأحد بمهاجمة مسقط أو مطرح . وقد أجاب الإمام على ذلك الكتاب بالرد التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .(٧٨)

من إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصى إلى حضرة الميجر ناكس نايب الدولة البهية الإنكليزية السلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى أما بعد فقد وصلنى كتابكم المؤرخ سادس شعبان من هذا العام وذكرتم فيه ما ذكرتم وأنتم تعلمون أن أمر عمان عند علمائها من قديم الزمان وأن كل ملك خالف العلماء فهو خليع عند الدولة الإسلامية النبوية منبوذ عن أمر المسلمين لا تصرف له فى دواتهم ولا نفاذ لحكمه وأن فيصلا قد قامت عليه الحجة مراراً عديدة بعد خلعه وعزله فأبى أن يعتزل وأنه قعد هذه المدة بسبيل الغلبة والقهر والمسلمون لم يرضوا سلطنته ولا أفعاله وأنتم معشر هذه الدولة يجب عليكم أن تكفوا عن أمر المسلمين ويلزمكم أن لا تتعدوا علينا ومن تعدى علينا فالله يعيننا عليه وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ومن كان

---

(٧٦) «دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

(٧٧) هوجارث « جزيرة العرب » ص ١٢٤ .

(٧٨) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية ٨١ .

مع الله كان الله معه ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً وإن ينصركم الله فلا غالب لكم .

حرر ٩ شعبان سنة ١٣٣١ — صحيح الإمام سالم بن
(نحو ١٤ يوليو ١٩١٣ م) — راشد الخروصى بيده[٧٩]

وفى سبتمبر اضطر البريطانيون إلى مضاعفة حاميتهم بالقرب من مسقط .[٨٠]

٣٢٠ — وقد مات فيصل بن تركى سلطان مسقط عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) وخلفه ابنه تيمور . وقد حاول السلطان الجديد دون نجاح أن يتفاوض مع زعماء الإمامة . وبعد ذلك « أرهب الثوار (أى أهالى عمان) » بقصف مكانين على الساحل بمدافع سفينتين حربيتين بريطانيتين فى ١٣٣٢ هـ (إبريل ١٩١٤م).[٨١] ثم أرسلت تعزيزات أخرى إلى مسقط ، وكانت تتألف هذه المرة أيضاً من قوات هندية .

٣٢١ — وقد حدا تقدم عبد العزيز آل سعود إلى سواحل الخليج الفارسى بالإنكليز إلى زيادة الاهتمام بأواسط جزيرة العرب على ما كانوا يرغبون حتى ذلك الوقت ، كما أن نشوب الحرب العالمية قد زاد من هذا الاهتمام . وإذ شعر الإنكليز أن الإمبراطورية العثمانية تعترض خط مواصلاتهم الحيوى إلى الهند ، كما أنهم كانوا يعلمون أن ألمانيا تقف وراء الترك ، فقد بحثوا بلهفة عن حلفاء جدد حيثما يكونوا . وقد أرسل الكابتن شيكسبير الذى كان قد زار الرياض فى عام ١٣٣٢ هـ (مارس ١٩١٤ م) مسافراً أكثر منه ممثلا لحكومته ،[٨٢] أرسل إليها مرة أخرى بصفة أكثر رسمية ، وكان ذلك فى أواخر العام الميلادى . وكان

---

(٧٩) توجد نسخ من كتب نوكس والامام فى حوزة الحكومة العربية السعودية .
(٨٠) بل « الحرب العربية » ص ٢١ .
(٨١) بل « الحرب العربية » ص ٢١ .
(٨٢) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ٥٩ (١٩٢٢) ص ٣٣٤ و ٤٠١ — ٤٠٢ .

شيكسبير أول موظف بريطانى يظل بالقرب من الحكومة السعودية . وقد تقبل عبد العزيز شيكسبير فى عاصمته فى الحال ، وهو الذى كان قد أوضح منذ سنوات رغبته واستعداده فى الوصول إلى اتفاق مع البريطانيين . وإن الإخلاص الذى ساند به عبد العزيز البريطانيين طوال الحرب ليعبر عنه السر ريدر بولارد أحسن تعبير حين يقول :

> لقد كانت مساعدة ابن سعود مساعدة قيمة . . ولو كان قد تسلم مقداراً أكبر من السلاح (فحتى الأسلحة التى وعده بها البريطانيون لم تسلم بكاملها) لكان حليفاً أكثر نفعاً وفائدة .[٨٣]

أما عن العلاقات التى تلت ذلك بين المملكة المتحدة والحكومة العربية السعودية مما يتصل بالموضوع المعروض على هيئة التحكيم فيتناولها الفصل الخامس من هذا العرض .

٣٢٢ — وبحلول عام ١٣٣٣ هـ (يناير ١٩١٥ م) كان أتباع إمامة عمان الجديدة يحتلون بالفعل البلاد بأسرها ، محاصرين تيمور بن فيصل سلطان مسقط فى عاصمته . وما كانت مسقط نفسها لتنجو من السقوط لولا الشجاعة الحربية التى أظهرتها القوات الهندية التى أرسلها البريطانيون.[٨٤] وفى شهر فبراير قام نائب الملك فى الهند ، اللورد هاردنج ، بزيارة مسقط :

> لقد كان من المستحيل أن أنزل إلى الشاطىء فى زورق وقد حملت إلى البر على كرسى وأنا فى الزى الرسمى الأمر الذى لم يكن مشرفاً كثيراً أمام حرس الشرف الذى كان على أن أستعرضه .[٨٥]

---

(٨٣) السر ريدر بولاد « بريطانيا والشرق الأوسط » (١٩٥١ م) ص ٧٣ — ٧٤ .

(٨٤) مرفى فى كتابه « جنود الرسول » (١٩٢١ م) يقدم سرداً مفصلا عن كيفية إنقاذ مسقط على يد القوات الهندية التى ارسلها البريطانيون .

(٨٥) اللورد هاردنج « سنواتى فى الهند » (١٩٤٨ م) ص ١١٤ .

وقد أحس هاردنج بالعطف نحو الوكيل السياسي البريطاني

> الذي كان يعيش في ذلك الجو الحار ، والذي لم يكن بوسعه القيام بالنزهة إلا على مسافة بضع مئات من الياردات حول القنصلية نظراً لحالة القلق العام الذي كان يخيم على المدينة .(٨٦)

وقد عرض الوكيل السياسي البريطاني المصاعب التي كان ذلك الوضع ينطوي عليها في العبارات التالية :

> ١ – لقد كان الثوار قابضين على زمام الموقف باحتلالهم وادي سمايل وحصن سمايل اللذين كانا ضروريين لازدهار مسقط التجاري .
>
> ٢ – لقد اكتسبت الثورة طابعاً دينياً وأخذ الإمام ينادي بالجهاد . أضف إلى ذلك أن قواتنا قتلت عدداً كبيراً من الثوار في هجوم يناير الفاشل ، الأمر الذي أثار شعوراً من الاستنكار من الصعب تهدئته .
>
> ٣ – إن عرض منح على القبائل قد لا يكون فيه إغراء قوي إذ أن الإمام قد يمنعه التحرج الديني من قبول أية منحة ، كما أن الزعيمين الآخرين يتمتعان بدخل طيب بفضل مركزهما الحالي واستيلائهما على بعض أراضي الدولة في الداخل .
>
> ٤ – إن خفض قوة الحامية إلى مستواها الطبيعي سيترك السلطان بدون أي سند إذ أن سفن صاحب الجلالة لم تكن زمن الحرب على بعد بضع ساعات عن مسقط ، كما جرى عليه الحال زمن السلم .(٨٧)

٣٢٣ – تردد حمدان بن زايد حاكم أبو ظبي في السنوات الأولى من حكمه في الانضمام إلى معظم الزعماء العرب في الساحل في الإعراب عن صداقتهم لآل سعود ، وقد يعود السبب في ذلك إلى عدم وثوقه وتأكده من مركزه . ولكنه بحلول عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) أخذ يدرك أين تقع مصالحه كما هو مبين في رسالة بعث بها إلى الإمام عبد العزيز في شهر ذي القعدة . وبعد أن يشير إلى « أهل المقاصد » الذين كانت رغبتهم الوحيدة « التفريق بين الأصدقاء أولى الاتحاد خصوصاً

---

(٨٦) هاردنج ، ص ١١٤ .

(٨٧) بل « الحرب العربية » ص ٢٢ .

بيننا وبينكم » يمضى حمدان يقول إن الذى يقع منه الضرر لآل سعود « فهيهات يكن له عندنا ملجأ أبداً » وما زلنا «حاسبين أنفسنا وإياكم شركاء فى السراء والضراء » .[٨٨] واستمرت مثل هذه العلاقات الودية حتى نهاية حكم حمدان ، وظل تبادل الرسائل والهدايا عنواناً للتقدير المتبادل (توجد فى الملحقين ٢ و ٣ رسالتان من رسائل حمدان ، وهناك رسائل أخرى فى محفوظات الحكومة العربية السعودية) . ومما يؤسف له أنه لم يسمح باستمرار مثل هذه الروابط الوثيقة بين الجيران والإخوان العرب حتى الوقت الراهن .

٣٢٤ ــ وأخيراً ، بعد زمن طويل ، أخذ البريطانيون يهتمون بداخل جزيرة العرب ، بيد أن أسلوب رسم السياسة البريطانية فيما يتعلق بالجزيرة قد وصفته جيداً جرترود بل فى رسالة بعثت بها من مقر القيادة العامة فى البصرة بتاريخ ١٣٣٤ هـ (٢٧ إبريل ١٩١٦ م) :

> إن تنسيق السياسة العربية وخلق خطة عربية كان يجب القيام به فى لندن ، ولا يمكن أن يتم ذلك بنجاح إلا فى لندن . ولا يوجد هناك من يقوم بذلك ، كما أن أحداً ما لم يفكر فى ذلك ، وترك الأمر لجماعتنا فى مصر لكى يضعوا ــ إزاء معارضة عنيفة من الهند ولندن ــ خطة شاملة نوعاً ما ستشكل فى النهاية ، فى اعتقادى ، أساس علاقاتنا مع العرب . وهذا يكفى بالنسبة للسياسة الآن . ولكن عند ما يتحدث الناس عن التخبط فإن ذلك يثير مشاعرى التخبط . . . نعم إننا نفعل ذلك ونخوض بحراً من الدموع والدماء التى ما كان يجب أن تراق .[٨٩]

٣٢٥ ــ قام عبد العزيز آل سعود بزيارة قصيرة إلى البصرة فى عام ١٣٣٥ هـ (نوفمبر ١٩١٦ م) ، وكانت المرة الأولى التى يسافر فيها خارج نطاق جزيرة العرب . ووصف السر أرنولد ولسون الانطباع الذى خلفه فقال :

---

(٨٨) رسالة حمدان بن زايد إلى الامام عبد العزيز آل سعود بتاريخ ٢٠ ذى القعدة ١٣٣٣ (نحو ٢٩ سبتمبر ١٩١٥ م) .

(٨٩) الليدى بل « كتب جرترود بل » (١٩٢٧ م) مجلد ١ ، ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥ .

ها هنا رجل غير حديث عهد بالملك لا يعتمد على أسلحة البريطانيين فى سلامته ولا على الذهب البريطانى فى مركزه .[٩٠]

٣٢٦ — وفى خلال الحرب العالمية الأولى ، أعدت الحكومة البريطانية دليلا وضعه القسم الجغرافى فى إدارة المخابرات البحرية للأميرالية تحت إرشاد الكوماندر هوجارث « المرجع البارز والمعترف به فى الشئون العربية » و « الساعد الأيمن للحكومة البريطانية فى سائر الأمور المتعلقة بجزيرة العرب ».[٩١] وذلك لأن الحكومة البريطانية شعرت بالحاجة إلى استعراض للأوضاع فى جزيرة العرب يكون أكثر شمولا من أى استعراض آخر موجود فى ذلك الحين . وقد بذل مجهود خاص لجمع المعلومات عن داخل جزيرة العرب ، وهو الإقليم الذى كان البريطانيون منذ زمن يشيحون بأنظارهم عنه عامدين . وقد وضع المجلد الرئيسى لدليل الأميرالية فى متناول الرجال الرسميين فى عام ١٣٣٤ (١٩١٦ م) وفى متناول الجمهور فى ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) . وفى القسم الذى يكون مقدمة المجلد ، توجد نظرة عامة للأوضاع السياسية فى الجزيرة :

وإذا اعتبرت مناطق الأمراء الخاضعين للنفوذ أو الحماية ، تابعة للدول التى يخضعون لنفوذها بالفعل ، فبالامكان تقسيم شبه الجزيرة سياسياً إلى ثلاث مناطق رأسية ، وسطاها أكبر مرتين من الاثنتين الأخريين مجتمعتين ، وهى مستقلة من أقصاها إلى أقصاها . أما عن المنطقتين الخارجتين ، فإن تلك القائمة على الجانب الغربى هى بريطانية فى أقصى الجنوب ، وكانت حتى مؤخراً عثمانية فى مجموعها باستثناء دولة مستقلة فى عسير الجنوبى ، فى حين أن المنطقة القائمة فى الجانب الشرقى هى بريطانية فى الشمال والجنوب (الكويت والبحرين وعمان الساحلية) ومستقلة فى بقية أجزائها باستثناء المدى الذى يتوصل إليه النفوذ البريطانى فى ساحل القرصنة وقطر ، وفى حالة ما إذا تمكن سلطان مسقط الواقع تحت الحماية من تحويل ادعاءاته فى عمان الداخلية إلى حقيقة واقعة .[٩٢]

---

(٩٠) السر ارنولد ولسون « الولاء ، العراق ١٩١٤ — ١٩١٧ » (١٩٣٠ م) ص ١٦٠ .

(٩١) فلبى « الربع الخالى » (١٩٣٣ م) ص ١٨ من المقدمة .

(٩٢) « دليل الاميرالية » ، مجلد ١ ، ص ٢٩ — ٣٠ .

وبالإمكان مقابلة هذا بالقسمة التى وردت فى الاتفاقية الإنكليزية التركية فى عام ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) التى لم يصدق عليها ، والتى اعتبر بموجبها أن الجزيرة تتكون من منطقتين رأسيتين فقط ، إحداهما تابعة للدولة العثمانية والأخرى خاضعة لنفوذ الإمبراطورية البريطانية . وهكذا بعد أن مرت ثلاث سنوات فقط على الخطوة الأولى من توقيع الاتفاقية ، أخذ الخبراء البريطانيون يفضلون النظر إلى حقائق هذه المسألة وإيداع هذه الوثيقة التى لم تر النور فى سجل النسيان .

٣٢٧ – وإن « دليل الإمبرالية » ليتكلم فى لهجة الواثق ، مثل ما فعل لوريمر ، فى موضوع إقليم البريمى (الفقرة ٣٠٨ السابقة) . وترد الفقرة التالية تحت عنوان « عمان المستقلة » :

> هناك رقعتان صغيرتان مستقلتان بين سلطنة عمان و عمان الواقعة على ساحل الصلح لم يسبق لسلطان عمان أن ادعى بهما قط . . . (٩٣)

وقد ذكر أن هاتين الرقعتين المستقلتين هما « ١ – الجو وواحة البريمى » و « ٢ – محضة » مقر قبيلة بنى كعب.(٩٤) ولم ينسب الخبراء البريطانيون فى شئون بلاد العرب عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) أى جزء من البريمى لأبو ظبى ، ونلفت النظر بصفة خاصة إلى التأكيد بأنه « لم يسبق لسلطان عمان أن ادعى قط » برقعة البريمى أو رقعة محضة . ويذكر الدليل فى مكان آخر أن الحدود البرية للسلطنة « فى ا الجانب المواجه للبريمى ، الواقعة فى رقعة الجو ، يمكن أن يقال إنها تقع عند خط قمم الجبال بين ذلك المكان (أى البريمى) وساحل خليج عمان ».(٩٥) وبعد تكرير رأى لوريمر من أن حكومة السلطان « تفتقر

---

(٩٣) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٨١ .
(٩٤) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ .
(٩٥) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٣٧ .

إلى النظام والكفاءة ، وكانت سلطة السلطان خارج منطقتى مسقط والباطنة دائماً واهية أو مجرد اسمية ».[٩٦] (قارن بالفقرة ٣٠٩ السابقة) يمضى الدليل فيقول :

> إن سلطة السلطان فى الوقت الحالى مقصورة على عاصمته والساحل وإن داخل عمان والغرب والشمال منها ، أو بعبارة أخرى القسم الأكبر من السكان ، لا يعترفون بسلطته ، ويعيشون مستقلين عنه بالفعل ، تحت زعمائهم . وهم يدعون أن هناك اعتباراً دينياً لاتخاذ هذا الموقف . فإن لقب السلطان فى هذه الأيام هو السيد وليس الإمام . وإن طوائف الاباضية السائدة فيما بين سكان عمان تمنح هذا اللقب الأخير لحكامهم لا على أساس أنه حق لهم وإنما على أساس كونهم ذوى مؤهلات دينية استثنائية .[٩٧]

وذكر مؤلفو الدليل لمن يعود الفضل فى الحيلولة دون سقوط السلطان وأسلافه عن العرش :

> وفى الواقع أنه لم يتمكن أى سلطان لعدة أجيال من تأسيس سلطته أو المحافظة عليها دون مساعدتنا .[٩٨]

وفى مجال وصف الظفرة لا يقدم الدليل شيئاً[٩٩] لم يسبق للوريمر أن أورده (الفقرة ٣٠٧ السابقة) . وظل الرحالة البريطانيون مبتعدين عن عدة أجزاء داخلية فى هذا الجانب من جزيرة العرب ، فمثلا يعترف الدليل فيما يتعلق بداخل قطر أن شبه الجزيرة الصغيرة هذه قد « عبرها مرة واحدة أوربى واحد فقط (برخارت) »[١٠٠] وقد كان برخارت ألمانياً .[١٠١]

---

(٩٦) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٥ . يلاحظ أن عبارة « هى إما » التى أوردها لوريمر قد تغيرت فى الدليل إلى « كانت دائماً » .

(٩٧) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

(٩٨) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .

(٩٩) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٨ .

(١٠٠) « دليل الاميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٢٦ .

(١٠١) هرمان برخارت «رحلة فى شرق الجزيرة من البصرة لمسقط » مجلة الجمعية الجغرافية فى برلين مجلد ٤١ (١٩٠٦ م) ص ٣٠٥ — ٣٢٢ .

٣٢٨ – ويضم دليل الأميرالية فقرة لها بهذا الموضوع علاقة وثيقة عن معنى الزكاة فى سلطنة مسقط :

> إن دخل السلطنة ، إلى جانب المساعدة السنوية من حكومة الهند ، مستمدة فى أكثره من العشور ، وهى ما يطلق هناك على الرسوم الجمركية التى تفرض على جميع البضائع المستوردة بنسبة خمسة فى المائة من القيمة ، وهو أقصى ماتسمح به المعاهدة ، وأما موارد الدخل الفرعية فهى الزكاة وبيت المال . وإن الكلمة الأولى تعنى لدى تطبيقها فنيا الضريبة التى تفرضها الشريعة الإسلامية على الممتلكات الزراعية والمنقولة ، ولكنها تعنى هنا ضريبه تصدير تسمح الحكومة البريطانية باستيفائها بنسبة خمسة فى المائة من القيمة بدلا من الزكاة الحقيقية . وقد منح هذا الامتياز بسبب عجز السلطان عن تحصيل الزكاة فى المقاطعات البعيدة عن الساحل(١٠٢) .

وقد نربط هذا الكلام عند قراءته بمحاولة فى عام ١٩٥٥ م ، ستوصف فيما بعد ، قام بها مندوب لسلطان مسقط لتحصيل الزكاة من سكان الظاهرة ، وهى ما قد يعتبره البريطانيون من « المقاطعات البعيدة عن الساحل » .

٣٢٩ – إن وضع أبو ظبى بالنسبة للمشيخات الأخرى على ساحل الصلح عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) منوه عنه فى دليل الأميرالية الذى يقدر عدد سكان دبى بأنه أكبر بثلاثة أضعاف من عدد سكان بلدة أبو ظبى(١٠٣) ويصف الشارقة بأنها « أهم تلك الامارات » .(١٠٤)

٣٣٠ – وهناك تقارب فى الأقوال يدعو إلى الاهتمام ، وقد لا يكون مقصوداً :

> فى عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) كان هناك خوف معين وخصوصاً فى أبو ظبى من أن أمير نجد المنتصر قد يمتد بفتوحاته حتى جانب عمان . وقد يزداد فى أى وقت من الأوقات عدد رؤساء الساحل الذين تعترف بهم بريطانيا العظمى .(١٠٥)

---

(١٠٢) « دليل اميرالية » مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .
(١٠٣) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٧ و ٣٣٩ .
(١٠٤) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٤٠ .
(١٠٥) « دليل الأميرالية » مجلد ١ ، ص ٣٣٦ .

٣٣١ – وكتب اللورد كرزن ، فى إحدى نوبات الصراحة التامة التى اتسم بها ، إلى السر برسى كوكس فى عام ١٣٣٥ هـ (٢٢ يناير ١٩١٧ م) يقول :

> . . . لقد قمتم بكل نبل بالمهمة التى وكلتها اليكم منذ ثمانية عشر عاماً . . . لقد جعلت من نفسك ملكاً على الخليج . وعندما تنتهى الحرب فسوف تعزز تلك المملكة ونعمل على ألا يقوم أحد بانتزاع هذا التاج منكم . (١٠٦)

ويجب ألا يغرب عن البال أن هذا كان كلام وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية إلى الموظف البريطانى المسئول فى الدرجة الأولى عن معالجة الشئون السياسية فى الخليج الفارسى والعراق .

٣٣٢ – وقامت وزارة الخارجية البريطانية بإعداد سلسلة من الكتب التى يشار إلى كل منها عادة باسم « دليل الصلح » تحت إشراف الشعبة التاريخية فيها كيما يسترشد بها المندوبون البريطانيون فى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس عقب الحرب العالمية الأولى . ويحتوى الدليل المعنون « جزيرة العرب » الصادر فى ١٣٣٨ هـ (يناير ١٩٢٠ م) على الفقرة التالية المتعلقة برؤساء الخليج الفارسى بما فيهم سلطان مسقط ومشايخ الساحل :

> إن جميع هؤلاء الرؤساء قد وقعوا الآن تحت السيطرة البريطانية لدرجة أنه بالرغم من قلة التدخل فى الشئون الداخلية لاماراتهم ، فإنهم خاضعون لنا فى جميع الشئون المتعلقة بعلاقاتهم الخارجية ، كما أنهم يحتفظون إلى مدى بعيد بعائلاتهم الحاكمة وبسلطتهم بفضل اتحادهم معنا فقط . ولم يحكم قط أى منهم حكماً فعلياً فى أية منطقة كبيرة . وحتى سلطة سلطان مسقط تفقد فعاليتها على مسيرة يوم واحد من ساحل عمان . وتنعدم هذه السلطة فى المساحة الطويلة الجنوبية الغربية التى يدعى بها . (١٠٧)

وتصف فقرة أخرى سلطنة مسقط بتفصيل أكثر مؤكدة بوجه خاص التناقض بين « السيادة التى تعترف بريطانيا العظمى بها رسمياً والسيادة التى يعترف بها فى البلاد نفسها » :

---

(١٠٦) الكلمات المحذوفة كما أوردها جريفز فى « حياة كوكس » ص ٢٣١ .

(١٠٧) دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب » (١٩٢٠ م) ص ٢٢ .

عمان : سلطنة مسقط

فى عمان نفسها التى يمكن أن تكون من الناحية التجارية – ولو أنها ليست كذلك بالفعل – أهم الأقاليم فى جزيرة العرب بعد اليمن ، نجد مشكلة سياسية معقدة . ولا يوجد فى مكان آخر من جزيرة العرب تناقض أعظم من التناقض القائم بين السيادة المعترف بها رسمياً من قبل بريطانيا العظمى والسيادة المعترف بها فى البلاد نفسها ، وهو التناقض الذى يقوم بين الادعاء بالحكم و بين ممارسته . إن سلطان مسقط (أو السيد) يدعى بأنه سيد على جميع أراضى عمان باستثناء مشيخات ساحل الصلح التى سبق بحثها ومقاطعتين فى الشمال صغيرتين نسبياً ومنعزلتين هما واحتا البريمى ومحضه . وباستثناء هذه المناطق يشمل ادعاؤه جميع المناطق المأهولة فى الجنوب الشرقى من جزيرة العرب و يضاف إلى ذلك رقعة طولها ٥٠٠ ميل على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب وهى تشمل منطقة ظفار . الا أنه فى الواقع لا يسيطر على أى شيء فيما وراء المنطقتين الساحليتين لمسقط والباطنة . أما سائر الأماكن الأخرى فإن القاعدة فيها هى الاستقلال الفعلى منذ أن أسس آل بو سعيد الحاليون أسرتهم المالكة باستثناء بعض الفترات النادرة ومنذ عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) كان ذلك واضحاً نتيجة قيام أهل الداخل الجنوبى بإنشاء أمامة منتخبة أبرزت معالم هذا الاستقلال . إن العائلة الحاكمة الوراثية فى مسقط لم يسبقها أن أرضت ولا هى ترضى مايتطلبه الأباضيون (وهم فرقة من الخوارج) من أن السيد الأعلى السياسى يجب أن يكون أيضاً الزعيم الروحى أو الإمام ، وأنه بما أن الأخير يجب أن يكون رجلا ذا مؤهلات دينية ممتازة فلا يمكن أن يأتى بالوراثة بل يجب أن ينتخب لهذا المنصب . ويشكل الأباضيون غالبية سكان عمان ويحتلون الأقاليم الجنوبية الغنية والأكثر اكتظاظاً بالسكان ، لا تنافسهم فى ذلك فرقة أخرى أما الأقاليم الشمالية فأهلها سنيون بشكل غالب ولو أنهم يمتازون بطابع « تحفظى » متزمت ، الأمر الذى جعل بعض العناصر من أولئك السكان تتقبل الوهابية ، غير أن بينهم أيضاً أباضيين (١٠٨)

وحتى لا يسيء المندوبون البريطانيون فى مؤتمر الصلح فهم المشاعر الحقيقية لأهالى إمامة عمان تجاه سلطان مسقط فإن الدليل يمضى إلى القول بأن احتقارهم له :

---

(١٠٨) « دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب » ص ٣٥ – ٣٦ .

قد قواه مشهد السادة المتعاقبين (الذين كان الأباضيون دائماً يحرمونهم من لقب الإمام) وقد نزلوا إلى مضمار الاتصال بالأجانب والمسيحيين والاعتماد عليهم . وأقاموا لهم إماماً أباضياً يعترف بسلطته فى سائر البلاد الداخلية لمسقط ومطرح بما فيها الرستاق وسائر المناطق الجنوبية باستثناء عدد قليل من النقاط الساحلية التى تحتلها فصائل من قوات السلطان . ولا يحول دون قيام هذا الإمام بالتمركز فى عاصمة السلطان سوى الحاجز الذى تشكله القوة الهندية المعسكرة فى بيت الفلج قرب مطرح . (١٠٩)

وإنّ طابع عدم الاستقرار الأساسى فى مشيخات ساحل الصلح لتبينه الفقرة التالية :

إن الرؤساء الخمسة فى «ساحل القرصنة» أو «عمان المتصالحة» يتغيرون بسرعة فائقة ، فمعدل العمر فى مجتمعهم قصير . وإن سلطتهم – بالنسبة لعلاقة بعضهم مع بعض والسلطان عمان نفسها الواقعة وراءهم جميعاً والتى لها معهم علاقات إقليمية غير محددة – تعتمد على الشخصيات الحاكمة أكثر من اعتمادها على سياسة عمان المتقلبة . ولذلك فإننا لا نجنى فائدة كبيرة من بحث توزيع سلطتهم الفعلية أو قيمة الادعاءات الإقليمية لكل منهم . (١١٠)

وتوصف مطامع أبو ظبى الإقليمية كما يلى :

... إن أبو ظبى تدعى بمناطق كبيرة فى شمالها الغربى تمتد إلى خور العديد وتشمل جميع ما يقع بين ساحل الخليج والصحراء الكبرى . ولكن هذا اقليم هزيل ليس له أهمية اجتماعية أو سياسية . (١١١)

ولم تر الحكومة البريطانية من المناسب أن تولى هذا «الإقليم الهزيل» «أهمية سياسية» إلا فى غضون الخمس والثلاثين سنة المنصرمة .

٣٣٣ – وقد اغتيل الامام راشد بن سالم الخروصى فى ١٣٣٨ هـ (يوليو عام ١٩٢٠ م) ، إذ قتله بدوى لحزازة خاصة . وكانت الامامة إذ ذاك

---

(١٠٩) «دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب» ص ٣٦ – ٣٧ .
(١١٠) «دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب» ص ٣٤ .
(١١١) «دليل الصلح رقم ٦١ : جزيرة العرب» ص ٣٤ – ٣٥ .

قد توطدت فى عمان بدرجة جعلت انتخاب الخليفة يتم فى سرعة وهدوء ، وكان الإمام الجديد هو الشيخ محمد بن عبد الله الخليلى حفيد العلامة الدينى الشهير الذى لعب دوراً بارزاً فى الحركة التى أدّت إلى إحياء الإمامة فى القرن التاسع عشر (الفقرة ١٦٩ السابقة) . ومرة أخرى لم يعمل أحد حساباً لامكان ترشيح أى فرد من آل بو سعيد فى مسقط .

٣٣٤ – وفى أوائل عام ١٣٣٩ هـ (٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م) وقعت حكومة سلطان مسقط وممثلو أهالى عمان معاهدة السيب ، وكان ذلك على ساحل الباطنة بتوسط الوكيل السياسى البريطانى ونجيت . وكان رئيس مندوبى أهالى عمان الشيخ عيسى بن صالح الحارثى وهو صديق حميم ومناصر قوى للإمام الجديد محمد الخليلى . وقد عملت كل من الحكومة البريطانية وحكومة سلطان مسقط جاهدتين على تحاشى نشر نص المعاهدة . وذكر فى عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الكابتن اكلز وهو ضابط بريطانى قضى زمناً طويلا فى خدمة السلطان (قارن بالفقرة ٣٤٥ اللاحقة) ما يلى :

> . . . لقد وقعت معاهدة بين مسقط والشيخ عيسى ، وهى اعتراف فعلى باستقلاله . . .[١١٢]

ويقول تقرير أعد لوزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٥٠ :

> فى الحقيقة أن قبائل الداخل يعتبرون أنفسهم بموجب معاهدة السيب (عام ١٩٢٠) مستقلين تماماً من سلطة السلطان ، الأمر الذى توحى به مطالعة نصوص المعاهدة ، ولو أن المقصود ، دون شك ، لم يكن يتجاوز منح شيء من الحكم الداخلى .[١١٣]

٣٣٥ – إن اعادة تأسيس الإمامة قد قاد البريطانيين إلى التدخل فى شئون سلطنة مسقط أكثر من ذى قبل . فابتداء من عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)

---

(١١٢) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ٢٤ .

(١١٣) « مذكرات عن قبائل سلطنة مسقط وعمان » ص ١ .

احضروا حامية من العساكر الهنود عسكرت بالقرب من مسقط ، وكان ذلك السبيل الوحيد للحيلولة دون وقوع العاصمة فى يد أهالى عمان الثائرين . كما وجدوا من الضرورى بعد الحرب العالمية الأولى أن يتخذوا خطوات أخرى للابقاء على هذه الحكومة التى تفتقر إلى « النظام والكفاءة » (قارن بالفقرة ٣٢٧ السابقة) :

ولكن الصراع المهلك الذى رافق سنوات الثورة وما تلا ذلك من فوضى واضطراب ، كل ذلك أدى إلى اتخاذ خطوة استثنائية لإزالة المساوىء التى يعتبر وجودها مطعنا فى الارتباط مع بريطانيا ، ثم لإعادة تنظيم الإدارة السلطانية . وقد تمت هذه الخطوة على صورة قرض من حكومة الهند لتصفية ديون الدولة ولتنظيم قوة مجندة يرأسها ضابط بريطانى منتدب وكذلك أصلحت المحاكم القانونية وأسس مجلس للدولة يستطيع أن ينوب عن السلطان فى غيابه كما طلب إلى الحاكم أن يستعين بصورة موقتة بخدمات وزير بريطانى . (١١٤)

وعلى الرغم من أنه أشير فى عام ١٣٥٧ (١٩٣٨ م) إلى أن الاستعانة بوزير بريطانى جرت « بصورة موقتة » إلا أنه لا يزال ثمة وزير بريطانى فى حكومة السلطان فى عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) . وقد شرح وظيفة الوزير المستر برترام توماس الذى شغل المنصب من عام ١٣٤٣ إلى عام ١٣٤٩ هـ (١٩٢٥ — ١٩٣٠ م) عند ما كان يصف رحلةً قام بها السلطان تيمور ابن فيصل فى الباطنة . وقد وصل عدد من البرقيات المتعلقة بأعمال الدولة ، والظاهر أنها كانت باللغة الإنكليزية ، حيث يقول توماس إنه كان عليه أن يترجمها :

وقد وقع عبء الترجمة على عاتقى ، ولكن تقطب حاجبى ، أو علامة أخرى لاحظها على ، أقامت السلطان على قدميه ليسألنى قائلا « ما هو الموضوع ؟ وماذا

---

(١١٤) برترام توماس « الحكم العربى تحت آل بو سعيد فى عمان ١٧٤١ — ١٩٣٧ » (١٩٣٨ م) ص ٢٦ — ٢٧ .

حدث ؟ » لقد طرأ موقف خطير فى جزء آخر من أملاك عظمته . وكانت قوادر على ساحل مكران هى المسرح الجديد للاضطرابات والقلاقل .(١١٥)

وعند ما سمع السلطان النبأ ، التفت إلى وزيره البريطانى ، طبقاً لكلام توماس ، ليستفسر عما ينبغى عمله :

وكان السلطان مشغول البال فى شكل ظاهر وكان ينتظر منى أن أتكلم . لقد بلغ النبأ ، فهل علينا أن نلغى رحلتنا على ظهور الجمال ؟ وهل يجب أن نرسل قوات من بيت الفلج ؟ وهل ينبغى أن أعود أنا شخصياً وأتوجه إلى قوادر ؟ (١١٦)

٣٣٦ — وفى عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) كانت الحكومة البريطانية تزداد اهتماماً بامكان استثمار الموارد الطبيعية فى جزيرة العرب ومن بينها الزيت . وقد دلت دراسات الجيولوجيين والعمليات الناجحة التى قامت بها شركة النفط الإنكليزية الفارسية على أنه من المحتمل أن تكون منطقة الخليج الفارسى مصدراً من أكبر مصادر البترول فى العالم . وخلال ١٣٤٠ هـ (النصف الأول من ١٩٢٢ م) أمكن الحصول على تعهدات من ستة من رؤساء ساحل الصلح أحالوا بموجبها إلى الحكومة البريطانية حق الإشراف على منح امتيازات الزيت فى أراضيهم . وكان التعهد الذى وقعه شيخ أبو ظبى ٣ مايو مشابهاً فى مادته للتعهد الذى أعطاه شيخ دبى ، ونصه كما يلى :

لا يخفى عليكم أننا نوافق ، فى حالة توقع وجود الزيت فى أراضينا ، على عدم منح أى امتياز فى هذا الشأن إلى أى أحد الا الشخص الذى تعينه الحكومة البريطانية السامية .(١١٧)

والزيت لا يوجد دائماً بالقرب من الساحل . فكان لا بد أن يؤدى الاهتمام به ، إذا توبع بإصرار ، إلى زحزحة الحكومة البريطانية عن سياستها القديمة

---

(١١٥) براترام توماس « مخاوف ورحلات فى بلاد العرب » (١٩٣١) ص ١٣٧ .

(١١٦) براترام توماس « مخاوف ورحلات فى بلاد العرب » ص ١٣٧ .

(١١٧) الترجمة الانكليزية فى كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٢٦١ . ولا يورد أيتشيسون ترجمة لتعهد أبو ظبى .

فى تحاشى التدخل فى الشئون الداخلية لجزيرة العرب . وفى ذلك الوقت كان موقف بريطانيا كما وصفه البريجادير لونجريج فى الفصل الذى كتبه عن « البداية فى جزيرة العرب » هو

. . . أن قيام دول أو مصالح أجنبية بغزو هذا العالم المتأخر الحساس ، لهو أمر ليس من المحتمل أن يقابل بالترحاب . [١١٨]

وإن مطابقة هذا الموقف للسياسة البريطانية العامة فى استغلال مصادر الزيت فى هذا الجزء من العالم ، لتتجلى فى بند من بنود اتفاقية سان ريمو وهو ينص على أن « كل شركة زيت يهمها استثمار حقول الزيت العراقية ينبغى أن تكون تحت الإشراف الدائم لبريطانيا » . [١١٩]

٣٣٧ – وقد قتل حمدان بن زايد شيخ أبو ظبى فى ١٣٤٠ هـ (عام ١٩٢٢ م) بيد أخيه المحبوب سلطان الذى هو والد الحاكم الحالى . [١٢٠] ويصف ذلك العمل اللفتننت كولونيل السر لايونل هيورث الذى عمل معتمداً سياسياً بريطانياً فى الخليج الفارسى بعد ذلك بسنوات ، فيقول :

. . . . ودعاه أخ له إلى العشاء . وعندما غادر الشيخ الدار عقب العشاء تبعه أخوه حتى أسفل الدرج ، وبعد أن أطلق الرصاص عليه باستهتار من الخلف ، تولى الحكم فى مكانه . [١٢١]

٣٣٨ – والآن وقد انتهى من أمر حكام الساحل فيما يتعلق بتدابير استثمار الزيت ، لم يمض وقت طويل حتى أضيف إلى صفهم سلطان مسقط . فى كتاب أرسله السلطان إلى القنصل البريطانى فى مسقط فى أواسط عام ١٣٤١ (١٠ يناير ١٩٢٣ م) نجده يقول :

---

(١١٨) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » (١٩٥٤ م) ص ٩٩ .

(١١٩) الفريد بونيه « الدولة والاقتصاد فى الشرق الأوسط » (١٩٤٨ م) ص ٢٨٨ .

(١٢٠) ذكر حمدان اسم سلطان فى الكتاب الوارد فى الملحق ٢ .

(١٢١) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

نحيط فخامتكم علماً ، ردا على كتابكم رقم ١٧٥١ المؤرخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ أننا نوافق على ألا نستثمر أى بترول قد يوجد فى أى مكان من أراضينا ولن نمنح إذنا باستغلاله دون استشارة الوكيل السياسى فى مسقط ودون موافقة حكومة الهند السامية. وأن ماسمعناه عن وجود معدن الزيت فى أراضينا عند مصيرة لم يثبت بعد . وقد أخذنا فى التحقيق عن وجود هذا المعدن وبعد أن نعلم عن ذلك سوف تجرى مباحثة بين فخامتكم وبيننا لاستثماره ولاتخاذ الخطوات وترتيبات العمل والشروط اللازمة. وسوف يكون ذلك احتكاراً بالطبع . إننا نؤمن بالمساعدة الكاملة من جانب حكومة الهند السامية فى هذا الموضوع الهام كما ساعدتنا دائماً فى الماضى — ونحن لها لذلك شاكرون .[١٢٢]

٣٣٩ — وقضى الميجر تشيزمن الذى كان على صلة وثيقة بالسر برسى كوكس مدة طويلة ، عدة أسابيع فى إقليم الحسا ، وذلك خلال عام ١٣٤٢هـ (الجزء الأخير من عام ١٩٢٣ م وأوائل عام ١٩٢٤ م) ، سنحت له فى غضونها فرصة لم يسبق لاى مراقب بريطانى أن حصل عليها قبله للتعرف على أعمال الحكومة السعودية فى ممتلكاتها الشرقية ، والاسلوب الذى كانت تكيف نفسها فيه طبقاً للظروف الخاصة الناشئة عن الأحوال المحلية ولرغبات الأهالى وحاجاتهم. ويتلخص انطباعه العام عن الوضع فى عبارته «حكم ابن سعود الرائع» .[١٢٣]

٣٤٠ — ومنح سلطان مسقط عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥ م) شركة دارسى للتنقيب — وهى شركة تملكها كلها شركة النفط الانكليزية الفارسية التى تملك الحكومة البريطانية معظم أسهمها — امتيازا «للتنقيب فى أراضيه عن الغازات الطبيعية والزيت والاسفلت والأوزوكرايت» .[١٢٤] وقام الجيولوجيون التابعون لشركة دارسى فيما بعد بأعمال الاستكشاف فى هذه الأراضى :

---

(١٢٢) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣١٩ .

(١٢٣) تشيزمن «فى مجاهل جزيرة العرب» (١٩٢٦م) ص ١٥ . يمكن مقارنة فكرة تشيزمن مع التعليقات الحسنة التى أبداها الدكتور بول هاريسون الطبيب الأمريكى الذى عرف جزيرة العرب فى ذلك الوقت (الفقرتان ٤٩و٥٠ من الفصل السادس فيما بعد) .

(١٢٤) أيتشيسون « المعاهدات» مجلد ١١ ، ص ٢٨٤ . ويذكر أيتشيسون خطأ أن اسم الشركة هو شركة دارسى للاستغلال .

نظراً لكونهم مقيدين بانعدام الأمن ، وكذلك بوجود حاكم منافس (إمام عمان) فى الداخل ، فقد قاموا بالاستكشاف فى الأراضى الساحلية للباطنة وفى الأجزاء الوسطى من الجبل الأخضر وكذلك فى مقاطعة ظفار البعيدة .وقد جمعوا معلومات قيمة عن التركيبات الارضية فى جزيرة العرب ، إلا أنها لم تنكشف إمكانيات وجود زيت فى ذلك الوقت .[١٢٥]

وقد تنوزل عن امتياز دارسى بعد ذلك ببضع سنين .

٣٤١ – وفى عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) نشبت الحرب بين عبد العزيز آل سعود وبين الحسين بن على الذى كان يعتبر – عندما كان شريفا لمكة ثم عندما أصبح بعد ذلك ملكاً للحجاز – أقوى خصم فى جزيرة العرب للدعوة إلى التوحيد ولآل سعود . ومع أن معظم الخبراء العسكريين فى الغرب كانوا يتوقعون حصول قوات الحسين على انتصار سهل إلا أن عبدالعزيز قد حيرهم حيرة تامة . ودخلت قواته مكة المكرمة ، وتنازل الحسين عن العرش بعد ذلك بمدة قصيرة . هذا وثبت على بن الحسين وأعوانه فى جدة والمدينة المنورة بعض الوقت غير أن هذه الأماكن مع بقية الحجاز دخلت فى نطاق الدولة السعودية عام ١٣٤٤ هـ (أواخر عام ١٩٢٥م) .

٣٤٢ – أتاح الانتصار النهائى على الملك الحسين الفرصة للحكومة السعودية لأن تولى الأراضى الشرقية اهتماماً أكبر عن ما كان ممكنا لها حتى ذلك الوقت . وفى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) أوفد سعيد آل فيصل وهو من الأتباع المخلصين لآل سعود إلى البريمى لاستعراض الحالة هناك ولاقامة علاقات أوثق بين الحكومة المركزية ورؤساء نعيم الذين كانوا يصرفون الأمور نيابة عنها . وقد وجد سعيد أن الأمور فى الاقليم كانت تدار بشكل يدعو إلى الارتياح التام وهو قائم على أساس التنظيم القبلى القديم بحيث لم تكن هناك حاجة لتعيين موظف مقيم . وقد قام سعيد خلال مدة إقامته فى البريمى بجمع الزكاة المعتادة من سكان الواحة ومن القبائل البدوية فى المناطق المجاورة . وجرى تنفيذ حكم الاعدام بأحد المجرمين

---

(١٢٥) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ١٠١ .

فى السوق العامة فى بلدة البريمى (الملحق ١٠٨) . وكان كل من زايد الهاجرى وقد توفى فيما بعد ، ومحمد بن منصور ، من بين الموظفين السعوديين الذين زاروا المنطقة فى مهمة مماثلة خلال السنوات التى تلت ذلك (الملحقان ١٠٩ و ١١٠)

٣٤٣ – وإذ لم يتضح القصد تماما من أعمال جماعة الموظفين السعوديين برئاسة سعيد آل فيصل فى البريمى ، فقد سبب ذلك بعض المخاوف فى إمامة عمان ؛ فقاد الإمام بنفسه قوة توجهت إلى الظاهرة واحتل بلدة عبرى الواقعة على طرف الإقليم غير أن الإمام عاد وحد من تقدمه بعد أن قدر الوضع عن قرب الحالة تقديراً أكثر واقعية . فقد كان على علم بأن أهل الظاهرة ليسوا من الأباضيين وأنهم يعتبرون أنفسهم رعايا سعوديين ، وبذلك فليست هناك وسيلة يمكن بها ربطهم بالإمامة إلا الاكراه . أضف إلى ذلك ، أنه عندما تناهت إلى أسماع زعماء نعيم أخبار تقدمه بعثوا –حسبما ذكر الضابط البريطانى الذى كان يقود قوات سلطان مسقط – « برسول إلى ابن جلوى ، نائب ابن سعود فى الحسا ، يطلبون المساعدة بالسلاح والرجال ضد الشيخ عيسى (القائد العسكرى لقوات الإمام)» .(١٢٦) وإذ تراءى للإمام أن السياسة الحكيمة التى يتعين عليه أن يتبعها يجب أن تقوم على أساس تنمية الصداقة مع الدولة السعودية ، تخلى عن الحملة وانسحب إلى عاصمته ، تاركاً وراءه والياً فى عبرى التى ظلت المركز الرئيسى للإمامة فى هذه الجهة حتى قامت قوات سلطان مسقط بالاستيلاء عليها عام ١٩٥٤ م .

٣٤٤ – لم يوافق بعض أفراد آل بو فلاح على قيام سلطان بن زايد باغتيال أخيه حمدان (الفقرة ٣٣٧ السابقة) ، وقد وجدوا فرصة فى صيف عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) للأخذ بالثأر . فأطلق صقر وهو ولد آخر من أولاد زايد

---

(١٢٦) الكابتن أكلز ، فى مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ٣٦ .

النار على أخيه سلطان وقتله . وقد وصف السر لايونل هيورث الذى أصبح المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج ، هذا العمل بعد مدة ليست طويلة من وقوعه :

> لقد دعا صقر بعد فترة قصيرة الشيخ سلطان للعشاء ، وما أن غادر الشيخ المكان بعد العشاء و بدأ ينزل السلالم ، حتى اغتنم المضيف هذه الفرصة السعيدة فأطلق عليه النار من الخلف وتولى الحكم مكانه . لقد كان هذا الأخ هو الشيخ عندما توليت منصب المعتمد و لم يسبق لى أن رأيت رجلا ارتسمت على وجهه امارات الخوف مثل هذا الرجل لقد أعطيته على الأغلب سنة واحدة ليبقى حياً إلا أنه قد أثبت خطئى ، إذ عاش ثمانية عشر شهراً . (١٢٧)

وفى الوقت الذى وقع فيه الاغتيال ، كان أبناء سلطان فى زيارة للبريمى التى تعتبر مصيفاً محبباً لدى أهالى الساحل ، باعتبارها أكثر جفافاً من المناطق الرطبة قرب البحر . ولجأ الأبناء، بما فيهم شخبوط حاكم أبو ظبى الحالى ، هرباً بحياتهم إلى الأمير عبد الله بن جلوى فى الحسا ومن ثم إلى الملك عبد العزيز فى الرياض .

٣٤٥ ــ وطبقاً للإجراءات البريطانية الجديدة المتخذة لمساندة حكومة سلطان مسقط (الفقرة ٣٣٥ السابقة) ، فقد تولى الكابتن جنرا كلز التابع للجيش الهندى قيادة قوات مسقط خلال أواسط العقد الثانى من القرن العشرين . وبعد أن خدم هناك مدة لا بأس بها من الزمن ، دعى لإلقاء محاضرة فى جمعية آسيا الوسطى (وتسمى الآن الجمعية الملكية لآسيا الوسطى) فى عام ١٣٤٥ هـ (٢٧ أكتوبر ١٩٢٦ م) بلندن . وأشار اكلز فى مستهل محاضرته إلى « واحة البريمى المستقلة » (١٢٨) مردداً بذلك صدى أقوال لوريمر قبل عشرين عاماً، لكن الحالة كانت قد تغيرت فى ناحية واحدة هامة منذ أيام لوريمر إذ أن الدولة السعودية قد

---

(١٢٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

(١٢٨) اكلز « سلطنة مسقط وعمان » مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧ م) ص ١٩.

أصبحت أقوى بكثير مما كانت عليه ، وكان لدى أكلز من صحة التقدير ما ينتظر من ضابط بريطاني فى خدمة مسقط ، لما ينطوى عليه مثل هذا التغيير :

أثار نجاح الوهابيين وقوتهم المتزايدة قلقاً عظيماً خلال السنتين الماضيتين وخاصة عند ما أوفد ابن جلوى أمير الحسا الوهابى ، رسله قبل خمسة عشر شهراً إلى جميع القبائل الشمالية فى عمان يطالب منهم باسم ملكه ابن سعود أن يدفعوا الزكاة . ولا يكاد يكون هناك شك فى أن الوهابيين كانوا يواجهون مهمة جد عسيرة لو تمكنت عمان من توحيد قواها فى مقاومة عنيدة . ولكن كثيراً من قبائل ساحل الصلح كانت وهابية فى شعورها شأنها فى ذلك شأن قبيلة بنى بوعلى الشديدة البأس والقاطنة فى الشرقية وجعلان بينما قد تفضل قبائل عديدة أخرى سيطرة الوهابيين عن سيطرة اتحاد عمان ، فنعيم القاطنون فى البريمى ، مثلا ، أوفدوا رسولا إلى ابن جلوى يطالبون منه أن يمدهم بالرجال والسلاح والمال عند ما تقدم الشيخ عيسى فى ناحيتهم. فليس من العسير إذن أن نرى ما قد كان يحدث لو قام الوهابيون بمحاولة جديدة ضد عمان .(١٢٩)

وأما عن سلطة سلطان مسقط فقد أورد اكلز الملاحظات التالية :

ولذلك سوف نقصر حديثنا على الأراضى التى تدعى حكومة مسقط بالسيادة عليها مع أن القسم الأكبر منها فى الواقع مستقل تمام الاستقلال .(١٣٠) بينما كانت الأسرة الحاكمة الحاضرة تزداد ضعفاً وتميل أكثر فأكثر إلى الاعتماد على المعونة الأجنبية ، ثارت القبائل الداخلية وأقامت منها إماماً . وهكذا تقتصر فى الواقع سلطة السلطان فى الوقت الحاضر على مسقط وعلى رقعة من الشاطىء تمتد إلى الشمال وإلى الجنوب وتستطيع السفن الحربية البريطانية إرهابها .(١٣١)

. . . وكانت مسقط خلال السنوات الماضية فى طريق التداعى . وإنها إذ بقيت حتى الآن قادرة على الوفاء بديونها فإن ذلك تم فى منتهى الصعوبة .(١٣٢)

ويقيم الوالى (والى السلطان فى صور) فى حصنه هناك وليس له شأن بالمرة . ويسيطر على الميناء والمنطقة فى الوقت الحاضر شيخ بنى بو على الذى يجب أن يدعو

---

(١٢٩) اكلز ، ص ٢٣ – ٢٤ .
(١٣٠) اكلز ، ص ١٩ .
(١٣١) اكلز ، ص ٢٣ .
(١٣٢) اكلز ، ص ٢٥ .

نفسه أمير جعلان . وفى المدة الأخيرة كان يكتب إلى الحكومة الهندية يحتج على تسلمه رسائل من الوكيل السياسى فى مسقط ويصر على التراسل مباشرة مع الحكومة على أساس أنه حاكم مستقل .(١٣٣)

وقد وافق السر برسى كوكس فى المناقشة التى تلت المحاضرة كلية على رأى أكلز فى هذا الموضوع فقال :

إن مراسيم السلطان – كما قال الكابتن اكلز – لا يكاد يكون لها أى وزن خارج جدران مسقط .(١٣٤)

وفيما يتعلق بمسقط نفسها فقد عقدنا نحن والفرنسيون والهولنديون والأمريكيون معاهدات مع سلطان مسقط منذ بداية القرن التاسع عشر . ولكن سلطنة مسقط قد تغيرت نوعاً ما منذ ذلك الوقت ، فقد انحصر حكم السلطان فى موانى الشاطىء وكاد يصبح انعدام سلطته فى الداخل أمراً معترفاً به .(١٣٥)

وقد قدم أكلز عرضاً واقعياً للعلاقات بين بريطانيا ومسقط ولمؤهلات آل بوسعيد كحكام فقال :

ولا يكاد يكون هناك أى شك فى أن آل بو سعيد الأسرة الحاكمة كانت تندثر لولا المعونة البريطانية . وقد ارتبطنا منذ عام ١٨٩١ بضمان الحماية فى معاهدة لم تحتو على أى تحديد لوقت انتهائها . ومع أن السلطان الحالى رجل قدير ويستحق الاحترام إلا أنه ضعيف وليس لديه أى طموح . وأفراد عائلته فاسدون ومنحلون باستثناء البعض القليل منهم . ومع أنه يمكن أن نجد فى الفروع البعيدة من هذه العائلة بعض الرجال الأقوياء الذين لم تنهكهم حياة الرفاهية اوالخمول ، إلا أن أفراد هذه العائلة على العموم أضعف من أن يواجهوا موجة من الرأى العام الشعبى كتلك التى دفعت مؤسس العائلة إلى الحكم . ثم إن مبدأ الوراثة الذى ارتبطنا به عند تعهدنا بحماية السلطان وخلفائه غريب على الشعور الأباضى خصوصاً عند ما تفرضه على بلادهم قوة أجنبية وكافرة .

وهكذا فإن تأييدنا لهذه العائلة ضد الرأى العام العمانى بأسره يقضى على كل أمل فى أن يكون هناك بلد متحد تحت رجل قوى يواجه الوهابيين أو أى تعد آخر .(١٣٦)

---

(١٣٣) اكلز ، ص ٢٢ .

(١٣٤) اكلز ، ص ٣٨ .

(١٣٥) اكلز ، ص ٤٠ – ٤١ .

(١٣٦) الكلز ، ص ٢٤ .

وكما أن قول أكلز الأول عن البريمى كان صدى للوريمر كذلك كانت إشارته إلى « تأييدنا لهذه العائلة ضد الرأى العام العمانى بأسره » صدى للحكم الذى أصدره الكوماندر هوجارث بأن بريطانيا العظمى قد ارتبطت بتأييد الحكام من آل بو سعيد ضد أهل عمان (الفقرة ٢٢ السابقة) .

٣٤٦ ـ أشير فى الفقرة السابقة إلى اشتراك السر برسى كوكس فى المناقشة التى تلت المحاضرة التى ألقاها الكابتن أكلز فى عام ١٣٤٥ هـ (أكتوبر ١٩٢٦ م) . وقد تحدث كوكس بإسهاب فى هذه المناسبة . وقد أدلى فى الملاحظات التى ساقها بتصريح جد خطير عن آراء الملك عبد العزيز فيما يتعلق بالأراضى التى تعود إلى آله فى شرق جزيرة العرب ، وهى الأراضى التى يدور عليها النزاع الآن . وقد صدر كلام كوكس عن معرفة لا نظير لها بين الموظفين البريطانيين . وكان ، كما قال بنفسه ، قد بحث هذه الأمور مراراً عديدة مع الملك الذى كان يعرفه شخصياً منذ عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) والذى كان يراسله حتى قبل ذلك التاريخ . قال كوكس :

ذكر اكلز نقطة جد هامة كما أنها دقيقة نوعاً ما وتلك هى نوايا سلطان نجد والحجاز ، ابن سعود ، المحتملة فيما يتعلق بعمان . إن الحاكم الوهابى العظيم كان – ولا يزال – صديقاً عزيزاً لى وقد بحثت معه مطامحه عدة مرات . وقد يهمكم أن أتكلم باختصار عن هذه المطامح . انه يكاد يعتقد أنه محق ، من ناحية المبدأ ، باستعادة أية أراض كانت تتبع لآبائه قبل قرن سواء كانت هذه الأراضى تابعة لهم مباشرة أم انها كانت مجرد « منطقة نفوذ » وقد كانت عمان داخلة فى منطقة نفوذهم . أما البريمى نفسها فقد كانت فى الواقع فى أيدى الوهابيين وهذا يفسر كون قسم كبير من أهل البريمى حتى الآن وهابياً فى المبدأ . وكذلك شيوخ ساحل القرصنة مازالوا يحتفظون بعطف كامن على الوهابيين و يودون أن يعربوا عن شعورهم هذا بطريقة أكثر صراحة . وفى أيامى – قبل الحرب – كانت لنا علاقات وثيقة مع ابن سعود كما كان لنا معه معاهدة ندفع إليه بموجبها مساعدة مالية . وكان عليه حسب هذه الاتفاقية ألا يعتدى على أى من أصدقائنا أو الرؤساء المرتبطين معنا

بمعاهدات أو أن يلحق بهم أى ضرر . وبذلك كان أصدقاؤنا أصدقاء له . غير اننا اضطررنا بعد الحرب إلى تخفيض نفقاتنا . وما كنا نستطيع أن نستمر فى دفع الإعانات التى كنا ندفعها قبل الحرب وخلالها . فكان علينا أن نقوم ببعض التخفيضات . وكانت الإعانة التى كنا ندفعها إلى ابن سعود موضع واحدة من عمليات التخفيض هذه . وقد كانت هذه ضربة قوية بالنسبة إليه . ولكنه كان يدرك اننا لم نكن نستطيع أن نمضى فى دفع إعانة إليه إلى الأبد . إلا أنه كان يشعر « أننى حتى الآن كنت مقيداً بالتزام خاص وهوالا أزعج الحكومة البريطانية بأية سياسة اتبعها . وطالما كنت أتسلم منها مساعدة مالية فان على أن أتقيد بشروطها ، أما وقد شعرت بأنها مضطرة إلى التوقف عن دفع المساعدة المالية إلى فإنه يحق لى فيما أظن أن أتبع السياسة التى أريدها وأن أعمل على تقرير مصيرى بخير طريق أراه» . وهذا هوما يفعله الآن . وحتى الآن كان مستقيما ومحنكاً من الناحية السياسية فى جميع أعماله . ولم يكن فى امكاننا أن نزعم مرة واحدة أنه أخطأ . وقد جعل من نفسه ملكاً على الحجاز واعترفنا به كذلك . وقد كف يديه عن الحجاز طيلة الوقت الذى كنا ندفع فيه إليه المساعدة المالية المشار إليها أعلاه . ومنذ أن توقفنا عن ذلك قام بمد سلطته إلى الحجاز . ولا يكاد يكون لدى شك فى أنه سيحاول فى الوقت المناسب أن يمد سلطته إلى الأقسام الداخلية من عمان . هذا فيما اعتقد ما ستكون عليه سياسته .[١٣٧]

وقد صرح بهذه الأقوال البريطانية عن آراء الملك قبل ثمانى سنوات من إقدام الحكومة البريطانية فجأة على إبلاغ الحكومة السعودية برأيها الذى لم يكن متوقعاً بالمرة من أن الخطين الأزرق والبنفسجى الواردين فى الاتفاقيتين الإنكليزيتين التركيتين المعقودتين فى عامى ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) ما زالتا نافذتين . وربما كانت الحكومة البريطانية تتحول من سياسة إلى أخرى خلال السنوات الأربعين الماضية ، أما آراء جلالة الملك عبد العزيز فإنها بقيت كما هى دون تغير حتى يوم وفاته (انظر بصورة خاصة الملحقين ٧ و ١٠ والفقرة ٨٧ من الفصل الخامس فيما بعد) ، وتنعكس هذه الآراء فى مضمون الفقرة (ا) من المادة ٦ من اتفاقية هذا التحكيم .

٣٤٧ — وفى عام ١٣٤٥ هـ (مايو ١٩٢٧ م) حاول برترام توماس ، ناظر

(١٣٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٤ (١٩٢٧) ص ٤٠ .

المالية ووزير دولة مسقط البريطاني ، القيام بزيارة إلى البريمي . ولما كان توماس قد أمضى عدة سنوات في خدمة السلطان فإنه كان يعرف بالضبط إلى أي بعد كانت سلطة سيده تمتد . وفي طريقه في وادي الجزي وصل إلى « بروج الشجيري ذلك الحصن الصغير في مجرى الوادي الذي يبين حدود دولة مسقط ، وكنت أكون داخلا بصفة غير شرعية لو تخطيتها ، وحتى هنا سمعت بعض الهمس وأنا أترجل عن الطريقة المريبة التي أطلق بها رصاص الترحيب وعن مرور الرصاص فوق رؤوس بعض رجالنا وعن ترجل بعضهم ذاهبين إلى أن الرأي قبل شجاعة الشجعان » .(١٣٨) وكان مركز الحدود هذا يقع على بعد ستين كيلو متراً إلى الشرق رأساً من البريمي . وواجه قائد الحصن ، المعين من جانب السلطان ، توماس بقوله :

> مستحيل أن تمضي يا صاحب الفخامة فان الوادي الذي أمامنا معاد لكم . للدلالة على ذلك أظهر كتاباً من شيخ قبيلة الشوامس المنتشرين في أعلى الوادي .(١٣٩)

ولكن توماس كان عنيداً ، واتجه نحو بلدة الحيل التابعة لقبيلة نعيم في وادي الجزي . ولكن رؤساء البلدة أبلغوه أن « الحيل تلقت أوامر من شيخ نعيم في البريمي بتأخيرنا » .(١٤٠) وفي أثناء ذلك الوقت ، أنفذ توماس رسلا إلى البريمي يطلب التصريح له بالسفر إلى الواحة . وكان الرد الذي أحضروه معهم وثيقة مهمة بشكل خاص :

> السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كتابكم الذي أوصله إلينا الشيخ علي والشيخ حمدان مفهوم لدينا . لم يكن الوالي (أبو سندة) موجوداً في المحل . . . وبعد عودته رآه فلم يوافق عليه . . . وقد كتبت إلينا عن هذا الاقتراح دون انتظار منا . فلم نكن ندري عنه ، وهذا إزعاج منك . إن هذه الأراضي واقعة في أراضي

---

(١٣٨) توماس ، « مخاوف ورحلات » ص ١٧١ .
(١٣٩) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧١ .
(١٤٠) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٣ .

ابن سعود ، فأحسن وأسلم لك أن تعود . ونحن نخشى أن نفتح باباً للمشاكل ، ولا داعى لاعلام من يعلم . والذى أعطاك هذا الامتياز لم يكن صريحاً معك . إن هذه الأماكن تتبع آل حمود شيوخ نعيم فى البريمى ومن ثم تتبع ابن سعود . هذا ما لزم والسلام .

حرر فى ١٣ ذى القعدة ١٣٤٥ (نحو ١٥ مايو سنة ١٩٢٧) .(١٤١)

وها هنا فى وثيقة تعود إلى ثلاثين سنة مضت ينقلها إلينا موظف بريطانى كبير كان يعمل فى خدمة سلطان مسقط نجد تصريحاً واضحاً جلياً فى أن منطقة البريمى تقع « فى أراضى ابن سعود » . وتبين هذه الوثيقة أيضاً الطريقة التى كان تصرف بها رؤساء نعيم ، وهم أقوى شخصيات الواحة وأكثرهم نفوذاً ، ممثلين محليين للحكومة السعودية فى الوقت الذى لم يكن فيه هناك أمير سعودى معين خصيصاً لشغل هذه الوظيفة . ومع أنه لم يكن هناك مثل هذا الأمير فى ذلك الوقت ، إلا أنه كان هناك موظفون سعوديون عاملون فى إقليم البريمى :

. . . وامتلأت الظاهرة بأنباء وصول عامل للزكاة أوفده ابن جلوى نائب الملك ابن سعود فى الحسا ، وأقبل كثير من قبائل الظاهرة على دفع الأتاوة .(١٤٢)

إن الجهل بطبيعة الزكاة الصحيحة فى الإسلام — وهو أمر جد شائع بين بعض الغربيين — يتجلى فى استعمال توماس لكلمة « أتاوة » ثم فى ملاحظاته التالية :

ان مبدأ « لا ضرائب بلا تمثيل » وحق المرء فى الحصول على خدمات الشرطة والمجارى إذا كان يدفع ضرائب — كل هذه مفاهم غربية . فى المجتمعات البدائية فى جزيرة العرب لا يتعب المرء نفسه بالتفكير فيما يتلقاه من الفوائد الإيجابية مقابل ما يدفعه ، إذ لا فوائد هناك بالمرة.(١٤٣)

---

(١٤١) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٣ .

(١٤٢) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٤ . (قارن بالفقرة ٣٤٢ السابقة) .

(١٤٣) توماس « مخاوف ورحلات » ص ١٧٤ .

إن توماس لا يتردد فى الاستشهاد بالمبدأ الأمريكى العظيم أن « لا ضرائب بلا تمثيل » ولو كان أكثر إلماماً بالإسلام وبجزيرة العرب لربما استشهد أيضاً بالمبدأ العظيم الآخر «لا جباية إلا بحماية» (الفقرة ٦٦ السابقة) . ويبدوأن توماس كانت تتملكه فكرة تعامله مع « مجتمعات بدائية » ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من الموظفين الأجانب فى جزيرة العرب وإن كانوا لم يصلوا إلى المدى الذى وصل إليه الكابتن مالكلم (الفقرة ٢٦ السابقة) .

٣٤٨ – حدث فى أواخر ١٩٢٧ أو أوائل ١٩٢٨ أن اغتيل رئيس ثالث فى أبو ظبى . وقد جرت هذه الاغتيالات فى مدة تزيد قليلا على خمس سنوات . وفيما يلى وصف لهذا الحادث على لسان السر لايونل هيورث ، المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى :

> . . . وكذلك دعاه (أى صقر بن زايد) أخ له إلى العشاء غير أنه لم يطلق عليه الرصاص من الخلف ، فقد وقع الشيخ فى كمين رصد له فى طريق عودته وأطلق الرصاص عليه من الأمام . وكان الأخ الأخير حكيما فوضع ابن أخيه (شخبوط ابن سلطان الحاكم الحالى) على العرش . والآن يدبر أولاد الرجل الذى قتل فى المرة الأخيرة خططهم لقتل الشيخ الجديد.[(١٤٤)]

ويمضى السر لايونل فى إعطاء بعض الملاحظات عن موقف البريطانيين ، بالنسبة لأعمال العنف هذه :

> إنى واثق من أن بعض من يقرأ هذا الكلام سيتساءل لماذا لا نضع حداً لهذا الوضع ؟ وفى طوايا الجواب نجد المبدأ الذى سأعلنه فيما بعد بكامله . فحتى نفعل هذا يجب علينا أن نسيطر على البر الرئيسى وهو ما لا نرغب فى أن نفعله . إذ أنه يعنى توسع الإمبراطورية البريطانية . ولا يمكنك فى مثل هذا العمل أن تقف فى منتصف الطريق مهما كانت عندك الرغبة فى أن تفعل ذلك .[(١٤٥)]

---

(١٤٤) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ، ص ٥٠١ .

(١٤٥) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ، ص ٥٠١ .

وهاهنا موظف بريطانى مسئول ملم بشئون الخليج الفارسى يعلن قبل زمن يزيد قليلا على ربع قرن أنه لم يكن للبريطانيين أية رغبة فى « السيطرة على البر الرئيسى » طالما أنهم مطمئنون إلى وضعهم الذى لا ينازعهم فيه أحد .

٣٤٩ – إن مدى السلطات التى اكتسبها وزير سلطان مسقط البريطانى « الموقت » بعد نحو عشر سنوات من وضع البريطانيين ترتيباتهم الجديدة للسلطنة تتضح فى الاتفاقية المعقودة عام ١٣٤٧ هـ (١١ فبراير ١٩٢٩ م) بين بريطانيا العظمى ومسقط لتحديد معاهدة سابقة (مؤرخة فى ١٩ مارس ١٨٩١) . وقد وقع هذه الاتفاقية فى القنصلية البريطانية ، نيابة عن السلطان ، المستر برترام توماس ، حامل وسام الإمبراطورية البريطانية ، وعضو مجلس الدولة فى مسقط .[١٤٦]

٣٥٠ – وقد كتب السر لايونل هيورث فى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) عن معرفة مبنية على خبرته كمعتمد سياسى بريطانى فى الخليج الفارسى يقول عن سلطان مسقط :

> إن الفضل فى بقاء سيادته فى وجه القبائل المعادية فى المناطق الداخلية يعود إلى المساندة البريطانية .[١٤٧]

وأما عن سكان منطقة الخليج الفارسى ، فقد ساق الملاحظات التالية :

> . . . الخليج الفارسى بالعناصر غير المتحضرة التى تتاخم معظم شواطئه . . .[١٤٨]
> أولئك الذين ما زالوا على . . . حالة همجية أو شبه همجية هم فى حاجة إلى يد دولة مرشدة متمدنة لتقودهم . . .[١٤٩]

٣٥١ – وقعت حادثة فى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) فى الشمال الأقصى من الأراضى العربية التى طالب بها سلطان مسقط . وهذه الحادثة جديرة

---

(١٤٦) ايتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٣٢٠ .
(١٤٧) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ص ٥٠١ .
(١٤٨) مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩) ص ٥٠٥ .
(١٤٩) مجلد جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠٤ .

بالملاحظة إذ أنها تكشف القناع عن الطريقة التى يتعاون بها الموظفون البريطانيون مع القوات البريطانية فى الإبقاء على سلطة السلطان . ويعطينا مصدر بريطانى رسمى ملخصاً عن الحادث ، فيقول :

فى مارس ١٩٣٠ منع شيخ روس الجبال فرق المسح من النزول من سفينة جلالته المسماة « أورموند » فى خصب ، ورفض الإذعان إلى أوامر سلطان مسقط المتعلقة بهذا الشأن ، كما أنه منع المؤن عن والى خصب ، واتخذ على العموم موقفاً متمرداً . فسعى السلطان للحصول على مساعدة الحكومة البريطانية لإخضاع الشيخ ، وأرسل انذاراً إلى الشيخ يدعوه إلى التسليم . ولدى رفضه القيام بذلك ، اتخذت ضده أعمال تأديبية عن طريق سفينتى جلالته « لوبن » و « سايكلامن » بمساعدة زورق السلطان الحربى « السعيدى » وبعد تقديم الإنذار الكافى ضرب حصن الشيخ فى خصب بالقنابل ، وأعلن السلطان إغلاق المرفأ فى وجه حركة مرور القوارب . واستسلم الشيخ فى ٥ مايو وأصبح أسير الدولة ، وعين فى مكانه شيخ جديد . (١٥٠)

ويعطى وزير السلطان وناظر ماليته المستر برترام توماس الذى اشترك فى العمليات التأديبية ، تفصيلات أخرى عن الحادث . ويوضح توماس أولا وضع الناس فى روس الجبال فيقول :

« ولكن ها هنا كتاب لك من رؤسائك فى مسقط الذين يمتد نفوذهم إلى هذه المياه ، ولقد أعطوا ترخيصهم بذلك » قال ذلك الغربى الذى تربى على احترام الأوضاع القانونية ولكنه كان جاهلا تماماً بطرائق العرب .

فأجيب بما يلى ، « حسناً جداً ولكننا لا نعترف بحكومة مسقط » . (١٥١)

وبعد هذا يشير توماس إلى أن السلطان قد وضع مسئولية تصريف المسألة بين يديه . وفى هذا يقول توماس :

إن تعليماتى هى الذهاب إلى مسرح الاضطرابات ، ومعالجة وضع قد وصل إلى مرحلة خطيرة . (١٥٢)

---

(١٥٠) أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٨٥ .

(١٥١) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢١٥ .

(١٥٢) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٢١ .

وكان من الواضح أن بحرية مسقط المؤلفة من سفينة صغيرة واحدة ، لا تستطيع مواجهة الموقف دون مساعدة خارجية :

إن « السعيدى » وهو يخت صغير حمولته مائة وخمسون طناً ، وهو أبيض اللون وله مدخنة صفراء وصوارى مائلة فى خيلاء ، ويرفرف عليه علم مسقط الأحمر : لقد سلحته بمدفع هوتشكيس من عيار ثلاثة أرطال ومدفعين رشاشين فرنسيين . ومن هذا اليخت كانت تتألف بحرية مسقط . وربما كان فى هذه التسمية بعض التجاوز إلا إن اليخت كان مع ذلك يؤدى واجبه كسفينة حراسة ، ذلك الواجب الذى من أجله اشتريته من البحرية الهندية الملكية قبل نحو أربع سنوات . ومنذ ذلك الوقت ، قمت أنا واليخت باستكشاف كل منعطف من المنعطفات التى تقع على طول ألف ميل من الساحل الجنوبى الشرقى لجزيرة العرب .(١٥٣)

لقد كان الوضع يتطلب عملا مباشراً . ولم يكن لدى دولة مسقط ، إذا تركت وحدها ، من الموارد ما يمكنها من مجابهة الموقف . وإن لم تعالج تلك الحالة فسوف تتمخض عنها حالة أسوأ إذ أن سلطة مسقط فى مسندم ، على الرغم من أنها كانت رمزية من قبل ، سوف تنتهى وتزول كما أن كرامة سفن جلالته الحربية ستتأثر ، ثم إن إنزال الأوربيين فى المستقبل سيكون محفوفاً بالأخطار نظراً لحالة القبائل النفسية آنئذ ، وفى النهاية فقد يكون لتلك الثورة صداها فى أماكن أخرى ، إذ أن انتصار الزعيم حسن قد يشجع الآخرين على القيام بمثل هذا الدور .(١٥٤)

لقد كتب توماس بنفسه الإنذار إلى أهالى روس الجبال ، ولكنه وقعه باسم « مجلس الوزراء لسلطنة مسقط وعمان »(١٥٥) ،وقد رفض الإنذار وابتدأ إلقاء القنابل :

وكان الشاطىء هو أول أهداف القصف ، ثم تدرج القذف إلى ما وراء ذلك فى اتجاه البلدة – وهذا ما كنا نسميه فى الحرب العظمى بستار النيران الزاحف ، وكان استخدام ذلك لدوافع إنسانية حتى يتمكن رجال المؤخرة من إنقاذ أنفسهم .(١٥٦)

---

(١٥٣) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٢١ .
(١٥٤) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٣٥ .
(١٥٥) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٣ .
(١٥٦) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٦ .

لقد تردد صدى قصف كل نوع من أنواع المدافع بين هذه الصخور الضيقة . فكان هديراً يصم الآذان . وتقدمت أمامنا سحب دخان من الحطام المتناثر فى القرى المخبوءة وسط النخيل .(١٥٧)

وأخرج أحدهم القطن من أذنيه ، وحذونا حذوه ثم ابتدأنا نتكلم ثانية . فقال الشخص الأول « لعل فى هذا درساً لهم » فأجبته قائلا « إن هذا هو ما كانوا يسعون إليه دون شك » . ولم أبد أية بادرة عما كنت أفكر فيه بالفعل وهو عمل « لوبن » الرائع الجرىء وروحها الرياضية . وشعرت بنشوة الفخر للطريقة التى تسلكها سفننا فى مواجهة ما يعترضها .(١٥٨)

٣٥٢ — تنازل تيمور بن فيصل عن سلطنة مسقط فى أواسط عام ١٣٥٠ هـ (أواخر ١٩٣١ م) فخلفه ابنه السيد سعيد ، السلطان الحالى ، بعد مدة قصيرة (أوائل ١٩٣٢م) . ويصف البريجادير لونجريج الحالة القائمة فى السلطنة آنئذ ، ولونجريج هذا هو أحد كبار موظفى شركة نفط العراق التى أصبحت بعد قليل تهتم بإمكانية وجود الزيت فى الأراضى التى يدعى بها السلطان (الفقرة ٣٥٧ اللاحقة) .

إن سلطان عمان الشاب ، السيد سعيد بن تيمور ، كان أبعد ما يكون عن التمتع بسلطة لا ينازعه عليها أحد ، ولم تكن القبائل البدوية البعيدة مستقلة عن حكمه استقلالا يكاد يكون تاماً فحسب ، بل كان الأهالى فى قلب البلاد كما كان سكان الوديان وقرى منطقة الجبال ، يدينون بالطاعة لحاكم منافس وهو إمام عمان الذى كانت بلاده مطروقة قليلا ومحكومة بنظام دينى بدائى .(١٥٩)

٣٥٣ — وبينما كان الرحالة البريطانى المستر سن جون فلبى يتجول فى ديرة آل مرة فى عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ، جمع معلومات عن الأحوال السائدة فى إقليم البريمى من على آل جهامان من أبناء هذه القبيلة ، وأحد أتباع أمير

---

(١٥٧) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٧ .

(١٥٨) توماس « مخاوف ورحلات » ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(١٥٩) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ٩٩ .

الحسا ، وقد كان فى البريمى قبل ذلك بعدة شهور مع جماعة سعودية من جباة الزكاة ويقول فلبى :

> أثار اهتمامى أنى سمعت منه أن نفوذ ابن سعود محسوس اليوم فى جميع منطقة الظاهرة ، كما يسمون المنطقة الواقعة غربى جبال عمان ، وبالطبع فإنها تضم البريمى التى كانت مركزاً وهابياً منذ زمن قديم ، وعبرى أيضاً على ما يظهر . إن بعثات جباية الضرائب هذه لا تكاد تأتى إلا بما يغطى نفقات اعدادها وإرسالها ، ولكنها تقوم بنشر مبادىء السلم الوهابية والوحدة فى جزيرة العرب . وتمتد موجات الحكم المستقر ببطء ولكن باطراد من المركز نحو الخارج ويمكن اعتبار المناصير اليوم على أنهم من رعايا ابن سعود الذى يطالب منهم القليل فيما عدا قبول سلطته والمحافظة على السلم العام(١٦٠) .

٣٥٤ — وفى صفر ١٣٥٢ هـ (ربيع ١٩٣٣ م) حضر إلى جدة ممثلون عن شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا وشركة نفط العراق ليتفاوضوا مع الحكومة العربية السعودية بخصوص امتياز للزيت فى الأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية . ووفقاً لما يقوله البريجادير لونجريج المفاوض نيابة عن شركة نفط العراق فقد كان «مدير و شركة نفط العراق بطيئين وحذرين فى عروضهم» .(١٦١) وحصلت الشركة الأمريكية على الامتياز فى صفر ١٣٥٣ هـ (٢٩ مايو ١٩٣٣م). إن هذا هو الامتياز الذى تستغله الآن شركة الزيت العربية الأمريكية التى لا تزال ستاندرد أو يل أوف كاليفورنيا أحد مالكيها الرئيسيين .

٣٥٥ — وفى عام ١٣٥٣ هـ (إبريل ١٩٣٤ م) علمت الحكومة العربية السعودية للمرة الأولى (الملحق ٤) بنية الحكومة البريطانية على بعث الخط الأزرق والخط البنفسجى اللذين وردا فى الاتفاقية التركية الإنكليزية المؤرخة فى ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣) والتى لم يصدق عليها ، وكذلك فى الاتفاقية التى تلتها بتاريخ ١٣٣٢ هـ (٩ مارس ١٩١٤ م) ، وسوف يجرى تناول هاتين

---

(١٦٠) فلبى « الربع الخالى » ص ٢٨ .

(١٦١) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ١٠٧ .

الاتفاقيتين بالبحث التفصيلي فى الفصل الخامس . ويكفى أن نلاحظ هنا مرة أخرى اعتراف الحكومة البريطانية فى وثيقة رسمية — وهى « دليل جزيرة العرب» الذى أعدته الاميرالية — بعد مضى سنتين فقط على الاتفاقيتين ، بعدم واقعية التقسيم الذى كان من شأن الخطين الأزرق والبنفسجى أن يؤديا إليه لو كانت لهما أية صفة صحيحة (الفقرة ٣٢٦ السابقة). ومنذ عام ١٣٣٤ هـ(١٩١٦ م) اعتبر هذان الخطان جرة قلم لا تتفق وتسلسل الحوادث الزمنى ، إلاأن هذا لم يحل دون قيام الحكومة البريطانية بمحاولة إحيائهما بعد عشرين سنة تقريباً .

٣٥٦ — كان الاقتراح الذى قدمه السر أندرو ريان فى عام ١٣٥٤ هـ (نوفمبر ١٩٣٥ م) فى الرياض بمثابة وضع الحجر الأخير فى البناء الذى وضع الكولونيل بلى أسسه دون قصد بالمرة ، فى حين أن المستر لوريمر ساهم فى المراحل الوسطى من البناء . ومع أن هذا الاقتراح كان اعترافاً ضمنياً بسخافة الأسس التى يقوم عليها الخطان الأزرق والبنفسجى إلا أنه ما زال مستمداً من فكرة متعالية . ولقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تجعل من قرية على الساحل « إمارة واسعة» ، لها حدود تمتد إلى أبعد من آفاق عاصمة حاكمها . وصحيح أن خطوات مبدئية كانت قد اتخذت فى هذا الاتجاه قبل ذلك بوقت قصير ، غير أن من الجلى الواضح أن هذه الخطوات لم تكن موضع تفكير عميق سابق كما هو الشأن بالنسبة لخط ريان الذى ظل البيان البريطانى الأساسى حتى عام ١٩٥٢ م عندما قدم اقتراح جديد يذهب إلى أبعد من ذلك المدى فى بعض الاتجاهات. وكان من أبرز معالم خط ريان ، فى محاولته السير مع بلى فى نسبة العديد إلى أبو ظبى ، أنه حال دون وصول المملكة العربية السعودية إلى الساحل شرق قطر . وقد أوضحت من قبل الفائدة التى تجنيها بريطانيا من إقامة حاجز بين المملكة العربية السعودية وساحل الصلح (الفقرة ٣٠٧ السابقة) .

٣٥٧ — وإذ فشلت شركة نفط العراق فى الحصول على امتيازات لها فى شرق المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) فإنها ضاعفت جهودها للحصول على امتيازات فى أجزاء أخرى من شرق جزيرة العرب . ومن أجل ذلك فقد تشكلت شركة امتيازات البترول المحدودة فى عام ١٣٥٤ هـ (أكتوبر ١٩٣٥ م) على أساس « تملك الأسهم بصورة مماثلة تماماً للوضع فى شركة نفط العراق »[١٦٢] . وقد تمتعت هذه الشركة بعطف الحكومة البريطانية وتأييدها كما اتضح مما حصل فى قطر قبل ذلك بقليل عندما قصد إلى هناك أحد المفاوضين « للحصول على حقوق لشركة نفط العراق »[١٦٣] .

> لقد شعر المعتمد السياسى فى أبو شهر بأنه يستحسن أن يشير على الشيخ أن يعطى الامتياز لشركة بريطانية وأثناه عن عرض مبدئى تقدمت به شركة من كاليفورنيا[١٦٤] . . .

ويتحدث البريجادير لونجريج ، وهو الذى قام بنفسه بالمفاوضة للحصول على الامتياز الخاص بأبو ظبى ، عن أعمال شركة امتيازات البترول المحدودة خلال السنوات القليلة التالية فيقول :

> لقد كانت شركة امتيازات البترول نشيطة أيضاً فى جنوب شرق جزيرة العرب ، وفى ساحل الصلح ، وكذلك فى سلطنة عمان . وقد قام ممثل عن الشركة كان مقره فى البحرين بزيارة حفنة الشيوخ الحكام على الساحل فى ١٩٣٦ ، وعددهم حينئذ ستة ، وقدم لهم اتفاقيات تماثل الاتفاقيات التى يعمل بها فى البحرين والكويت ، للتنقيب عن موارد الزيت وتنميتها فى بلادهم ، إذا كان يوجد شىء منها هناك . وما كان الحكام الذين كانوا يعيشون فى فقر مدقع ويحكمون بنوع بدائى من الحكم العائلى المطلق ، ليعلموا شيئاً عن خطوط الحدود عبر قفارهم الرملية وبذلك لم يكن بوسعهم أن يضمنوا الكثير من الأمن . إلا أنه أمكن بعد مفاوضات طويلة وكذلك بعد التغلب على الشكوك والطمع ، أمكن الوصول فى عام ١٩٣٧ إلى اتفاق ينص على دفع مبالغ بسيطة فوراً وأجور سنوية مقابل الحصول على

---

(١٦٢) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ١١٣ — ١١٤ .

(١٦٣) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ١٠٥ .

(١٦٤) لونجريج « الزيت فى الشرق الأوسط » ص ١٠٥ .

امتيازات فى أراضى دبى والشارقة . أما الاتفاق مع مسقط فقد كان أيسر ، عند ما قام ممثل الشركة بزيارة السلطان فى نفس الفترة . وابتهج السلطان لفك الضائقة المالية التى يعانيها بمنح امتيازات أو عروض امتيازات فى عموم عمان (التى كان يحكم أقل من ثلث مساحتها بشكل فعال) وكذلك فى مقاطعة ظفار الجنوبية المنعزلة على حدة . وفى أواخر عام ١٩٣٨ أمكن الحصول على إذن من مشيخة رأس الخيمة وكذلك على إذن من مشيخة قرية كلبا . وفى أوائل عام ١٩٣٩ قام شيخ أبو ظبى بمنح امتياز للتنقيب عن موارد الزيت فى بلاده غير المأهولة تقريبا التى تشكل ثلاثة أرباع ساحل الصلح ومساحة مجهولة إلى الداخل. وقد حدد الريع فى جميع هذه الاتفاقيات بمبلغ ثلاثة روبيات للطن الواحد . أما المساحة التى تشملها الامتيازات فقد حددتها الاتفاقيات بأنها تضم المياه الإقليمية والجزائر التابعة للحاكم . وقد منحت رخصة تنقيب فى أراضى عجمان فى مارس ١٩٣٩ مدتها خمسة أعوام .

وشيوخ الساحل الذين لم تفرض عليهم اتفاقيات رغماً عن إرادتهم ، والذين فضل بعضهم تصريحاً قصير الأمد على امتياز طويل الأمد – فى حين أن أحدهم رفض أن يمنح أيا منهما – وجدوا أنفسهم مزدهرين لمدى لم يسبق لهم أن عهدوه فقد استطاعوا أن يحصلوا على الإيجارات السنوية الخاصة بهم ويسددوا بعض ديونهم ويركبوا سياراتهم الجديدة ويملئوا أوانى قهوتهم السخية ، غير أن شعوبهم لم تكن لتجنى فى هذه المرحلة فائدة تذكر من جراء تبادل الوثائق بين حكامهم والشركة حتى الشروع فى العمل فى الأراضى ذات الشأن. وقد قضت فرقة من الجيولوجيين شتاء ١٩٣٨ – ١٩٣٩ على ساحل عمان وعلى سفوح تلالها الغربية ومجموعة جبالها وعلى طول ساحل الصلح وكذلك فى القريب من الأراضى الداخلية . وحيث أن المنحدرات الغربية لجبال عمان وكذلك الأراضى الرملية الواسعة الواقعة وراءها تشتمل على صخور تتألف من الرواسب وتقع على أطراف الطبقة الجيولوجية الهامة ، فلا يمكن إلا أن تكون هذه المنطقة ذات أهمية . إلا أنها كانت غير مأمونة حيث أن الولاء للسلطان بسيط أو منعدم ، والفوضى بين القبائل سائدة ، ولا وجود للقانون ، والأرض وعرة . ثم ان الحرب اندلعت قبل أن يكون بالإمكان مواصلة التنقيب. وجرت زيارة قصيرة لظفار (١٦٥) .

وكان شتاء ١٣٥٧ – ١٣٥٨ هـ (١٩٣٨ – ١٩٣٩ م) الفصل الذى قامت به إحدى الفرق الجيولوجية التابعة للشركة التى تسمى الآن شركة الزيت العربية الأمريكية بأعمال واسعة للمرة الأولى فى المناطق المتنازع عليها حاليا ، وقد توغلوا فى الظفرة مسافة بعيدة .

(١٦٥) لونجريج «الزيت فى الشرق الأوسط» ص ١١٥ – ١١٦ .

٣٥٨ – والرغبة القوية التى كانت لدى زعماء جزيرة العرب وشعبها فى التمتع بنعمة الوحدة فى ظل دولة إسلامية صحيحة ، تتجلى تماماً فى رسالة كتبها حاكم الشارقة فى ١٣٥٤ هـ (نوفمبر ١٩٣٥ م) إلى الإمام عبد العزيز آل سعود (الملحق ١١٧) وتبين الرسالة بوضوح أيضاً أنه من المعترف به بصورة عامة على طول ساحل الصلح أن قبائل مثل المناصير والعوامر هم رعايا الملك . وبعد إخبار الملك بأن أفرادا من هذه القبائل قد قاموا بالاعتداء على الشارقة ، قال الحاكم إنه لم يستطع اتخاذ أى إجراء بنفسه ضدهم « بما أننا وهم طوع أوامر عظمتكم » . وكان الأمير عبد الله بن جلوى الذى أشار إليه الحاكم بكلمة « والدنا » قد توفى فى ذلك الوقت . ولذلك فإن الحاكم أعرب عن أمله فى أن يقوم الملك بإصدار تعليماته إلى ولد عبد الله وخليفته على الحسا ، سعود ، لردع هؤلاء الناس .

٣٥٩ – وخلال السنوات التى كانت تستعر فيها نار الحرب فى أوربا وغيرها من أجزاء العالم بقيت الأحوال هادئة فى المناطق المتنازع عليها الآن . ولقد منحت الطمأنينة للجميع فى ظل الحكم السعودى الذى كان حازماً فى غير عنف . وكان موظفو الحكومة السعودية يوقعون العقوبة بمن يخل بالنظام – وهو الأمر المحتوم فى كل مجتمع – وذلك بسرعة وثقة بشكل يمكن اعتباره رائعاً فى الواقع نظراً لصعوبة السفر داخل الإقليم . وكان أهالى الإقليم يدفعون الزكاة ، – وهى الضريبة الرئيسية التى فرضها الإسلام – كل عام إلى الجباة الذين توفدهم الإدارة السعودية لهذا الغرض كما يتضح ذلك من الوثائق المبينة فى المجلد الثالث من هذا العرض . وكذلك كان زعماء القبائل السعودية المختلفة يسوون كثيراً من المنازعات المحلية ويرشدون أتباعهم إلى إتباع تعاليم الإسلام ، قائمين بهذا العمل بحكم الصلاحية التى خولتها إياهم الحكومة المركزية . وأما القضايا التى تفوق هذه الأمور فى الأهمية فقد كانت تحال إلى قاضى البريمى الشيخ

عبد الله بن عبد العزيز آل سليمان — وهو عالم جليل من أهالى بلدة الحريق فى نجد — الذى كان يصدر أحكامه طبقاً للشريعة الإسلامية كما تفسرها المحاكم السعودية بشكل عام . ولقد صور الرحالة البريطانى ولفرد ثيسجر فى ١٣٦٦ هـ (ديسمبر ١٩٤٦ م) الحالة السائدة فى الإقليم تصويراً صحيحاً عندما اقترب من قرى الجواء فى الظفرة من الجنوب فقال :

> وهناقابلنا شيخاً من شيوخ آل راشد يدعى حمد وكان يبحث عن جمل ضائع ووافق على المجىء معنا إلى الجواء . وقد علمنا منه أن كثيراً من آل مرة والمناصير والعوامر يتجمعون فى الظفرة والرباض لتأدية الضرائب السنوية . لقد كانت هذه أخباراً سيئة لنا . فلو أننا تقابلنا مع أحد من جباة الضرائب فن الأرجح أن يأخذنا معه إلى الهفوف لتبرير موقفنا حيث أنه عثر علينا هنا دون أن يكون لدينا إذن من ابن سعود . وقد يؤدى تأخرنا عن الوصول إلى بوى إلى انتشار إشاعات خيالية وخاصة بعد أن تخلى عنا أفراد بيت كثير . ونتيجة لذلك فقد قررنا تجنب جميع البدو خلاف آل راشد ، وأنه يتعين على حمد أن يذهب إلى الجواء لجلب الأغذية لنا بينما نمكث نحن فى الرمال المجاورة . لقد سبق للكرب أن أغاروا على هذه المنطقة قبل سنة ، وهناك خطر من أن نؤخذ خطأ على أننا من المغيرين إذ أن آثار جمالنا تدل على أننا قادمون من السهول الجنوبية . وقد يزداد هذا الخطر إذا ما ظهر أننا نحاول تجنب العرب ، إذ أن المسافرين المسالمين لا يمرون دون تبادل آخر الأنباء(١٦٦) .

٣٦٠ — وعلى الرغم من أن ثسيجر قد تحاشى الدخول فى قرى الجواء عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) لأنه لم يكن يحمل ترخيصاً من السلطات السعودية إلا أنه استطاع تحقيق طموحه فى أن يكون أول أوربى يزورها ، وكان ذلك فى عام ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٤٨ م) . ولم تضع السلطات السعودية ، التى كانت على علم بحركاته فى هذه المرة ، أية عقبات فى طريقه . وهكذا فللمرة الأولى فى ظرف قرن ونصف من علاقة البريطانيين بالساحل الجنوبى الشرقى للخليج الفارسى وقع بصر رجل إنكليزى على هذه القرى التى لم يعلم البريطانيون بمجرد وجودها إلا قبل ما يزيد على أربعين عاماً بقليل (الفقرة ٣٠٧ السابقة) . على

(١٦٦) ثسيجر ، المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) ص ٦ — ٧ .

أن إقامة ثسيجر فى هذه القرى لم يزد على بضعة أيام قبل مواصلة سفره إلى أبو ظبي حيث كان من المقرر أن ينزل ضيفاً على حاكمها الشيخ شخبوط . ولم يقدم ثسيجر سوى تفصيلات قليلة عما رأى ، كما أن عدداً من أقواله كان غير صحيح أو مضلل (قارن بالفقرتين ٣٠ و ٣١ من الفصل الثالث فيما سبق) . وإن تأكيده بأن جميع أهالى الجواء يدينون بالولاء لآل بوفلاح [١٦٧] ما هو إلا أمر منتظر من شخص إنكليزى على علاقات ودية مع آل شيخ أبو ظبي . على أنه يعطى معلومات أوثق من ذلك عن تنقلات قبائل المناصير والعوامر والمناهيل وآل راشد عبر رمال الظفرة [١٦٨] ، وهى معلومات يمكن مقارنتها بما ذكره لوريمر من أنه لا توجد قبائل سوى بنى ياس والمناصير فى ذلك الإقليم (الفقرة ٣٠٧ السابقة) .

٣٦١ – وقد حدث دخول ثسيجر إلى الجواء فى عام ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٤٨ م) بعد انتهاء نزاع صغير نسبياً ولكنه كان طويل الأمد نوعاً بين بلدتى أبو ظبي ودبى . وجرت معظم الحوادث فى هذا الصراع بعيداً عن الأراضى الخاضعة للسيطرة السعودية ، ولكن أفراداً من قبائل سعودية مختلفة اشتركوا فيها نتيجة للفرص التى أتيحت لهم للخوض فى غمار الرياضة العربية القديمة ، أى الغزو ، والتى زاد من إغرائها المبالغ المالية التى كان يعرضها زعماء البلدتين فى استخدام المرتزقة من الجنود . وإن البيان المقدم نيابة عن الشيخ شخبوط فى مؤتمر الدمام بتاريخ عام ١٣٧١ هـ (٣١ يناير ١٩٥٢ م) (قارن بالفقرة ٧٧ من الفصل الخامس فيما بعد) بأن بعض المناصير تابعون له لأنهم حاربوا إلى جانبه ضد دبى هو بيان لا أساس له من الصحة . فقد كان لعدة قبائل أفراد يحاربون على كل الجانبين . وقد أحرز فارس بن غانم من المزاريع أروع انتصار فى

(١٦٧) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩ م) ص ٤٠ .
(١٦٨) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩ م) ص ٣٨ – ٤٠ .

الصراع بأسره ، وكان جندياً مرتزقاً فى خدمة دبى (إن ولاء فارس الحقيق للملكة العربية السعودية مبين فى الملحقين ١١٨ و ١١٩) . وقد وقع الهدنة التى أنهت هذا الصراع المستر باتريك ستوبارت الضابط السياسى البريطانى فى ساحل الصلح بالإضافة إلى رئيس البلدتين . وكان البريطانيون قد بدأوا يتخلون عن سياستهم بعدم التدخل فى الشئون الداخلية إما لكونهم نسوا كلمة التحذير القاطعة التى نادى بها السر لايونل هيورث فى عام ١٩٢٩ بأن هذا يوجب « علينا أن نسيطر على البر الرئيسى وهو ما لانرغب فى أن نفعله . إذ أنه يعنى توسع الإمبراطورية البريطانية » (الفقرة ٣٤٨ السابقة) ، أو لأنهم قرروا أنه قد ظهرت أسباب للسعى وراء تلك السيطرة .

٣٦٢ — إن توقيع المستر ستوبارت للهدنة بين أبو ظبى ودبى كان بادرة تنبئ بنشاط جديد فى المناطق التى يتناولها البحث ، وهو نشاط لا يوجد له سوى سابقة واحدة فى قرنين من التاريخ (قارن بالفقرة ١٤٧ السابقة) . وفى خلال السنوات الست الأخيرة أو ما يقاربها توغل البريطانيون فى الداخل مستغلين موارد لم يسبق استغلالها من قبل لأجل التدخل مباشرة فى شئون الأهلين الذين يعيشون بعيداً عن الساحل . وإذ أدركوا أنهم جاءوا متأخرين فقد عملوا بجهد وحماس زائد فى بعض الأحيان . ولم يترددوا فى توفير المعدات المرتفعة التكاليف والطيارات والسيارات المدرعة وغير ذلك من اللوازم التى تملكها بصورة خاصة أية دولة عسكرية حديثة . وكان أعوانهم الرئيسيون أفراداً من العائلات الحاكمة فى أبو ظبى ومسقط إذ كانوا أكثر الناس استعداداً لتقديم الخدمات إليهم . إلا أن البريطانيين لم يترددوا فى أن يقوموا بالعمل بأنفسهم إذا ما استنفذ إهمال هؤلاء الأعوان صبرهم . ونكتفى هنا بذكر أمثلة قليلة من مناورتهم المعهودة ، ففى عام ١٣٦٨ هـ (إبريل ١٩٤٩ م) اصطحب ستوبارت أحد إخوان حاكم أبو ظبى فى رحلة إلى أراض غير معروفة أبداً بالنسبة إليهم أو إلى أصحابهم على

الرغم من ادعاء الحاكم بها (الفقرتان ٥٢ و ٥٣ من الفصل الخامس فيما بعد) .
وقد كان بين الجماعة أيضاً إنكليزى آخر وهو ممثل شركة زيت بريطانية تملك امتيازاً من أبو ظبى . وكان الجنود المرافقون لهم من المرتزقة الذين استخدمتهم الحكومة البريطانية ، لا من القوات التى تعمل تحت قيادة الزعيم العربى . وقام أخ آخر للحاكم فيما بعد برحلة شاملة فى الظفرة يصحبه كل من المستر مارتن بكماستر الموظف البريطانى فى ساحل الصلح ، وعلى البستانى وهو موظف عند الحكومة البريطانية أيضاً . وقد بذل الثلاثة جهدهم تارة بالوعدوأخرى بالوعيد لإقناع أهالى الإقليم بإعلان ولائهم لأبو ظبى . وقد كان المستر ريتشارد بيرد من موظفى شركة الزيت البريطانية عند أحمد بن إبراهيم ناظر داخلية دولة مسقط ، عندما قام هذا الناظر بزيارة البريمى فى محاولة لكسب التأييد فى الواحة للسلطان أما عندما قام المستر ولتون — وهو موظف بريطانى آخر فى ساحل الصلح — بزيارة البريمى (الملحق ٥٦) ، فقد قام بذلك غير نائب عن أبو ظبى أو مسقط وقد ذهبت الحكومة البريطانية إلى أن زيارات مثل هذه التى قام بها المستر ولتون كانت من قبيل تصريف « مهام إدارية » . ومن الطريف بلا شك أن يقوم الموظفون البريطانيون فى تصريف « مهام إدارية » فى بلاد كانت الحكومة البريطانية تتنصل دوماً من مسئولية إدارتها ، وأكثر من ذلك غرابة أن تتطلب مثل هذه المهام وجودهم فى نقاط تبعد مائة كيلو متر عن الساحل أو أكثر .
هذا ولم يسبق أن أشير فى الماضى إلى أن مثل هذه « المهام الإدارية » استدعت ذهاب الكابتن هامرتون أو الكولونيل مايلز أو الميجر كوكس إلى البريمى .
وكان جميع هذا النشاط المستحدث يجرى فى الوقت الذى كانت تتفاوض فيه الحكومة البريطانية مع الحكومة العربية السعودية حول مستقبل المناطق التى يتناولها البحث . ولم يكن ذلك النشاط ليجرى لو لم يحتفظ البريطانيون بقوات عسكرية وجوية كبيرة فى الإقليم ، وهى قوات لم يترددوا فى استعمالها كلما أخذ مركزهم فى التدهور . ويبدو أن عبارة «مهام إدارية»تستخدم فيما يتعلق بالحملات

غير المصحوبة بتشكيلات عسكرية كبيرة . أما حينما يتعلق الأمر بضرب حصار حول واحة بأكملها فلا يعود الموضوع مسألة « مهام إدارية » عادية . وأصبح البريطانيون خلال مدة قيام ممثليهم ومن يتعاونون معهم بهذا النشاط غير المعتاد ، على علم تام بالأعمال العادية التى يؤديها الممثلون السعوديون منذ سنوات كثيرة . فنى عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) احتجت الحكومة البريطانية لأول مرة على أعمال جباة الزكاة السعوديين فى الظفرة (الملحق ٢٩) مع أن هذه الحكومة كانت تؤيد ادعاء لأبو ظبى بهذا الإقليم بشكل إيجابى منذ عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

٣٦٣ – وليس من العسير الوقوف على الأسباب التى دعت إلى هذا النشاط الفجائى من جانب البريطانيين وأعوانهم فى المناطق المتنازع عليها خلال السنوات القليلة الماضية . لقد كان البريطانيون يؤيدون ادعاء أبو ظبى المحدد منذ عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، غير أن اهتمامهم بالداخل لم يبرز إلا بعد ذلك بسنوات . فعندما انتهت الحرب العالمية الثانية وخلص البريطانيون من مسئولية محاولة حكم شبه القارة الهندية لاحت لهم فرصة إقامة موطئ قدم جديد فى مكان آخر . فالموظفون الذين سبق لهم أن اكتسبوا المران خلال العمل فى الإدارة المدنية الهندية ، كانوا حاضرين للمساهمة فى الاستفادة من هذه الفرصة . وبعد أن درس البريطانيون الحالة وجدوا أن البينات التى تؤيد ادعاء أبو ظبى كانت قليلة وواهية إذا ما قورنت بقوة الموقف السعودى . ولم تكن آراء الكولونيل بلى والمستر اوريمر ، على الرغم من اقترانها بموافقة الحكومة البريطانيون رسمياً ، لتكفى فى الصمود أمام ذلك الحشد من الحقائق القديمة والحديثة ، فكان لابد من اتخاذ إجراء عنيف ، ولم يتردد البريطانيون فى اتخاذه .

٣٦٤ – إن الصعوبات الخطيرة التى كانت تواجه الموظفين البريطانيين المنصرفين إلى هذا المجال الجديد من النشاط فى القسم الداخلى لشرق جزيرة

العرب ، قد أوردت بصراحة تامة فى « دليل الأراضى التى تشكل ميدان عمليات شركة نفط العراق المحدودة والشركات المرتبطة بها » . لقد طبع هذا الدليل لأول مرة فى عام ١٩٤٨ وأعيد طبعه مرتين على الأقل (فى ١٩٤٩ و ١٩٥٠) ، ثم سحب من التداول . والشركات التى تعمل فى نطاق مجموعة شركة نفط العراق تملك امتيازات للزيت من كل من أبو ظبى ومسقط ، وكان ممثلوها يبدون نشاطاً فى كلتا الدولتين مدة عشرة أعوام أو ما يقاربها قبل طبع ذلك الدليل ، ومن الواضح أن مؤلفى الدليل كان عندهم رصيد واسع من المعلومات يرجعون إليه ويستقون منه . وليست جميع البيانات الواردة فى الدليل دقيقة ، إلا أن كثيراً منها يكشف النقاب عن الحقائق . فبالإشارة إلى مشايخ الساحل ، يقول الدليل :

> لقد تحاشت الحكومة البريطانية بحكمة أن تتدخل فى شئونهم الداخلية الصغيرة التى كثيراً ما كانت تتسم بطابع العنف .(١٦٩)

لقد كتب هذا فى نفس الوقت تقريباً الذى كانت الحكومة البريطانية تتخلى فيه عن تجنبها بحكمة للتدخل (الفقرة ٣٦١ و ٣٦٢ السابقتان) . ولم يكن لدى مؤلفى الدليل رأى طيب فى سكان ساحل الصلح :

> إن مستوى المعيشة ومدى الرخاء فى الساحل هو أقل ما يمكن أن يتصور خصوصاً منذ القضاء على القرصنة المربحة والتدهور الخطير فى تجارة اللؤلؤ .(١٧٠)
>
> ومن بين خصائص السكان المحليين (ولا يستبعد من ذلك الحكام دائماً) الجشع الذى يسمى صاحبه إلى الاستفادة فى كل وضع والذى لا يخجل صاحبه من أى طلب ، ثم الارتياب فى الأجانب وأساليبهم مما يجعل التعامل مع الأهالى ورؤسائهم مهمة صعبة جداً ويستدعى صبراً لا يفرغ . والزمن لا قيمة له ، والحالات المستقبلة والمفترضة لا اعتبار لها ، والمتطلبات العصرية أمر غير مفهوم . ويبدو أن كراهيتهم للأجانب السائدة قد خفت مؤخراً بسبب الاتصال المتزايد (مع شركاتنا

---

(١٦٩) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .

(١٧٠) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .

نفسها على الأغلب) وبسبب ظروف الحرب التى جعلت الداخل يعتمد على حكومة صاحب الجلالة فى غذائه وكسائه(١٧١) .

ومن الطريف أن نلاحظ أن الأمل الرئيسى فى تحسين الأحوال ، كما يراه كتاب الدليل ، معقود على مجموعة شركة نفط العراق والحكومة البريطانية . وإن نظرة مثل هذه لتعطى السياسة البريطانية ، بالطبع ، التبرير الذى تحتاج إليه فى تماديها . وكذلك فقد وجد مؤلفو هذا الدليل أن الأراضى التى يسكنها هؤلاء الناس ليست مغرية — على الأقل فيما يتعلق بمعالمها فوق سطح الأرض :

تتألف الأراضى الممتدة من الحدود الجنوبية للحسا (وهى مقاطعة عربية سعودية) حتى منحدرات جبال عمان من منطقة رملية مستوية مملة ، ذات طابع منفر وسكان قليلين(١٧٢) .

وما كانت بلدة أبو ظبى لتعتبر بقعة جميلة وسط هذه « المنطقة المملة ذات الطابع المنفر » :

تقع قرية أبو ظبى على جزيرة جرداء فى مواجهة الساحل ، ولا تقصدها البواخر . و« قصر » الشيخ هو البناء الوحيد المقبول ، ثم إن موارد المياه رديئة وقليلة جداً ، كما أن الأغذية قليلة(١٧٣) .

وأما فيما يتعلق بقبائل الداخل — بنى قتب وبنى كعب ونعيم (بما فى ذلك آل بوشامس) — فيقول الدليل :

إن القبائل التى تجاور قراها ومراعيها الجانب الغربى لجبال عمان يدعى بها سلطان مسقط رعايا له أو أتباعاً له ، كما يدعى شيخ أبو ظبى وشيخ الشارقة وشيخ رأس الخيمة بتبعية جزء منها . ودون الدخول فى تفاصيل وافيه يقتضى القول بأن أحداً من هؤلاء لم يستطع أن يثبت مقدرته عملياً على السيطرة على هذه القبائل ، أو أن يؤمن للشركات حقوقاً كاملة فى الوصول والعمل هناك . ولذلك يجب اعتبارهم

---

(١٧١) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٩ .
(١٧٢) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٨ .
(١٧٣) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٠ .

مستقلين فعلياً ، كما أن مشكلة تأمين الدخول الودى إلى أراضيهم وحرية التنقيب فى بلادهم لم يجر حلها بعد(١٧٤) .

والمؤلفون الذين يظهر أنهم كانوا يعلمون عن البريمى أقل مما كانوا يعلمون عن الأقاليم الأخرى ، يشيرون بطريقة مختصرة غير وافية إلى بساتين النخيل التى يملكها هناك نعيم وآل بوفلاح ، على أنهم أدركوا على الأقل سخافة ادعاءات سلطان مسقط ، إذ يقولون :

ان سلطان مسقط يطالب بأن هذه المناطق الأخيرة تقع داخل أراضيه ومنطقة نفوذه ، إلا أنه من الصعب جداً إثبات حجة هذا الادعاء(١٧٥) .

ويدعم صحة هذا الرأى ما ذكره تسيجر عندما زار البريمى فى نوفمبر عام ١٩٤٨ :

لقد قام السيد سعيد سلطان مسقط مؤخراً بالاصرار على ادعاءاته بالسيطرة على منطقة البريمى ، إلا أن شيوخ القبائل وأفرادها رفضوا هذه الادعاءات بصخب. وإذ كانت تلك القبائل التابعة للغافرية تعلم جيداً أن هذه الادعاءات قد سببها النمو المطرد فى البحث عن الزيت ، فقد صممت على أن تحول دون مواصلة الأوربيين التنقيب عن الزيت فى أراضيهم(١٧٦) .

وأخيراً فبالنسبة إلى أبو ظبى ، إن كل ما يمكن أن تنتظره هذه الدولة تحت السيادة البريطانية يتبين فيما يلى :

ان آخر مرحلة للحركة القومية (التى كان من الضرورى أن تصل إلى مراحل جد مختلفة فى البلاد المختلفة) كانت على العموم هى الخروج من نوع من الوصاية إلى استقلال تام كدولة عصرية . ومثل هذه الأمانى بالطبع لا وجود لها أو لا يكاد يكون لها وجود بين الجماعات البدائية — من الوجهة السياسية — ممن يقيمون فى جنوب جزيرة العرب أو فى ساحل الصلح(١٧٧) .

---

(١٧٤) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٢ .
(١٧٥) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٢ .
(١٧٦) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٦ (١٩٥٠ م) ص ١٤٠ .
(١٧٧) « دليل شركة نفط العراق » ص ٢٩ .

٣٦٥ — وبعد الإشارة إلى « السلطات المحدودة فى إصدار الأوامر أو حتى فى الإقناع » التى يملكها شيوخ ساحل الصلح ، يمضى دليل شركة نفط العراق فيقول :

> ليست هناك فى الواقع أية مسألة تذكر بالنسبة إلى تبعية أية قطعة من الأرض لهذا الحاكم أو ذلك (باستثناء تلك القرى التى اتخذها الحكام عواصم لهم) ، فإن المظهر الذى تتخذه سلطة الحكام هو نفوذهم على هذه القبيلة أو تلك ، بصرف النظر عن المكان الذى توجد فيه القبيلة فى ذلك الوقت . ولم يسبق أن جرى تخطيط الحدود ، كما أن فكرة وضع الخطوط على الخريطة أو العلامات على الأرض غير معروفة تماماً فى أذهان السكان المحليين . ولذلك فإن مساحات الدول المختلفة هى صورية تقريباً[١٧٨] .

إن هذا القول يتسم بطابع خاص من الصحة إذ أن ممثلى شركة النفط حاولوا — حسب ما تقتضى طبيعة العمل — الاستعلام من حاكم أبو ظبى وغيره من الشيوخ عن المدى الذى تذهب إليه أراضيهم عندما كانوا يتفاوضون معهم حول الامتيازات (انظر السرد الذى قدمه البريجادير لونجريج الوارد فى الفقرة ٣٥٧ السابقة) . ومع ذلك فإن هذا القول قد أدلى به بعد مضى ثلاثة عشر عاماً من قيام الحكومة البريطانية ، بموافقة حاكم أبو ظبى فيما يفترض ، بتقديم خط معين يحدد مدى أراضيه ، وقبل أربع سنوات فقط من تقديم الحكومة البريطانية لخط آخر يختلف جوهرياً فى اتجاهه ولكنه يحمل نفس الطابع الذى للأول ، وذلك نيابة عن نفس الحاكم (هناك بحث واف عن خط ريان المقدم عام ١٩٣٥ م وعن خط مؤتمر الدمام عام ١٩٥٢ م فى الفصل الخامس من هذا العرض) .

٣٦٦ — ويلخص دليل شركة نفط العراق الوضع الصحيح لسلطان مسقط فى الفقرات التالية :

---

(١٧٨) « دليل شركة نفط العراق » ص ٦٩ .

وكما يبين السرد التاريخي فإن سلطان مسقط وعمان الذى يرتبط بمعاهدات مع حكومة صاحب الجلالة والذى حصلت الشركة منه على امتيازات ، ليست له سلطة وطيدة خارج مسقط وساحل الباطنة وظفار . ويمكن القول بأن داخلية عمان يحكمها جهاز ثلاثى يتألف من الإمام محمد بن عبد الله الخليلى ، ثم الشيخ سليمان بن حمير رئيس قبيلة بنى ريام — وتسكن الجبل الأخضر — الذى يدعى أنه الزعيم الأعلى لعموم الغافرية ، وهو ادعاء يكتنفه بعض الشك ، ثم الشيخ صالح بن عيسى الزعيم الأعلى لعموم الهناوية . ويضاف إلى ذلك أن هناك عدداً من القبائل التى تحمل القليل من الولاء أو لا تكاد تحمل شيئاً منه بالمرة لأى من أولئك الثلاثة الكبار أو للسلطان ، وهى لذلك مستقلة بالفعل .

ويمارس السلطان النزر اليسير من السلطة فى صور ومنطقة جعلان وكذلك على الساحل الجنوبى الشرقى من جعلان إلى ظفار . أما الظاهرة التى تمتد من البريمى جنوباً إلى عبرى فلا تقع داخل منطقة نفوذ الثلاثة الكبار ، على انها بعيدة أيضاً عن سلطة السلطان. ولذلك فان هذه القبائل تتمتع بقسط كبير من الحرية(١٧٩) .

إن حكومة عمان المزدوجة (التى كانت قوة كبيرة فى جزيرة العرب حينما كانت متحدة) لها كثير من المتاعب . والعائلة الحاكمة فى مسقط على اتصال حر مع العالم الخارجى ، بينما لا يملك الامام مثل ذلك الأمر . وإذ يسعى الأول وراء الثروة والأساليب الحديثة ، فإن الأخير يجرى وراء العزلة والدين . ولا توجد فى بلاد أى منهما خدمات عامة ، كما أن مستوى المعيشة عند كليهما بدائى جداً . ولكن سلطنة مسقط تحصل على معونة حكومة الهند دائماً. أما أراضى الامام فيما عدا بعض الأطراف فلم يسبق أن زارها أحد من الأوروبيين منذ قرن من الزمان(١٨٠) .

٣٦٧ — أقر تقرير وزارة الخارجية الصادر فى عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) والذى سبقت الإشارة إليه (الفقرة ٣٣٤ السابقة) وصف مسقط الذى ورد فى دليل شركة نفط العراق الصادر فى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) :

. . . ومع أن القسم الأكبر من العالم الخارجى وخصوصاً الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا التى للسلطان معها معاهدات يعترف به حاكماً مستقلا فى قطعة الأرض بأسرها التى ستوصف مناطقها فيما يلى ، إلا أنه لا يكاد يكون لديه أية

---

(١٧٩) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٤ .

(١٨٠) « دليل شركة نفط العراق » ص ٧٤ — ٧٥.

سلطة على أية قبيلة خارج الأراضى المجاورة مباشرة لمسقط وصور وظفار وقرى الباطنة الساحلية(١٨١) .

والقبائل العمانية ، بغض النظر عن الأشياء الأخرى ، مستقلة فى التفكير إلى حد بعيد وفى رأيهم أن معاهدة « السيب » المعقودة فى ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) أثبتت استقلالهم التام عن السلطان ويظهر أنه من المستبعد أن يتنازلوا بسهولة عن هذا الاستقلال بأن ينتخبوا السلطان إماماً لهم أو بأن يوافقوا على أى ترتيب يسمح بإعادة سلطة السلطان(١٨٢) .

ويدعى السلطان أن له نفوذاً على آل بوشامس وقد ذكر أنه يدفع إليهم مكافآت سنوية وأنه يجمع منهم الغرامات عند ما تحدث أعمال الشغب والإخلال بالنظام فى أراضيهم . ولكن ليس هناك أى دليل على دفع مكافآت أو غرامات فى السنوات الأخيرة . وهناك شك فى أن السلطان أو إمام عمان يمارس أية سيطرة فى الواقع فالقبيلة مستقلة من ناحية عملية مع أن هناك أقساماً ، تقيم فى أراضى تتبع للسلطنة دون نزاع (ضنك مثلا)(١٨٣) .

وهنا يجب أن نذكر أن ضنك لا « تتبع للسلطنة دون نزاع » .

٣٦٨ — وفى مقالة ظهرت فى العدد الصادر فى عام ١٣٦٩ هـ (إبريل ١٩٥٠ م) من المجلة الجغرافية الكندية ، يقدم المستر رونالد كودراى الذى أقام فى ساحل الصلح بعض الزمن ممثلا لمجموعة شركة نفط العراق ، شهادة بريطانية أخرى حول الوضع الحقيقى لسلطنة مسقط وحول وجهة النظر البريطانية فى وضع واحة البريمى :

تشتمل عمان من ناحية جغرافية على ساحل الصلح وواحة البريمى فى الشمال الغربى وعلى ظفار فى الجنوب الغربى . أما من الناحية السياسية فهى أبعد ما تكون عن كيان واحد ، فساحل الصلح مشيخة مستقلة (كذا) وعمان نفسها سلطنة مستقلة والبريمى منطقة محايدة صغيرة . أما ظفار فهى جزء منعزل من السلطنة لا تكاد تزيد على كونها مصيفاً للسلطان .

---

(١٨١) « مذكرات عن القبائل » ص ١ .
(١٨٢) « مذكرات عن القبائل » ص ١٠ .
(١٨٣) « مذكرات عن القبائل » ص ١١ .

والبدوى العمانى رجل حرب بروحه يدين بالولاء لقبيلته لا لدولته . وقد كانت القبائل منذ عام ١٩١٣ ثائرة علناً وقد انتخبت منها إماماً وهو الزعيم الدينى . وهكذا تقتصر سلطة السلطان الفعلية على مسقط والقسم الملاصق لها من المنطقة الساحلية . وليس لمراسيمه أية فائدة فى خارج هذه المنطقة ، مما جعل السفر فى عمان أمراً عسيراً بشكل غير مألوف(١٨٤) .

ونرجو توجيه النظر بصورة خاصة إلى وصف كودراى للبريمى « بمنطقة محايدة » وهذا بالطبع رأى بريطانى خالص . وقد وردت أول بادرة رسمية عن اعتراف الحكومة البريطانية بادعاء أبو ظبى بأجزاء من البريمى ، وردت فى المذكرة البريطانية الموجهة فى عام ١٣٦٩ هـ (٤ ديسمبر عام ١٩٤٩ م) للملكة العربية السعودية (الفقرة ٥٩ من الفصل الخامس فيما بعد) . ويظهر أن النظرة الرسمية الجديدة لم تكن قد نقلت إلى المستر كودراى عندما كتب مقاله (الذى ربما كان قد أعد بالطبع قبل ديسمبر عام ١٩٤٩) ، ولكن كان لابد له أو لشركته من تلقى ذلك فى حينه . إن دليل شركة نفط العراق يبين التعاون الوثيق بين موظفى الحكومة البريطانية وممثلى شركات الزيت البريطانية فى جزيرة العرب :

بالنظر إلى الظروف السياسية والاجتماعية البدائية فإنه من الطبيعى ألا يجرى العمل إلا على أساس العون والإرشاد المبذولين من السلطات البريطانية التى يستطيع موظفوها السياسيون ، الذين يحتفظون على قلتهم بعلاقات وثيقة مع جميع عناصر الشعب ، أن يقوموا بتوفير الأمن والمعلومات الضرورية لاستمرار العمل(١٨٥) .

٣٦٩ — وفى مؤتمر الدمام الذى عقد فى عام ١٣٧١ هـ (يناير ١٩٥٢ م) تقدم المندوبون البريطانيون بالنيابة عن حاكم أبو ظبى خريطة تبين خطاً وصف بأنه يمثل الحدود التى يدعى الحاكم بها . وكانت هذه الخريطة نسخة من واحدة أعدتها الجمعية الجغرافية البريطانية الملكية لتشرح عليها الرحلات التى قام بها

(١٨٤) المجلة الجغرافية الكندية (١٩٥٠ م) ص ١٨٤ .

(١٨٥) « دليل شركة نفط العراق » ص ٥٨ .

ويلفرد ثسيجر [١٨٦]. وكانت النقطتان الرئيسيتان فى أقصى الجنوب والجنوب الشرقى موردى الماء القرينى وأم الزمول (انظر إلى الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض). وكان هذان الموردان غير معروفين لدى البريطانيين حتى قام ثسيجر بهذه الرحلة عبر الرمال الواقعة إلى الجنوب من الظفرة فى عام ١٣٦٦ هـ (أواخر ١٩٤٦ م) . وبالنظر إلى الملاحظات الواردة فى دليل شركة نفط العراق (الفقرة ٣٦٥ السابقة) فإن المرجح أنهما لم يكونا معروفين أيضاً لدى حاكم أبو ظبى . ومما يستحق الذكر أن ثسيجر لم يذكر كلمة واحدة عن نفوذ أبو ظبى أو أية علاقة للحاكم بالمنطقة التى يقع فيها هذان الموردان عندما مر بها فى عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م) [١٨٧].

٣٧٠ — وإذ حل عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) كان النشاط الجديد للبريطانيين وأعوانهم فى المنطقة التى يدور عليها البحث الآن قد وصل إلى حد اضطر السكان إلى أن يجددوا بقوة التماساتهم من الحكومة العربية السعودية بتعيين أمير للبريمى يحافظ على حقوقهم. ووصل تركى آل عطيشان إلى البريمى بصفته الأمير السعودى فى يوم عيد الأضحى (١٠ ذى الحجة ١٣٧١ هـ الموافق ١ سبتمبر ١٩٥٢ م) فاستقبل بمظاهرة رائعة من الحماس الشعبى والإخلاص للملكة السعودية [١٨٨]. ولأجل تسهيل إقامة العدل، عين الأمير الشيخ مبارك بن على بن سالم من آل بو شامس قاضياً لكى يعمل جنباً إلى جنب مع الشيخ عبد الله بن عبد العزيز (الفقرة ٣٥٩ السابقة) الذى كان يقظ الفكر وفتى الروح وإن كان متقدماً فى السن. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ مبارك قاض يتبع المذهب المالكى وإن كان يبنى أحكامه فى كثير من الأحيان على نصوص مأخوذة من كتب الحديث الرئيسية للمذهب الحنبلى .

---

(١٨٦) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) .

(١٨٧) المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٨ م) ص ٦ و ٧ و ١٠ .

(١٨٨) ستعرض الأحداث التى وقعت عقب وصول ابن عطيشان فى الفصل الخامس فيما بعد .

٢١ – حكم الملك سعود بن عبد العزيز ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م)

٣٧١ – توفى جلالة الملك عبد العزيز فى ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣ م) وخلفه ولده سعود . وإذ كان صاحب الجلالة الملك سعود وثيق الارتباط بوالده فى شئون إدارة الدولة خلال سنوات كثيرة ، فقد أصبح عارفاً تمام المعرفة بالمبادئ التقليدية للحكم السعودى ، وقد كرس نفسه ليوفر لشعبه أقصى ما يمكن من مزايا حكومة إسلامية صحيحة تعمل فى العالم الحديث . وإن جلالته يرغب بإخلاص فى تسوية ودية للمشاكل القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية ، إلا أنه – مثل والده الراحل – قوى الإحساس بالحقوق التاريخية لآل سعود ورغبات شعبه الثابت على الإخلاص والولاء لعرش جلالته .

٣٧٢ – توفى الإمام محمد بن عبد الله الخليلى فى ٢٩ شعبان ١٣٧٣ هـ (أوائل مايو ١٩٥٤ م) . وقد انتخب شعب عمان وزعماء الأباضية الشيخ غالب بن على الهنائى إماماً على عمان ، وهو الذى كان قد اختير لهذا المنصب الجليل بموافقة الإمام السابق قبل ذلك بقليل . أما سلطان مسقط فقد كان يبذل جهوده لعدة سنوات محاولا إقناع شعب عمان أنه مرشح لائق لهذا المنصب .

> وكذلك فقد تمسك بأهداب الدين وفروضه كما أعاق كثيراً من التطورات الممكنة منذ عام ١٩٤٨ ، وعمليات الزيت بوجه خاص . ثم إنه حاول أن يبنى لنفسه سمعة ترتكز على السنة الدينية الصحيحة . [١]

بيد أن أهالى عمان تمسكوا برفضهم قبول أحد أفراد آل بو سعيد رئيساً لدولتهم .

(١) « مذكرات عن القبائل » ص ١٤ .

٣٧٣ – وكما سوف يبين بتفصيل أوفى فى الفصل الخامس ، فقد لجأ البريطانيون وأعوانهم إلى استخدام القوة العسكرية بعد وصول تركى آل عطيشان إلى البريمى ، مع أن جماعة ابن عطيشان الصغيرة كانت مدنية فى طابعها . وقد نصت اتفاقية التوقف الموقعة فى عام ١٣٧٢ هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ م) على الكف عن استخدام مثل هذه القوة ولكن البريطانيين عادوا إلى استخدامها بعد أن ألغوا الاتفاقية فى عام ١٣٧٢ هـ (٢ إبريل عام ١٩٥٣ م) من جانب واحد . وقد أعادت اتفاقية التحكيم الموقعة فى عام ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤م) المساواة العسكرية فى المناطق الخاضعة للتحكيم . وفى المفاوضات التى أدت أولا إلى اتفاقية التوقف ثم إلى اتفاقية التحكيم كما سيوضح فى الفقرتين ٩٥ و ١٠٩ من الفصل الخامس فيما بعد ، سعت الحكومة العربية السعودية إلى تطبيق النصوص على منطقة أوسع بكثير مما كانت الحكومة البريطانية مستعدة لأن تقبله . ويمكن ملاحظة موقف الحكومة البريطانية هذا فيما يتعلق بالأعمال التى اتخذها سلطان مسقط وأعوانه منذ ٢٩ ذى القعدة (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) فى المناطق الخارجة عن مجال اتفاقية التحكيم . ومع أن الأثر المباشر لهذه الأعمال يقع على مناطق خارجة عن نطاق هذا التحكيم ، إلا أن هذه الأعمال جديرة بالتدوين هنا ، حيث أن وقعها لا يزال ملموساً حتما فى المناطق الخاضعة للتحكيم كما أنها تمس مشاعر الأهلين الذين يعيشون هناك بصورة مباشرة . وكما أعلنت الحكومة العربية السعودية باستمرار ، فإن البريمى لا تقع داخل فراغ معزول عن الإقليم المحيط بها ، ولا يمكن لسكانها إلا أن يتأثروا عندما يتعرض أقاربهم وأصدقاؤهم المجاور لإزعاج أجنبى .

٣٧٤ – ومعظم الأعمال التى أشير إليها فى الفقرة السابقة قد اتخذت باسم سلطان مسقط ، حيث أن تحديد المناطق التى تخضع للتحكيم لا يدع مجالا واسعاً لأعمال مماثلة تتخذ باسم حاكم أبو ظبى . وعندما وقعت اتفاقية التحكيم ،

كان هناك مركز عسكرى فى محضة باسم السلطان وهى لا تبعد إلا كيلومترات قليلة فيما وراء دائرة البريمى . وينبغى التأكيد بأن محضة تقع على بعد أكثر من أربعين كيلو متراً إلى غرب المركز الذى وصفه وزير السلطان وناظر ماليته عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) بأنه الموقع الذى يعين الحد الغربى لدولة مسقط ، ولم يسبق لجندى واحد من جنود السلطان أن عسكر فى محضة قبل وصول ابن عطيشان إلى البريمى . وإن الإبقاء على هذا المركز واستمرار نشاط الجنود المعسكرين هناك منذ توقيع اتفاقية التحكيم لأمر هام بالنظر إلى إصرار الحكومة البريطانية على تحديد نصف قطر دائرة البريمى بأقل من خمسة وعشرين كيلو متراً . وأن الأسلوب الذى اتبعه جنود السلطان لإيذاء الرعايا السعوديين فى محضة يتجلى فى أقوال عبيد بن جمعة وهو شيخ قبيلة بنى كعب وأبرز شخصية فى محضة ، وقد أخرج من موطن آبائه وأجداده وأرغم على الفرار هرباً بحياته (الملحق ١١٣) . وقد ارتكبت أعمال عدوانية أخرى منذ توقيع اتفاقية التحكيم . وإن عجز السلطان عن السيطرة وحده على الأراضى المدعى بها باسمه ، ليتضح من أن الأعمال التى تقوم بها القوات فى محضة يوجهها الضباط البريطانيون وينفذ أغلبها قوات عدن التى تجلبها الحكومة البريطانية . وهناك عدد آخر من المراكز المشابهة محتفظ بها فى الجبال بين محضة ووادى القور فى الشمال ، أى أنها واقعة فيما هو معترف بأنه ديرة بنى كعب . على أن المركز فى محضة ، وهو أقرب الجميع إلى دائرة البريمى ، لا يزال أكثرها تهديداً بالخطر .

٣٧٥ — ويتضمن التاريخ المسرود فى الصفحات السابقة بيانات عديدة للموظفين البريطانيين آخرها يعود إلى خمس سنوات ماضية فقط (الفقرة ٣٦٧ السابقة) وهى تؤكد بأن سلطة السلطان محصورة فى الساحل . وقد اعترفت مسقط بموجب معاهدة السيب الموقعة عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م (الفقرة ٣٣٤ السابقة) باستقلال أهالى عمان فى الداخل . ولكن على الرغم من ذلك فإن هدف

الحصول على نقطة ارتكاز للسلطان هناك لم يصرف النظر عنه إلى الأبد . ففى أواسط عام ١٣٧٣ (فبراير عام ١٩٥٤ م) اتخذت الخطوة الرئيسية الأولى نحو تحقيق هذا الهدف عندما أرسلت فصيلة من جنود مسقط يقودها ضباط بريطانيون ، ونزلت فى الدقم على الساحل الجنوبى لعمان بصحبة فرقة استكشاف أوفدتها شركة الزيت البريطانية فى مسقط .وفى شهر أكتوبر توغل الجيولوجيون والجنود من الدقم إلى الداخل مسافة خمسمائة كيلو متر تقريباً وذلك بقصد إقامة مركز فى فهود على مقربة من الحدود الجنوبية لإمامة عمان . أما الخطوة التالية فقد جاءت بعد ذلك بأسابيع قليلة عندما قطعت فصيلة من جنود مسقط بقيادة ضباط بريطانيين الجبال واحتلت بلدة عبرى الهامة الواقعة إلى الجنوب الشرقى من البريمى . وكانت نتيجة هذه الأعمال الإحداق بالإمامة من كل جانب مع فرض حصار عسكرى يبلغ من الإحكام والشدة ما بلغه الحصار الذى فرض على البريمى خلال تولى ابن عطيشان مهام منصبه .

٣٧٦ ـ إن المحاولة لتوسيع سلطة سلطان مسقط بالقوة العسكرية جنباً إلى جنب مع البحث عن الزيت ، لتظهر فى الحوادث التى وقعت فى عبرى خلال الشهور القليلة الماضية ، وقد جرى ذكر احتلالها فى الفقرة السابقة . ولم يكن للسلطان فى الماضى وال أو حاكم على عبرى (قارن بالفقرة ٢٥٦ السابقة) ، فى حين أنه كان لإمام عمان وال هناك منذ عام ١٣٤٤ ﻫ (١٩٢٥ م) (الفقرة ٣٤٣ السابقة) إلى أن جرى احتلال المكان تحت إشراف الضباط البريطانيين عام ١٣٧٣ ﻫ (١٩٥٤ م). وقدم موظف من حكومة السلطان بصحبة الجنود الذين وصلوا إلى الموقع معلناً بأنه هو الآن والى عبرى . وفى محاولة لإظهار سلطته ، قام الوالى المزعوم يسنده الجنود بإرغام الأهلين فى المناطق المجاورة على دفع مبالغ من المال خلال القسم الأخير من ١٣٧٤ ﻫ (أوائل صيف عام ١٩٥٥ م) تحت ستار الزكاة الإسلامية . ولم يكن السلطان فى

الماضى قادراً على جمع الزكاة الصحيحة (قارن بالفقرة ٣٢٨ السابقة) ، وهذه المحاولة فى القيام بمثل هذه الجباية فى مثل هذا التاريخ المتأخر لتنطوى على اعتراف ذى مغزى عن أهمية الزكاة الصحيحة فى تقرير السيادة فى دولة إسلامية.

٣٧٧ — إن النكبة الحالية التى حاقت بأهالى عمان قد دفعت الشيخ سليمان ابن حمير زعيم الجبل الأخضر واليد اليمنى للإمام الجديد إلى توجيه نداء مؤثر فى كتاب إلى جلالة الملك سعود بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ (الموافق أول يوليو سنة ١٩٥٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاى صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

لقد أحاط بنا الانجليز والسيد سعيد وأمرهم لا يخفى عليكم فينا ونحن لا لنا حول ولا قوة إلا بالله وبكم وأنت أخبرتنى لما كنت فى حضرتك العلية قلت لى من أراد منا فنحن لا نرى بدا منه فنحن ومن حاله من حالنا نريد منكم وندخل تحت ظل حمايتكم العلية والمشايخ الأمراء آل حموده (زعماء قبيلة بنى بوعلى)[٣] كذلك وأقول أنا أول صديق عمانى لكم وحاشاك أن تخذلنا ونحن نطلب منك فعجل لنا بنصرتك رجالا وقوة وأرضنا كلها أرضك حيث تريد تنزل أصحابك ونستجير بالله وبك فالغوث الغوث . . .

---

(٣) انظر الفقرة ٥٤ السابقة من أجل الوقوف على تاريخ بداية دخول هذه القبيلة فى ولائها القديم لآل سعود .

٢٢ ـ النتائج

٣٧٨ ـ لقد كان أساس حكم آل سعود لمدة قرنين من الزمان هو السير على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتمت العودة إليها بزعامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد انتشرت الدعوة إلى التوحيد ، وهى أول حركة فى العصر الحديث لتطهير حياة المسلمين ورفع شأن الإسلام ، من مراكش فى الغرب إلى أندونيسيا فى الشرق ، غير أن جزيرة العرب بقيت محورها ومركزها ، كما أن أعظم وقع وتأثير لها كان فى نفوس عرب الجزيرة . وقد أخرج آل سعود فى غمار تأييدهم لهذه الحركة سلسلة من الحكام العظام المخلصين لعقيدتهم والمكرسين أنفسهم لشعبهم . ففى حكومتهم ، التى قامت على أساس الشرع ، كانوا دائماً على صلة وثيقة برعاياهم . وبينما هم على استعداد إذا ما دعت الحاجة لخوض غمار القتال فى سبيل قضية عادلة ، فإن أئمة آل سعود ما زالوا يعتقدون أن صيانة السلام العربى هو أفضل الوسائل لرعاية مصالح الناس فى الجزيرة .

٣٧٩ ـ إن استمرار الدولة السعودية ظل سليماً خلال القرنين الماضيين . وعندما تسبب التدخل الأجنبى فى توقف سير الحكم السعودى مدة قصيرة خلال اوائل القرن التاسع عشر ، وكذلك عندما أصبح هذا الحكم ضعيفاً حوالى أواخر القرن نفسه ، فقد بقيت مثل الدولة تعيش فى قلوب الناس ، كما قوبل رجوع المظاهر الخارجية لهذا الحكم بحمد الله والثناء عليه . وكان أعظم استرداد للحكم هو الاسترداد الأخير الذى قام به الملك عبد العزيز « الذى يكاد يكون آخر الأبطال والفرسان »[١] . « والقصة تجعل قلوب العرب تنبض ، كأنها ملحمة لا تزال ذكراها عالقة بالأذهان »[٢] .

---

(١) السر أولاف كارو « منابع القوة » (١٩٥١ م) ص ٣٧ . كان السر أولاف وزير الشئون الخارجية فى حكومة الهند خلال الحرب العالمية الثانية .

(٢) كارو ، ص ٣٥ .

٣٨٠ — وتؤكد هذا التاريخ الروابط القديمة الباقية على مر الزمن بين آل سعود والمناطق المتنازع عليها . لقد جرى ذكر البريمى أكثر بكثير من ذكر المناطق الغربية — الظفرة وغيرها — لأن البريمى كانت مركز الإدارة الرئيسى شرق الحسا . وممارسة السلطة على المناطق الغربية من قبل الموظفين السعوديين فى البريمى أمر مفروغ منه ، على أن الأسلوب المرن الذى انتهجته الحكومة السعودية فى الترتيبات الإدارية ، كان يسمح أحياناً بأن تقوم الحسا أو الرياض بممارسة الإشراف المباشر . وكانت أغلبية حركة التنقل بين نجد والحسا من ناحية ، وإقليم البريمى من ناحية أخرى ، تتخذ سبيلها دائماً عن طريق البر لا عن طريق البحر . وجميع المناطق الغربية تقطنها قبائل يعود ولاؤها لآل سعود إلى قرن ونصف فى الماضى . أما بالنسبة للبريمى نفسها فإن هذا السرد التاريخى يقدم قائمة طويلة بأسماء امراء سعوديين عينوا هناك بشكل رسمى امتدت خدمة بعضهم هناك مدة سنوات طوال . وكان بجانب كل أمير قاض يتولى السلطة القضائية العليا فى الإدارة . وقد اوردت أسماء عدد كبير من هؤلاء الأشخاص ، ولكن الوثائق الباقية لم تسجل أسماءهم جميعاً . وبالإضافة إلى هؤلاء الموظفين ، كانت الحكومة العربية السعودية تعتمد دائماً على رؤساء القبائل الذين يحتفظون بمناصبهم بفضل السلطة المركزية ويعملون باسمها . وقد تتجول القبائل ، التى يمارسون سلطاتهم عليها ، بعيداً عن العاصمة ، ولكن أحداً من وكلاء الملك لم يسبق له أن قال لهم بعجرفة إنهم لن يروا وجه ملكهم (قارن بالفقرة ٣٠٠ السابقة) . وإن أهالى إقليم البريمى وكذلك أهالى المناطق الغربية ليرتبطون باستمرار مع آل سعود برباط الإسلام ، وهناك ركنان من بين أركان الدين الخمسة جديران بتنويه خاص فى هذا الصدد ، وأحدهما هو دفع الزكاة السنوية إلى الإمام المعترف به ، وذلك هو الأسلوب المتبع فى الإسلام للإقرار بسيادة الحاكم الذى يتعين عليه مقابل ذلك أن يمنح الحماية عند الحاجة (انظر الفقرة ٣٨

من الفصل السادس فيما بعد). أما الركن الثانى وهو الحج إلى بيت الله فقد عمل على تيسيره كثيراً المركز المحترم الذى يتبوأه ملك البلاد العربية السعودية بوصفه خادم الحرمين الشريفين ، ومهمته هذه تعتبر من أقدس الأمانات فى الإسلام .

٣٨١ — وليس لحكومة سلطان مسقط أى أساس دينى ترتكز عليه . فإن آل بو سعيد لم يخرج إمام من نسلهم الرئيسى منذ قرن ونصف من الزمان . والسلطان الحالى ، وهو أباضى ، قد رفضه بشدة جماعة الأباضية على وجه العموم فى سنة ١٣٧٣ هـ (شهو مايو ١٩٥٤ م) . كما أنه ليس للسلطان أية سلطة لجمع الزكاة أو ممارسة غيرها من مظاهر السلطة فى الحكم الإسلامى . فحكومته دنيوية مقصورة على الساحل ، لأن الأكثرية الغالبة من أهالى عمان فى الداخل يرغبون فى العيش فى ظل حكومة دينية . وحكومته كذلك لا تقوم إلا بالمساندة البريطانية ، وبدون هذه المساندة ما كان بوسعها أن تبقى وتدوم ، كما أقر بذلك وكرره مراراً الموظفون البريطانيون العالمون ببواطن الأمور . ومنذ الحرب العالمية الأولى والإنكليز يحتلون المراكز الرئيسية فى حكومة السلطان كما يشرف الضباط البريطانيون على قواته العسكرية . على أن هذا جميعه لم يكن كافياً فقد وجدت الحكومة البريطانية أنه من الضرورى أن تجلب جنوداً من الخارج فى الأزمات .

٣٨٢ — وكما يتبين من هذا العرض ، فإنه لم يكن هناك اتصال له أهمية تذكر بين مسقط والبريمى فى الماضى . فعلى عكس ما هو الحال بشأن المملكة العربية السعودية ، لا تستطيع مسقط تقديم قائمة تتضمن أسماء أمراء أو قضاة أو غيرهم من الموظفين الذين خدموا باسمها هناك. ولقد أكد الموظفون البريطانيون مراراً عدم وجود أية سلطة تتصل بالسلطان فى البريمى ، كما سبق للمصادر البريطانية أن ذكرت فى السنوات الأخيرة بأنه ليست هناك أسس يرتكز عليها أى ادعاء لمسقط بالبريمى .

٣٨٣ – وليس لحكومة أبو ظبي أيضاً أية أسس دينية يرتكز عليها حكمها ، فهي تقوم في الدرجة الأولى على السياسة البالية التي تتبعها الحكومة البريطانية في الخليج الفارسي . وحكومة أبو ظبي هذه بدائية الشكل لدرجة تجعل من الصعب على البريطانيين أن يسيطروا عليها بنفس الطريقة التي يتبعونها مع حكومة مسقط ، فالموظفون البريطانيون لا يحتلون مراكز رئيسية لأن مثل هذه المراكز ليس لها وجود . وعلى الرغم من ذلك ، فإن سلطة البريطانيين ، مع أنها تمارس في أبو ظبي بأسلوب يقل في مظهره عما هو عليه الحال في مسقط ، إلا أنها تتساوى في فعاليتها في كل من أبو ظبي ومسقط . ونكتفي هنا بذكر مثل واحد فقط على ذلك ، وهي الطريقة التي رسم بها البريطانيون خط حدود ليقدم باسم الحاكم، نظراً لعجز الأخير عن « تفهم الخطوط على الخريطة أو العلامات على الأرض »(الفقرة ٣٦٥ السابقة) .

٣٨٤ – وكما يتبين من هذا السرد ، فإن السلطة المزعومة لأبو ظبي في المناطق الغربية المتنازع عليها تكاد تكون كلياً من اختراع الموظفين البريطانيين ، وهم الذين وضعوا الأسس على الورق ، دون الواقع ، لادعاءات بأراض ما زال كثير من أجزائها مجهولا لدى رؤساء أبوظبي وأهاليها القليلين .وفي خلال السنوات العشرين الماضية تكون لدى البريطانيين اهتمام متزايد بهذه الأراضي جعل الحكومة البريطانية تتخلى عن سياستها التقليدية بالابتعاد عن داخل جزيرة العرب وبتجنب التدخل في الأمور الداخلية للبلاد الواقعة تحت حمايتها . أما فيما يتعلق بصلة أبو ظبي بالبريمي ، حيث يملك الحاكم وأفراد عائلته مزارع نخيل ، فإننا نكتفي هنا بأن نؤكد الحقيقة بأن المصادر البريطانية الرسمية لم تكن تحتوي قبل ديسمبر ١٩٤٩ على أية إشارة لأية سيادة يتمتع بها الحاكم على الواحة . والمصادر البريطانية التي تسبق ذلك كانت تتجه إما إلى الاعتراف بالسلطة السعودية على البريمي أو أنها تردد وجهة النظر الرسمية التي ثبتت عليها الحكومة البريطانية

باستمرار خلال النصف الأول من هذا القرن ، بأن الواحة كانت مستقلة تحت سلطة زعماء نعيم الذين لم ينكر البريطانيون ولاءهم لآل سعود وللدعوة إلى التوحيد منذ القدم .

٣٨٥ — وإذ تطالب المملكة العربية السعودية بالمناطق المتنازع عليها فإنها لا تسعى وراء ضم أراض جديدة. فإن مطالبها تقوم على أساس أن هذه المناطق مع سكانها كانت، ولا تزال، سعودية منذ مائة وخمسين عاماً . وينظر هؤلاء الأهالى الذين يملأ نفوسهم ولاء لآل سعود موروث ، إلى المملكة العربية السعودية فى عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥ م) على أنها خير أمل لتحقيق الوحدة الإسلامية ، والاتحاد العربى ، والتحرير من السيطرة الأجنبية .

الفصل الخامس

التاريخ الدبلوماسى ١٣٢٩ – ١٣٧٣ هـ (١٩١١ – ١٩٥٤ م)

١ – فى الفصول السابقة قدم وصف لجغرافية المناطق المتعلقة بعمل الهيئة ولسكان تلك المناطق وتاريخها المحلى . وسيخصص هذا الفصل لعرض التاريخ الدبلوماسى لهذه المناطق مع تحليل للأهمية الحاضرة لشتى المفاوضات والمقترحات والمقترحات المضادة والاتفاقات (بما فى ذلك الاتفاقات المزعومة والاتفاقات التى لم يكتمل وجودها) والخلافات التى برزت فى ذلك التاريخ . وتشمل الحوادث المسرودة الفترة من نحو سنة ١٣٢٩ إلى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩١١– ١٩٥٤ م) . وهى تبدأ بالمفاوضات الانكليزية التركية بين عامى ١٣٢٩ و ١٣٣٢ هـ (١٩١١ و ١٩١٤ م) بشأن أمور الخليج الفارسى ، وبالنشاط المعاصر للملك عبد العزيز الذى كان إذ ذاك قد استقر تماماً على عرش آبائه حاكماً لنجد . وفى المرحلة التالية ، بعد فترة الهدوء التى تلت حرب ١٣٣٢ – ١٣٣٧ هـ (١٩١٤ – ١٩١٨ م) ، بدأت المفاوضات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة فى صدد هذه المناطق فى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) واستمرت حتى عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م) وفى أثناء حرب ١٣٥٨ – ١٣٦٤ هـ (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) تركت هذه المفاوضات جانباً دون الوصول إلى أى تفاهم ، ثم استؤنفت فى عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) واستمرت بشىء من الانتظام بضع سنين . ولما تعذر الاتفاق عن طريق المفاوضات ، اتفق الجانبان فى عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) من حيث المبدأ على التحكيم ، وبعد محادثات أخرى مسهبة وقعا فى يوم ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو سنة ١٩٥٤ م) اتفاقية التحكيم التى شكلت بمقتضاها هيئة التحكيم هذه لحل خلافاتها .

١ - المفاوضات الإنكليزية التركية ١٣٢٩ - ١٣٣٢ هـ (١٩١١ - ١٩١٤ م)

٢ - فى عام ١٣٢٩ هـ (مارس ١٩١١ م) ، وبناء على طلب الحكومة العثمانية ، بدأت مباحثات بين تركيا والمملكة المتحدة بقصد تسوية المشاكل المختلفة التى كانت قائمة بينهما إذ ذاك . وقد كانت تركيا - بسبب متاعبها مع إيطاليا فى شمال إفريقيا ولأسباب أخرى - راغبة فى الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا . وفى سبيل الحصول على ذلك كانت مستعدة لأن تتنازل لمصلحة بريطانيا عن امتيازات محسوسة ، وخصوصاً فى مناطق مثل الخليج الفارسى حيث يمكن التضحية بادعاءات تركيا القائمة على الورق دون خسارة واقعية تذكر . ولم يعرف الاتجاه المعقد لهذه المفاوضات إلا منذ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) عندما نشرت الحكومة البريطانية القسم الثانى من المجلد العاشر من السلسلة الرسمية « للوثائق البريطانية بشأن أسباب الحرب ١٨٩٨ - ١٩١٤ » بإشراف المؤرخين الكبيرين الأستاذ جوتش والأستاذ تمبرلى . والوثائق التى طبعت فى هذا المجلد - ويبدو أنها تقدم سجلا يكاد يكون كاملا للمفاوضات من وجهة النظر البريطانية - هى المصدر الرئيسى للسرد التالى . .

٣ - قوبلت المقترحات الافتتاحية التى قدمتها تركيا[١] برد بريطانى[٢] فى عام ١٣٢٩ هـ (٢٩ يوليو ١٩١١ م) أورد المسائل التى ستبحث تحت العناوين الثلاثة التالية :

(١) خط سكة حديد بغداد (وكان فى ذلك الوقت موضوعاً رئيسياً للمنافسة الإنكليزية الألمانية)[٣] .

(٢) المصالح المتقابلة لكل من بريطانيا وتركيا فى منطقة الخليج الفارسى

---

(١) جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٤٥ - ٤٨ .

(٣) فى موضوع سكة حديد بغداد راجع كتاب ايرل « تركيا والدول العظمى وسكة حديد بغداد » (١٩٢٣ م) .

(٣) زيادة الرسوم الجمركية التركية التى كانت حسب النظام السائد يومذاك تتطلب موافقة الحكومة الأجنبية التى يعنيها الأمر .

غير أنه قد أكد أن المسائل الثلاث متشابكة تشابكاً وثيقاً بحيث لا يستطاع تسوية إحداها مستقلة عن المسألتين الأخريين . وعلى هذا الأساس جرت المفاوضات طوال عامى ١٣٢٩ و ١٣٢٠ هـ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حتى وقع مندوبو الحكومتين بالأحرف الأولى ثلاثة مشاريع اتفاقيات وتصريحات مختلفة مرفقة بها فى عام ١٣٣١ هـ (٦ مايو ١٩١٣ م) على أن يرجع فيها إلى جهات الاختصاص[٤] . وتتعلق مشاريع الاتفاقيات هذه بسكك الحديد فى آسيا الصغرى ، وبشئون الخليج الفارسى وبالملاحة فى شط العرب .

٤ — وبعد مباحثات وتعديلات أخرى وقعت الاتفاقيتان الخاصتان بالخليج الفارسى وشط العرب والتصريحات المختلفة المرفقة بهما فى لندن فى عام ١٣٣١ هـ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) من قبل إبراهيم حقى باشا عن تركيا والسر أدورد جرى عن بريطانيا[٥] . وحالت الصعوبات التى نشأت حول اتفاقية سكة الحديد دون توقيعها فى ذلك الوقت ، والواقع أن الاتفاقية لم تصل قط إلى مرحلة التوقيع . ونصت اتفاقية شط العرب فى المادة ٢١ على أن يبقى ذلك الترتيب سارياً مدة ستين سنة من يوم توقيعه . أما اتفاقية الخليج الفارسى فقد نصت من ناحية أخرى فى المادة ١٨ على ما يلى :

> سيصدق على الاتفاقية الحالية وسيجرى تبادل وثائق التصديق فى لندن حالما يتسنى ذلك ، وعلى أقصى تقدير فى غضون مدة ثلاثة أشهر .

---

(٤) النصوص فى كتاب جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٠٠ — ١١٤ .

(٥) النصوص فى كتاب جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٨٣ — ١٩٨ . كانت الوثيقتان باللغة الفرنسية .

وعلى الرغم من هذا النص فإن حقى باشا قال فى تصريح أفضى به يوم التوقيع إن الاتفاقيتين لن تصبحا ساريتين ما دامت الحكومة البريطانية تتمسك بتحفظات معينة صيغت فى مذكرة بنفس التاريخ من السر أدورد جرى . وهذه التحفظات جعلت موافقة بريطانيا على بعض الإصلاحات الضريبية والإدارية التركية معلقة على توقيع تركيا لاتفاقية سكة الحديد وعلى سماح تركيا بإدخال تغييرات على صلاحيات مصر فى الاقتراض[٦] . ولم يحدث قط فيما بعد أن سحب أى تحفظ من هذه التحفظات كما لم يسحب تصريح حقى باشا .

٥ — إن اتفاقية الخليج الفارسى التى وقعت فى يوم ٢٩ يوليو — وللسهولة سيشار إليها فيما بعد باسم الاتفاقية الانكليزية التركية عام ١٩١٣ — تعالج فى القسم الأول وضع الكويت وحدودها (وكانت الكويت بارزة حينئذ كمحطة نهائية محتملة لسكة حديد بغداد) ، وفى القسم الثانى قطر ، وفى القسم الثالث البحرين ، وفى القسم الرابع اعتراف تركيا بالإجراءات البريطانية فى الخليج الفارسى لمساعدة أعمال الملاحة والبوليس البحرى والحجر الصحى . وينص القسم الخامس والأخير على أن ترسم لجنة تخطيط على الأرض الحدود المختلفة المحددة فى نص الاتفاقية . وفى تصريح سرى مرفق ، وافقت تركيا على سحب موظفيها وقواتها من الكويت وعلى دفع مبلغ ألف جنيه لشيخ البحرين لتنازله عن جميع ادعاءاته فى جزيرة الزخنونية الواقعة بالقرب من الساحل جنوب البحرين غير بعيد عن ميناء العقير .

٦ — فيما يتصل بالتحكيم الحالى ، تعد المادة الحادية عشرة أهم قسم من الاتفاقية ، وهى أول مادتين فى الجزء المعنون « قطر » ونصها الكامل كما يلى :

> إن سنجق نجد العثمانى ، وحده الشمالى مبين بخط الحدود الموضح فى المادة السابعة من هذه الاتفاقية ، ينتهى صوب الجنوب عند الخليج تجاه جزيرة الزخنونية التى تتبع

---

(٦) النصوص فى كتاب جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٩٦ — ١٩٨ .

السنجق المذكور . وسيمتد خط يبتدىء من الطرف الأقصى للخليج المذكور فى اتجاه الجنوب إلى الربع الخالى مباشرة ، وسيفصل نجد عن شبه جزيرة قطر . وحدود نجد موضحة بخط أزرق على الخريطة المرفقة بالاتفاقية الحالية (ملحق ٥ (أ)) . أما وقد تنازلت الحكومة العلية العثمانية عن جميع ادعاءاتها المتصلة بشبه جزيرة قطر ، فالمفهوم لدى الحكومتين أن شبه الجزيرة المذكورة سيحكمها – كما كان الحال فى الماضى – الشيخ قاسم بن ثانى وخلفاؤه من بعده . وتعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها لن تسمح لشيخ البحرين بأن يتدخل فى الشئون الداخلية لقطر أو أن يتعدى على الحكم الذاتى لتلك البلاد أو أن يضمها إليه .(٧)

٧ – إن هذه المادة هى مصدر « الخط الأزرق » المشهور الذى يبدو فى الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض . وهناك نقطتان ينبغى مراعاتهما فيما يتعلق بهذا الوصف أولهما أن الجزء الأكبر من الأرض التى وصفت بأنها سنجق « نجد » العثمانى هو فى الواقع داخل منطقة الحسا الساحلية . وثانيتهما أنه من الهراء الجغرافى التحدث عن الخط الأزرق باعتبار أنه يفصل « نجد » عن شبه جزيرة قطر ، وهى رأس داخل فى البحر تقع قاعدته على مسافة غير قريبة شرق الخط الأزرق على زاوية قائمة معه ، كما أنه لا معنى لاعتبار الخط الأزرق مقرراً للحدود السياسية لقطر ، لأن الخط يخترق مناطق داخلية لم يسبق لها أى ارتباط بتلك المشيخة حتى فى عرف البريطانيين أنفسهم . إن أحد الألغاز المحيطة بالخط الأزرق التى لم تحل بعد ، هو إلى أية وحدة أو وحدات سياسية يستطيع البريطانيون أن ينسبوا إليها ملكية الإقليم الداخلى الشاسع الواقع شرقى الخط ، دون أن يقعوا فى حرج ظاهر . ففى جميع شرق جزيرة العرب لم يوجد ولا يوجد حاكم يقع تحت السيطرة البريطانية يستطيع أن يدعى بشكل مقبول بعشر هذا الإقليم .

٨ – وبسبب استمرار الصعوبات فى وضع الترتيبات المتعددة الجوانب اللازمة لسكة حديد بغداد والامتيازات الاقتصادية الأخرى ، لم يصدق على

(٧) جونش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ١٩٣ .

اتفاقية عام ١٩١٣ فى فترة الأشهر الثلاثة المحددة . وتم توقيع اتفاقيات إضافية مدت مدة التصديق من قبل بريطانيا وتركيا فى ٢١ أكتوبر ١٩١٣ و ١٠ ديسمبر ١٩١٣ و ١١ فبراير ١٩١٤ و ٢٤ مارس ١٩١٤ و ٢٦ يونيو ١٩١٤ ، وحدد آخر هذه الاتفاقيات ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٤ آخر موعد لتبادل وثائق التصديق(٨) . وحتى ٢٠ أغسطس ١٩١٤ ، بعد بدء الحرب فى أوربا ، اقترح الممثل التركى أن تمضى الحكومتان فى التصديق ، ولكن لا يبدو أن هذا الاقتراح قد عمل به من جانب البريطانيين .(٩) وبحلول ٣١ أكتوبر ١٩١٤ أصبحت الأمتان على بعد ساعات قليلة من الحرب ، وأصبح عدم التصديق على اتفاقية عام ١٩١٣ حقيقة دائمة فى التاريخ .

٩ ـ بينما كان التصديق على اتفاقية عام ١٩١٣ يؤجل المرة تلو المرة ، وقعت تركيا والمملكة المتحدة اتفاقية فى لندن فى عام ١٣٣٢ هـ (٩ مارس ١٩١٤ م) بصدد حدود عدن ـ وسيشار إليها فيما بعد بالاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٤ . وقد قضت هذه الاتفاقية بتبادل وثائق التصديق فى غضون ثلاثة أشهر ، ويقال إن ذلك تم فى عام ١٣٣٢ هـ (٣ يونيو ١٩١٤ م) .(١٠) وقد أيدت الاتفاقية قبل كل شىء بعض البروتوكولات (وهى ملحقة بالاتفاقية) التى وضعت فى أعوام ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٥ م من قبل المفوضين البريطانيين والترك ، الذين كانوا قد قاموا بمسح خط الحدود ورسمه على الأرض بين الأراضى التى أعلن أنها تابعة لعدن والأراضى التى أعلن أنها تابعة « لولاية اليمن » التركية .

---

(٨) جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٢٤١ و ٢٨٢ .

(٩) جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٤٢٠ .

(١٠) ورد هذا التاريخ فى كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٤٣ . ولكن من العجيب أن وثائق التصديق لم تنشر فى ذلك الوقت سواء فى « سلسلة المعاهدات » البريطانية الرسمية أو فى سلسلة « الأوراق البريطانية والأجنبية الرسمية » .

(١١) نص الاتفاقية والبروتوكولات وارد فى كتاب « المعاهدات » لايتشيسون ، مجلد ١١ ، ص ٤٢ ـ ٥٢ . ونص الاتفاقية (بدون البروتوكولات) فى كتاب جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

وبعد تنقيحات ثانوية تتصل بهذه الحدود ، مضت الاتفاقية فنصت على أنه من نقطة اسمها لكمة الشعوب (أو الأشعوب) بالقرب من النهاية البرية للخط الممسوح

> . . . تتبع حدود الأراضى العثمانية خطاً مستقيما يمتد من لكة الشعوب فى الاتجاه الشمالى الشرقى إلى صحراء الربع الخالى فى زاوية ٤٥ درجة . ويتصل هذا الخط فى الربع الخالى عند خط عرض ٢٠ درجة ، بالخط المستقيم المباشر المتجه جنوباً الذى يبدأ من خليج العقير عند نقطة على الساحل الجنوبى، والذى يفصل الأراضى العثمانية لسنجق نجد عن أراضى قطر وفقاً للمادة ١١ من الاتفاقية الإنكليزية العثمانية بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩١٣ الخاصة بالخليج الفارسى والأراضى المحيطة به .
> وأول الخطين موضح باللون البنفسجى وثانيهما باللون الأزرق فى الخريطة الخاصة المرفقة مع هذا . . . .

وهذا الخط الخاص باتفاقية عام ١٩١٤ ، الذى سيشار إليه فيما بعد بالخط البنفسجى ، يظهر فى الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض .

١٠ – بينما كان المشاون البريطانيون والترك فى لندن يقومون فى عامى ١٩١٣ و ١٩١٤ م بالتصرف بحدود جزيرة العرب غيابياً على هذا النحو أخذتهم الأحداث التى جرت هناك على حين غرة . ففى فصل الربيع من سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) تحرك الملك عبد العزيز ليطرد الحامية التركية من الحسا ويعيد تلك المنطقة إلى موضعها بين ممتلكات آل سعود . وفى أوائل شهر مايو سقطت الهفوف بعد هجوم ليلى مفاجىء ، وتلتها القطيف بعد بضعة أيام ، وفى غضون الشهر خرج الترك من الحسا بعد أن سمح لهم بأن يذهبوا بحرية وسلام .[١٢] فلما وقعت الاتفاقية الانكليزية التركية فى ٢٩ يوليو لم يكن قد بقى للترك فيما سمى « سنجق نجد العثمانى » أية سلطة . وقد كتب السر برسى كوكس الذى

---

(١٢) خير ما كتب بلغة غربية عن هذا الفتح هو ما ورد فى كتابى فلبى « اليوبيل العربى » (١٩٥٢م) ص ٢٩ – ٣١ و « البلاد العربية السعودية » (١٩٥٥ م) ص ٢٦٦ – ٢٦٨ .

كان آنئذ المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى عن هذا الانقلاب المفاجىء :

كان يمكن أن يكون ذلك تطوراً طريفاً متوقعاً فى أى وقت حتى اللحظة التى بدأنا فيها هذه الاتفاقية الودية مع الترك ، معترفين على وجه التحديد و بصورة عرضية بأن الحسا جزء من ممتلكات تركيا . وحدوث هذه الآن أمر غير مناسب أبداً . . . فنحن الآن فى موقف عسير إزاءه (أى عبد العزيز) .(١٣)

١١ — وكما سيرد فى سياق هذا السرد فيما بعد ، زعمت المملكة المتحدة فى سنين تالية أن الملك عبد العزيز عقد اتفاقا مع السلطات التركية فى عام ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٤ م) ، أى بعد سنة من فتح الحسا ، حمل بمقتضاه لقب والى نجد وارتضى الاشراف التركى على علاقاته الخارجية . ويبدو أن المملكة المتحدة استنتجت من ذلك فى سنوات متأخرة أن حاكم نجد قد قبل بموجب عمله هذا الاتفاقيات الانكليزية التركية السابقة لذلك التاريخ وصار خاضعا لها . أما أنه قد جرت مكاتبات ومباحثات بهذا الشأن ، فيبدو أن هذا قد وقع بالفعل ، غير أنه لم يكن العثور فى المحفوظات السعودية على نص أى اتفاق سعودى تركى منجز .(١٤) وسواء كان هناك فعلا اتفاق من هذا النوع أم لا ، فذلك على أى حال أمر قليل الأهمية إذا روعى سياق الحوادث فى تلك الفترة ، فقد كان الوقت وقت منافسات سياسية حادة لا بين الدول الأوربية وتركيا فحسب ، بل كذلك بين زعماء جزيرة العرب أمثال الملك عبد العزيز والملك الحسين شريف مكة المكرمة وآل رشيد . ففى السنوات العشر السابقة كانت هناك سلسلة دائمة من المناورات المعقدة التى كان الترك يحاولون عن

---

(١٣) نقلا عن كتاب فيليب جريفز « حياة السر برسى كوكس » (١٩٤١ م) ص ١٧٠ — ١٧١ . وطبعاً لم تعترف الاتفاقية بالحسا على وجه التعيين جزءاً من ممتلكات تركيا ، إذ أنها لم تشر إلى الحسا إطلاقاً .

(١٤) قارنه بحديث الشيخ يوسف ياسين مع المستر رندل والسر ريدر بولارد فى يوم ١٩ مارس ١٩٣٧ (الفقرة ٤٣ اللاحقة) .

طريقها انقاذ مركزهم المتداعى بمناصرة زعيم ضد آخر . فبينما كان الترك فى عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) يتحدثون مع السيد الجديد فى الحسا كانوا يبعثون بالأسلحة والمال إلى آل رشيد ليستخدموها ضده .[١٥] وأصدق عبارة عن هذه الإجراءات البيان المجمل الوارد فى كتاب وزارة الخارجية البريطانية نفسها بعنوان « دليل الصلح عن تركيا الآسيوية » وقد نشر فى عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) :

> أدى مسعى أخير قام به الترك للاحتفاظ ببقية من نفوذ عن طريق إقناع ابن سعود بالاعتراف بسيادتهم الاسمية على الأراضى التى كان قد كسبها فعلا ، أدى إلى مفاوضات استمرت من سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) إلى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) وانهارت بنشوب الحرب .[١٦]

١٢ — ولم تكن المملكة المتحدة نفسها زاهدة عن الاشتراك فى هذه المباراة فى السياسة العربية .[١٧] فلم يمض وقت طويل على سقوط الحسا فى يد حاكم نجد ، حتى زاره فى العقير الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين ، وتلا ذلك رسائل من السر برسى كوكس .[١٨] وقبل نهاية السنة زار الرياض الكابتن شيكسبير الوكيل السياسى فى الكويت . ويبدو أن عبد العزيز لم يبلغ فى هذه المحادثات بشىء عن المفاوضات الإنكليزية التركية فى لندن التى كانت الحكومة البريطانية تتعامل فيها مع غيره بشأن الأراضى التى كانت فى حوزته . غير أن علاقات البريطانيين معه استمرت طوال عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) دون أن

---

(١٥) فلبى « البلاد العربية السعودية » ص ٢٦٩ و « اليوبيل العربى » ص ٣٥ .

(١٦) كتاب وزارة الخارجية البريطانية « دليل الصلح رقم ٥٨ : تركيا الآسوية » (١٩٢٠م) ص ١١ — ١٢ .

(١٧) انظر بصفة عامة كتاب فلبى « اليوبيل العربى » ص ٣٤ — ٤١ .

(١٨) تتضمن المحفوظات السعودية مثلا الكتاب التالى من كوكس إلى عبد العزيز بتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٣١ هـ (نحو ١١ سبتمبر سنة ١٩١٣ م) : « رداً على رسالتكم المؤرخة فى ٣ رمضان سنة ١٣٣١ هـ التى تبدون فيها رغبتكم فى معرفة موقف بريطانيا ، أبلغكم انها تريد الصداقة . على أنه ينبغى معرفة مطالبكم لامكان الاعتراف مع الدولة العثمانية باستقلال قطر » .

تتعرض لعقبات ظاهرة بسبب نصوص الاتفاق السعودى التركى المزعوم المؤرخ ١٥ مايو ، وتبودلت بين الطرفين آيات الصداقة والتقدير . ويلاحظ أن هذه السياسة لم تلق موافقة إجماعية حتى فى داخل الحكومة البريطانية نفسها . ففى عام ١٣٣٢ هـ (٣١ مارس ١٩١٤ م) صدر التعليق التالى عليها فى مضبطة يلوح أنها كتبت بقلم المستر ألوين باركر الموظف المسئول الأول عن المفاوضات التركية فى وزارة الخارجية البريطانية :

> كنت أشعر دائماً بأن السياسة التى نتبعها تجاه ابن سعود مفعمة بمخاطر شديدة على سلامة تركيا ، وكنت شخصياً أعارض دائماً معارضة شديدة فى المقابلات التى جرت بينه وبين موظفينا .(١٩)

غير أن الاتصالات البريطانية السعودية استمرت على الرغم من هذه الآراء النظرية ، حيث لم يكن أمام المملكة المتحدة من الناحية العملية سبيل آخر للاختيار .(٢٠)

١٣ – وفى عام ١٣٣٢ م (أواسط شهر أكتوبر سنة ١٩١٤ م) قبيل بدء الحرب بين تركيا والمملكة المتحدة ، تجمعت فى البحرين قوة بريطانية جردت من الهند . ولو كان هناك اعتقاد جدى فى الدوائر البريطانية فى ذلك الوقت بأن الحسا لا تزال خاضعة للسيادة التركية ، لما كان أيسر من تحريك فصيلة من هذه القوة ، بمجرد إعلان الحرب ، ضد أرض العدو المجاورة هذه ، واحتلال المدن الرئيسية وإبعاد التهديد التركى للجناح البريطانى . والواقع أن شيئاً من هذا لم يحدث . ويبدو أنه لم يطرأ قط على الجانب البريطانى أى خاطر بشأن اعتبار الحسا تركية فى ذلك الوقت . وقد تحركت الحملة شمالا فى الخليج للاستيلاء

---

(١٩) جوتش وتمبرلى ، مجلد ١٠ ، جزء ٢ ، ص ٨٢٩ .

(٢٠) بألفاظ السر برسى كوكس : «إذا لم نصل إلى ضرب من ضروب الاتفاق المؤقت ، فإن حكومة الهند وهذا الشخص المتواضع فى المنطقة نفسها سيكون لديهم كثير مما يقلقهم ...» . جريفز «حياة كوكس» ص ١٧١ .

على البصرة ، واستدعى الكابتن شيكسبير مرة أخرى للمفاوضة مع عبد العزيز وقبل أن تتمكن هذه البعثة من أن تؤتى ثمرتها ، قتل شيكسبير فى معركة جراب بين السعوديين وآل رشيد فى أوائل عام ١٣٣٣ ﻫ (١٩١٥ م) . والكتاب الذى أعلن فيه عبد العزيز وفاته إلى السر برسى كوكس كتاب خالد باعتباره تأبيناً بسيطاً ولكنه مؤثر ، من محارب لمحارب :

> لقد حاربنا ضد ابن رشيد فى أرطاوى وتلت ذلك معركة كبيرة يا للخسارة ان صديقنا المخلص والشخص النادر الذى يتمنى لنا الخير قد أصيب من بعيد ومات . وكنا قد ألححنا عليه ليتركنا قبل القتال ولكنه أصر على أن يخوضه قائلا « ان أوامرى أن أكون معكم وفى ذهابى مخالفة لشرفى وأوامرى ، ويجب أن أبقى بالطبع » . أرجو إبلاغ أسفى لحكومة جلالة الملك .(٢١)

١٤ — أجلت وفاة الكابتن شيكسبير لبضعة أشهر الاتفاق الذى كان على بريطانيا بمقتضاه أن تعترف رسمياً بالحالة التى كانت قد وجدت فى شرق جزيرة العرب لعدة سنين ، غير أنه فى عام ١٣٣٤ ﻫ (ديسمبر ١٩١٥ م) اجتمع عبد العزيز والسر برسى كوكس فى بلدة دارين الواقعة على جزيرة قرب القطيف . ونتيجة لذلك تمت معاهدة دارين عام ١٣٣٤ ﻫ (٢٦ ديسمبر ١٩١٥ م)(٢٢) ، وقد نصت فى المادة الأولى منها على

> أن الدولة البهية الإنكليزية أكيداً تعترف وتقر بأن النجد والحسا والقطيف والجبيل وما يليها وحدودها التى ستتذاكر بها وستتعين بعد حين وبنادرها على شواطىء خليج فارس هى من ممالك ابن سعود وممالك أجداده السابقين منه فبهذه الوسيلة تعرف ابن سعود المشار إليه حاكماً مستقلا على الممالك المذكورة ورئيساً مطلقاً على عشايرها وبعده أولاده وأعقابه بالوراثة . . .

---

(٢١) أوردها السر أرنولد واسن فى كتابه « الولاء » مجلد ١ (الطبعة الثانية ، ١٩٣١ م) ص ٣١ .

(٢٢) الترجمة الإنكليزية للنص واردة فى كتاب أيتشيسون « المعاهدات » مجلد ١١ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٨ . ويشير بعض الكتاب إلى المعاهدة أحياناً باسم معاهدة القطيف . أما وقد وقعت المعاهدة من الجانب البريطانى بمعرفة موظف مسئول أمام حكومة الهند ، فقد أرسلت المعاهدة إلى تلك الحكومة للتصديق عليها ، فتم ذلك فى يوم ١٨ يوليو سنة ١٩١٦ .

وطبقاً للمادة الثالثة تعهد عبد العزيز بألا يدخل فى مكاتبات أو اتفاقات مع أية دولة أخرى ، ووافق بمقتضى المادة الرابعة على أن يتبع مشورة بريطانيا « بشرط » — وهو شرط هام — « ألا تكون ضارة بمصالحه الخاصة » . وتعهد طبقاً للمادة السادسة بأن

> . . . يتعهد كما عملوا أجداده[٢٣] من قبله أن يتجنب من التعدى والمداخلة فى حدود الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان الذى هم تحت حماية الدولة البهية ولهم روابط المعاهدة مع الدولة المذكورة ، وسيتعين تحديد حدودهم فيما بعد .

١٥ — يمكن أن يقال إن معاهدة دارين التى كان لها أن تبقى سارية حتى تحل محلها معاهدة جدة بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧م)[٢٤] تمثل خاتمة هذه الفترة الأولى فى التاريخ الدبلوماسى للمشكلة الحاضرة . فقد يكون من المفيد إذن التريث قليلا وبحث الآثار الدائمة — إن كانت ثمة آثار — لهذه السلسلة من الحوادث . والنقط الرئيسية للمشكلة هى طبعاً مسألة الخط الأزرق . والواقع أن الحد الغربى للمناطق المشمولة بهذا التحكيم ، وهى التى يحدها الخط الذى طالبت به أبوظبى فى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ، لا يقع عند أية نقطة متطرفة إلى الغرب تطرف الخط الأزرق . وإذن لم يعد الخط الأزرق نفسه خط حدود ممكن حتى فى نظر المملكة المتحدة . ومع ذلك فإن المملكة المتحدة قد استعانت بخيال لهذا الخط فى الماضى لتأييد الحجة القائلة بأنه قد اعترف وفقاً لهذا الخط بأن أراضى الحكام الخاضعين للحماية البريطانية تمتد غرباً إلى هذا المدى ، وبأن المملكة العربية السعودية باتت ملزمة بهذا الاعتراف ،

(٢٣) وردت كلمة « أبوه » بالمفرد فى الترجمة الإنكليزية للمعاهدة كما نشرها أيتشيسون . ويحتمل أن تكون خطأ مطبعياً صوابه « أجداده » وفقاً لما هو وارد فى النص الرسمى العربى أى « آباؤه » بالمعنى المتداول .

(٢٤) سلسلة معاهدات عصبة الأمم ، مجلد ٧١ ، ص ١٣١ — ١٦٤ . وكتاب « المعاهدات » « لأيتشيسون » مجلد ١١ ، ص ٢٢٧ — ٢٣٣ (النص الإنكليزى فقط) .

ومن ثم فإن أية حقوق تدعيها المملكة العربية السعودية شرق الخط الأزرق ينبغى تبيان الحصول عليها بطريقة صحيحة بعد ذلك الاعتراف .

١٦ – انما تعرضه بريطانيا ، على ما يستطاع استقصاؤه من البيانات الواردة فى مكاتبات دبلوماسية جرت بعد ذلك[٢٥] ، هو ما يلى : فى عامى ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) كانت تركيا الدولة المعترف دولياً بأنها ذات سيادة فى القسم الشرقى من جزيرة العرب الممتد جنوباً حتى منطقة النفوذ البريطانى . إن أحداً لا ينكر أن الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ التى حددت الخط الأزرق لم يصدق عليها قط ، غير أن اتفاقية عام١٩١٤ التى صدق عليها والتى حددت الخط البنفسجى قد أشير فيها على التخصيص إلى الخط الأزرق . وقد اعتبر هذا قبولا للخط الأزرق فصار بعد ذلك نافذاً باعتباره التزاماً يربط تركيا طبقاً لاتفاقية عام ١٩١٤ لا اتفاقية عام ١٩١٣ . ويقال إن إخراج الملك عبد العزيز للترك من الحسا فى عام ١٣٣١ هـ (مايو ١٩١٣ م) لم يضعف أثر ذلك الالتزام المقيد لسبب من السببين التاليين أو كليهما : أن المملكة العربية السعودية باعتبارها الدولة التى خلفت الدولة العثمانية ملزمة بالأوضاع الإقليمية لسابقتها إلى أن يتم تعديلها بطريقة مشروعة ، وأنه طبقاً لاتفاق الملك عبد العزيز مع الترك بتاريخ عام ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٤ م) الذى قبل فيه فيما يقال إشراف تركيا على علاقاته الخارجية ، فإن الملك عبد العزيز اعترف بالترتيبات التركية السابقة فيما يتعلق بالحدود ووافق عليها .

١٧ – وفى رأى الحكومة العربية السعودية أن العرض الآنف الذكر ليس له مايسنده بحال . وهى تشير أولا إلى الحقيقة التى لا جدال فيها وهى أن اتفاقية عام ١٩١٣ ، مهما قيل فيها ، لم يصدق عليها قط . ولم يقتصر الأمر على أنه لم

(٢٥) توجد أمثلة فى المذكرتين البريطانيتين بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٣٤ (الملحق ٤) وبتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٠ (الملحق ٣١) .

يصدق عليها قط ، بل إن التصديق عليها قد أرجىء مراراً وتكراراً بإجراءات إيجابية من الجانبين ، وهذا دليل واضح على عدم رغبتهما فى وضعها موضع التنفيذ . وكما ذكر آنفاً ، كانت اتفاقية عام ١٩١٣ عنصراً واحداً فقط فى تسوية شاملة جرت بشأنها مفاوضات حتى عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، والواقع أنها لم تنجز قط . ومما يذكر أيضاً أن هذا الإرجاء قد حدث مرتين بعد توقيع اتفاقية عام ١٩١٤ ومرة بعد التصديق عليها . وفى مثل هذه الظروف ، ليس من المقبول أبداً أن يقال إن الجانبين قد أرادا إخراج الخط الأزرق من السياق ، وهو فى الواقع مرتبط أوثق ارتباط بمسألتى الكويت والبحرين ، ثم اعتباره وحده نافذاً بواسطة إشارة موجزة فى اتفاقية عام ١٩١٤ . والأقرب تمشياً مع العقل أن تعتبر الإشارة إليه فى عام ١٩١٤ مجرد تسهيل لتحديد نقطة ينتهى عندها الخط البنفسجى — وهى نهاية توافق خط الحدود المتوقع امتداده من الشمال دون الاحتياج إلى تعديل آخر .

١٨ — وهكذا إذا كان من الصعوبة بمكان تبيان أن الخط الأزرق ملزم لتركيا ، فإن مما يزيد على ذلك صعوبة تبيان أنه قد صار فى أى وقت مضى ملزماً للملكة العربية السعودية التى لم تكن طرفاً فى الوثيقة الأصلية . وواضح أن المملكة السعودية نفسها لم تقبل أو توافق قط على الخط الأزرق كما سيتضح مما سيسرده هذا العرض عن المفاوضات التالية ، فالمسألة إذن هى : هل يمكن أن تكون المملكة العربية السعودية قد أصبحت ملزمة بأية طريقة غير مباشرة ؟ لقد تحدث البريطانيون عنها باعتبارها « الدولة التى خلفت العثمانيين » ، غير أن المملكة العربية السعودية لا تعد نفسها ولم تعد نفسها قط الدولة التى خلفت الإمبراطورية العثمانية . فمثلا ، لم يسبق قط لأية حكومة أن اقترحت جادة أن الامتيازات التى كانت تتمتع بها الدول الأجنبية فى الدولة العثمانية كانت تسرى على الأراضى الخاضعة لآل سعود كما أن المملكة العربية السعودية لم تقبل قط تبعة أى نصيب فى الدين العثمانى العام القديم .

وفيما يتعلق بالحسا وشرق جزيرة العرب على وجه خاص ، ترى الحكومة العربية السعودية أن الملك عبد العزيز بطرده الترك فى عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) لم يعمل سوى أن استأنف إشرافه على ممتلكات مشروعة لآبائه جردوا منها فى فترة ضعف بواسطة الاحتلال التركى العسكرى .

١٩ — وحتى لو فرض أن المملكة العربية السعودية ، بوصفها الدولة التى خلفت تركيا ، ملزمة بالاتفاقيات التركية السابقة ، فإن ذلك لا يؤدى إلى أنها ملزمة بالخط الأزرق ؛ فطبقاً لوجهة النظر البريطانية ظفر الخط الأزرق بأثره القانونى من اتفاقية عام ١٩١٤ التى صدق عليها فى عام ١٣٣٢ هـ (٣ يونيو ١٩١٤ م) وفى ذلك الوقت كان عبد العزيز قد استقر « خليفة » للترك فى الحسا مدة تزيد على سنة ، ومهما يكن الأمر فيما يتعلق بالاتفاقيات التركية السابقة ، فالمؤكد إنه لم يلتزم بأية ترتيبات دخلت مرحلة التنفيذ بعد أن أصبح « خليفة » . فبحلول عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) صار بمفرده صاحب الصلاحية للتصرف بأمور المناطق التى يمر بها الخط الأزرق اللهم إلا إذا خولت تركيا بطريقة ما أن تتصرف باسمه .

٢٠ — وهذا يصل بنا إلى النقطة الأخيرة التى أثارتها المملكة المتحدة بعد سنوات ، ألا وهى اتفاق ١٣٣٢ هـ (١٥ مايو ١٩١٣ م) المزعوم . وكما ذكر قبلا ، لم يعثر بين المحفوظات السعودية على مثل هذه الوثيقة . ومع ذلك ، فلو وجدت لوجب أن ينظر إليها على ضوء الظروف المحيطة بها باعتبارها مناورة عابرة فى توازن القوى العربية المتأرجحة . وإذا وجدت ، فالمؤكد أنها لم تتم بنية خالصة من ناحية تركيا التى كانت فى نفس ذلك الوقت مشغولة بتسليح أعدى أعداء الملك عبد العزيز . وإذا كانت قد وجدت فإنها اعتبرت على الفور وثيقة عفا عليها الدهر بدليل أنها لم تقف فى وجه الموظفين البريطانيين الذين أسندت إليهم المشكلة الخاصة بحماية المصالح البريطانية فى المنطقة نفسها من ناحية عملية ،

فمضوا يتعاملون مع الملك عبد العزيز متجاهلين بدورهم مناورات الترك ومخاوف المستر باركر فى لندن . فلا يليق أن تأتى المملكة المتحدة بعد عشرين أو أربعين سنة لتدعى وجود قوة ملزمة لوثيقة ، إن كانت موجودة ، فإنها قد تجاهلتها عملياً فى ذلك الوقت . ومن العسير أن يحق للمملكة المتحدة إمساك العصا من طرفيها ، وقد سبق أن اختارت السبيل المضاد لهذا الاتفاق المزعوم فى أيام الكابتن شيكسبير .

٢١ — ويزدادالتناقض فى الادعاءات البريطانية وضوحاً بنصوص معاهدة دارين التى اعترفت الحكومة البريطانية فيها بأن « النجد والحسا والقطيف والجبيل وما يليها وحدودها هى من ممالك بن سعود وممالك أجداده السابقين » وبأنه كان « حاكما مستقلا » عليها . ومثل هذه التعابير تتعارض معارضة تامة مع الخط الأزرق لأنها تعد عبد العزيز — بحق — خليفة لآبائه من قبله ، وقد امتدت أراضيهم إلى أبعد بكثير من حدود « نجد » كما ورد فى الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ . وإننا نعرض أن الاعتراف الوارد هناك يكون عقبة مانعة جديدة فى وجه أى تقرير من المصادر البريطانية بأن عبد العزيز كان خلفاً للأتراك كحاكم فى شرق جزيرة العرب أو أنه كان ملزماً بمفاوضاتهم مع البريطانيين .

٢ ـ مفاوضات ١٣٥٢ ـ ١٣٥٧هـ (١٩٣٤ ـ ١٩٣٨م)

٢٢ ـ لم تثر المملكة المتحدة أية صعوبات بشأن الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية لأراضى الملك عبد العزيز طيلة ما يقرب من عشرين سنة بعد توقيع معاهدة دارين فى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) . وفى هذه السنين ، جاب ممثلو أمير الحسا جميع أنحاء الأراضى المشمولة بالتحكيم الحالى وغيرها فجمعوا الضرائب ، واستردوا الممتلكات المسروقة ، وأقروا الأمن العام دون أن تبدو بادرة احتجاج من حاكم أبو ظبى أو من سلطان مسقط . ولم يقل أحد قط إن هذا النشاط قد تجاوز فى أى وقت من الأوقات المنطقة الصحيحة أو أنه تعدى على أراضى آخرين .

٢٣ ـ وفى الحق إنه لمن الصعوبة بمكان تصور صدور أية شكوى فى ذلك الوقت . فبعد سنوات من الحروب التى دافعت فيها القوات البريطانية عن سلطان مسقط ، اعترف السلطان فى معاهدة السيب الموقعة فى ١١ محرم ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) (الفقرة ٣٣٤ من الفصل الرابع فيما سبق) بافتقاره التام إلى السلطة على شعب عمان . وفى الفترة عينها ، كان حاكم أبو ظبى يؤكد فى رسائل إلى الملك عبد العزيز الوحدة القائمة بينهما كما يؤكد أن

> « أهل المقاصد إن شاء الله لا يرون منا مجال ولا نلتفت إلى زعمهم وظنونهم الفاسدة » .[١]

وبعد نحو سنتين كتب مرة أخرى يقول :

> « ولا شك أننا لكم فى هذه الأطراف عيناً باصرة لكم بخالص النصح ، والاجتهاد لما فيه مصالحكم مثل ما أن الأخ الشيخ عبد الله بن جلوى فى ناحية بلدكم الحسا قايما بالاجتهاد فى أوامر جنابك فنحن كذلك إن شاء الله فى هذا الطرف الشرق قايمين

---

(١) كتاب الشيخ حمدان بن زايد بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ (نحو ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ م) (الملحق ٤) .

بالاجتهاد لما فيه مصالح الجميع مثل ما تظنوا وزيادة وشركا فى الخير وضده كمضو بغير مفصل والفرق معدوم مدة الحياة والقلوب شواهد على ذلك » .[٢]

٢٤ – وفى مؤتمر عقد فى العقير فى أواخر عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وشهده كل من الملك عبد العزيز والسر برسى كوكس ، عقدت اتفاقات حددت الحدود بين ممتلكات الملك من ناحية والكويت والعراق من ناحية أخرى .[٣] ولم يعقد اتفاق بشأن الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية ، ولا يبدو أن أى مسعى فى هذا السبيل قد بذل ، كما أنه لم يحدث تلويح بالخط الأزرق أو الخط البنفسجى . وعند تحديد تخوم الكويت وهى تختلف كل الاختلاف عن تخوم الكويت التى كانت موضع التفكير فى اتفاقية عام ١٩١٣ ، كما أنها كانت على نطاق أضيق ، أدرجت إشارة وردت عن الخط فى الوثيقة السابقة ، وذلك رغبة فى تبسيط الوصف الجغرافى ، غير أنه لم يذكر أن اتفاقية ١٩١٣ أو أى جزء منها كان ملزماً . وعلى عكس ذلك قال السر برسى كوكس للملك إن الحدود بين قطر ونجد ينبغى على أساس صحتها أن تمتد من سلوة إلى خور العديد – وهو رأى يتعارض تعارضاً تاماً مع كل من الخط الأزرق وادعاءات أبو ظبى فى خور العديد . ووقفت المسألة عند هذا ، ولم يذكر شىء آخر عنها عندما جرت المفاوضات فى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) لتحل معاهدة جدة[٤] محل معاهدة دارين التى صارت غير ذات موضوع منذ وقت طويل . والمعاهدة

---

(٢) كتاب مؤرخ ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ (نحو ١٥ مارس سنة ١٩٢٠ م) (الملحق ٣) .

(٣) الاتفاقات مؤرخة يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ . وقد وردت الترجمة الإنكليزية لنصوصها فى كتاب « المعاهدات » لايتشسون ، مجلد ١١ ، ص ٢١١ – ٢١٤ .

(٤) « سلسلة معاهدات عصبة الأمم » ، مجلد ٧١ ، ص ١٣١ – ١٦٤ (بالإنكليزية والعربية ومعهما ترجمة فرنسية) . وكتاب « المعاهدات » لأيتشسون ، مجلد ١١ ، ص ٢٢٧ – ٢٣٣ (بالإنكليزية فقط) .

الجديدة التى عقدت فى يوم ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧ م) أكدت بصراحة فى المادة الخامسة :

(... على أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة)

وفى المادة السادسة تعهد الملك بالمحافظة على علاقات الود والسلم .

مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

٢٥ – انتهت فترة الهدوء هذه فيما يتعلق بالحدود الشرقية والجنوبية الشرقية بمذكرة أرسلها السر أندرو ريان الوزير المفوض البريطانى فى جدة فى عام ١٣٥٣ هـ (٢٨ أبريل ١٩٣٤ م) إلى فؤاد بك حمزة الذى كان وكيلا لخارجية المملكة العربية السعودية . وفى هذه المذكرة (الملحق ٤) أبلغت حكومة المملكة العربية السعودية أن الحكومة البريطانية قد تلقت من حكومة الولايات المتحدة استفساراً بشأن الحدود فى شرق جزيرة العرب ، وأن الحكومة البريطانية فى ردها قد زودت الولايات المتحدة بنسخ من الاتفاقيتين بين إنكلترا وتركيا عامى ١٩١٣ و ١٩١٤ . وقيل فضلا عن ذلك إنه وإن لم تكن اتفاقية عام ١٩١٣ قد صدق عليها قطعاً ، فإن التخوم المحددة فى المادة الحادية عشرة من تلك الوثيقة (أى الخط الأزرق) قد اعتبرت نهائية فى المادة الثالثة من اتفاقية عام ١٩١٤ التى صدق عليها والتى لا تزال من وجهة نظر الحكومة البريطانية نافذة .

٢٦ – كان لهذه المكاتبة صداها المباشر من جانب المملكة العربية السعودية ففى محادثة مع السر أندرو ريان فى يوم ٢ مايو أكد فؤاد حمزة أن حكومة المملكة العربية السعودية لا تعتبر الخط الأزرق ملزماً لها . وقد تلت ذلك مكاتبة تحريرية بنفس المعنى فى يوم ١٣ مايو . وبعد ترديد وجهة النظر البريطانية فى رد بعث به السر أندرو ريان فى يوم ١٥ يونيو (الملحق ٥) ، سلمه فؤاد حمزه

فى يوم ٢٠ يونيو (الملحق ٦) مذكرة سعودية أكثر تفصيلا تشتمل بتوسع على النقط التى ذكرت فى البيانات السابقة . ونفت هذه المذكرة اختصاص الترك عام ١٩١٣ بأن يعالجوا شئون الأراضى التى طردهم منها الملك ، وأكدت كذلك اعتراف بريطانيا فى معاهدة دارين عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بحقوق الملك الوراثية ، وأكدت الطابع العربى السعودى للقبائل المقيمة فى المنطقة وقد لقيت البيانات التى ذكرت فى هذه المكاتبة تأييداً قويا من الآراء التى أبداها الملك نفسه فى مقابلة له مع السر أندرو ريان فى يوم ١٤ يوليو (مقتطفات فى الملحق ٧) .

٢٧ — فى عام ١٣٥٣ هـ (سبتمبر ١٩٣٤ م) سافر فؤاد حمزة إلى لندن ليجرى محادثات أخرى عن موضوعات مختلفة معلقة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة . وخصص اجتماع فى صباح يوم ١٩ سبتمبر لمسائل الحدود وكان الحاضرون الرئيسيون فؤاد حمزة والمستر رندل من وزارة الخارجية البريطانية والسر أندرو ريان (مقتطفات فى الملحق ٨) . وفى هذا الوقت أعلن المستر رندل أن الحكومة البريطانية على استعداد « لأن تتخلى عن الناحية القانونية لمسألة الحدود إذا أمكن الوصول إلى اتفاق عام على موضوعات النزاع المختلفة ، ولكن من الضرورى لعمل ذلك معرفة رأى الملك الشخصى بشأن الحدود . وإذ رحب فؤاد حمزه بذلك ، أشار إلى انزعاج الملك بسبب إصرار بريطانيا فى المدة الأخيرة على اتفاقية عام ١٩١٣ بينما لم تذكر هذه الاتفاقية قط عندما عقد معاهدتيه مع البريطانيين فى عامى ١٣٣٤ و ١٣٤٥ هـ (١٩١٥ و ١٩٢٧ م) ومضى فقال إنه يعتقد أن الملك سيطالب بالمناطق التى تتردد عليها القبائل الموالية له من زمن طويل ، مثل آل مرة والمناصير ، غير أن أى بيان محدد عن موقف المملكة العربية السعودية يجب أن ينتظر ورود تعليمات من الملك ، ويأمل فؤاد حمزة أن يتلقاها فى القريب . وقد ألقى مزيد من الضوء على هذه المحادثات فى تقرير

فؤاد حمزة المختصر (الملحق ٩) وفيه قيل إن الممثلين البريطانيين استبعدوا الإمارات العربية ، عدا مسقط ، باعتبارها غير ذات شأن .

٢٨ — لم تصل تعليمات الملك البرقية بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٣٤ م (الملحق ١٠) إلى لندن قبل سفر فؤاد حمزة ، وقد جاء فيها :

> وأما مع مسقط وعمان وقطر فهذه لا نعلم فيها حدوداً لأحد إذ أنه من ولاية آبائنا وأجدادنا ما صار لأحد فيها كلام كلها تحت أيدينا من ذلك اليوم إلى اليوم . وبالأخص الصحارى والبادية ونحن المسؤولون عنها ولم يعترض علينا فى ذلك معترض ولم يشاركنا فيها أحد لا عربى ولا عجمى حتى نعرف لها حدوداً معلومة ولكن الآن أهل مسقط وعمان وقطر إخواننا وطوارفنا وليس بيننا وبينهم أى خلاف .

وقد فصلت هذه النقط فى الأسبوع التالى فى محادثة بين الشيخ حافظ وهبة الوزير المفوض السعودى فى لندن والمستر رندل . وأبلغت هذه المحادثة إلى الملك بكتاب (فى الملحق ١١ مقتطفات منه) .

٢٩ — استؤنفت المفاوضات بين فؤاد حمزة والسر أندرو ريان فى جدة عام ١٣٥٣ هـ (يناير ١٩٣٥ م) . وظلت هذه المحادثات لوقت ما معنية بمسائل كثيرة غير مسألة الحدود ، وأن تكن قد جرت محادثة بشأن المدى الذى ينبغى فيه على حكام الخليج الفارسى المرتبطين بمعاهدات مع الحكومة البريطانية الاشتراك فى أى تسوية لحدودهم . ورداً على اقتراحات سعودية بأنه يحسن أن يكون الحكام ذوو الشأن موجودين فى أى محادثات خاصة بالحدود ، أوضحت الحكومة البريطانية أنها وحدها المسؤولة عن العلاقات الخارجية للحكام ، وأن موضوع وجودهم أو وجود ممثليهم فى أية محادثات هو موضوع اتفاقات داخلية لا تعنى المملكة العربية السعودية .

٣٠ — وإزاء هذا الموقف البريطانى الصارم تجاه اشتراك الحكام المحليين ، أبلغ فؤاد حمزة الملك فى يوم ٢٥ فبراير أنه « ليس فى إمكاننا إجبارهم على غير

ذلك إذا رغبنا فى حل المشكلة عن طريق المفاوضات » . وبديلا لذلك رأى إما السعى لتسوية المسألة عن طريق مفاوضات سياسية أو وضعها على أساس قانونى للطعن فى قانونية الحجج البريطانية إما فى محكمة العدل الدولية أو فى عصبة الأمم . وآثر هو الطريق الأول فى ذلك الوقت ، مع احتمال اللجوء إلى الثانى إذا لزم الأمر فيما بعد (الملحق ١٢) . وقد وافق الملك على هذه التوصية عموماً . ومن ثم فإن مفاوضات فؤاد حمزة التالية بشأن الحدود يمكن اعتبارها مسعى للوصول إلى حل وسط سياسى ،مع استمرار بقاء فكرة أساسية وهى أنه إذا أخفق المسعى فتستطيع المملكة العربية السعودية واثقة أن تضع دعاويها الكاملة أمانة لدى هيئة غير متحيزة . ويلاحظ كذلك أن مسألة الحدود هى عنصر واحد فقط من عناصر كثيرة داخلة فى المفاوضات التى كانت دائرة يومذاك ، ومن ثم فإن المسلك السعودى بشأنها قد يتأثر بما يجرى فى أجزاء أخرى من المنطقة .

٣١ — إزاء الوضع العام هذا ، قدم فؤاد حمزة إلى السر أندرو ريان فى ٢٩ ذى الحجة ١٣٥٣ هـ (٣ إبريل ١٩٣٥ م) اقتراحاً يعين خط حدود بين المملكة العربية السعودية وقطر وخطاً آخر بين المملكة العربية السعودية والمشيخات المختلفة المشمولة بالحماية البريطانية فى شرق جزيرة العرب وجنوبها . ويشار عادة إلى الخطين معاً باسم « خط فؤاد » . ونص هذا الاقتراح هو كما يلى :

(١) تعتبر حكومة المملكة العربية السعودية أن خط الحدود الذى يفصل بينها وبين امارة قطر يمر من المواقع الآتية :

يبدأ الخط المذكور من نقطة واقعة على ساحل البحر المعروف بدوحة سلوى على محاذاة امتداد نقطة اتصال جبل دخان بالأرض الموالية لها إلى الغرب تاركاً المسافة التى إلى الغرب منه والواقعة بين جبل دخان وجبل النخش للمملكة العربية السعودية وجبل دخان وما وراءه إلى الشرق لقطر . ويتجه الخط إلى الجنوب والجنوب الشرقى على محاذاة سفح القلائل الشرقى تاركاً القلائل المعروفة باسم قلالة الدرب ومشاش الصميم والمفصل والمغدر والطمز وأم سمرة وعريق مشاش بن شافى وما إلى غربها من الأراضى المعروفة باسم العريق والقلائل للمملكة العربية السعودية

وما كان إلى شرق هذا الخط فهو لقطر . ثم يمتد الخط من مشاش بن شاق إلى العقل حتى ساحل البحر تاركاً نقيان قطر لقطر وخور العديد للمملكة العربية السعودية .

(٢) وتعتبر حكومة المملكة العربية السعودية أن خط الحدود المذكور الذى يفصل بينها وبين الامارات والمشيخات العربية الواقعة على الخليج الفارسى ماراً من المواقع الآتية :

ويبدأ الخط المذكور من نقطة واقعة على ساحل البحر وتبعد عن مركز خور العديد ٢٥ كيلو متراً فى الاتجاه إلى الجنوب والجنوب الشرق على محاذاة الأراضى المعروفة باسم المجن وسبخة مطى وكفة اللواء تاركاً البلاد التابعة الكفة اللواء للامارات العربية وما كان إلى غربها للمملكة العربية السعودية .

(٣) ويمتد الخط المذكور من حدود بلاد كفة اللواء إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرق ٥٦ درجة بخط العرض الشمالى ٢٢ درجة ثم يتبع محاذاة خط الطول الشرقى ٥٦ درجة إلى نقطة تقاطعه بخط العرض الشمالى ١٩ درجة ثم يتجه إلى استقامة واحدة إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالى ١٧ درجة بخط الطول الشرقى ٥٢ درجة ومنها فى استقامة واحدة فى اتجاه الغرب على محاذاة خط العرض الشمالى ١٧ درجة حتى يتقاطع مع خط الطول الشرق ٤٦ درجة ومن هذه النقطة يتجه فى نفس الاتجاه إلى أن يقطع الخط المعروف بالخط البنفسجى .

وسيلاحظ بخصوص الأجزاء التى تمس قطر وأبو ظبى ، فى الاقتراح ، أن الوصف وضع بشكل عام ، مقترحاً المناطق التى من الممكن أن يمر منها خط الحدود ، دون أن يعرف بالضبط موضع الخط . وقد عقد القصور الجسيم فى الخرائط الموجودة آنئذ عمل المتفاوضين . وتظهر الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض أقرب تحديد تقريبى لخط فؤاد ، والأقسام الشمالية مبينة بتفصيل أوسع على الخريطة الثانية .

٣٢ — بعد أن قدم فؤاد حمزة عرضه هذا لحل وسط بستة أيام ، عرضت مذكرة بريطانية بتاريخ ٩ أبريل مقترحات مضادة (الملحق ١٣) . وفى هذا العرض اقترحت المملكة المتحدة خطاً ، كان بدوره ناقصاً بعض الشىء فى الدقة فى التحديد ، يقع على بعد أميال شرق الخط الأزرق فى الاتفاقية

الإنكليزية التركية عام ١٩١٣ ويكاد يكون موازياً له . ويترتب على هذا منح المملكة العربية السعودية رقعة من الأرض معدل عرضها نحو ٦٠ كيلو متراً تمتد جنوباً إلى خط العرض الشمالى ٢٠ درجة ، وينحرف الخط الجديد بعد ذلك فى اتجاه جنوبى غربى ليلتقى بالخط البنفسجى الوارد فى اتفاقية عام ١٩١٤ . ويبدو أن هذا الاقتراح ، الذى يشار إليه أحياناً باسم « الخط الأخضر » ، لم يعتبره كل من الفريقين إلا خطوة عابرة .

٣٣ – وقد جرت محادثات أخرى فى لندن فى عام ١٣٥٤ هـ (شهرى يونيو ويوليو سنة ١٩٣٥ م) بين فؤاد حمزة والشيخ حافظ وهبة عن المملكة العربية السعودية والمستر رندل والسر أندرو ريان عن المملكة المتحدة . وفى هذه المحادثات اقترحت المملكة المتحدة تعديلا بسيطاً على اقتراحها المعروف باسم الخط الأخضر ، ويعرف ذلك التعديل بالخط البنى . [٥] وقد أبان فؤاد حمزة أن الاقتراح بوضعه الأخير لا يزال غير ممكن القبول من جانب المملكة العربية السعودية ، حيث أنه يتطلب منها التنازل عن أراض للملك عليها ادعاء ثابت مقرر . وفى خلال المحادثات أكد فؤاد حمزة أن أى خط للحدود يجب أن يوضع أولا وقبل كل شىء على أساس الاعتراف القاطع بتبعية الآبار والمراعى فى الصحراء لقبائل معينة ، كما أكد أن الاقتراح البريطانى قد تجاهل حقوق آل مرة وقبائل سعودية أخرى فى هذا الخصوص. وكان أبرز مثال على ذلك هو الادعاء الذى تقدم به المستر رندل للمطالبة بمورد مياه بنيان (إلى الجنوب من سلوة قرب خط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ١٠ دقائق وخط الطول الشرقى ٥٠ درجة و ٥٦ دقيقة) على اعتبار أنه « مركز أساسى » فى أراضى أبو ظبى . وقد أوضح فؤاد حمزة أن المورد المذكور يعود إلى آل مرة دون تساؤل أو شك – وهى حقيقة اعترف بها

---

(٥) لم يبين الخطان الأخضر والبنى على الخرائط المرفقة بهذا العرض ، وذلك لتفادى ازدحام الخرائط ولكون الخطين المذكورين ذوى صفة عرضية تماماً .

البريطانيون ضمناً فى مقترحاتهم التى قدموها بعد شهور قلائل ولم يثيروها قط من جديد .

٣٤ – وفى الاجتماع الذى عقد فى ٢٤ يونيو ١٩٣٥ م تقدم المستر رندل بملاحظة تستحق الاهتمام ، حيث أنها تلقى شيئاً من الضوء على المبادئ المستحدثة التى كان البريطانيون يضعون على أساسها مقترحات الحدود . فقد قال رندل إنه من الضرورى :

> . . . أن يوضع حد معين لا يمكن أن تمارس وراءه سيادة اقليمية ولو كانت هذه السيادة الاقليمية لا تمارس فى الواقع حتى ذلك الحد .(٦)

إن هذا الاتجاه يمكن مقابلته بما جاء فى كتاب فؤاد حمزة إلى المستر رندل بتاريخ ٢ يوليو والذى أوضح فيه أن اقتراحه المقدم فى أبريل قد تعمد فيه عدم الامتداد إلى الحد الذى يعتبر أن حقوق المملكة العربية السعودية تصل إليه ، وإنما قد وضع على أساس محاولة لتحديد خط يكون مقبولا لدى جميع من يعنيهم الأمر . وفى ذلك الكتاب أورد فؤاد حمزة بعض الاعتبارات التى تؤيد موقفه . ومع أن كثيراً من المعلومات كانت تخص حدود قطر فقط ، وأن بعض أسماء المواقع حرفت أثناء النقل ، الاأنه نظراً لأهمية الكتاب فقد أعيد طبعه بأكمله فى الملحق ١٤ . وقد أرجئت محادثات لندن فيما يتعلق بموضوع الحدود على تعهد بأن يقوم الموظفون البريطانيون بدراسة المعلومات التى تقدم بها فؤاد حمزة وأن يبعثوا بردهم عليها إلى الحكومة العربية السعودية فيما بعد .

٣٥ – وبينما كان خط فؤاد والخط الأخضر يبحثان فى ربيع سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) انتهت المفاوضات بين حاكم قطر وشركة النفط الإنكليزية الفارسية المحدودة ، التى كانت قائمة يومئذ ، بمنح امتياز زيت من جانب الحاكم إلى

(٦) المحضر البريطانى للاجتماع الأول مع فؤاد بك حمزة ، ٢٤ يونيه ١٩٣٥ ، ص ٢ .

الشركة فى عام ١٣٥٤ هـ (١٧ مايو ١٩٣٥ م) . وعلى أثر ذلك أعربت المملكة العربية السعودية لكل من حاكم قطر والمملكة المتحدة عن الأمل فى ألا يتم شيء بصدد هذا الامتياز حتى تسوى مسألة الحدود . فأدى ذلك إلى كتاب (الملحق ١٥) بتاريخ ١٣٥٤ هـ (٢٦ سبتمبر ١٩٣٥ م) أرسله المستر كلفرت القائم بالأعمال البريطانى فى جدة إلى الشيخ يوسف ياسين واعترض فيه على أن الملك تراسل مع حاكم قطر مباشرة . وزعم الكتاب أن هذا يخرق المادة السادسة من معاهدة جدة التى وافق الملك بمقتضاها على إقامة علاقات ودية وسلمية مع الحكام العرب الذين لهم معاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية . وتضمن الكتاب فضلا عن ذلك ترديداً عاماً للموقف البريطانى من أن الخط الأخضر يمثل أقصى حد من التساهل فى أمر الحدود يمكن أن تقوم به الحكومة البريطانية .

٣٦ ـ أما كتاب المستر كلفرت فجاء رد عليه من الشيخ يوسف ياسين بتاريخ ١٣٥٤ هـ (١٥ أكتوبر ١٩٣٥ م) (الملحق ١٦) أشير فيه إلى أن المادة السادسة من معاهدة جدة لم تفرض حظراً على التراسل بين الملك والحكام المذكورين وأن معاهدات العلاقات الخاصة المشار إليها لم تفرض التزامات ما على المملكة العربية السعودية . أما فى موضوع التخوم عامة ، فإن الرد أكد رغبة المملكة العربية السعودية فى منح جيرانها أقصى ما يمكن ، على الرغم من أن « كل تلك الأملاك كانت تابعة لآباء جلالة الملك عبد العزيز وأجداده » . ثم عاد فنفى صحة الحقوق القانونية التى تطالب بها المملكة المتحدة ومضى يقول :

> من أجل ما تقدم فإن حكومتنا تحتفظ بحقها الكامل فى البلاد والأماكن التى لا ترى أن تتنازل عنها لأمراء تلك الجهات وكل ما يعطى من امتيازات أو حقوق فى تلك الأماكن المحتفظ بها فإن حكومتنا لا يمكن أن تقره ولا توافق عليه وتسجل تحفظها بشأنه .
>
> هذه من جهة ومن جهة ثانية فيسرنى أن أخبركم أن حكومتنا على استعداد تام فى أى وقت من الأوقات للبحث فى اتمام مسألة الحدود ، بروح الود والصداقة لأولئك الأمراء المجاورين .

٣٧ ـ عاد السر أندرو ريان إلى منصبه في خريف سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)، واستؤنفت المفاوضات بينه وبين فؤاد حمزة في الرياض في شهر نوفمبر. وفي أول اجتماع من هذه عقد في يوم ٢٤ نوفمبر، أعلن الوزير البريطاني أن حكومته قد درست بدقة المعلومات التي قدمها فؤاد حمزة في لندن في شهر يوليو، وأنها انتهت إلى أن المعلومات السابقة عن مناطق الحدود لم تكن كاملة أو صحيحة، وأن موقفها تبعاً لذلك لم يكن سليماً، لأنها تجاهلت الاعتبارات الإقليمية وديرالقبائل. غير أنها صارت الآن راضية بأن تسير على نفس القاعدة مع المملكة العربية السعودية على الرغم من أنها غير قادرة على قبول التحديد الخاص المقترح في خط فؤاد (مضبطة فؤاد حمزة عن هذا الاجتماع في الملحق ١٧). وفي اليوم التالي قدم السر أندرو ريان الاقتراح البريطاني على أساس إعادة حكومته النظر في المشكلة، وفي مقابلة له مع الملك في نفس اليوم، أكد مرة أخرى الطابع المعدل لوجهات نظر حكومته (مضابط فؤاد حمزة عن اجتماعات يوم ٢٥ نوفمبر في الملحق ١٨).

٣٨ ـ الواقع أن الأقتراح البريطاني عام ١٣٥٤هـ (٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ م) (ويشار إليه أحياناً باسم «خط ريان» أو « «خط الرياض») يعد تحولا أساسياً عن الخطين الأزرق والأخضر اللذين سبق لبريطانيا أن تمسكت بهما تمسكاً شديداً. ونص الاقتراح كما يلي:

> (١) يمتد بشكل خط مستقيم يبدأ من نقطة على شاطىء دوحة سلوى على بعد أربعة أميال إلى الشمال الشرقي لنقطة واقعة على بعد أربعة أميال من قصر السلوى ومتجهاً في استقامة الشرق الجنوبي لمسافة عشرة أميال (ونهاية هذا الخط موضحة بالمقطع A).
>
> (٢) خط يمتد من المقطع (A) إلى نقطة (مقطع B) تقع في منتصف المسافة بين حالوين ونخلة ويرسم الخط مستقيما بقدر الإمكان لكي يترك إلى أبو ظبي المواقع الآتية وهي نخلة وعقلة المناصير وفرهود والرمث والخفوس والطريق من الدوحة إلى أبو ظبي وهي التي تمر غرباً من سبخة عمرة ولكي يترك إلى المملكة العربية السعودية حالوين بالديريش ورغوان.

(٣) خط مستقيم من المقطع (B) إلى نقطة تقاطع خط الطول ٥٢ درجة شرقى مع خط العرض الشمالى ٢٣ درجة (المقطع C)

(٤) خط مستقيم من المقطع (C) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٥٥ درجة مع خط العرض الشمالى ٣٠ ، ٢٢ درجة (المقطع J) .

(٥) خط مستقيم من المقطع (J) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى نفسه ٥٥ درجة من خط العرض الشمالى ٢٠ درجة (المقطع G) .

(٦) خط يمتد من المقطع (G) إلى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٥٣ درجة مع خط العرض الشمالى ١٩ درجة (المقطع H) ويرسم الخط مستقيما تقريباً لكى يترك سبخة ميجورة إلى المملكة العربية السعودية و رملة مغشن إلى مسقط وعمان .

(٧) خط مستقيم من المقطع (H) إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالى ١٨ درجة مع الخط المعلوم بالخط البنفسجى .

والخط الذى حدد هكذا ، ظاهر بوجه عام فى الخريطة الأولى المرفقة بهذا العرض ، وجزؤه الشمالى ظاهر بتفصيل أكثر فى الخريطة الثانية .

٣٩ — إن المحادثات بين فؤاد حمزة والسر أندرو ريان التى جرت فى الأيام التالية مباشرة لتقديم اقتراح ريان الجديد، دارت بصفة رئيسية حول حدود قطر وكانت يومئذ موضع اهتمام كبير بسبب الاتصالات الدبلوماسية التى جرت فى الصيف السابق ، وأشار فؤاد حمزة إلى أن العرض البريطانى غير مرض لأنه لم يجب أياً من المطلبين السعوديين الرئيسيين : فلم يعترف بمطالبة المملكة العربية السعودية سواء بجبل النخش على الجانب الغربى لقطر ، أو بامتداد على الساحل شرق قطر يبدأ قرب خور العديد . وحيث أن هاتين النقطتين جوهريتان من وجهة النظر السعودية ، فإن الخط على وضعه المقترح جاء غير مرض من جانب المملكة العربية السعودية ، ومن ثم اكتفى فؤاد حمزة بأن أشار إلى نواح أخرى يمكن أن تكون عرضة للاعتراض . وتأكد من أن الوزير البريطانى لم يخول له أن يعرض أو أن يقبل أى تعديلات جوهرية سواء فى قاعدة قطر أو فى غيرها . وهكذا وصلت مفاوضات الحدود إلى مأزق فى نهاية شهر نوفمبر وأرجئت على أساس أن السر أندرو ريان سيقدم عنها تقريراً مفصلا إلى لندن .

٤٠ — فى النصف الأول من عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) كانت المملكة

العربية السعودية تحسب أن مسألة الحدود تبحث بحثاً إضافياً فى لندن وأنه حينما يحل الوقت الملائم ينتظر وصول اقتراحات جديدة من المملكة المتحدة . وتلت ذلك فترة هدوء فى المباحثات لم يقطعها إلا اتصالات عابرة بين فؤاد حمزة أو الشيخ يوسف ياسين وبين السر أندرو ريان ، تتعلق على وجه رئيسى بعلاقات المملكة العربية السعودية مع قطر ، ولكن ينبغى ملاحظة أنه فى خلال حديث مع السر أندرو ريان فى عام ١٣٥٥ هـ (٢ يونيو ١٩٣٦ م) انتهز الشيخ يوسف ياسين الفرصة لإبداء الملاحظة التالية :

> فعرفه يوسف أنه (ريان) يجب أن يذكره الآن بصورة ولو خارجة عن موضوعنا وهى الواقع أن جلالة الملك يمتد نفوذه إلى كل القبائل فى ساحل الخليج ويستوفى الزكاة من كل القبائل وليس للأمراء على ساحل الخليج نفوذ خارج مدنهم . فقال ريان هل المفهوم أن جلالة الملك يصدر أوامره للأمراء والأمراء يطيعون . فأفاده يوسف المقصود أن نفوذ جلالة الملك يمتد على سائر العربان المقيمة فى تلك المقاطعات . . . (٧)

٤١ — فى عام ١٣٥٥ هـ (نوفمبر ١٩٣٦ م) ، استفسر السر ريدر بولارد ، الذى كان قد خلف السر أندرو ريان وزيراً مفوضاً لبريطانيا فى جدة ، من فؤاد حمزة عن الوقت الذى قد تكون فيه المملكة العربية السعودية مستعدة لاستئناف مفاوضات الحدود . واتضح حينئذ أنه بسبب سوء تفاهم كانت كل حكومة تنتظر أن تتخذ الحكومة الأخرى الخطوة التالية . وعند بحث الموقف مع السر ريدر بولارد نحو يوم ٢٦ ديسمبر ، أشار فؤاد حمزة إلى أن مفاوضات السنة السابقة قد جرت على أساس أن المواقف القانونية للجانبين ستترك بصفة موقتة جانباً ، رغبة فى الوصول إلى حل مقبول بالتراضى . فإذا تعذر الوصول إلى اتفاق ، أصبح كل جانب حراً فى اللجوء إلى البراهين والوثائق التى تؤيد موقفه القانونى ، ولكنه قال للسر ريدر بولارد إن من رأيه أن هذه المرحلة لم تبلغ بعد .

---

(٧) مضبطة الشيخ يوسف ياسين عن محادثته مع السر أندرو ريان بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ (نحو ٢ يونيو ١٩٣٦) .

وعلى أثر ذلك اتفقا على أن يطلب السر ريدر بولارد تعليمات أخرى بشأن الموضوع من حكومته .

٤٢ ـ لم يحدث أمر هام آخر حتى عام ١٣٥٥ (مارس ١٩٣٧ م) ، عندما جاء المستر رندل من وزارة الخارجية البريطانية إلى جدة لبحث مسائل مختلفة معلقة بين المملكة المتحدة والمملكة العربية السعودية ، منها مسألة الحدود الشرقية والجنوبية . وفى أثناء حديث عن هذا الموضوع جرى يوم ١٩ مارس مع الشيخ يوسف ياسين ـ وقد شهده أيضاً السر ريدر بولارد[٨] ـ تمسك المستر رندل من حيث الجوهر بالآراء السابقة لحكومة المملكة المتحدة . وتأييداً لادعاء أبو ظبي بخور العديد ، أشار بشيء من الإسهاب إلى أن الحكومة البريطانية قد أكدت لأبو ظبي بأن خور العديد واقعة فى أراضيها ، وإن كان قد اعترف بأن البريطانيين قد منعوا أبو ظبي فى مناسبات شتى من امتلاكها امتلاكاً فعلياً . وعند الرد ذكر الشيخ يوسف بإيجاز أنه مهما تكن أقوال الحكومة البريطانية لأبو ظبي أو لتركيا فإن ذلك بالبداهة لا يلزم المملكة العربية السعودية . وذكر الشيخ يوسف للمستر رندل فى أثناء حديث عام عن خط فؤاد :

> نحن لا نطالب بأراض جديدة ولا يمكن أن نتوخى ربح شيء . فجلالة الملك حريص على مصلحة تلك البلاد ويحمل لأهلها خالص المودة ، كما أن أهلها يحملون لجلالته نفس تلك العواطف . ولا يمكن أن يطمع فى تلك الأراضى أبداً ، وإلا لو طالبنا بحقوقنا كاملة لكنا نطالب فيما وراء تلك الحدود مما كانت تحت سلطة آباء جلالته وأجداده .

وفى خلال الحديث ، وجواباً على ملاحظة المستر رندل بأن المملكة المتحدة تريد أن تترك الحجج التاريخية جانباً وتسعى لالتماس طريقة عملية موفقة ، أبدى الشيخ يوسف موافقة تامة . وأشار إلى أنه لو أراد الملك أن يصر على جميع حقوقه

---

(٨) مقتطفات من سجل هذا الحديث أدرجت فى الملحق ١٩ .

لكان طالب بملك آبائه وأجداده الممتد إلى ما وراء تلك المناطق ولما ترك بعض الأماكن التى سلطته ممتدة إليها الآن وأهلها خاضعون له .

٤٣ — فى أثناء الحديث نفسه أشار المستر رندل إلى « حقيقة » أن الملك عبد العزيز كان فى عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) قد عقد اتفاقاً مع الترك اعترف فيه بأن لتركيا سلطة فى هذه المنطقة ، مع أنه لم يكن لتركيا سلطة فعلية[٩] . فرد الشيخ يوسف على هذا مباشرة

بأنه لايوجد أية معاهدة أبداً باعتراف جلالته وإذا وجدت بعض صور مكاتيب فربما تكون غير مطابقة للحقيقة . وأنا بحثت كثيراً فلم أجد شيئاً من تلك المعاهدة المزعومة ولا من تلك الكتب .

٤٤ — وجه الجانبان اهتماماً كبيراً فى مباحثات هذه الفترة إلى موقع آبار الصفق فى المنطقة الواقعة إلى الغرب مباشرة من سبخة مطى . وعلى الخرائط التى كانت متاحة للمفاوضين قبل ١٣٥٦ هـ (مارس ١٩٣٧ م) ظهرت الصفق على بعد نحو ٧٥ كيلو متراً جنوب ساحل الخليج الفارسى ، وعلى هذا الافتراض سلم البريطانيون بأنها واقعة على الجانب السعودى من خط ريان لسنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٥ م) ، ثم بدأت الشكوك تظهر فيما بعد بشأن صحة هذا الموقع ، ودل البحث آخر الأمر على أن الصفق تقع عند نقطة أبعد بكثير فى اتجاه الشمال ، على بعد نحو ٢٥ كيلو متراً فقط جنوب الخليج . وعلى هذا الأساس الجديد كان البريطانيون أول الأمر مترددين فى الاعتراف بأن الصفق أرض سعودية لأن معنى ذلك تعديل هذا الجزء من خط ريان لمصلحة المملكة العربية السعودية . غير أن السر ريدر بولارد أشار فى كتاب إلى الأمير فيصل عام ١٣٥٦ هـ (٤ ديسمبر ١٩٣٧ م) (ملحق ٢٠) أن التعديل قد قبل وأن الخط الذى اقترحته المملكة المتحدة قد عد بناء على ذلك واقعاً أقرب إلى الساحل بنسبة مماثلة .

(٩) بشأن هذا الاتفاق المزعوم راجع الفقرتين ١١ و ٢٠ فيما سبق .

٤٥ – وفى نفس الكتاب بتاريخ ١٣٥٦ هـ (٤ ديسمبر ١٩٣٧ م) قال الوزير البريطانى أيضاً إنه قد نمى إلى علم الحكومة أن جيولوجيى الشركة المسماة الآن شركة الزيت العربية الأمريكية يعملون قرب سلوة ، وأن حكومته رأت من غير المستحسن لتلك الشركة أن تجتاز فى عملها التعريف الجارى لخط ريان . واقترح فضلا عن ذلك أنه ما دام هناك شك بشأن الوضع المضبوط لبعض النقط الجغرافية المذكورة فى المفاوضات ، فلتؤلف هيئة طوبوغرافية مشتركة لتبدد هذه الشكوك ببحث الموقف على الطبيعة .

٤٦ – بعث الأمير فيصل برد شامل على هذه الرسالة بتاريخ ١٦ شوال ١٣٥٦ هـ (١٩ ديسمبر ١٩٣٧م) (الملحق ٢١) أدرج فيه الملاحظات التالية:

> وحيث أن الحكومة البريطانية . . . ما تزال تتمسك بالتحديد الذى ورد فى مذكرتكم المشار إليها ، فإن حكومة جلالة الملك ترى أنه من الصعب إمكان الوصول إلى تسوية نهائية مادامت الحكومة البريطانية متمسكة بموقفها ولم توافق على الشىء الواقع مما هو واقع تحت تصرف جلالة الملك ونفوذه بالفعل . فإذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة بالفعل لفتح موضوع العمل على إيجاد طريقة حل على أساس الأمر الواقع ويزيل الاشكال ، فإنه ليس أحب لدى حكومة جلالة الملك من ذلك .

وفى ما يتعلق بالعمل الجيولوجى فى المناطق المتنازع عليها ، أكدت المذكرة حق الجيولوجيين الخاضعين للإشراف السعودى فى العمل داخل الأراضى التى تدعى بها المملكة العربية السعودية.[١٠] أما فى ما يتعلق بالهيئة الطوبوغرافية المشتركة فقد شك فى فائدتها فى ذلك الوقت ، ولكن الفكرة لم ترفض .

٤٧ – أعرب السر ريدر بولارد عند إفادته بتسلم هذا الكتاب فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٨ عن أن الحكومة البريطانية قد تساهلت مرة بعد أخرى رغبة فى

(١٠) فى كتاب إلى السر ريدر بولارد بتاريخ ٢٥ ديسمبر تأييداً لهذا الكتاب الرئيسى أعرب فؤاد حمزة عن استعداد المملكة العربية السعودية فى التفاهم على ألا يتجاوز جيولوجيو أى من الجانبين الخط الذى يدعى به الجانب الآخر وذلك ريثما يتم الاتفاق النهائى بين الحكومتين .

ملاقاة آراء المملكة العربية السعودية ، وأنه قد أصبح من المستحيل عليها أن تذهب إلى أبعد من ذلك . فرد الأمير فيصل فى ١٦ ذى الحجة ١٣٥٦ هـ (٦ فبراير ١٩٣٨ م) (الملحق ٢٢) على هذه الملاحظات رداً مسهباً هاماً أعاد فيه بيان موقف المملكة العربية السعودية . وبعد أن أشار فى كتابه إلى أنه قد اعترف فى معاهدة دارين لسنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) بحق الملك فى أراضى آبائه وأجداده ، مضى فقال :

والتمسك المرضى بهذا النص جعل قسما واسعاً من حضرموت وظفار وعمان وأبو ظبى وقطر داخلا ضمن أراضى جلالته . ونظرة تاريخية تثبت أن مخافر العبر و بريمى وظفار وفى أواسط قطر كانت مخافر سعودية أنشأها أجداد جلالة الملك فى القرن الماضى . غير أن جلالته حبا منه فى الوفاق والتفاهم مع الحكومة البريطانية وفى عدم حرمان أصدقائه من أمراء العرب على الخليج الفارسى ، ولو كان فى ذلك خسارة مادية عليه ، كل ذلك جعله بعد الإلحاح الشديد يقبل بتحديد أقل مطاليبه أملا فى وضع حد حاسم للاشكال . ولم يكن يخطر على بال جلالته أن ما ذكره سيكون موضوع جدال ونقاش . فالخط الذى تتمسك حكومتى به يمثل أدنى حد للمطالب المشروعة والمعقولة ولذلك فإن قول سعادتكم إن التساهل والتسامح كان يأتى من جانب الحكومة البريطانية بينما أن موقف حكومتى لم يتغير أمر قد غمطت فيه حكومة جلالة الملك ونسيت معه التضحيات العظيمة التى ضحتها بتنازلها لأمراء تلك البلدان العربية المجاورة عن مناطق واسعة يوجد كل حق تاريخى واقعى لإثبات تابعيتها لجلالة الملك .

٤٨ — على أثر إرسال هذا الكتاب أجرى فؤاد بك حمزة والسر ريدر بولارد مباحثات أخرى قال فيها الوزير البريطانى إنه قد يكون من الممكن فى مباحثات خاصة وغير رسمية بالمرة تجرى بينهما بحث الإمكانيات الأخرى لمعالجة مشكلة الحدود . ويبدو من السجلات المتاحة أن مثل هذه المباحثات التى جرت لم تسفر عن مقترحات مثمرة وأنه لم تحدث تطورات جوهرية فى الشهور التى تلت ذلك . فإن التفاقم التدريجى للموقف العالمى العام فى سنتى ١٣٥٧ و ١٣٥٨ هـ (١٩٣٨ و ١٩٣٩ م) شغل أذهان الحكام والساسة المسئولين فى جميع البلدان ، وبنشوب الحرب فى عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ترك الموضوع طبعاً لبحثه بعد انتهائها .

٣ ـ الحوادث من ١٣٥٨ إلى ١٣٧٠هـ (١٩٣٩ ـ ١٩٥١م)

٤٩ ـ بقيت مسألة الحدود معلقة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة خلال فترة الحرب من ١٣٥٨ إلى ١٣٦٤ هـ (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) وإلى ما بعد ذلك مدة من الوقت واستمرت الأمور كسابق عهدها تماماً . وقام موظفو أمير الحسا دون أية إعاقة بتصريف مهامهم المعتادة من جمع الزكاة ونشر لواء الأمن . وفى السجلات الملحقة بهذا العرض ما يشير إلى بعض تلك المهام . كان حاكم أبو ظبي أثناء هذه السنين منهمكاً على الأكثر فى منازعات مع حاكم دبى البلدة الساحلية المجاورة له ، الواقعة إلى الشرق . وخلال هذه الفترة حدث أمر له أهميته ولا يجوز التغاضى عنه وهو أنه فى ١٣٦١ هـ (٢٠ إبريل ١٩٤٢ م) أبرم اتفاق صداقة وحسن جوار بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة (نيابة عن الكويت) وفى الرسائل المتبادلة التى ألحقت بالاتفاقية اعترفت المملكة المتحدة اعترافاً صريحاً بأن بعض القبائل ومنها آل مرة وبنى هاجر والمناصير هى قبائل سعودية . ولم تكن القائمة شاملة على كل حال ، لأنها اقتصرت على ذكر القبائل التى قد تخصها الترتيبات التى اتفق عليها .[١]

٥٠ ـ وبانتهاء الحرب تضاعف النشاط فى تنمية موارد الزيت فى الشرق الأوسط وتوسع الإنتاج حينئذ توسعاً كبيراً وجدد بكل همة البحث عن موارد جديدة وهو البحث الذى توقف إبان الحرب وتسنى لشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة وهى الشركة البريطانية التابعة لمجموعة شركة نفط العراق والتى تملك امتيازاً من حاكم أبو ظبى منذ ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، أن

---

(١) نص الاتفاقية والرسائل المتبادلة فى « سلسلة معاهدات هيئة الأمم » مجلد ١٠ ، ص ١١٧ ـ ١٤٩ ، وفى الملحق ٢٣ مقتطفات منها .

تبدأ عمليات التنقيب على نطاق ضيق خلال موسم شتاء ١٣٦٧ — ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ — ١٩٤٩ م) . واستمرت هذه العمليات خلال المواسم التالية حتى عام (١٩٥١ م) ولو أن جميع هذا العمل لم يجر فى المناطق المتنازع عليها حالياً .

٥١ — وفى نفس موسم ١٣٦٧ — ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ — ١٩٤٩ م) بلغت فرق تابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية ، أثناء تنفيذ برنامجها التنقيبى المعتاد ، المنطقة الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقى من قطر . ودخلت فرقة إلى الظفرة بقصد إجراء استكشاف سطحى ولكن العمل الأكثر تفصيلا كان مقصوراً على المنطقة الواقعة غرب سبخة مطى . وانهمكت الفرق بعض الانهماك فى تفصيل المسح التمهيدى الأولى الذى أجرته إحدى فرق شركة الزيت العربية الأمريكية فى موسم ١٣٥٦ — ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧ — ١٩٣٨ م) وتصحيح ذلك المسح ، وكان برنامجهم — كما هو الأمر دائماً — معروفاً للحكومة العربية السعودية وموافقاً عليه من جانبها ، وكان يرافق الفرق كالعادة بضعة جنود مرسلين من قبل أمير الحسا .

٥٢ — فى عام ١٣٦٨ هـ (٢١ — ٢٢ إبريل ١٩٤٩ م) زار المستر ستوبارت الضابط السياسى البريطانى فى عمان الساحلية مخيم إحدى الفرق السعودية الواقع شمال غربى الصفق ، فى نقطة تقع على خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ١٠ دقائق وخط الطول الشرقى ٥١ درجة و ٢٦ دقيقة على وجه التقريب . وكان يرافقه أحد إخوة حاكم أبو ظبى والمستر جاكسون من شركة الزيت البريطانية وبعض الحرس المسلحين وسلم المستر هولم كبير جيولوجى الفرقة ، كتاباً (الملحق ٢٤) جاء فيه ما يلى :

> لقد اعترفت حكومة جلالته البريطانية فى المملكة المتحدة دائماً بامتداد أراضى حاكم أبو ظبى حتى خور العديد ولهذا فإنه من طبيعة الحال أن يعتبر الحاكم وجود شركتكم عند نقط شمالى الصفق تعدياً ، وبالأخص نظراً إلى وجود الجنود السعوديين مع الشركة .

ثم حث الكتاب لمصلحة الأمن

بسحب الفرق العاملة فى المناطق التى تابعيتها غير متفق عليها قبول حدوث أية حادثة ممكنة بين السعوديين و بين رعايا أبو ظبى .

٥٣ — وخوفاً من وقوع مثل هذه الحادثة المؤسفة قام قائد الفصيلة السعودية المخيمة هناك بتجريد الحرس المرافقين للمستر ستوبارت من سلاحهم بصورة موقتة . وفى نظره (وهذا ما وافقت عليه تماماً الحكومة العربية السعودية) كان مثل هؤلاء الخدم المسلحين التابعين لدولة أخرى دون حصولهم على إذن يشكل عدواناً لا مبر ر له على الأراضى العربية السعودية . وقد أعيدت الأسلحة فيما بعد عندما بدأ المستر ستوبارت عودته إلى بلدة أبو ظبى ، وكان قصده فى البداية مواصلة السفر إلى قطر ، ومما لا يخلو من التفكهة أنه طلب مساعدة دليل سعودى ليقوده هو وأخا الحاكم عبر الأراضى التى أعلن منذ برهة وجيزة أنها تابعة لأبو ظبى .

٥٤ — وبعد موافقة الحكومة العربية السعودية أجابت شركة الزيت العربية الأمريكية على كتاب المستر ستوبارت بتاريخ ٢٥ إبريل ، بأنه ليس من شأنها التدخل فى الجدل القائم على الحدود ، وأن أى اعتراض على نشاطها يجب أن يوجه إلى الحكومة العربية السعودية ، ولكن نظراً لدقة الوضع — فإنها تسحب فرقها من المواقع المتنازع عليها على ألا يكون فى ذلك مساس بحقوق المملكة العربية السعودية (الملحق ٢٥) . وفى الوقت ذاته تبودلت بخصوص هذا الموضوع بين الحكومتين العربية السعودية والبريطانية تبودلت مراسلات اشتكى فيها كل جانب من عدوان الآخر على أراضيه .

٥٥ — وقد أوضحت حادثة ستوبارت هذه أن الركود الذى خيم أثناء الحرب على شئون الحدود قد انتهى . فقد مر حوالى الاثنتى عشرة سنة منذ آخر مرة كانت فيها موضع عناية الحكومتين ، وأصبح من الواضح ضرورة إجراء مفاوضات فى هذا الشأن . وفى ١٣٦٨ هـ (سبتمبر ١٩٤٩ م) جرت أحاديث

استطلاعية غير باتة بين الشيخ يوسف ياسين (وفؤاد حمزة فيما بعد) وبين وفد بريطانى مؤلف من المستر سكوت فوكس ، الذى كان حينئذ القائم بالأعمال فى السفارة البريطانية فى جدة ، والميجر بلى الوكيل السياسى فى الكويت . وفى مذكرة موجهة لهذا الوفد أعربت المملكة العربية السعودية عن رغبتها فى إيجاد تسوية ودية ولكنها لم تقدم أية مقترحات معينة . وبعد أيام من المحادثات أرجئت الاجتماعات لتتاح الفرصة لكل من الحكومتين لإعادة النظر فى سياستها .

٥٦ — وقد عرض موقف المملكة العربية السعودية بعد دراسة فى بيان أبلغ للسفارة البريطانية بجدة فى ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر ١٩٤٩) (الملحق ٢٦) . وعرض البيان رأى المملكة العربية السعودية ، القائل بأن المبادئ التى يسترشد بها فى أية تسوية للحدود يجب أن تكون « ما هو تحت سلطة جلالة الملك عبد العزيز ، وما هو تحت سلطة الأمراء والمشايخ » . وعلى هذا الأساس « وبعد دراسة عميقة لمنازل القبائل وتتبع الأمر الواقع » اقترحت خطين ، الأول خط للحدود مع قطر يمر عبر قاعدة شبه الجزيرة ، والثانى مع أبو ظبى يبتدئ من ساحل الخليج ويمتد إلى نقطة تقع على مسافة تقل عن خمسة وعشرين كيلومتراً فى الشمال الغربى من البريمى . وكانت التحديدات الدقيقة كما يلى :

٢ — بعد دراسة عميقة لمنازل القبائل وتتبع الأمر الواقع فهى ترى أن تكون الحدود بينها وبين قطر كما يلى :

ا) يبدأ خط الحدود بين المملكة العربية السعودية وقطر من نقطة على ساحل دوحة سلوى عند خط العرض ٢٤ درجة و ٥٦ دقيقة (نقطة ا) .

ب) من نقطة (ا) يتجه خط إلى الشرق رأساً حتى يصل نقطة تقاطع خط العرض (٢٤) درجة و (٥٦) دقيقة مع خط الطول ٥١ (نقطة ب) .

جـ) من نقطة ب يتجه الخط اتجاهاً مستقيماً حتى يصل ساحل البحر عند خط العرض ٢٤ درجة و ٤٨ دقيقة (نقطة جـ) تاركاً عامرة للمملكة العربية السعودية وبهذا ينتهى الحد بين قطر والمملكة العربية السعودية .

٣ – تعتبر الحكومة العربية السعودية أن خط الحدود بينها وبين أبو ظبى يبدأ من نقطة واقعة على ساحل الخليج بين بندر المرفأ وبندر المغيرة تبعد (٢) كيلومتراً شرقاً من بندر المرفأ (نقطة ا) ويتجه الخط من هذه النقطة اتجاهاً مستقيما إلى الجنوب الشرقى تماماً حتى يصل خط العرض ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة (نقطة ب) ومن هذه النقطة يتجه الخط اتجاها مستقيما إلى الشرق رأساً حتى يصل خط الطول ٥٤ درجة (نقطة ج) ومن نقطة ج يتجه الخط اتجاهاً مستقيما حتى يصل نقطة تقاطع خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة (نقطة د) .

وهذان الخطان المحددان هنا مبينان فى الخريطة الأولى وبتفصيل أكثر للقسم الغربى فى الخريطة الثانية وللقسم الشرقى فى الخريطة الثالثة .

٥٧ – وبوضع هذين الخطين أعادت المملكة العربية السعودية مرة أخرى تمسكها بموقفها بشأن ما تعتبره حقوقها المشروعة الكاملة فيما يتعلق بالأراضى المتنازع عليها . وفى مفاوضات ١٣٥٣ – ١٣٥٧ هـ (١٩٣٤ – ١٩٣٨ م) وافقت على أن تترك جانباً هذه الحقوق إلى حين ، وسارت شوطاً بعيداً فى بحث حل وسط يجعل من الممكن التوصل إلى اتفاق . ولم تقابل اتصالاتها هذه بعدم المبالاة فحسب بل بالرفض من الجانب الآخر الذى حث على قبول الخط المقدم من جانبه . ولا شك هناك أنه بفشل المحادثات وبمرور الظروف الخاصة التى عرضت فيها المقترحات السعودية لعام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، فإن هذه المقترحات تعتبر غير قائمة وهى بصفتها جزء من مفاوضات غير مثمرة قد تبخرت تماماً ولا يمكن أن تعلق عليها أية أهمية فى الإجراءات الحالية .[٨]

---

(٢) قارن هذا ببيان محكمة العدل الدولية الدائمة فى «قضية مصنع خورزو (تعويض)» : «وفى النهاية يمكن أن يبين مرة أخرى أنه ليس باستطاعة المحكمة أن تأخذ بعين الاعتبار تصريحات أو اعترافات أو مقترحات قد تكون جرت بين الطرفين أثناء مفاوضات مباشرة بينهما بعد أن لم تؤد مثل هذه المفاوضات إلى اتفاق كامل» . الحكم رقم ١٣ ، ١٣ سبتمبر ١٩٢٨ ، سلسلة أ ، رقم ١٧ ، ص ٥١ و«تقارير المحكمة الدولية» وضع هدسن ، مجلد ١ ، ص ٦٨٠ .

وليس غريباً على المملكة العربية السعودية عقب مرحلة دامت اثنى عشر عاماً أن تعود إلى الموقف الذى تعتبر نفسها بحق أهلا له وأن تقوم بمفاوضات جديدة على أساس الحالة التى كانت قائمة بالفعل فى هذه المناطق . ويتجلى هذا العزم على الاحتفاظ بادعاء يتفق تماماً مع الوضع القائم فعلا ، فى الفقرة الرابعة من البيان التى تقول :

٤ – هذه نقاط الحدود التى تراها الحكومة العربية السعودية تتفق مع الواقع بالنسبة لسلطتها وسلطة أبو ظبى مستندة فى ذلك إلى أن الأراضى التى حددت بموجب هذا للمملكة العربية السعودية تعيش فيها قبائل المملكة العربية السعودية من بنى هاجر والمناصير والعوامر وآل مرة والدوامر وغيرهم من القبائل .

٥٨ – وتظهر الفقرة الخامسة كذلك عزم المملكة العربية السعودية على أن تحدد ضمن نطاق حدود قانونية دقيقة ادعاء المملكة المتحدة بأنها تمثل بعض حكام جزيرة العرب فى معاملاتهم مع الحاكم العربى الأول :

٥ – من النقطة الأخيرة التى هى نقطة تقاطع خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة وما إلى جنوب تلك المنطقة وشرقيها . إن الجنوب والشرق من هذه النقطة هو تحت سلطات مشيخات ليس لها صلات عهدية مع الحكومة البريطانية ولذلك فإن الحد بين المملكة العربية السعودية وهذه المشيخات يتم الاتفاق عليه بين الحكومة العربية السعودية والمشيخات المشار إليها .

وقد وضع هذا البيان ليوضح أن المملكة العربية السعودية لا تعترف للملكة المتحدة بسلطة التكلم بالنيابة عن إمام عمان أو عن الرؤساء الآخرين فى المنطقة المشار إليها ممن ليست لهم معاهدات خاصة تنظم علاقاتهم مع المملكة المتحدة .

٥٩ – ولم يكن منتظراً بطبيعة الحال أن تنظر المملكة المتحدة بهدوء واتزان إلى أية إعادة من جانب المملكة العربية السعودية بتأكيد مطالبها الكاملة . فى

مذكرة بتاريخ ١٣ صفر ١٣٦٨ هـ (ديسمبر ١٩٤٩ م) (الملحق ٢٧)[٣]
أبلغت السفارة البريطانية بجدة وجهة نظر حكومتها بأن

> ليس أمامها إلا أن تتمسك بموقفها على أساس الادعاء القانونى وهو « الخط الأزرق » و « الخط البنفسجى » كما جرى تحديدها طبقاً للاتفاقيات الإنجليزية التركية بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩١٣ و ٩ مارس ١٩١٤ .

وأخذت هذه المذكرة ، بعد ذلك ، بمعارضة بعض الحقائق الواردة فى البيان السعودى كما أنها فسرت الفقرة الخامسة بأنها تشير إلى البريمى حيث « أن ادعاءات شيخ أبو ظبى تعطى حكومة صاحب الجلالة حقاً لا مراء فيه بالمفاوضة نيابة عنه » . وعلاوة على ذلك صرحت المذكرة بأن أراضى واقعة جنوب البريمى (ولكن ليس فى داخلها) تدخل تحت سلطة سلطان مسقط الذى يحق أيضاً للمملكة المتحدة أن تمثله . وقد أرفقت بالمذكرة صورة من التصريح الذى يقال إنه قدم فى عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) نيابة عن عبد الله بن فيصل (الفقرة ٢١٧ من الفصل الرابع فيما سبق) والذى تعهد فيه بعدم التدخل فى شئون القبائل العربية المرتبطة بمعاهدات من المملكة المتحدة .

٦٠ — وفى جواب مؤرخ ١٩ صفر ١٣٦٩ هـ (١٠ ديسمبر ١٩٤٩ م) (الملحق ٢٨) أعادت الحكومة العربية السعودية تأكيد ادعاءاتها الواردة فى بيان ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر) وأكدت ثانية أنها لا تطالب إلا بحقوقها المشروعة « بأرض يسكنها رعاياها وسلطانها فيها وحكمها عليها » . وكذلك أوضحت الحكومة العربية السعودية موقفها بخصوص البريمى :

> أما ما ورد فى الفقرة السابقة من الإشارة إلى « بريمى » فإن بريمى ومنطقة الإمام الخليلى وما يليها كانت ولا تزال مأهولة بالقبائل العربية السعودية وليست تحت سلطة سلطان مسقط كما أنها ليست تحت سلطة شيخ أبو ظبى ، وليست لها أى

(٣) يشار أحياناً إلى هذه المذكرة (كما فى المذكرة البريطانية المؤرخة ٢٥ يوليو ١٩٥٠) (الفقرة ٦٢ اللاحقة) على أنها مؤرخة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

معاهدة مع الحكومة البريطانية ولذلك فمن غير المعقول أن تجرى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية وهذه المشيخات لأن أى عقد فى هذا الشأن مع غيرهم لا يعتبر قانونياً .

وبعد تصحيح الوضع بهذه الصورة قدمت الحكومة العربية السعودية الاقتراح الإيجابى التالى فى سبيل حل المشكلة :

وفى النهاية تبدى الحكومة العربية السعودية رغبة صادقة فى التعاون على تحديد الحدود بطريق العدل والإنصاف وهى لا تطالب ولا ترغب أن يدخل فى حوزتها إلا ما هو لها وتحت سلطانها وعلى هذا الأساس فهى على استعداد أن توافق على القيام بدراسة مشتركة عن حقيقة الواقع فما ثبت من الأماكن تابعاً لسلطان المملكة العربية السعودية بقى لها وما ثبت أنه تحت سلطان غيرها فهو لمن ثبت له وهذا هو الأساس الذى يمكن أن يحل كل المنازعات فى هذا الشأن .

٦١ – ولم يثر الاقتراح السعودى رداً سريعاً من جانب المملكة المتحدة على أنه حدث فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٦٩ هـ (١٨ إبريل ١٩٥٠) أن شكت مذكرة بريطانية من أن جماعة من الرعايا السعوديين تحت إمرة ابن منصور ضربوا شخصاً تابعاً لحاكم أبو ظبى فى الجواء وسرقوا بعيره كما سلبوا رعايا آخرين لأبو ظبى (الملحق ٢٩). وقد قيل إن ابن منصور هذا هو نفس الرجل الذى كانت إقامته الطويلة فى أراضى أبو ظبى فى العام الماضى موضع احتجاج شفوى لدى الحكومة العربية السعودية فى إبريل ١٩٤٩ م . وقد زعمت المذكرة أن مثل هذه الأعمال من جانب الموظفين السعوديين فى منطقة رفضت الادعاءات السعودية بها لا يمكن إلا أن تؤثر على نتيجة مفاوضات الحدود الحالية ، واستفسرت المذكرة بلهجة لا تكاد تؤدى إلى نجاح مثل هذه المفاوضات عن الخطوات التى تقترح الحكومة السعودية القيام بها :

. . . لإعادة ممتلكات الأشخاص الذين سلبوا ، وكذلك لتأمين عدم دخول موظفى الحكومة العربية السعودية إلى أراضى شيخ أبو ظبى من دون إذنه فى المستقبل .

٦٢ – وقد عالج رد سعودى شامل بتاريخ ٢٤ رجب ١٣٦٩ هـ (١١ مايو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٠) الجواب على هذه المذكرة ومذكرات أخرى متعلقة

بادعاءات فى الخليج الفارسى لا تدخل فى نطاق الإجراءات الراهنة وقد أشير إلى أن ابن منصور بصفته عاملا من عمال الزكاة فى خدمة الحكومة العربية السعودية إنما كان يقوم بتنفيذ واجبات أعماله بالطريقة المعتادة ، وأن العنصر الجديد فى الموضوع كان محاولة حاكم أبو ظبى التدخل فى هذه الأعمال وأن الحاكم لا صلاحية له للتدخل فى تنفيذ موظفى الملك لواجبات أعمالهم لأنها متعلقة بالرعايا السعوديين ثم طلبت المذكرة جواباً سريعاً من المملكة المتحدة على الاقتراح السعودى بتشكيل لجنة فنية مشتركة لدراسة الحالة على الطبيعة .

٦٣ ــ وأخيراً قدم لوزارة الخارجية العربية السعودية عرض تفصيلى لموقف الحكومة البريطانية ، وكان ذلك فى صورة مذكرة مفصلة بتاريخ ٩ شوال ١٣٦٩ هـ (٢٥ يوليو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣١) . وفى هذه الوثيقة يبين لأول مرة بشىء من التطويل الادعاء القانونى الذى أشير إليه فى المذكرة البريطانية المؤرخة ١٣ صفر ١٣٦٩ هـ (٣٠ نوفبر ــ ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م) (الملحق ٢٧) ويتمثل عرض الجانب البريطانى فيما يلى :

> طبقاً للقانون الدولى يكون صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود السلطة التى خلفت الحكومة التركية ، وقد أقر جلالته ارتباطه بهذا فى معاهدة ١٥ مايو ١٩١٤ مع تلك الحكومة . والحكومة التركية بتوقيعها على المعاهدتين الانجلو تركية لعامى ١٩١٣ و ١٩١٤ أقرت بأن سلطاتها فى البلاد العربية لم تمتد شرق الخطوط الموضوعة فى تلك المعاهدتين . فعليه فإن جلالته لا يستطيع أن يجعل أى حوادث أو ظروف كانت موجودة قبل إتمام هاتين المعاهدتين أساساً لدعوى فى أرض تقع شرق هذه الخطوط وبناء على ذلك لو أن جلالته يرغب فى أن يقيم دعوى على أى منطقة من هذا القبيل فإن عليه أن يبرهن بأن اكتسب السيادة على تلك المنطقة بعد ١٩١٤ طبقاً للقانون الدولى وأن يقدم من أجل ذلك الحقائق والحوادث التى تلى ذلك التاريخ والتى يعتمد عليها فى إثبات دعواه .

٦٤ ــ وبعد أن أشارت المذكرة إلى أن الادعاءات التاريخية للمملكة العربية السعودية قد عولجت فى مذكرة ٣٠ نوفبر استمرت فى القول بأن احتلال أراض من جانب قبائل رحل لا يعتبر كافياً فى عرف القانون لإقامة ادعاء

صحيح ، ولو اقترن ذلك بأداء دفعات منوعة إلى جباة الضرائب السعوديين . أما الأقوال التى ذكرت لتأييد هذا الرأى فهى أن القبائل تتنقل بشكل غير منتظم حيث تمر قبائل مختلفة فى أوقات متباينة فى منطقة معينة وكثيراً ما تؤدى الضرائب لمجرد تفادى النزاع . إن هذه الأقوال قد نوقشت كلها فى مكان آخر من هذا العرض (الفصل الثالث السابق والفصل السادس اللاحق) ويكفى أن يسجل أن هذه الأقوال تظهر فى رأى الحكومة العربية السعودية جهلا بطرائق حياة القبائل فى المناطق المطالب بها ، ولا يمكن تفسير هذا الجهل إلا بأنه راجع إلى عدم الإلمام بالمناطق . وكان الجانب البريطانى إيجابياً أكثر فى موافقته بالمذكرة على دراسة غير متحيزة للمشكلة تقوم بها لجنة فنية مشتركة ، وإن كان ذلك قد اقترن بعدة شروط . وكان أبعد هذه الشروط عن الإنصاف فى نظر الحكومة السعودية هو مطالبة الحكومة العربية السعودية بتقديم أدلة تفصيلية تؤيد ادعاءاتها شرقى الخطين الأزرق والبنفسجى دون أن يكون هناك التزام مقابل على المملكة المتحدة للقيام بالمثل .

٦٥ ـ وخلال الشهر التالى لتقديم المذكرة زاد توتر العلاقات بين الحكومة العربية السعودية والمملكة المتحدة بنسف البريطانيين دون مفاوضات أو إعلان سابق للنصب التى أقامتها الحكومة العربية السعودية فى بعض الجزائر الواقعة تجاه الشاطئ . وكان لهذا اللجوء إلى القوة تأثير مضاد شديد فى الرأى العربى السعودى بطبيعة الأمر . إن الادعاءات الخاصة بالجزائر لا تدخل فى نطاق الإجراءات الراهنة ، ولكن أثر مثل هذه الأعمال يشكل جزءاً من الأساس التاريخى للنزاع الحالى . وعلى الرغم من هذا التحدى فقد وضعت مذكرة الرد السعودى المؤرخة ٩ ذى الحجة ١٣٦٩ هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٢) فى عبارات ترمى إلى حل وقد وافقت المذكرة بوجه العموم على جميع الشروط التى قرنت بإنشاء اللجنة المشتركة ، اللهم إلا الطلب الخاص بتقديم أدلة من جانب

الحكومة العربية السعودية وحدها . ولم يذكر بهذا الصدد إلا أن ذلك الأمر ليس تمهيداً ضرورياً لإنشاء هيئة للكشف عن الحقائق . وقد حث على الإسراع فى إنشاء اللجنة ، وتكررت هذه الدعوة فى كتابين من الشيخ يوسف ياسين إلى المستر تروت السفير البريطانى بتاريخ ٧ محرم ١٣٧٠ هـ (١٩ أكتوبر) (الملحق ٣٣) و ١٤ صفر (٢٥ نوفمبر) (الملحق ٣٤) .

٦٦ – وقد ازداد تعقد المفاوضات الآنفة الذكر بسبب أعمال التنقيب عن الزيت التى كانت تجرى فى الأراضى المتنازع عليها خلال العام . وكانت هذه الأعمال صادرة عن الجانب البريطانى وحده إذ كان الجانب السعودى يحض باستمرار على عدم القيام بأعمال الزيت فى المناطق المتنازع عليها ريثما تتم تسوية مسألة الحدود وذلك بقصد تقليل الاحتكاك . وتبعاً لذلك الرأى امتنعت الحكومة العربية السعودية بعد عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) عن التصريح بأى عمل من ذلك القبيل من جانبها . وفى مذكرة بتاريخ ٤ شعبان ١٣٦٩ هـ (٢١ مايو ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٥) احتجت الحكومة العربية السعودية على عمليات الزيت فى محاذاة الشاطئ بين جبل الظنة وبندر المغيراء . ولم يصل الرد على ذلك إلا فى ٢٠ ذى الحجة (٣ أكتوبر) عندما أجاب السفير البريطانى إجابة موجزة بأن المملكة المتحدة تعتبر ادعاء الحكومة العربية السعودية بتلك المنطقة ليس له ما يبرره ، ومن ثم فإنها لا تستطيع الموافقة على إيقاف عمليات الزيت هناك (الملحق ٣٦) . وقد أثار هذا الرد المقتضب جواباً موزوناً من الشيخ يوسف ياسين بتاريخ ٧ محرم ١٣٧٠ هـ (١٩ أكتوبر) (الملحق ٣٣) أورد فيه أن مثل هذا الموقف لا يتفق مع المقترحات البريطانية الأخرى التى تحبذ وقف الأعمال فى مناطق المغمورة ، ولا مع التعهد المقترح لتحاشى الأعمال التى من شأنها أن تضعف مركز أحد فى المناطق المتنازع عليها ريثما تتم تحقيقات اللجنة المشتركة ، ولا مع المحادثات الشفوية بينه وبين السفير . وقد تبودلت وجهات

النظر مرة أخرى فى كتاب من القائم بأعمال السفارة البريطانية فى ٣٠ محرم ١٣٧٠ هـ (١١ نوفمبر ١٩٥٠ م) (الملحق ٣٧) وجواب من الشيخ يوسف بتاريخ ١٤ صفر (٢٥ نوفمبر) (الملحق ٣٤) ولكن لم يؤد ذلك إلى أى تعديل فى الموقف . وأثناء ذلك قامت الحكومة العربية السعودية فى ١٨ محرم (٣٠ أكتوبر) بالاحتجاج رسمياً مرة أخرى على عمليات الزيت البريطانية فى المناطق المجاورة لجبل الظنة وفى المنطقة القبلية لقبيلة المناصير (الملحق ٣٨) .

٦٧ — وقد اقتصرت المراسلات بين الحكومتين فى أوائل عام ١٣٧٠ (١٩٥١ م) على مسألة وضع الاتفاق المبدئى على تشكيل لجنة مشتركة فى أحكام محددة . وقد احتفظ كل من الجانبين بموقفه فى النقاط الأساسية للموضوع ولما كان المشروع لم ير النور قط فلا داعى لاستعراض المراسلات التى جرت بالتفصيل . فالمذكرة البريطانية المؤرخة ٤ ربيع الثانى ١٣٧٠ هـ (١٠ يناير ١٩٥١ م) والجواب السعودى المؤرخ ١٩ ربيع الثانى (٧ فبراير) والمذكرة البريطانية بتاريخ ١١ رجب (١٨ إبريل) وجميعها متعلقة بهذا الموضوع ، موجودة بنصوصها الكاملة فى الملاحق ٣٩ و ٤٠ و ٤١ . هذا ولم يتم شىء من الترتيبات الخاصة باللجنة مما ورد فى آخر هذه الوثائق ، وذلك بالنظر إلى اقتراح حل جديد قدمته الحكومة البريطانية فى أواخر ربيع عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) وكان ذلك بصورة دعوة رسمية وجهت إلى الأمير فيصل لزيارة لندن خلال الصيف بوصفه وزيراً للخارجية للدخول فى مباحثات مع وزارة الخارجية البريطانية بشأن الخلافات القائمة بين الحكومة العربية السعودية والمملكة المتحدة . وقد قبلت هذه الدعوة ووضعت الخطط الخاصة باللجنة موقتاً على الرف ، ولكن التطورات التى وقعت بعد ذلك سارت كما يظهر فيما بعد فى طريق يختلف عما كان ينتظر من قبل .

٤ – مؤتمر لندن ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)

٦٨ – افتتح مؤتمر لندن فى ٨ أغسطس ١٩٥١م وانتهى فى ٢٤ أغسطس وكان الوفد السعودى برآسة الأمير فيصل ، ووفد المملكة المتحدة برآسة المستر هربرت موريسون وزير الخارجية . وربما كان الجزء الأعظم من المباحثات قد خصص لمشاكل الجزائر والحدود البحرية فى الخليج الفارسى ، ولكن اهتماماً جدياً قد وجه كذلك إلى مسألة الحدود البرية .

٦٩ – ففى مذكرة عرضت على المؤتمر بتاريخ ١٤ ذى القعدة ١٣٧٠ هـ (١٧ أغسطس ١٩٥١) (الملحق ٤٢) أعاد المندوبون البريطانيون تأكيد وجهة نظر حكومتهم فيما للاتفاقيات التركية الانكليزية من صفة ملزمة وبذلك وقع على عاتق الحكومة العربية السعودية عبء إثبات سيادتها على مناطق تقع شرق الخط الأزرق والخط البنفسجى . وأضافت المذكرة أن ذلك يمكن إظهاره من جانب الحكومة العربية السعودية بإثبات أحد الأمرين التاليين وهما :

١ – أن المنطقة ذات الشأن تقطنها قبيلة مستوطنة قد ثبت بمسلكها الدائم المنتظم خلال مدة من السنين تتصل بالوقت الحاضر أنها تدين بالولاء بصفة قاطعة لجلالة الملك ابن سعود . وإذا كانت إحدى المناطق تقطنها قبيلة مستوطنة فإن زيارة قبيلة متنقلة لها بصورة منقطعة لن يكون ذات أثر فى وضعها لذلك الغرض .

٢ – أن المنطقة ذات الشأن .

ا) لا تقطنها قبيلة مستوطنة .

ب) وتستعملها عادة قبيلة متنقلة يثبت أنها بمسلكها المستمر خلال مدة من السنين تتصل بالتاريخ الحاضر قد أعلنت ولاءها بصفة قاطعة لجلالة الملك ابن سعود كما أنها أولا – لم تعلن ولاءها بمسلك مماثل خلال مدة مماثلة لأى رئيس أو حاكم مشمول بحماية صاحب الجلالة البريطانية أو لعظمة سلطان مسقط أو لأى رئيس يدين بالولاء لعظمته . ثانياً – أو لم تقبل سلطة أى رئيس أو حاكم من هؤلاء فى سبيل الإقامة بالمنطقة ذات الشأن .

ج) ولا تستعمل بانتظام من جانب قبيلة متنقلة لم تعترف بالولاء لجلالة الملك ابن سعود بمسلك كالمبين فى الفقرة (ب) .

واختتمت المذكرة بالقول بأنه نظراً إلى أن الحقائق المتعلقة بهذه المعايير غامضة فى حالات كثيرة فقد وافقت المملكة المتحدة على اللجنة المقترحة للكشف عن الحقائق .

٧٠ – وفى الجلسة السابعة للمؤتمر بتاريخ ٢٠ أغسطس بحثت المذكرة البريطانية ، وبعد أن أعاد الأمير فيصل وجهة النظر السعودية عن الاتفاقيات التركية الانكليزية أشار إلى الاعتراضات المتعددة على المعايير التى اقترحها البريطانيون ثم استأنف الكلام قائلا :

> ما دامت المشكلة تظهر مستعصية على الحل على اساس الاقتراحات التى قدمت حتى الآن ، فإنه يرغب بتقديم اقتراح شخصى بحت وهو أن يحصل اجتماع مائدة مستديرة تضم كل شيخ معنى وممثلا عن سلطان مسقط وطبعاً ممثل عن حكومة جلالته ، وهؤلاء يجتمعون بممثل الملك ابن السعود وفى جو المائدة المستديرة هذا يبحثون جميع اختلافاتهم ويقدمون طلباتهم مستندة إلى معرفتهم الشخصية واعتقادهم وهو يأمل أن هذه الواسطة تسهل الوصول إلى تسوية يقبلها كل من يعنيه الأمر ويقيدهم لأنهم يكونون قد وافقوا شخصياً وبذلك يتحاشى التأخير الطويل الذى تسببه لجنة تحقيق ومفاوضات تعقبها .(١)

٧١ – وفى الجلسة التاسعة بتاريخ ٢٢ أغسطس أفاد الوفد البريطانى أن حكومته ترحب بفكرة المؤتمر الذى اقترحه الأمير فيصل على أن يكون من المفهوم أن وفد المشايخ سوف يرأسه ممثل المملكة المتحدة . واقترح الوفد البريطانى أن يسبق المؤتمر لجنة للكشف عن الحقائق ، ثم اقترح الأمير فيصل وقف جميع الأعمال فى المناطق المتنازع عليها ريثما يتوصل إلى قرار بشأن السيادة على هذه المناطق . وقد أدى ذلك إلى بحث مستفيض فى الجلستين التاسعة والعاشرة عن نوع الأعمال ومدى المناطق التى تتعرض لمثل ذلك الإيقاف . وقد سعى الوفد السعودى إلى أن يوقف فى جميع المناطق المتنازع عليها كافة الأعمال المستحدثة وخصوصاً ما يتعلق

(١) مضابط الجلسة السابعة (سجلها الجانب البريطانى نيابة عن كلا الجانبين فى الملحق ٤٣ .)

منها بشركات الزيت وقوات عمان الساحلية التى نظمت مؤخراً تحت إشراف البريطانيين. وأما البريطانيون فقد ذهبوا إلى أن المنطقة الواقعة غربى خط المملكة العربية السعودية لعام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) (كذا) هى وحدها موضوع النزاع وإن أعمال ساحل عمان ذات صبغة عادية للأمن والإدارة فلا ينبغى أن تمنع . على أن الوفد البريطانى سلم فى النهاية بضرورة وقف أعمال قوات ساحل عمان كما وافق كلا الجانبين على وقف أعمال الزيت . وكان من المفهوم لدى الجانبين أن النشاط الإدارى العادى فى المناطق المتنازع عليها يجب أن يسمح باستمراره ، واوضح الوفد السعودى أنه عنى بهذا النشاط ما كان موجوداً منه فى ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) أو قبل ذلك التاريخ .[٢]

٧٢ – وبعد مراجعة الأمير فيصل لجلالة الملك فى اقتراح عقد مؤتمر مائدة مستديرة وموافقة جلالته على ذلك ، وضع الاقتراح فى صورته النهائية فى خلاصة للمباحثات بالشكل التالى (الملحق ٤٦) :

> اتفق الفريقان على أن يعقد اجتماع فى وقت قريب وفى مكان يتفق عليه بحضور حضرة صاحب العظمة حاكم قطر وحاكم أبو ظبى وحكام المقاطعات الأخرى الذين يعينهم الأمر تحت رئاسة مندوب بريطانى يترأس فريق الحكام الذين لهم معاهدات مع الحكومة البريطانية ومندوبين من قبل حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لدرس الواقع مما هو عائد للملكة العربية السعودية أو لأى من أولئك الحكام والمشايخ فى الساحل العمانى وذلك للوصول إلى اتفاق على تحديد الحدود بصفة عادلة طبقاً لما كان لجلالة الملك عبد العزيز ولآبائه وأجداده ولما كان لأولئك الأمراء وآبائهم وأجدادهم فى تلك المناطق المختلف عليها .

أما الشروط الخاصة بوقف الأعمال فقد وضعت فى نفس الوثيقة بالشكل التالى :

---

(٢) مضابط الجلسة التاسعة فى الملحق ٤٤ ومقتطفات من مضابط الجلسة العاشرة فى الملحق ٤٥ .

لقد اتفق الطرفان على أنه إلى نهاية المؤتمر الذى سيعقد فى الشتاء القادم فإن حركات وتنقلات مندوبى شركات الزيت من الطرفين وأيضاً حركات وتنقلات قوات عمان ستحدد خارج المنطقة التى سيدور البحث حولها فى المؤتمر وهذا قد قبله كلا الطرفين بدون مساس فى حقوقها فى المناطق التى ستكون محل البحث .

واتفق بعد ذلك على عقد المؤتمر فى مدينة الدمام .

٥ ـ مؤتمر الدمام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م)

٧٣ ـ افتتح المؤتمر المنصوص عليه فى اتفاقية لندن فى مدينة الدمام فى ٢٨ يناير ١٩٥٢م ، وبالنظر لوفاة الملك جورج السادس تأجل الاجتماع فى ٧ فبراير بناء على طلب الوفد البريطانى ، ثم عاد المؤتمر إلى الانعقاد فى ١٤ فبراير وتأجل فى نفس اليوم إلى أجل غير مسمى وذلك بناء على طلب الوفد البريطانى ، ولم يدع المؤتمر ثانية إلى الاجتماع بعد ذلك التاريخ . وكان يرأس الوفد السعودى الأمير فيصل ورأس الوفد البريطانى السر روبرت هاى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى . وقد حضر الاجتماع شخصياً كل من حاكم قطر الشيخ على ابن عبد الله آل ثانى وحاكم أبو ظبى الشيخ شخبوط بن سلطان . واقتصرت المباحثات على الحدود البرية بين البلاد العربية السعودية وقطر وعلى الحدود البرية الغربية والجنوبية لأبو ظبى . أما الحدود فى اتجاه البريمى وعمان فلم تناقش. وبالنظر إلى أن معظم النقاط الرئيسية التى أثارها الجانبان فى ذلك الوقت قد عولج فى مكان آخر من هذا العرض فلن يقدم هنا سوى استعراض موجز لحجج الجانبين وموقفهما .

٧٤ ـ إن الحدود بين البلاد العربية السعودية وقطر لاتدخل فى نطاق عملنا الحالى الذى لم يشترك حاكم قطر طرفاً فيه . ولكن وضع هذه الحدود يؤثر ــ كما ذكر آنفاً ــ فى نقطة انتهاء حدود أبو ظبى ، حسب تعريفها فى الادعاءات البريطانية التى مدت هذه الحدود حتى وصلت إلى قطر . ولذلك فقد يجدى أن نصف ــ كمعلومات تاريخية ــ الخط الذى ادعى به البريطانيون فى مؤتمر الدمام نيابة عن قطر . ويبدأ هذا الخط على الطرف الغربى لشبه الجزيرة فى نقطة تبعد حوالى ثمانية كيلومترات إلى الشمال من سلوة ، ثم يتجه إلى أقصى نقطة غربية لخور العديد على الجانب الشرقى مع نتوء نحو الجنوب فى أنشوطة

كبيرة مارة بعدد من النقاط المسماة . ومن الواضح أن الادعاء قد شمل أراضى أوسع من تلك التى تقدم بها الاقتراح البريطانى عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥ م)، بل إن الادعاء ليسير أبعد من ذلك بحيث يدخل فى قطر هجرة الأخوان فى السكك وهى المعروفة بوقوعها فى المملكة العربية السعودية منذ زمن بعيد (الفقرة ١٠ من الفصل الثانى) والخط المدعى به موضح بصفة عامة فى الخريطة الأولى ثم بتفصيل أوسع فى الخريطة الثانية .

٧٥ – وفى صباح يوم ٢٩ يناير من أيام المؤتمر أعلن حاكم قطر أنه كان دائماً يعتبر ملك البلاد العربية السعودية والده وأن أى قرار يتخذه جلالته بخصوص حدود قطر يعتبر مقبولا لديه[1] . وبعد مهلة قصيرة طلبها المندوب البريطانى لإجراء حديث خاص بينه وبين الحاكم استأنف المؤتمر أعماله وأكد السر روبرت أنه هوالشخص الذى يحق له الكلام عن حاكم قطر . فقال الأمير فيصل إن ادعاء قطر سوف يحال إلى الملك لاتخاذ قرار فيه حسب طلب الحاكم وهنا اشترط السر روبرت هاى أن الحكومة البريطانية بوصفها المخولة بحماية مصالح قطر يجب أن تحتفظ بحقها فيما يتعلق بالموافقة على أى قرار يتخذه الملك . ثم قال الأمير فيصل إنه يقدر الدور الذى تقوم به بريطانيا فى الخليج الفارسى إلا أن الواقع أن البريطانيين ليسوا أصحاب الأراضى التى يجرى البحث فيها وفى اعتقاده أن التفاهم الذى تم فى لندن كان يرسم فكرة عقد اجتماع يقوم فيه الحكام المحليون أنفسهم – بوصفهم أصحاب المناطق المتنازع عليها – بتقليب أوجه الخلاف فيما بينهم بروح المودة والجوار. ولم يوافق السر

---

(١) إن ثقة حاكم قطر كان لها ما يبررها من السوابق . فى نزاع بين اليمن والبلاد العربية السعودية فى ١٩٣٢ حول ملكية جبل العرو أعلن الإمام يحيى ملك اليمن أنه يترك الفصل فى ذلك للملك عبد العزيز ، وفى ظرف أربعة أيام أعلن الملك قراره الذى كان ضد البلاد العربية السعودية وفى صالح اليمن . الكتاب الأخضر السعودى عن العلاقات مع اليمن ، ص ١٦ – ١٧ ، والمجلة الأمريكية للقانون الدولى ، مجلد ٣٣ (١٩٣٩ م) ص ٣٥٦ – ٣٥٩ .

روبرت هاى على ذلك وذكر الشرط الوارد فى اتفاقية لندن بأن يكون الحكام تحت رياسة شخص بريطانى دليلا على أنه هو الذى يستطيع أن يتكلم نيابة عنهم . وعند ذلك حذر الأمير فيصل من رد الفعل السىء الذى قد ينجم عن تدخل البريطانيين دون ضرورة فى مفاوضات تجرى بين جيران وأصدقاء .

٧٦ — أما فيما يتعلق بالحدود بين البلاد العربية السعودية وأبو ظبى ، فإن الموقف بشأنها فى مؤتمر الدمام كان أكثر تعقيداً . وقد قدم البريطانيون ادعاء أبو ظبى فى ٣٠ يناير نيابة عن الشيخ شخبوط الذى كان مسلكه أكثر تحفظاً خلال المؤتمر من مسلك حاكم قطر . وقد كان الخط المدعى به يمتد من سوداء نثيل على حدود قطر المقترحة فى اتجاه الجنوب والجنوب الشرقى حتى القرينى (وقد وضعت على الخريطة المقدمة على أنها تقع عند خط العرض الشمالى ٢٢ درجة و ٥ دقائق وخط الطول الشرقى ٥٣ درجة و ٤٠ دقيقة على وجه التقريب) ثم يتجه الخط إلى الشمال الشرقى حتى أم الزمول (وقد بينت على الخريطة المقدمة عند خط العرض الشمالى ٢٢ درجة و ٣٥ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ١٠ دقائق على وجه التقريب) . وحال الخط دون وصول أراضى المملكة العربية السعودية إلى الساحل الواقع شرقى قطر ومثل على العموم ادعاء أوسع من من خط ريان المقدم سنة ١٩٣٥ وأوسع من أية تعديلات أدخلت على خط ريان فيما بعد . وفى اعتقادنا أن لهذا التوسع أهمية فى تقدير الشكاوى البريطانية من أن المملكة العربية السعودية ارتكبت من بعض النواحى عملا غير لائق إذ جعلت خطها المقترح عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) يقع إلى الشرق من الخط الوارد فى عرضها لحل وسط عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) . إلا أن ذلك الخط المدعى به لم يمتد غرباً فى أية نقطة من نقطه حتى الخط الأزرق كما أنه ليس ثمة دلائل على أنه قد اشتق منه أو رسم على أساسه . والخط المذكور مبين فى الخريطة الأولى .

٧٧ – ولأول مرة فى تاريخ المفاوضات قدم الوفد البريطانى فى الدمام بعض الحجج المعينة لتأييد ادعاء أبو ظبى . وكان من بين هذه النقط التى قدمت فى بيان شفوى يوم ٣١ يناير ما يلى :

١ – أن قبيلة بنى ياس – ويدعى أنها من أتباع أبوظبى – هى القبيلة المسيطرة على الإقليم الواقع غربى سبخة مطى .

٢ – أن النشاط البحرى وأعمال صيد السمك فى شاطىء الظفرة هى فى أيدى بنى ياس على الأغلب ، وأنهم يمارسونها بتصريح من حاكم أبو ظبى .

٣ – أن حاكم أبو ظبى كان يجمع الزكاة من قبائل بنى ياس والمناصير .

٤ – أن انتماء بنى ياس والمناصير للمذهب المالكى من مذاهب السنة يثبت أنهم لا يمكن أن يكونوا سعوديين .

٥ – أن حاكم أبو ظبى كان له أمير وقاض فى ناحية الجواء .

٦ – أن أخا حاكم أبوظبى ولد فى الجواء .

٧٨ – وفى التعليق على هذه الأقوال أشار الوفد السعودى ، فى جملة ما أشار إليه ، إلى أن « بنى ياس » فى الواقع غير معروفين تقريباً غربى سبخة مطى ، وأن النشاط البحرى ورخص صيد السمك الصادرة فى مدينة أبو ظبى لا تقرر وضع الأقاليم البرية ، وأن الزكاة المزعومة لا تتجاوز هدية ثلاثين سلة تقريباً من سلال التمر مقدمة من بعض أفراد بنى ياس فى الجواء ، وأن أمير الجواء المزعوم لم يقض هناك إلا شهرين اثنين خلال عام واحد ، وأنه إذا كان المذهب المالكى حائلا دون الجنسية السعودية فإن ذلك سوف يدهش الكثيرين من رعايا جلالته المخلصين ومنهم قاضى الظهران المالكى المذهب . أما أن أخا حاكم أبو ظبى قد ولد فى الجواء فهذه حجة يمكن أن تقدرها الحكومة العربية السعودية لأنه على ذلك ينبغى أن تؤول الكويت إلى البلاد العربية السعودية لأن الكويت كانت مهد ولادة ولى العهد (جلالة الملك سعود الآن) .

٧٩ – وكذلك قدم الوفد السعودى أدلة إيجابية لتأييد موقف الحكومة العربية السعودية وكانت هذه على وجه العموم من النوع المبين كاملا فى أمكنة

أخرى من هذا العرض ولا داعى لتفصيلها فى هذا المجال . على أن هذه الأدلة كانت تشكل جزءاً محسوساً من الأدلة المتعلقة بولاء القبائل للجانب السعودى فى هذه المنطقة ، وبامتداد ديار القبائل ، وبالنشاط الإدارى للموظفين السعوديين . وقد بدا أن الوفد البريطانى غير مستعد لإيلاء هذه الأمور اعتبارها المناسب كما أنه لم يقدم فى تفنيدها أدلة من نفس الطراز . وفى أكثر من مرة حاول البريطانيون إثارة خط فؤاد أساساً للمباحثات ، ولكن بشكل معدل كان من شأنه أن يحرم البلاد العربية السعودية حتى من شقة الساحل الضيقة إلى الشرق من قطر وهى التى كانت الحد الأدنى عند فؤاد حمزة . وقد أشار المندوبون السعوديون إلى أن الحل الوسط الذى كان قدمه فؤاد قد مات منذ زمن طويل ، وأن المؤتمر مكلف على كل حال بموجب اختصاصاته بأن يدرس الحقائق التى تتعلق بما يعود لكل من الجانبين . وعلى الرغم من هذا التحديد فقد وافقوا بروح ترمى إلى حل على أن يرفعوا الاقتراح البريطانى إلى جلالة الملك للنظر فيه .

٨٠ — وهكذا وصل المؤتمر إلى مأزق بعد تقديم الأدلة السعودية التى لم تفند ، ولم يؤد أسبوع من التأجيل إلى إحداث أى تغيير فى الموقف . وفى ١٤ فبراير اتفق على تأجيل آخر لمدة شهر على الأقل كما ووفق على الاحتفاظ بالقيود المفروضة على أعمال شركات الزيت وقوات ساحل عمان ، وهى القيود التى قررت فى لندن ، وذلك على أساس أن المؤتمر قد تأجل فقط دون أن ينفض . وكما ذكر من قبل فإن المؤتمر لم ينعقد ثانية ، ولكن بالنظر لعدم الوصول إلى أى اتفاق جديد فقد كانت الحكومة العربية السعودية تعتبر دائماً أن تلك القيود سارية المفعول باستمرار .

٨١ — وبعد تأجيل اجتماعات الدمام جرت محادثة بالرياض بين الأمير فيصل والمستر بلهام السفير البريطانى وكان ذلك حوالى ٣ جمادى الآخرة ١٣٧١ هـ (٢٨ فبراير ١٩٥٢ م) . وقد أوضح الأمير فيصل فى الاجتماع أن

الاقتراح البريطانى فى الدمام بإعادة إثارة خط فؤاد هو اقتراح غير مقبول بالمرة من جانب الحكومة العربية السعودية . ومهما كان قد حدث فى عهد مفاوضات فؤاد حمزة ، فإن ذلك الاقتراح لم يربط المملكة العربية السعودية بعد نحو عشرين عاماً وليس من الممكن أن يربطها . وقد قرأ الأمير فيصل على السفير رسالة من الملك نفسه عن هذا الموضوع (الملحق ٤٧) ، وهذه الرسالة تؤكد أنه إذا

> كانت الحكومة البريطانية تريد الاستمرار فى سياستها فى اقتطاع جزء من أراضينا وأراضى آبائنا وأجدادنا وإعطائها لشيخ أبو ظبى أو غيره متناسية حقوقنا المشروعة وصداقتنا معها فهذا ما لم نكن لننتظره منها نتيجة للصداقة والمودة الصميمة التى كانت ولا تزال تربطنا بالحكومة البريطانية كما كان أملنا فيها ترغب فى الإنصاف وعدم اقتطاع أملاكنا فإننا لا نرغب إلا فى بلادنا و بلاد آبائنا وأجدادنا .

إن مشابهة هذه العواطف لتلك التى عبر عنها الملك فى ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤م) (الملحقان ٧ و ١٠) لأمر رائع حقاً .

٨٢ ــ وفى نفس ذلك الاجتماع تقدم السفير البريطانى باقتراح شخصى مؤداه أن يعين شخص ثالث محايد أو جماعة من الأشخاص المحايدين للتحكيم بين الجانبين والوصول إلى تسوية مرضية . وقد أجاب الأمير فيصل بأن مؤتمر الدمام أوضح أن الجانبين لم يتفقا بعد على المبادئ التى يمكن أن تقرر التسوية ولا بد من الوصول إلى مثل ذلك الاتفاق أولا ، على أن الأمير فيصل أبدى أن طرفاً ثالثاً قد يساعد فى إنجاز هذه المحاولة . ثم وعد السفير ببحث اقتراحه الشخصى مع حكومته وأن يطلب منها تعليمات بشأنه .

٦ ـ مسألة البريمي واتفاقية التوقف ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣هـ (مارس ـ أكتوبر ١٩٥٢ م)

٨٣ ـ أخذت الحكومة العربية السعودية لمدة من الوقت قبيل ربيع عام ١٩٥٢ تتلقى أخباراً من البريمي والمناطق المجاورة لها عن الاهتمام المتزايد الذى بدأ يظهره البريطانيون ، والأشخاص الذين يعملون لمصلحتهم ، بأمر ذلك الإقليم . وورد الكثير من هذه الأخبار شفهياً ولكن بعضها جاء كتابة واثنان من الكتب يظهران الروح العامة الكامنة وراءها . كتب الشيخ راشد بن حمد بن شامس من البريمي إلى الملك فى ٩ رمضان ١٣٧٠ هـ (نحو يونيو ١٩٥١ م) (الملحق ٤٨) يحذره من

> مقاصد الأجانب والمستعمرين والعرب المشاغبين العاملين بحسب مطالب الأجانب... ونحن وديارنا وأحرامنا لكم .

وبعد بضعة أسابيع ، كتب راشد بن سعيد أكبر مشايخ البلوش فى عمان من المازم فى ١٥ شوال ١٣٧٠ (نحو ٢٠ يوليو ١٩٥١) (الملحق ٤٩) يقول :

> لا زال يتردد علينا الإنجليز بواسطة السيد سلطان مسقط وبواسطة آل بو فلاح . . . ونحن ومن تبعنا من القبائل إن شاء الله تبع المملكة الرشيدة السعودية .

وقد أكد رؤساء القبائل والأعيان الآخرون الذين كانوا يراقبون هذه التطورات ولاءهم للملك وطلبوا منه تعليمات بخصوص الموقف الذى يجب أن يتخذوه .[١]

---

(١) يوجد فى الملاحق ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ أمثلة لبيانات من هذا القبيل وردت فى ذلك الوقت من أعيان فى سائر منطقة الظاهرة .

٨٤ ـ وقد أدت هذه الحوادث فى ٣ رجب ١٣٧١ هـ (٣٠ مارس ١٩٥٢م) إلى إرسال مذكرة إلى السفارة البريطانية فى جدة (الملحق ٥٥) اشتكت فيها المملكة العربية السعودية من أعمال البريطانيين وذكرت رسمياً أنها لا تستطيع أن تعترف بسيادة أى من حكام الساحل العمانى على منطقة البريمى إذ أن الزعماء المحليين هم رعايا يدينون بالولاء للملك. وعلى هذه الرسالة ورد ردٌ من المملكة المتحدة (الملحق ٥٦) ينفى التأكيدات السعودية ويدعى بأن الزيارة التى قام بها ضابط سياسى بريطانى إلى البريمى كانت أثناء تأدية « مهام إدارية » مما سمحت اتفاقية لندن باستمراره فى المناطق المتنازع عليها . ويمكن الإشارة إلى أن هذا الرد كان متحفظاً بشكل يدعو إلى الدهشة إذ أنه كان خالياً من ذكر الحاكم الذى تصرف « هذه المهام الإدارية » بالنيابة عنه .

٨٥ ـ وبما أن المحاولة لتوسيع النفوذ البريطانى قد عكرت صفو الحالة التى كانت سائدة قبلا فى منطقة البريمى ، فقد ازداد الاضطراب بين السكان هناك خلال الربيع والصيف . ووردت عرائض إلى الرياض تحث على إقامة السلطة السعودية على أسس أقوى رسمياً من أسس الولاء عن طريق زعماء القبائل كما تجابه المناورات البريطانية بطريقة أكثر فعالية.[٢] ونتيجة لذلك بعثت الحكومة العربية السعودية بتركى آل عطيشان فى ذى الحجة ١٣٧١ هـ (أواخر أغسطس ١٩٥٢ م) لتولى مهامه أميراً للبريمى ومسئولا أمام أمير الحسا . وقد رافق ابن عطيشان ـ وكان موظفاً فى الإدارة المدنية فى مقاطعة الحسا هيئة مدنية يتراوح عددها بين ثلاثين وأربعين شخصاً من كتبة وفنيين وشرطة وخدم . وكانت هذه الجماعة مثالا للجماعات التى تساعد الموظفين السعوديين أثناء مزاولتهم الطبيعية لمهامهم . والشىء المؤكد للغاية أن هذه الجماعة لم تضم أية قوات

(٢) الملحقان ٥٣ و ٥٤ مثلان خطيان لهذه العرائض .

بل كانت برمتها ذات طابع مدنى ولم تتوقع حدوث أية مصاعب خاصة . ومن المؤكد أنه لم يكن من الممكن قط أن تكون هذه الجماعة أداة للعدوان المسلح كما اتهمت فيما بعد .

٨٦ – وفى مذكرة سلمتها السفارة البريطانية فى جدة بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٤ سبتمبر ١٩٥٢ م) (الملحق ٥٧) احتج رسمياً على وصول ابن عطيشان إلى البريمى وقيل إن البريمى واقعة داخل الأراضى التى تشملها قيود لندن وأن وصول ابن عطيشان هو خرق لهذه القيود وأنه يجب سحبه ومرافقيه فى الحال . وبينت المذكرة بالإضافة إلى هذا أنه بما أن « جزءاً من أراضى البريمى يقع ضمن سلطنة مسقط » فإن المملكة المتحدة تحتج بالنيابة عن السلطان بطلب منه « وبالإصالة عن نفسها » . ولم يرد هناك أى ذكر لحاكم أبو ظبى وكان ذكر السلطان أول إشارة رسمية عرضت على المملكة العربية السعودية بأن ثمة حقوقاً فى البريمى يطالب بها نيابة عنه . وفى الوقت الذى سلمت فيه هذه المذكرة أدلى المستر ريتشز القائم بالأعمال البريطانى بتصريح شفوى انطوى على ما يأتى :

> إن على أن أطلب جواباً عاجلا ومرضياً لأنه إذا لم يسحب تركى بن عطيشان كما هو مطلوب فإن حكومة جلالتها ستكون مضطرة لاتخاذ الإجراء الذى قد تراه ضرورياً لحماية موقفها .

٨٧ – وفى مقابلة له مع جلالة الملك فى ١٥ سبتمبر كرر المستر ريتشز الشكاوى الواردة فى المذكرة البريطانية ثم خاطبه الملك قائلا :

> إن تشرشل يدعوفى « راعى الليالى السود » (٣) ولكنه يجيء الآن ليطالب بأرضى . ارجع إلى تاريخى معكم منذ الأيام الأولى حتى الوقت الحاضر وانظر كيف تعاملت مع

---

(٣) « لقد شاقنى أن قابلت الملك ابن سعود حاكم المملكة العربية السعودية الشهير وكان لى شرف دعوة هذا الرجل العظيم إلى الغداء فى واحة الفيوم ، وإعرابى له عن شكر بريطانيا العظمى على إخلاصه الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل لبلادنا والقضية المشتركة والذى لمع أكثر ما لمع فى

الحكومة البريطانية ومع جميع العرب والمسلمين . وحتى أنني تكلمت علناً في مكة أمام جموع المسلمين في أيام الحرب مناشداً الناس الوقوف إلى جانب بريطانيا ، فلماذا كان هذا إذا كانت النتيجة أن تبدأ الحكومة البريطانية في إعطاء أراضي لأناس لم يفيدها بشيء وتأتي الآن لتطلب مني أرضي وأرض أجدادي ؟ أين هي الصداقة ؟ إنني لست مستعداً للتخلي عن شبر من أراضي . هل تفضلون الصدق والعدل ؟ تعالوا ودعونا نبحث المسألة كأصدقاء لكي نحل المشكلة في ساعة واحدة على أساس ما كان ملكاً لآبائي وأجدادي وما هو الآن ملك لي .(٤)

٨٨ — وجرت فيما بعد مباحثات حول المذكرة البريطانية بين الشيخ يوسف ياسين والمستر ريتشز في ١٥ و ١٦ سبتمبر ولخصت في النهاية النقاط التي عرضت شفوياً إذ ذاك في الرد الرسمي السعودي بتاريخ ٢٨ ذي الحجة (١٧ سبتمبر) (الملحق ٥٨) الذي أعربت فيه المملكة العربية السعودية عن وجهة نظرها بأن لا صفة هناك للمملكة المتحدة في البريمي بما أن المنطقة لم تكن تحت سيطرة أي من الحكام الواقعين تحت الحماية البريطانية ، وأن زيارة الموظف البريطاني قد عجلت بإثارة القضية وجعلت من الضروري إرسال ابن عطيشان وأن قيود لندن لا تمتد إلى منطقة البريمي وعلى أي حال فإنها تنطبق فقط على شركات الزيت وقوات ساحل الصلح وليس على الموظفين السعوديين ، ومع استنكار الجواب للهجة المذكرة البريطانية الأخيرة فإنه أكد رغبة المملكة العربية السعودية في تسوية أي نزاع بالطرق السلمية .

٨٩ — وبينما كان يجري تبادل الآراء في الرياض واصل المشايخ المحليون والأعيان في البريمي اشتراكهم في مظاهر الولاء للمملكة العربية السعودية . فمثلا لم يمض وقت طويل على وصول ابن عطيشان حتى اشترك ثمانية وعشرون

أشد الأيام حلكة وسوادا وفي أوقات الخطر المميت » . رئيس الوزراء تشرشل في مجلس العموم ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٥ « المناقشات البرلمانية في مجلس العموم » سلسلة ٥ ، مجلد ٤٠٨ ، عمود ١٢٨٩ .

(٤) محاضر المحادثات ، ٢٦ ذي الحجة ١٣٧١ هـ (١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م) .

منهم فى إعلان يسلمون فيه أمرهم « لمولانا صاحب الجلالة الملك المعظم » (الملحق ٥٩) . ولم تكن أقل هذه الظواهر أهمية أن تكون هذه الوثيقة قد صدق عليها ليس أمام قاضى البريمى فحسب بل أمام قاضى الشارقة ومطوع دبى أيضاً ، وكلا البلدين من المشيخات الساحلية المشمولة بالحماية البريطانية . وفى الأسابيع التى تلت ذلك أصدر الكثير من الأعيان الآخرين فى المناطق المجاورة بيانات مماثلة (جميع الملاحق من ٦٠ إلى ٦٦) وخلال شهر من وصول ابن عطيشان إلى البريمى بلغ عدد الزعماء الذين وقعوا بيانات كتابية من هذا النوع ما لا يقل عن تسعة وخمسين .

٩٠ — وبالطبع لم يكن البريطانيون ليسمحوا باستمرار هذا النوع من المظاهر ، وفى الوقت نفسه تقريباً أى فى الوقت الذى وقع فيه أول البيانات الآنف ذكرها وصل إلى البريمى ضابط سياسى بريطانى قادماً من الشارقة ترافقه قوة مسلحة وأقام مركزاً يبعد نحو أربعة كيلومترات عن القرية . وحوالى هذا الوقت بدأت الطائرات الحربية البريطانية القيام ببرنامج يكاد يكون يومياً بالتحليق على ارتفاع منخفض فوق قرية حماسا وما جاورها ، وهى القرية التى اتخذها ابن عطيشان مقراً لعمله . وقد كان ممكناً أن يرتد هذا النوع من الكيد الصبيانى إلى نحور الجناة لو أن السكان المستثارين قابلوا ذلك بإطلاق النار كما كان يرغب الكثيرون منهم . ولكن ابن عطيشان ، على كل حال ، أصدر ونفذ أوامر مشددة بعدم المقابلة بالمثل فلم تقع أية أضرار (وهذا مقياس لسلطته الفعالة) .

٩١ — وقد أقر جلالة الملك موقف ابن عطيشان (الملحق ٦٧) بينما اتخذت الحكومة العربية السعودية خطوات للاحتجاج على هذا الإرهاب الجوى ، وكان ذلك بمذكرة إلى السفارة البريطانية فى جدة (الملحق ٦٨) . وبعد يومين اثنين تناول احتجاج آخر (الملحق ٦٩) موضوع وصول قوات برية مسلحة إلى البريمى .

وقد أدى وصول القوات العسكرية التى أصبحت تتألف فى النهاية من فصائل قوات الساحل وقوات عدن.[٥] ومن بعض الجماعات المسلحة غير النظامية التى تعمل فى خدمة حاكم أبو ظبى وسلطان مسقط ، أدى ذلك سريعاً إلى بناء قوة تفوق بمراحل جماعة ابن عطيشان من الأتباع والموظفين المدنيين ، وقامت القوات البريطانية فى نفس الوقت بإجراءات لها صفة الحصار ضد ابن عطيشان وجماعته وضد الذين يميلون إلى الجانب السعودى فى الواحة . وقد ضعفت عزيمة السلطان عن القيام بمحاولة فيما بعد لإرسال قوة أكبر من جهة صحار فى أكتوبر ، وكان السبب ، كما نقلته الأخبار التى وصلت إلى علم الحكومة العربية السعودية ، هو الموقف غير الموالى من جانب القبائل التى تتحكم فى الممرات الموجودة وسط الجبال بين صحار والبريمى . وقد كانت هذه التعبئة فى صحار هى الأخرى موضع احتجاج من جانب الحكومة العربية السعودية فى مذكرة مؤرخة ١١ أكتوبر .

٩٢- وبالنظر إلى الموقف الخطير الذى أوجدته هذه الخطط والحركات فقد أمر الملك فى ٢٩ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٩ سبتمبر) السفارة السعودية فى لندن بتقديم رسالة شخصية من جلالته إلى وزير الخارجية البريطانية (الملحق ٧٠) . وقد ذكر جلالته فى هذه الرسالة أن الموقف البريطانى ليس مؤلماً له شخصياً فحسب بل إن مثل ذلك الخلاف ليس فى مصلحة أحد فى العالم العربى فى وضعه العام . وأضاف جلالته أنه واثق من أن المستر إيدن سوف يقدر الموقف ، ولكن إذا لم يحدث ذلك فإن الحكومة العربية السعودية قد تضطر إلى اللجوء إلى مجلس الأمن للدفاع عن حقوقها . وقد سلم الرد على هذه الرسالة (الملحق ٧١) فى ١٩ محرم ١٣٧٢ هـ (٩ أكتوبر) . وقد أكد المستر إيدن فى ذلك الحين لجلالة الملك أن عمل الطائرات التابعة للسلاح الجوى الملكى قد

---

(٥) أبلغت الحكومة العربية السعودية أن سبب إدخال فصائل قوات عدن إلى البريمى هو أن الموظفين البريطانيين كانوا يشكون فى إمكان الاعتماد على قوات عمان الساحلية .

أوقف ، وأبدى استعداده لسحب قوات ساحل عمان بمجرد انسحاب ابن عطيشان وذكر المستر إيدن أن اقتراحات بريطانية جديدة بشأن مشكلة الحدود سوف تصل قريباً على الرغم من أن هذه الاقتراحات « قد تأخرت بسبب العمل الذى قام به جلالة الملك فى البريمى » . وينبغى أن يلاحظ بصفة عابرة أن التأكيد الذى ورد فى الرسالة عن تعزيز ابن عطيشان بالرجال لم يكن له من أساس ، هذا ولم يبد الجانب البريطانى شيئاً من الاهتمام بالنتائج السياسية العامة التى ذكرت فى رسالة الملك .

٩٣ ــ وقد تولت مذكرة رسمية بريطانية بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٣ أكتوبر) (الملحق ٧٢) الرد على الحجج الواردة فى المذكرة السعودية المؤرخة ٢٨ ذى الحجة ١٣٧١ هـ (١٧ سبتمبر) . ففيما يتعلق بخروج البريمى عن دائرة القيود المفروضة فى مؤتمر لندن أو الدمام اعترف بأن البريمى لم تذكر فى محاضر المؤتمرين ولكن قيل إن هذا الإغفال كان « بمحض الصدفة » . وعلى أى حال فقد استمرت المذكرة فى القول بأن حكومة المملكة المتحدة تعتبر أراضى البريمى « ملك حكومات أخرى » وهى تحتفظ بموقفها « بالنيابة عن مشيخات عمان الواقعة تحت حمايتها وبالنيابة أيضاً عن سمو سلطان مسقط » . وقد عملت الاشارة الغامضة إلى مشيخات عمان عامة على استمرار ترك المجال مفتوحاً لاختيار أى من هذه المشيخات أو كم منها يدخل حلبة النزاع . وقد تكرر هذا الغموض فى الفقرة التالية من المذكرة التى قيل فيها إن إرسال القوات والطائرات كان بناء على طلب السلطان ومشايخ الساحل وإن ذلك كان « لمجرد تأمين سلامة القبائل الواقعة تحت حمايتهم ضد ما كان يظن ، على ما يظهر ، أنه خطر مهدد يتمثل فى شخص ابن عطيشان . ثم كررت المذكرة طلب سحب ابن عطيشان .

٩٤ — وفى ذلك الوقت سعت الحكومة العربية السعودية للحصول على المساعى الطيبة من جانب حكومة الولايات المتحدة . وعلى الرغم من أن هذه المساعى لم تقدم بصفة رسمية فإن السفير الأمريكى المستر هير قدم مقترحات شخصية قيمة قبلتها الحكومة العربية السعودية فى الحال وكانت هذه المقترحات تدعو إلى أن ترفع الإجراءات التقييدية ، وأن يمتنع كل من الجانبين عن أعمال الإثارة ، وأن يظل الجانبان فى البريمى فى الوقت الراهن مع الاحتفاظ بوضعهما القائم ، واستئناف المفاوضات المباشرة . وقد ضمنت هذه المقترحات حرفياً فى مذكرة سعودية قدمت إلى الجانب البريطانى فى تاريخ ٢٠ محرم ١٣٧٢ هـ (١٠ أكتوبر) (الملحق ٧٣) وهكذا كانت الحكومة العربية السعودية مرة أخرى هى البادئة باقتراح اجراءات محددة لتخفيف حدة التوتر . على أنه قد أوضح للمستر ريتشز فى نفس الوقت أن انسحاب ابن عطيشان خارج عن الموضوع ، ذلك أن البريمى أرض سعودية ولا يمكن أن يترك سكانها للتشفى والتعذيب اللذين لابد أن يقعا بعد رحيل ابن عطيشان .

٩٥ — وفى ١٢ أكتوبر قبلت المملكة المتحدة من حيث المبدأ مقترحات « التوقف » التى وضعها المستر هير ، كما اقترحت العمل بها فى الحال ريثما تناقش التفاصيل لاتفاقية رسمية تطبق فيها هذه المقترحات . وقد وافقت الحكومة العربية السعودية على هذه الترتيبات فى الحال وفى ٢٠ أكتوبر افتتحت محادثات فى الرياض مع السفير البريطانى المستر بلهام للوصول إلى اتفاقية مفصلة . ولم تصادف صعوبات جدية فى تفصيل مقترحات المستر هير ، ولكن مناقشات واسعة جرت فيما يتعلق بالمنطقة التى تطبق فيها هذه المقترحات . وقد أرادت المملكة المتحدة أن تحصرها فى واحة البريمى وحدها بينما رغبت الحكومة العربية السعودية فى أن تشمل « منطقة البريمى وما جاورها » وذلك لحماية رعايا سعوديين كثيرين فى هذه المنطقة الأوسع من أى إرهاب أو أحداث غير مرضية أخرى .

وكان فى اعتقاد الممثل البريطانى أنه غير مخول أن يعالج أمر أية منطقة خارج الواحة مع أنه كتب إلى الشيخ يوسف ياسين فى ٦ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٥ أكتوبر) أن « الروح والنية » هى أن لا يجرى أى عمل مخل (فى أى مكان فيما يظن) فى أثناء المفاوضات (الملحق ٧٤) . وقد أكد الشيخ يوسف فى رده على ذلك فى اليوم التالى استعداد الحكومة العربية السعودية لتطبيق الاتفاقية على المنطقة الأوسع ، ولكن فى حالة عدم موافقة الحكومة البريطانية على ذلك فمن الطبيعى أن يقصر التطبيق على الواحة (الملحق ٧٥) . هذا ولم يصل أى رد مرض على ذلك الاقتراح .

٩٦ — وقد وقع كل من الأمير فيصل والمستر بلهام فى ٦ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ م) ما يسمى « اتفاقية التوقف » بالنصوص التى ظفرا بها أثناء المفاوضات ، واعتبرت سارية المفعول فى الحال . وقد تضمن نص الاتفاقية (الملحق ٧٦) المبادئ الثلاثة التى وضعها المستر هيروست فقرات تفسيرية تتناول نواحى محددة للمشكلة مثل توقف طيران السلاح الجوى الملكى وتموين الفصائل المختلفة وعودة طرائق الحياة العادية والتجارية للسكان المحليين . وقد نص فى الاتفاقية ، بالإضافة إلى ذلك ، على أنها لن تؤثر بشىء فى ادعاءات الجانبين وأن المباحثات سوف تستأنف لإيجاد حل للمشكلة بالطرق الودية . وقد وجه الشيخ يوسف ياسين كتاباً إلى المستر بلهام بعد عقد الاتفاقية مباشرة بشأن تأمين حرية الانتقال للسكان المحليين ، واقترح فى ذلك الكتاب نظاماً لإصدار تذاكر مرور موقتة لهذا الغرض (الملحق ٧٧) ولم يستطع المستر بلهام أن يجيب على ذلك الكتاب فوراً لعدم وجود تعليمات لديه .

٩٧ — وخلال المفاوضات الخاصة باتفاقية التوقف ، ولكن بصفة مستقلة عنها ، تقدم الملك باقتراح شخصى لإيجاد حل دائم. فى رسالة موجهة إلى المستر بلهام فى ٤ — ٥ صفر ١٣٧٢ هـ (٢٣ أكتوبر) أورد جلالته الاقتراح التالى :

إن جلالة الملك حريص كل الحرص على إنهاء المشكلة القائمة فى منطقة البريمى وما جاورها بأسرع ما يمكن حرصاً على الصداقة القائمة بين البلدين ومنع ما يكدرها بسبب ما حدث فى منطقة البريمى وما جاورها ، وإن الاتفاق الذى توصل إليه التهدئة الحالة فى منطقة البريمى وما جاورها لا يمكن أن يزيل القلق الموجود فى نفس جلالته إلا بإيجاد حل سريع لهذه المشكلة .

وليس لدى جلالته شك فى حقوقه فى منطقة البريمى وما جاورها من الوجهة القانونية أو التاريخية ولكن جلالته يدع هذا جانباً فى الوقت الحاضر ، ويحب أن يقترح تشكل لجنة ثلاثية تذهب إلى المنطقة كلها وتعمل استفتاء عاماً بطريقة توضع موادها بشكيل يتفق عليه قبل البدء فى الاستفتاء وعلى ضوء تلك النتيجة تقرر الحدود فى منطقة البريمى وما جاورها .

وبالنظر لما يعلمه جلالة الملك من أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية صديقة للفريقين فإن جلالته يقترح أن تكون حكومة الولايات المتحدة هى الجانب الثالث فى اللجنة الثلاثية المقترحة والتى تؤلف من جانب سعودى وجانب بريطانى وجانب أمريكى

وهذا الاقتراح أيضاً لم يمكن عمل شىء بشأنه سوى إحالته إلى لندن للنظر فيه .

٧ ــ الحوادث من ١٣٧٢ إلى ١٣٧٣ هـ (نوفمبر ١٩٥٢ ــ يوليو ١٩٥٤ م)

٩٨ ــ إن توقيع اتفاقية التوقف وتقديم اقتراح الملك بالاستفتاء أنهيا هذه السلسلة من المفاوضات فى الرياض . ولم تجر أية مباحثات أخرى قبل تقديم مذكرة بريطانية فى ٤ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٢٢ نوفبر) (الملحق ٧٨) ذكر فيها عجز الحكومتين عن الاتفاق على مسألة الحدود ثم مضت المذكرة تقول :

> ونتيجة لما سبق فإن حكومة صاحبة الجلالة تعتبر أن محاولات أخرى لتسوية هذه المسألة عن طريق مفاوضات مباشرة من الأرجح أن تكون عديمة الجدوى رغماً عن توفر النية الحسنة والصداقة التى تربط بين الأطراف ، وإنه قد آن الأوان لإعادة النظر فى الإجراء الذى ينشد به الوصول إلى حل . لذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة تقترح اصالة عن نفسها وبناء على طلب من سلطان مسقط وعمان ، إحالة الخلاف فى وجهات النظر حول وضع الحدود العربية السعودية على الفور إلى تحكيم أشخاص يتفق عليهم .

٩٩ ــ وقد أكدت المملكة العربية السعودية أيضاً فى جوابها بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٧٢ هـ (٦ ديسمبر) (الملحق ٧٩) رغبتها فى التوصل إلى حل يتمشى مع الصداقة القائمة بين الحكومتين منذ زمن طويل ، وذكرت المملكة المتحدة بأن الملك كان قد قدم اقتراحاً لهذه الغاية يقضى بإجراء استفتاء ولكن جواباً ما لم يصل بهذا الشأن . وإنه نظراً لاعتبار البريمى أرضاً سعودية فإنه لا توجد هناك أية مشكلة تعتبرها المملكة العربية السعودية ملائمة للتحكيم . ولكن الجواب أشار إلى أن التحكيم قد يكون مناسباً إذا ما استمر عدم الاتفاق حول المواقع الصحيحة للحدود فى منطقة البريمى ، وأن ذلك ينطبق أيضاً على الحدود الأخرى مع أبو ظبى وقطر . بيد أن الجواب اقترح أن تجرى أولا مفاوضات مباشرة أخرى طبقاً لما تقضى به اتفاقية التوقف .

١٠٠ – وفى ١٩ ربيع الثانى ١٣٧٢ هـ (٥ يناير ١٩٥٣ م) ورد رد من المملكة المتحدة (الملحق ٨٠) يعلن أن حكومة جلالتها لا تعتبر أن « إجراء استفتاء على ضوء الحوادث الأخيرة يكون أمراً مناسباً أو يمكن أن يؤدى إلى حل يتناول بعين الاعتبار جميع العوامل ذات العلاقة » وأنها « مقتنعة بأن استمرار المفاوضات المباشرة مع الحكومة العربية السعودية ليس من المحتمل أن ينهى النزاع الحالى » ومن ثمة جددت المذكرة عرض التحكيم ، كما حثت رسالة شخصية مرفقة من المستر إيدن إلى الملك على قبوله (الملحق ٨١) .

١٠١ – وفى أثناء ذلك لم تكن الأمور فى البريمى تجرى بهدوء ، فإن الحوادث المتتالية جعلت من الواضح أكثر فأكثر أنه رغم ما يجرى من اتصالات دبلوماسية ، فإن الموظفين البريطانيين المحليين قد عقدوا عزمهم على استخدام جميع الوسائل لدعم موقف ثبت من وصول ابن عطيشان إلى البريمى واستقباله فيها أنه موقف زائف . إن المملكة العربية السعودية لا ترغب فى مجال هذا العرض أن تعيد سرد جميع الحوادث المؤلمة التى وقعت ، فإن حدوث مثل هذه الأمور محتوم تقريباً عندما تجابه قوة أجنبية مسلحة أناساً مستثارين . كما أن المملكة العربية السعودية لا تنكر أن بعض الأشخاص من السكان المحليين ربما تصرفوا بدافع العاطفة فى بعض الأحيان ، وهى شاكرة لأن حزم ممثلها بالرغم من الاستفزاز الكبير حال دون وقوع اصطدامات كبيرة ، ولأن خسارة البريطانيين الوحيدة فى الأرواح وقعت فى حادث محزن حين قتل ضابطان بريطانيان بيد رجل من رجالهم أنفسهم . وإن قائمة بأنواع المضايقات والإساءات التى أوقعت بالرعايا السعوديين والزيارات غير المشروعة التى قام بها الضباط السياسيون إلى البريمى مع جماعات إضافية مسلحة ، لا تثبت شيئاً فيما يتعلق بجوهر هذه القضية اللهم إلا إظهار شعور ملحوظ بالقلق وعدم الاطمئنان كان يخامر البريطانيين . وأحد الأمثلة على ذلك أنظمة الجوازات الجديدة التى أصدروها فى ساحل الصلح على

أن تطبق على الرعايا السعوديين . وسواء أكانت هذه الأنظمة مشروعة فنياً بموجب اتفاقية التوقف أم لم تكن فإنها كانت بدعة لا تنطوى على الصداقة ولا تؤدى إلى مفاوضات ودية . وقد كان من حسن الحظ أن ألغيت فى ١٣٧٢ ﻫ (يناير ١٩٥٣ م) .[١] وقد تناولت الاحتجاجات الدبلوماسية بعض الحوادث الأخرى وفى الملحق ٨٢ مثال على ذلك .

١٠٢ — واسترسلت المملكة المتحدة فى إبراز سلسلة من التهم المضادة بالطرق الدبلوماسية (كما هو الحال مثلا فى الملحق ٨٣) وعن طريق بيانات ألقيت فى مجلس العموم البريطانى . ولم تثبت شيئاً يذكر فيما يتعلق بحقائق النزاع . ومن الأمور البارزة فيها ، على كل حال ، التهمة القائلة بأن ابن عطيشان قد « عبث بولاء القبائل التقليدى » .[٢] وعلى ضوء التاريخ والتأكيدات الاختيارية المقدمة فى الملاحق ٤٨ إلى ٥٣ و ٥٩ إلى ٦٦ فإن هذا القول هو بالطبع محض هراء ، والولاء التقليدى لأهالى منطقة البريمى إنما يتجه صوب الرياض ، كما أوضح فى الفصل الرابع ، وليس صوب حكام صغار فى الساحل يعملون وفقاً لمشيئة دولة أجنبية . وما كان هناك أى خرق لاتفاقية الترقف فى أن يزور الأهالى المحليون ابن عطيشان فقد نصت الاتفاقية بصراحة على أن يكون بإمكانهم زيارة ممثلى الجوانب المختلفة فى البريمى للأعراب عن آرائهم بحرية . وإن الغيظ الذى تملك البريطانيين — ويدخل هذا الأمر فى صميم الموضوع — يعود إلى أن

---

(١) ويمكن أن يلاحظ هنا أن أعيد فرضها فى ١٣٧٤ ﻫ (يناير ١٩٥٥ م) فور أن ناشدت هذه الهيئة كلا الطرفين فى اجتماع نيس باتخاذ الخطوات لإزالة أى سبب للاحتكاك بينهما .

(٢) أعلن المستر سلوين لويد وزير الدولة بوزارة الخارجية فى مجلس العموم عام ١٣٧٢ ﻫ (٣ ابريل ١٩٥٣) أن « ممثل الحكومة العربية السعودية الذى تمركز بصورة غير مشروعة فى واحة البريمى قد استمر خلافاً لاتفاقية التوقف باستغلال موقفه فى البريمى للعبث بولاء القبائل التقليدى ببسط النفوذ السعودى فى منطقة شاسعة » . « مناقشات البرلمان » سلسلة ٥ ، مجلد ٥١٣ ، عمود ١٣٦٩ .

السكان المحليين فضلوا التحدث إلى ابن عطيشان على التحدث إليهم إذ أنهم كعرب يتعاملون فيما بينهم بالأسلوب التقليدى لشعبهم يعتبرون الإنكليز دخلاء عليهم ، وكان ذلك فى نظر البريطانيين الأمر الذى لا يغتفر وهو الذى أوحى إليهم أن يتخبطوا باتهاماتهم ، فقد كانوا فى ذلك كمن أغفلت دعوته إلى مأدبة .

١٠٣ — وتجلت خيبة الأمل لدى البريطانيين فى مذكرة مطولة بتاريخ ١٧ رجب ١٣٧٢ هـ (٢ أبريل سنة ١٩٥٣ م) (الملحق ٨٤) تضمنت مرة أخرى وجهة نظرهم فى الموقف كما نسبت إلى السعوديين سوء السلوك فى حوادث مزعومة عديدة . وقيل نتيجة لذلك إنه « لم يكن لدى حكومة جلالتها من خيار سوى أن تساعد الحكام المشار إليهم فى سلطاتهم » وهذه ضرورة واضحة جداً إذا ما أراد هؤلاء الحكام المحافظة على مطالباتهم بمناطق لم تكن لهم سلطة تذكر فيها . ثم تولت المذكرة التخلى عن القيود التى ووفق عليها فى لندن ومد سريان مفعولها فى الدمام وعن اتفاقية التوقف ، وأخطرت المذكرة بأن المملكة المتحدة والحكام الذين تحت حمايتها وسلطان مسقط « مضطرين للاحتفاظ بالحرية الكاملة فى أعمالهم فيما يتعلق بكل الأمور المشمولة بالاتفاقيات السابق ذكرها » . ورفضت المذكرة مرة أخرى الاقتراح السعودى بإجراء استفتاء وجددت العرض البريطانى بالتحكيم . وفى رسالة شخصية مرفقة إلى الملك (الملحق ٨٥) اعترف المستر تشرشل رئيس الوزراء بأن المذكرة ستكون بلاشك « غير سارة » ولكنه أصر بعبارات مفخمة على التزامات بريطانيا تجاه « جيران جلالتكم » .

١٠٤ — ومع أن رئيس الوزراء تكلم بحرارة عن الصداقة القديمة بين البلدين وأعرب عن الأمل فى أن تبرهن الصعوبات الموجودة أنها صعوبات مرقتة ، فإن حكومته لم تظهر أية بادرة من بوادر الاعتماد على هذه الصداقة . وفى الوقت الذى سلمت فيه هذه الرسائل تحركت قوات ساحل الصلح وشتى الوحدات غير

النظامية للعمل فى البريمى والمناطق الغربية وأنشىء حول مقر ابن عطيشان فى حماسا طوق من المراكز العسكرية . وفرض حصار عليه حصار شديد ثم نفذ برنامج منظم من المضايقة أملا فى إضعاف مرقفه وجعله غير قابل للتعزيز . وبحلول الصيف والخريف عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) كان فى واحة البريمى وحدها ستة عشر مركزاً على الأقل ، ويمكن اعتبار هذا الامتداد لعمليات الحصار أصدق صورة لإطراء ابن عطيشان كما أن فشلها فى إزعاجه يمثل قوة تأييده الشعبى ، ولم يكتف البريطانيون بالبريمى وحدها ، فقد أنشأوا عدداً مماثلا على الأقل من المراكز الثابتة والمتحركة فى الجواء وفى أماكن أخرى من المناطق الغربية ورفع أيضاً الحظر المفروض على الشركات البريطانية بالقيام بعمليات الزيت فى المناطق المتنازع عليها وبدئ بمثل هذه العمليات بالفعل عقب بضعة شهور . وهكذا سارت الأمور بطريقة غير سارة فعلا .

١٠٥ — وكان من الممكن أن ينتج عن أعمال البريطانيين هذه رد فعل بالغ الخطورة ، ويعود الفضل فى عدم وقوع ذلك إلى تسامح المملكة العربية السعودية التى امتنعت عن القيام بأية حركة مضادة لمناورات البريطانيين العسكرية وعن تقوية المدنيين المرافقين لابن عطيشان . وتجلد ابن عطيشان فى موقفه على الرغم من العزلة المفروضة عليه وقد استصوب عدم الاصطدام بالبريطانيين . وفى الرياض اعترض الملك فى رده على تشرشل رئيس الوزراء بتاريخ ٦ شعبان ١٣٧٢ هـ (٢٠ إبريل) (الملحق ٨٦) على الأعمال البريطانية ولكنه فى الوقت ذاته وبحنكة سياسية لم يتوان فى السعى لإيجاد مخرج من هذه الحالة القابلة للانفجار . وبما أن الاستفتاء كان غير مقبول لدى المملكة المتحدة فقد أعرب عن استعداده لأن تبحث حكومته مع السفير البريطانى مقترحات تجمع ما بين التحكيم والاستفتاء على شرط أن تسحب القوات التى أدخلت إلى المنطقة أخيراً وتعود اتفاقية التوقف إلى سريان مفعولها .

١٠٦ — وفى المحادثات التى جرت فى الرياض بين الشيخ يوسف ياسين والمستر بلهام من ١٩ إلى ٢٣ ابريل ومن ٧ إلى ١٣ مايو سنة ١٩٥٣ وضعت الأسس الأولى لما أصبح فيما بعد ، وعقب جهود كبيرة أخرى ، اتفاقية التحكيم المؤرخة ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) وقد استبعد فى ذلك الحين الحل الوسط الأساسى القائل بتخلى المملكة العربية السعودية عن إصرارها على إجراء استفتاء دقيق مقابل تخويل هيئة التحكيم سلطة إجراء تحقيقات من تلقاء نفسها فى المناطق المتنازع عليها دون أن تقتصر على ما يعرضه عليها الجانبان واتفق المتفاوضون أيضاً من حيث المبدأ على مسائل أخرى ، ولكن صعوبة خطيرة نشأت حول وجهة نظر المملكة العربية السعودية فى أن يعود الطرفان إلى التساوى فى القوة إما بإعادة التمسك باتفاقيتى لندن والتوقف أو بما يماثل ذلك من ترتيبات كيما يجرى التحكيم فى جو محايد . وفى ٢٣ شعبان ١٣٧٢ هـ (٧ مايو) وردت رسالة شخصية أخرى للملك من المستر تشرشل رئيس الوزراء (الملحق ٨٧) تعرض للمسألة على أنها « مسألة شرف بيننا أن لا يقوم أى الفريقين بالحصول على فوائد فيما يتعلق بالحالة العسكرية » . ولم يكن هذا المرور السطحى بنقطة أساسية كهذه مرضياً للمملكة العربية السعودية خصوصاً عندما اقترن ببيان المستر تشرشل الآخر عن مسألة هامة أخرى وهى تموين تركى آل عطيشان فى حالة الحصار البريطانى :

> ثانياً : بخصوص تركى ، فإنه يقتضى طبعاً خلال تسوية التحكيم أن يمون . وسوف يمكن له أن يبتاع بحرية من السوق المحلية .

١٠٧ — وقد أدت رسالة رئيس الوزراء هذه إلى إرسال رد ممحص من الملك بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٧٢ هـ (١١ مايو) (الملحق ٨٨) يلقى الضوء على هذه الأمور الخطيرة ويضعها فى مكانها الحقيقى .

لقد رحبت ولا أزال أرحب بالحل الودى الذى اتفق على مبادئه فى الرياض مع سفير جلالتها ولكن بشرط أن يكون بلدنا على قدم المساواة فى تلك المناطق المتنازع عليها . إن مثل هذه المساواة كانت قائمة طبقاً لاتفاقية لندن واتفاقية التوقف ولكن نتيجة للأعمال التى اتخذتها الحكومة البريطانية فى الأسابيع الأخيرة نشأ عدم تكافؤ الفرص فى القوات مما لا يمكن أن يؤدى إلا إلى الإخلال بالتحقيق غير المتحيز وبالنتيجة العادلة التى يرغب فيها الطرفان .

وفى رسالة فخامتكم تقترحون أن تكون «مسألة شرف بيننا أن لا يقوم أى الفريقين بالحصول على فوائد فيما يتعلق بالحالة العسكرية » . إن تعهدات الشرف هى للأصدقاء والأنداد . وقد أخلت الحكومة البريطانية بالمبادىء المتفق عليها بالحصول لنفسها فى هذا الوقت على فوائد عسكرية فى المناطق المتنازعة . ومع ذلك فإننا — كما تعلمون فخامتكم — قد امتنعنا عن أية اجراءات مقابلة من نوع مماثل . إننا نثق بأن احترام مبدأ العدالة بين الأصدقاء هو الذى يساعد على حل المنازعات ، والعدالة يمكن أن تتحقق بالاستمرار فى تنفيذ ما تم الاتفاق عليه فى اتفاقية التوقف فى الرياض وما تقرر فى اجتماع لندن ، وبمجرد إقرار فخامتكم ذلك فإننا مستعدون لأن نتبادل مع فخامتكم تأكيدات الشرف بأن لا يقوم أى الفريقين بعمل شىء يخل بذلك .

وأرجئت محادثات الرياض دون تسوية هذه النقطة الهامة ، ترقباً لما تراه المملكة المتحدة فى الموضوع .

١٠٨ — وهكذا بعد أن اتفق من حيث المبدأ فى ربيع ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) على تسوية النزاع عن طريق التحكيم اتجهت المحادثات التالية بأكملها تقريباً إلى وضع الترتيبات لهذه الغاية ولم تتناول جوهر النزاع . ولم تكن هذه المفاوضات قصيرة ولا سهلة وكانت توشك فى بعض الأحيان على الفشل ولا ضرورة هناك لسردها بالتفصيل . لقد بدأت هذه المفاوضات فى لندن فى خريف ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) واستمرت خلال نوفمبر وديسمبر فى جدة ولندن ، ثم استؤنفت فى ربيع ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) وتوصلت نهائياً إلى نهاية ناجحة فى جدة جدة فى شوال وذى القعدة ١٣٧٣ هـ (يونيو ويوليو ١٩٥٤ م) . وكانت هناك عدة نقاط تكتنفها الصعاب ولكن العقبات الكأداء الثلاث كانت تعريف منطقة البريمى ، وإعادة التساوى فى القوة فى المناطق المتنازع عليها ، والنشاط الذى يسمح به لشركات الزيت .

١٠٩ ـ أما فى النقطة الأولى فتمسكت المملكة العربية السعودية بإصرار فى أن تحدد منطقة البريمى بتوسع لتشمل القرى والجماعات القبلية التى تربطها بالواحة وبالمملكة العربية السعودية أواصر القرابة والمصالح المشتركة . وكانت موافقة المملكة العربية السعودية فى النهاية على التعريف الاصطناعى الضيق لمنطقة البريمى الذى اصطلح عليه فى الاتفاقية مستوحاة فقط من رغبتها فى جعل التحكيم ممكناً ، ومثل هذه الموافقة لا تعنى بالطبع أن المملكة العربية السعودية بأى حال من الأحوال قد حددت حريتها فى اتخاذ الموقف الذى تقتضيه مصالحها فيما يتعلق بالمناطق التى لا يشملها هذا التحكيم .

١١٠ ـ وأما ما يتعلق بإعادة تساوى القوتين فى المناطق المتنازع عليها فقد تمسكت المملكة العربية السعودية بوجهة نظرها الواردة فى كتاب الملك المؤرخ ٢٧ شعبان ١٣٧٢ هـ (١١ مايو ١٩٥٣ م) القائلة بأن هذه المساواة ضرورية جداً لاتخاذ إجراء حيادى عادل . وكانت المملكة العربية السعودية فى هذا الصدد متأثرة بآراء لجنة التحقيق التابعة لعصبة الأمم والتى حققت عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) فى نزاع حول الموصل بين تركيا والعراق التى كانت حينئذ تحت الانتداب البريطانى ، فقد ذكرت اللجنة فى تقريرها بهذا الشأن أن تحرياتها قد تعرقلت لأن أحد الطرفين كان يقبض على زمام الأمور فى الإدارة والبوليس فى المنطقة المعينة .[٣] وكما كان متوقعاً فقد اعترضت المملكة المتحدة مدة

---

(٣) « كان وضع اللجنة فى الموصل يزداد صعوبة فقد علمت أن الأشخاص الذين تظاهروا لتأييد تركيا قد ألقى بهم فى السجن . كما كان أعضاء اللجنة أنفسهم تحت رقابة مستمرة . ووضعت دوريتان من البوليس على أبواب مقر اللجنة صدرت إليها التعليمات بملاحظة دخول الأعضاء وخروجهم وإشعار دائرة البوليس المركزية بنتيجة ذلك . فاتضح لأعضاء اللجنة أنه لا يمكن تحت هذه الظروف القيام بتحريات حيادية ، وأبلغوا الطرفين قرارهم هذا كما أوضحوا بأنه لن يتيسر للجنة أن تبدأ عملها حتى تنتهى هذه الحالة » . « مسألة الحدود بين تركيا والعراق . التقرير المقدم إلى المجلس من قبل اللجنة المشكلة بقرار المجلس فى ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ جنيف» (١٦ يوليو ١٩٢٥) وثيقة عصبة الأمم سى ٤٠٠ م ١٤٧ ، ١٩٢٥ ، (٧) ص ٩ .

طويلة على هذه النقطة ولكنها رضيت فى النهاية بإجراء انسحاب عام . وفى المذكرتين المتبادلتين المرفقتين بالاتفاقية الرئيسية بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ (٣٠ يوليو ١٩٥٤ م) أدرجت الأحكام التى تتناول هذا الجانب الهام من المشكلة وكذلك الأحكام التى تخول الهيئة سلطات الإشراف فى المنطقة .

١١١ — وفيما يتعلق بمسألة عمليات الزيت حثت المملكة العربية السعودية المملكة المتحدة فى ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ (نوفمبر ١٩٥٣ م) كما سبق لها أن فعلت مراراً فى عام ١٩٥٠ ، على قبول رأيها بوقف جميع عمليات الزيت فى المناطق المتنازع عليها إلى أن يقرر مصير هذه المناطق (الملحق ٨٩) . وكانت هذه العمليات قد استؤنفت من قبل الشركات البريطانية عقب تخلى البريطانيين فى ١٣٧٢ هـ (إبريل ١٩٥٣ م) عن القيود الموضوعة فى لندن ، بيد أن المملكة العربية السعودية كانت باستمرار تمنع منح هذا الإذن لمؤسسات الزيت فيها خشية أن تزداد الحالة الدقيقة تأزماً وحدة . وفى مذكرة سلمت فى ١٣٧٣ هـ (فبراير ١٩٥٤ م) جعلت المملكة المتحدة استمرار نشاط شركاتها شرطاً لابد منه فى اتفاقية التحكيم (الفقرة ج من الملحق ٩٠) وأوردت شتى الحجج القائلة بأن امتياز المناطق البرية ذات الشأن قد سبق ادعاء المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وأن امتياز المناطق المغمورة كان متصلا به .

١١٢ — وإزاء هذا الموقف البريطانى وضعت المملكة العربية السعودية فى ١٣٧٣ هـ (مايو ١٩٥٤ م) ترتيباً لإحدى فرق العمل التابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية لدخول المناطق الغربية المتنازع عليها ، الأمر الذى أثار سخط الموظفين البريطانيين الذين نسوا على ما يظهر حكمة بلادهم القديمة القائلة « إن ما ينفع ذكر الأوز ينفع أنثاها » . وقد عدلت المسألة نهائياً فى المذكرتين المتبادلتين بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٣هـ (٣٠ يونيو ١٩٥٤م) التى خصصت

لكل جانب منطقة يمكن أن يعمل أصحاب الامتياز داخل نطاقها على أن لا يكون فى ذلك مساس بالمطالب السياسية التى يشملها الموضوع .

وبهذه المناسبة فإن مما يسترعى شيئاً من الاهتمام أن شركة بريطانية كانت فى أوائل عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) تعمل فى حفر بئر اختبارية عميقة فى أحد الأماكن المجاورة للجزء الجنوبى الشرقى لسبخة مطى فى أقصى الجزء الغربى مما ادعت به أبو ظبي فى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) . ولدى المملكة العربية السعودية من الأسباب ما يحملها على الاعتقاد بأنه كان لمشورة الضباط السياسيين البريطانيين الكفة الراجحة على مشورة الخبراء الجيولوجيين فى اختيار موقع هذه البئر .

٨ – النتائج :

١١٣ – إن التاريخ الدبلوماسى الذى عرض فى القسم السابق قد سرد بشىء من الإسهاب لكى يضع الحوادث الماضية فى مكانها الصحيح ويسهل فهم هذا الموضوع المعقد . وفى هذا الاستعراض كانت المملكة العربية السعودية ترمى إلى هدفين : أن تجعل جلياً أنه لا يوجد أى شىء فى السجل الماضى من شأنه أن يضعف صحة المطالب السعودية التى هى موضع الدراسة هنا ، وأن تظهر أن بعض التفسيرات لهذا التاريخ التى وضعتها المملكة المتحدة فى أوقات متعددة هى تفسيرات مغلوطة ولا أساس لها من الصحة . وقد تجلت ثلاثة من هذه التفسيرات على وجه التحديد فى البيانات البريطانية ويبدو أن من المستحسن تفنيدها . ولا تعدو هذه المزاعم فى حقيقتها المجردة أن تكون كما يلى :

ا – أن المملكة العربية السعودية ملزمة بطريقة ما بالخط الأزرق فى الاتفاقية الإنكليزية التركية بتاريخ ١٣٣١ ﻫ (٢٩ يوليو ١٩١٣ م) وعليها أن تظهر فيما يتعلق بأية مناطق شرق ذلك الخط حقوقاً مكتسبة منذ ذلك الوقت .

ب أن الخط السعودى لعام ١٣٦٨ ﻫ (١٩٤٩ م) لا مبرر له وأنه توسع فى المطالب مناقض لخط فؤاد عام ١٣٥٣ﻫ (١٩٣٥ م).

جـ – أن نشاط المملكة العربية السعودية ومطالبها فى المناطق التى يشملها هذا الموضوع تنقض المادة السادسة من معاهدة جدة ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ ﻫ (٢٠ مايو ١٩٢٧ م) التى تعهدت المملكة االعربية السعودية بموجبها بأن تحافظ على «علاقات الصداقة والسلام» مع مشايخ قطر وساحل عمان المرتبطتين بمعاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية .

١١٤ – وبشأن النقطة الأولى نعرض – مستنيرين بضوء الحقائق التى أوردت فى الفقرات ١٧ إلى ٢١ السابقة – أن الخط الأزرق فى الاتفاقية الإنكليزية التركية عام ١٣٣١ ﻫ (١٩١٣ م) ليس ملزماً للمملكة العربية السعودية ولم يسبق له أن كان ملزماً لها . وهنالك أسباب مختلفة لتأييد وجهة النظر هذه، ولكن المملكة

العربية السعودية تفضل أن تؤكد سبباً واحداً فقط ينطوى على الحقيقة الراسخة التى لا يمكن إنكارها وهو أن اتفاقية عام ١٩١٣ م لم يصدق عليها إطلاقاً ولم تدخل فى حيز التنفيذ . وان الحقيقة الإضافية بأن اتفاقية عام ١٣٣٢ ﻫ (١٩١٤ م) المصدق عليها قد أشارت إلى الخط الأزرق كوسيلة لتحديد نقطة انتهاء الخط البنفسجى لا تؤثر فى قوة الحقيقة الأساسية ولا تعنى أن الخط الأزرق قد أصبح بذلك مقبولا بشكل نهائى . لقد بقيت اتفاقية ١٩١٣ م معلقة بينما أخذ الطرفان يتساومان حول نقاط خلاف أخرى فى تسوية بريطانية تركية شاملة وكان ممكناً أن تعدل الاتفاقية أكثر من ذلك نتيجة لهذه المساومات ولا يتصور أن أياً من الطرفين كان يقدم على إضعاف الاتفاقية كمادة للمساومة بأن يدخل الخط الأزرق من الباب الخلفى ويجعله نافذاً . أما المزاعم القائلة بأن الملك عبد العزيز الذى كان آنئذ حاكماً على نجد قد اعترف عام ١٣٣٢ ﻫ (١٩١٤ م) بسيطرة الأتراك على شئونه الخارجية وبذلك قبل ضمنياً الترتيبات السابقة فى ١٣٣١ و ١٣٣٢ ﻫ (١٩١٣ و ١٩١٤ م) ، فإن من الجلى أنه إذا كان قد توصل إلى مثل هذا التفاهم بالفعل (وهذا ليس مؤكداً بأى حال من الأحوال استناداً إلى المعلومات المتوفرة) فقد داهمته الحوادث ، وكان أمراً باطلا منذ البداية . كما أن الإصرار عليه لا يمكن أن يكون مقنعاً إذا جاء من جانب الحكومة البريطانية إذ أنها كانت حينئذ منهمكة مع الملك عبد العزيز فى مفاوضات مباشرة أسفرت عن معاهدة دارين فى ١٣٣٣ ﻫ (١٩١٥ م) . وسواء عقدت أو لم تعقد أية اتفاقية بين السعوديين والأتراك فإن تصرف المملكة المتحدة هذا يمنعها من الاستناد إلى هذه الاتفاقية .

١١٥ ــ ونعرض فيما يتعلق بالنقطة الثانية ، وهى الزعم بأن ادعاء المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٨ ﻫ (١٩٤٩ م) هو حدث جديد ، أن الوثائق تظهر بجلاء أن الملك وحكومة المملكة العربية السعودية كانوا دائماً يعتبرون أن

أراضيهم تمتد بشكل عام إلى جميع مناطق جزيرة العرب التى كانت فى أيدى آل سعود خلال القرن الثانى عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) حتى الأفول الموقت لهذا البيت فى السنوات التى تلت ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) اللهم إلا فى حالة تحديد هذه الأراضى فيما بعد بموجب اتفاقيات كانت المملكة العربية السعودية طرفاً فيها . وهذا هو الرأى الذى كان سائداً فى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م وفى السنوات السابقة واللاحقة كما هو مبين فى بيانات مثل التى طبعت فى الملاحق ٦ و ٧ و ١٠ . وقام فؤاد حمزة عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) بمحاولة بارزة للتوصل إلى اتفاق مع حكومة بريطانية لا تزال تستحوذ على تفكيرها اتفاقيتا عام ١٩١٣ م وعام ١٩١٤ م ، وقد بلغ أقصى حد ممكن فى صياغة عرض لحل وسط يقدمه للبريطانيين للنظر فيه . وقد أوضح هو بنفسه أن هذا العرض لا يأخذ فى الحسبان حقوق الملك الكاملة (الملحق ١٤) . ورفض هذا العرض من جانب المملكة المتحدة بمجرد تسليمه تقريباً وضاعت سنوات فى المباحثات للتقريب بين وجهتى نظر الطرفين . ومن ثم فإن العرض الذى تقدم به فؤاد قد استنفد ولا يمكن أن يكون له تأثير يضعف أى ادعاء قدم فيما بعد . وعندما وضعت المملكة العربية السعودية خطها عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) عقب ركود دام خمس عشرة سنة ، لم تكن بذلك تتقدم بمطالب جديدة ، وإنما كانت تعيد بدقة آراءها الأصلية فى الأراضى التى لها حق مشروع فيها . وعلى ضوء الوثائق فإنه لم يكن هناك اتجاه جديد فى ادعاء ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) بل كان الاتجاه الجديد فى الحل الوسط المقدم عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

١١٦ ــ ولا تجد المملكة العربية السعودية أساساً للنقطة الثالثة على الإطلاق. فقد حافظت باستمرار على علاقات الصداقة والسلام مع حكام قطر ودول الساحل لا بسبب التزاماتها بموجب معاهدة جدة فحسب بل نظراً لصلات القرابة والصداقة التقليدية التى يرتبط بها جميع سكان جزيرة العرب . وقد كانت تعترف

دائماً بحقوق هؤلاء الحكام فى أراضيهم وقدمت تعاونها دون تحفظ للمحافظة على السلام والأمن العام ، وستستمر فى ذلك . وقد اقتصر النشاط السعودى تماماً على الأراضى التى كانت ولا تزال فى نظر المملكة العربية السعودية أراضى سعودية . لذلك فإن المملكة العربية السعودية ترى أن النشاط السعودى سليم ليس فيه ما يدعو إلى التساؤل بموجب معاهدة جدة .

١١٧ — وخلاصة القول إن المملكة العربية السعودية ترى عدم وجود أى شىء فى التاريخ الدبلوماسى للمناطق المتنازع عليها من شأنه أن يشير بأى شكل من الأشكال إلى أن ادعاءاتها القائمة هى ادعاءات لا يمكن دعمها أو تبريرها ، بل على العكس من ذلك فإن الوثائق تثبت بذل جهود عديدة من جانب المملكة العربية السعودية على مر السنين للتوصل إلى أى حل معقول لا يضحى كلية بمصالحها القومية أو بمصالح رعاياها الذين يعيشون فى المناطق المتنازع عليها ، غير أن هذه الجهود لم تنجح وكانت النتيجة أنه عقب مضى نصف قرن تقريباً لم توضع بشأن هذه المناطق أية ترتيبات دبلوماسية مازمة للمملكة العربية السعودية كما أنها لم تدخل فى أية تعهدات دولية تتنافى مع موقفها الحالى . وفى حالة عدم وجود مثل هذه الالتزامات فإن المجال مفتوح أمام الهيئة لتتخذ قراراً بشأن المواضيع المعروضة عليها عن طريق تقدير نزيه وعادل للحالة التى كانت سائدة بالفعل فى هذه المناطق . وستخصص الأجزاء التالية من هذا العرض لحقائق هذه الحالة وأهميتها .

الفصل السادس

الأسانيد القانونية للمملكة العربية السعودية

١ ـ المبادئ العامة :

١ ـ إن من رأى المملكة العربية السعودية ـ وهو ما أشير إليه فى المقدمة (الفقرة الثانية من الفصل الأول) ـ أن أولى المسألتين المعروضتين على هيئة التحكيم تنطوى بالضرورة ، شأنها فى ذلك شأن الثانية ، على موضوع تحديد السيادة على إقليم . ولا يمكن تخطيط الحدود بين المملكة العربية السعودية وبين أبو ظبى بالضبط إلا بعد التحقق من المدى الجغرافى لحقوق الطرفين على ضوء ادعاءاتهما والأدلة . وقد أبرزت اللجنة التى عينتها عصبة الأمم للتحقيق فى النزاع حول الموصل عام ١٣٤٣ (١٩٢٥ م) ، أبرزت على خير وجه هذا التمييز بين التصرف بأمر منطقة وبين مجرد تقرير أمر خط متنازع عليه :

> صحيح ان النزاع يتعلق فى نهاية الأمر بمسألة حدود ، إلا أنه . . . من الواضح أن الأراضى الواقعة بين الخطين اللذين اقترحتهما الحكومتان البريطانية والتركية أوسع من أن تسمح بالقول بأن المسألة لا تتعدى تعيين الخطوط . [١]

٢ ـ وبموجب المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم ، ينبغى على هيئة التحكيم أن تراعى فى أعمالها « جميع اعتبارات القانون والواقع والإنصاف ذات الأثر فى الموضوع » . ونحن نعرض أن فى هذا توجيهاً إلى الهيئة بأن تسير فى أعمالها على أسس واسعة . فإن لها من ناحية ، أن تسترشد بالمبادئ القانونية المعترف بها فى

---

(١) « تقرير اللجنة » وثيقة عصبة الأمم رقم سى ٤٠٠ م ١٤٧ ، ١٩٢٥ ، (٧) ص ١٧ .

تكوين آرائها فلا تنصرف إلى دراسة الخلاف على أساس تقدير ذهنى بحت ، ومن ناحية أخرى فإنه ليس للاعتبارات القانونية الفنية –مثل تلك الاعتبارات التى توجد فى قواعد الإثبات أحياناً – أن تحول بين الهيئة وبين دراسة جميع العوامل التى تعتقد أن لها بالموضوع صلة . والهيئة بصورة خاصة غير مقيدة بأية قيود – كما يتضح من القسم الأخير من المادة الرابعة – يمكن أن تثنيها عن أن تأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التى تحيط بمجتمع إسلامى قائم فى الصحراء . ولهذه النقطة أهمية خاصة بالنظر إلى أن جميع الدول التى قدمت عنها ادعاءات تخص هذه الإجراءات تتكون من مجتمعات إسلامية تشترك فى اللغة والدين والتراث الاجتماعى .

٣ – وفى رأى المملكة العربية السعودية أن اعتبارات القانون التى ينبغى أن تسترشد هيئة التحكيم بها توجد فى نظريات القانون الدولى الأساسية التى تتفق « ومبادئ القانون الأساسية التى تعترف بها الأمم المتحضرة » بغض النظر عما إذا كانت هذه الأمم قد ورثت تقاليد الفقه الرومانى أو الأنجلو سكسونى أو الإسلامى أو فقه الشرق الأقصى . فالنظرية الأساسية مثلا التى يعبر عنها باللاتينية بما معناه « العقود ملزمة » موجودة فى الشريعة الإسلامية ، إذ جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (٢)

وإننا نعتقد أيضاً أن هناك مبادئ معينة يقر بصحتها الجميع وتنطبق على المنازعات الإقليمية الدولية .

---

(٢) القرآن الكريم ، الآية الأولى من سورة المائدة . وانظر أيضاً الآية ٣٤ من سورة الإسراء « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » . وهناك آيات كريمة فى نفس المعنى مثل الآية التاسعة من سورة هود والآيتين ٩١ و ٩٢ من سورة النحل .

٤ – وعلى هذا الأساس تعرض المملكة العربية السعودية أن النقاط التالية تبرز مبادئ عامة مقررة لها صلة بالنزاع الحالى :

ا – إن حق دولة فى السيادة على اقليم ما يمكن أن يستند ، فى جملة ما يرجع إليه إلى سند تاريخى ناشىء من اكتساب صلى فى أزمان ماضيه اتبع بحيازة فعلية فيما بعد .

ب – حيث لا يمكن التحقق من الاكتساب الأصلى (أى اكتساب السيادة على اقليم ليس لأية دولة سيادة عليه) ، فإن الحيازة الفعلية تكفى وحدها سنداً للحق فى السيادة .

جـ – تتكون الحيازة الفعلية من إظهار السيادة على الاقليم بشكل مستمر وسلمى مقرون بنية الدولة وعزمها على التصرف بصفتها صاحبة السيادة على الاقليم . ويختلف شكل الإظهار ومداه وزمنه – وهذه جميعها لازمة لاثبات الحق – باختلاف ظروف الزمان والمكان .

د – إن استمرار الحياة من ناحية المبدأ لا تنقضه الانقطاعات العرضية الموقتة مادام أنه ليس هناك نية للتخلى عن الاقليم وطالما أن دولة أخرى لم تقم حيازة فعلية دائمة خلال مثل هذه الفترة .

هـ – ليست هناك حاجة إلا للنزر اليسير من الممارسة الفعلية للسيادة طالما أنه لا تستطيع دولة أخرى الادعاء بما يزيد على هذا النزر .

٥ – إن المبادئ المتقدمة كما سيتضح من عرضها بالتفصيل فيما يلى مستمدة فى جزء كبير منها من التحليل المسهب لموضوع السيادة الإقليمية الوارد فى الحكم الذى أصدرته هيئة تابعة لمحكمة التحكيم الدائمة بخصوص « قضية جزيرة بالماس »[٣] وكذلك فى حكم محكمة العدل الدولى الدائمة فى « قضية الوضع القانونى لجرينلاند الشرقية »[٤] . ونعتقد أيضاً أن هذه المبادئ كما سيتضح ،

---

(٣) الحكم الصادر فى ٤ أبريل سنة ١٩٢٨ . سكوت « تقارير محكمة لاهاى » (السلسلة الثانية) ص ٨٤ – ١٣١ . والأمم المتحدة تقارير أحكام التحكيم الدولية » مجلد ٢ ص ٨٢٩ – ٨٧١ .

(٤) حكم ٥ إبريل ١٩٣٣ م . السلسلة أ/ب رقم ٥٣ ، ص ٢٢ – ١٤٧ . وهدسن ، « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ، ص ١٥١ – ١٩٥ .

تتفق وقرارات أخرى صادرة عن المحاكم الدولية وكذلك مع وجهات نظر الكتاب الأكفاء فى القانون الدولى . ومما تجدر ملاحظته أنها تنسجم انسجاماً جوهرياً مع الأسانيد القانونية التى قدمتها المملكة المتحدة فى « قضية منكييرز وأكريهوز » التى نظرت فيها مؤخراً محكمة العدل الدولية . (٥)

٦ – وتعرض المملكة العربية السعودية مستعملة نفس الكلمات الواردة فى مذكرة المملكة المتحدة فى « قضية منكييرز وأكريهوز » :

> أنه حيثما كان فى وسع دولة أن تبرز سنداً أصلياً للسيادة على اقليم (تمييزاً لذلك عن السند غير الأصلى كالتنازل) واستمرت فى حيازتها الفعلية لذلك الإقليم ، فإنه من حق تلك الدولة بموجب القانون الدولى أن يعترف لها بالسيادة على ذلك الإقليم (٦) .

والمملكة العربية السعودية تدعى ، فيما يتعلق بالمناطق المتنازع عليها الآن ، بمثل هذا السند الأصلى الذى يرجع إلى قيام أول سلطة سعودية فى تلك المناطق فى عام ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م) .

٧ – ولو كانت هناك ضرورة لكان من الممكن عند هذه النقطة الدخول فى بحث نظرى مطول للأساس الذى ينبغى أن يقوم عليه ادعاء المملكية السعودية هذا بسند السيادة . فقد يكون هناك مجال للنقاش مثلا فيما إذا كان يجب أن يبنى سند السيادة على أساس الاستيلاء – وهذا ينطوى على أن الأراضى كانت قبل ذلك غير تابعة لأحد – أو على أساس التقادم ، وهذا ينطوى (بمعناه الضيق) على اكتساب إقليم عن طريق وضع اليد بالرغم من وجود حق سابق لدولة

---

(٥) عرض المملكة المتحدة (٣ مارس ١٩٥٢ م) الفقرة ١٨٤ . ومحكمة العدل الدولية « المرافعات فى قضية منكييرز وأكريهوز » مجلد ١ ، ص ١٠٢ .

(٦) عرض المملكة المتحدة ، الفقرة ١٨٦ ، محكمة العدل الدولية ، و « المرافعات فى قضية منكييرز وأكريهوز » ، مجلد ١ ، ص ١٠٣ .

أخرى واحتلاله زمناً طويلا بعد ذلك .[٧] ونعرض على كل حال أنه يكفى لجميع الأغراض الحالية ، أن نعتبر أن سند المملكة العربية السعودية للسيادة قائم فى جوهره على الحيازة الفعلية خلال مدة طويلة وهو أساس يدخل ضمن نطاق التعريف الأوسع للتقادم الذى يستعمله بعض المؤلفين مثل فيريكيوس[٨] ، والذى عرف بصورة أدق تحت عنوان « التوطيد عن طريق السند التاريخى » .

وهذا التوطيد ، الذى يمكن أن يكون له أهمية عملية بالنسبة للأقاليم التى لم تصل بعد إلى نظام دولة كامل وكذلك بالنسبة لبعض المناطق البحرية مثل الخلجان ، لاتخضع للشروط المحددة التى تتطلبها الأنواع الأخرى من اكتساب السيادة على إقليم . إن العادة المستقرة منذ أمد بعيد ، والتى هى أساس التوطيد ، لا تعدو أن تفسر مجموعة من المصالح والعلاقات التى تؤدى فى حد ذاتها إلى ربط إقليم أو منطقة بحرية بدولة معينة ، وإن هذه المصالح والعلاقات التى تختلف فى أحوالها – وليس مضى مدة من الزمن تحدد مقدماً ، وهو أمر غير معروف فى القانون الدولى – هى التى يضعها القاضى فى الواقع موضع الاعتبار ليقرر وجود التوطيد عن طريق السند التاريخى أو عدم وجوده .[٩]

٨ – فى نظر المملكة العربية السعودية أن الحيازة الفعلية هى أهم عامل منفرد يجب أخذه فى الحسبان لحل النزاع الراهن ، سواء اعتبر هذا العامل متمماً لسند السيادة المبنى على عمل من أعمال الاكتساب ، أو اعتبر صالحاً فى حد ذاته أساساً لادعاء صحيح ، إن القضيتين البارزتين فى السنوات الأخيرة تتفقان تماماً

(٧) لقد أخذت المملكة المتحدة بهذا الرأى فى التقادم فى العرض الذى تقدمت فى «قضية منكييرز وأكريهوز » الفقرة ١٨٦ . انظر أيضاً مقالة جونسون عن « التقادم المكسب فى القانون الدولى » فى السجل البريطانى السنوى للقانون الدولى ، مجلد ٢٧ (١٩٥٠ م) ص ٢٣٢ – ٣٥٤ .

(٨) « أنه كثيراً ما يصعب تقرير ما إذا كانت الدولة قد اكتسبت إقليما عن طريق الاستيلاء ، اما لأنها لم تستكمل جميع الإجراءات الضرورية الشرعية لتلك الوسيلة أو لأنه لا يمكن إثبات أن الأراضى المحتلة كانت بغير سلطان عند احتلالها . وفى هذه الحالة ، إذا استطاعت الدولة أن تدعى بحيازة طويلة سلمية فإن التقادم يتدخل عندئذ ليضع حداً للمناقشة التى لولاه (أى التقادم) لبقيت دون أن تنتهى إلى نتيجة » . فريكيوس « التقادم فى القانون الدولى العام » (١٩٣٤) ، ص ٥٩ .

(٩) شارل دى فشر « نظريات وحقائق فى القانون الدولى العام » (١٩٥٣م) ص ٢٤٤ .

فيما يختص بهذا المبدأ فى القانون الدولى العام . فقد قرر القاضى هوبير فى الحكم الذى أصدره بشأن جزيرة بالماس أن :

. . . العرف ، شأنه فى ذلك شأن الفقه ، يقر – وإن اختلفت الصيغ القانونية وكان هناك اختلاف فى الشروط المطلوبة – بأن إظهار السيادة على إقليم بشكل مستمر وسلمى (سلمى بالنسبة للدول الأخرى) يكفى لتكوين سند للسيادة . (١٠)

وقد أبدت محكمة العدل الدولية الدائمة بخصوص « قضية جرينلاند الشرقية »

قبل الشروع فى دراسة تفصيلية للأدلة المقدمة إلى المحكمة يجدر بنا أن نقرر أن الادعاء بالسيادة الذى لا يقوم على أساس عمل معين أو سند معين مثل معاهدة تنازل بل على إظهار السلطة بشكل مستمر إنما يتضمن عنصرين يتعين إثبات وجود كل منهما ، وهما النية والإرادة فى التصرف كصاحب سيادة وبعض الممارسة الفعلية أو الإظهار لتلك السلطة . (١١)

٩ – إن المبادئ المعروضة هنا متفقة أيضاً مع آراء الفقهاء المسلمين . فإن رأى أبى يوسف (المتوفى عام ٧٩٨ م) وكذلك رأى الشيبانى (المتوفى عام ٨٠٤ م) ، التلميذين الشهيرين للفقيه الكبير أبى حنيفة ، مسجلان على النحو التالى الذى أورده السرخسى المعاصر لهما :

الدار إنما تنسب إلى أهلها لثبوت يدهم القاهرة عليها وقيام ولايتهم الحافظة فيها . (١٢)

١٠ – تستمد هذه البيانات المتعلقة بالمبادئ العامة المزيد من الأهمية من نصوص اتفاقية التحكيم التى تدعو فى الفقرة (ا) من المادة ٤ إلى أخذ الوقائع

---

(١٠) سكوت « تقارير محكمة لاهاى » (السلسلة الثانية) ص ٩٢ – ٩٣ ، والأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولى » مجلد ٢ ، ص ٨٣٩ .

(١١) سلسلة أ/ب رقم ٥٣ ، ص ٤٥ – ٤٦ . وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(١٢) أوردها (بالعربية والإنجليزية) محمد حميد الله فى « نظام الدولة فى الإسلام » (الطبعة الثالثة ١٩٥٣ م) ص ٨٢ . كان أبو يوسف قاضى القضاة فى زمن الخليفة هارون الرشيد .

التاريخية المتعلقة بحقوق كل من الأطراف ذوى الشأن بعين الاعتبار ، والفقرة (د) من المادة ٤ تشير بجلاء وتأكيد إلى ممارسة السلطة فى المناطق ذات الشأن .

١١ – تتكون الحيازة الفعلية باديء ذى بدء من شيء من الممارسة الفعلية للسلطة أو شيء من الإظهار الفعلى لها بالإضافة إلى توفر النية والإرادة فى التصرف كصاحب سيادة . والمقصود من هذا فى المقام الأول نشاط من جانب الدولة كما هو مبين فى حكم المحكمة فى « قضية منكييرز وأكريهوز » :

> ومن بين الحقائق العديدة التى أثارتها حكومة المملكة المتحدة تعلق المحكمة بصورة خاصة أهمية فى الإثبات على الأعمال المتعلقة بممارسة السلطة والإدارة المحلية والتشريع .(١٣)

وقد تبدو أعمال الأفراد غير الرسميين فى المناطق المتنازع عليها بحسب هذا المعيار أقل أهمية بكثير ، لأنها بحكم طبيعتها لا يمكن أن تكون فى حد ذاتها ممارسة لسلطة الدولة . إلا أنه يجب على كل حال عدم تجاهلها ، إذ أن الفقرة (د) من المادة ٤ لا تتناول ممارسة السلطة فحسب بل أيضاً « أى نشاط آخر » فى عبارة واسعة بحيث تشمل تلك التى يقوم بها أشخاص غير رسميين . ونعتقد أن أوجه النشاط غير الرسمى هذه لها دور رئيسى فى تحديد ما إذا كانت الحالة تدعو أو لا تدعو إلى تطبيق المبدأ القائل « بعدم تعكير صفو الأشياء الحادثة » :

> يجب الامتناع بقدر الامكان عن تعديل حالة الأشياء القائمة فعلا والتى كانت قائمة منذ زمن بعيد .(١٤)

١٢ – ولإثبات سند السيادة ، يجب أن تكون الحيازة مستمرة لمدة من الزمن وليست هناك نقطة أكثر وضوحاً فى كتابات الفقهاء من أنه ليست هناك مدة

---

(١٣) « تقارير محكمة العدل الدولية » ١٩٥٣ م ، ص ٦٥ .

(١٤) حكم دائرة من محكمة التحكيم الدائمة فى « قضية جريسبادارنا » (السويد ضد النرويج) ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م . سكوت « تقارير محكمة لاهاى » ص ١٣٠ و ٤٩٣ .

معينة يحددها القانون الدولى. (١٥) وغاية ما يمكن أن يقال هو أنه بمراعاة طبيعة الإقليم – مساحته وسهولة الوصول إليه وأهميته وعدد سكانه – فإن المدة يجب أن تكون كافية لتحقيق غرضين : أولا ، يجب أن تكون طويلة طولا كافياً لتثبت أن الدولة صاحبة الادعاء كانت فى الواقع تمارس حقوق السيادة على الإقليم وعلى أساس أقوى من مجرد أساس عابر ، وثانياً ، يجب أن تكون طويلة بحيث تمنح الدول الأخرى وقتاً كافياً لتكون على علم بالحالة ولتتحرك إذا كانت ثمة ضرورة لحماية أية مصلحة من مصالحها التى قد تتأثر . ويمكن القول بأنه نظراً لوسائل المواصلات والإعلان الحديثة فإن المدة المطلوبة اليوم لا بد أن تكون أقصر مما كان يبدو ضرورياً فى الماضى بسيره الأبطأ .

١٣ – مع أن الحيازة من حيث المبدأ يجب أن تكون مستمرة حتى تكون نافذة المفعول ، فإن هذا الشرط يجب ألا يفسر تفسيراً متزمتاً بحيث يخلق التزاماً تستحيل مواجهته . فمن الواضح أنه ليس بمقدور أية دولة مهما كانت أن تؤكد سلطانها كل لحظة وبدون انقطاع فى كل بقعة من أراضيها . إن وجهة النظر فى الموضوع التى ترى المملكة العربية السعودية أنها الوجهة الصحيحة قد عرضها بجلاء القاضى هوبير فى « قضية بالماس » :

> صحيح أن مظاهر السيادة الاقليمية تتخذ أشكالا مختلفة تبعاً لأحوال الزمان والمكان . ومع أنها مستمرة من حيث المبدأ إلا أن السيادة لا تمكن ممارستها فى الواقع فى كل لحظة وفى كل بقعة من الإقليم . إن التقطع وعدم الاستمرار اللذين لا يزيلان الحق يختلفان بالضرورة وفقاً لما إذا كانت المناطق ذات الشأن مأهولة أو غير مأهولة ، أو كانت المناطق داخل أقاليم تقوم عليها مظاهر السيادة بغير جدال أو كانت المناطق مما يمكن الوصول إليه مثلا من البحار العالية(١٦)

---

(١٥) فيريكيوس « التقادم فى القانون الدولى العام » (١٩٣٤م) ص ٨٥–٩٣ . مقالة جونسون عن « التقادم المكسب فى القانون الدولى » فى السجل البريطانى السنوى للقانون الدولى ، مجلد ٢٧ (١٩٥٠ م) ص ٣٤٧.

(١٦) سكوت « تقارير محكمة لاهاى » السلسلة الثانية، ص ٩٤ . والأمم المتحدة « تقارير التحكيم الدولية » مجلد ٢ ، ص ٨٤٠ .

وتتفق آراء كبار المعلقين مع هذا الرأى .(١٧)

١٤ – وكما أن سلطة الدولة لا تحتاج إلى إظهار فى كل بقعة من الأرض ، كذلك فهى لا تحتاج إلى إظهار فى كل لحظة من الزمن . ووفقاً للرأى المقبول عامة ، لا تفقد الدولة سيادتها على أرض بمجرد حدوث فترة انقطاع مؤقتة فى حيازتها الفعلية ، ذلك أنه يجب أن يكون ثمة شىء أكثر من ذلك حتى تتجرد الدولة من حقها بالسيادة وأما أن يكون ذلك بحصول دولة أخرى خلال فترة الانقطاع على حيازة فعلية عن طريق التقادم ، أو بوجود بينة على صورة ما تدل على نية ثابتة للتخلى عن الإقليم من جانب الدولة الأولى ، فإن سلب الإقليم من دولة أو انسحابها نتيجة لظروف قاهرة لا ينهيان فى حد ذاتهما حق الدولة فى السيادة إذا توفرت لديها النية فى العودة .(١٨) وقد وضعت هذه النقطة فى « قضية جرينلاند الشرقية » على الشكل التالى :

> وأما فيما يتعلق بالتخلى الاختيارى فليس هناك ما يدل على أى تخل بات من جانب ملك النرويج أو ملك الدانمرك .
>
> وخلال القرنين الأولين أو نحو ذلك بعد أن بادت الجماعات التى حلت بها فإنه يبدو أنه لم يكن هناك أى اتصال مع جرينلاند وتضاءلت المعلومات عنها ولكن بقى التقليد الخاص بحقوق الملك حيا ، وفى أوائل القرن السابع عشر تجدد الاهتمام بجرينلاند من جانب الملك وشعبه معاً .(١٩)

---

(١٧) « إن الاحتلال الفعلى – كما يتطلب عادة – ليس معناه أن يمتد إلى كل زاوية وركن ، ويكفى أن توضع فى بعض الأماكن داخل الاقليم قوة قوية يمكن أن تتوزع عند الضرورة على المنطقة كلها لكى تضمن حداً أدنى من النظام والحماية القانونية داخل الحدود وتمنع أى تدخل من دولة ثالثة (المفعول الواقعى) » . فون هايته « الاكتشاف والضم الرمزى والمفعول الواقعى فى القانون الدولى » المجلة الأمريكية للقانون الدولى ، مجلد ٢٩ (١٩٣٥) ص ٤٦٣ . انظر أيضاً هول « القانون الدولى » (الطبعة الثامنة ، وضع هجنز ، ١٩٢٤ م) ص ١٢٨ .

(١٨) يقول فوشيل فى هذه النقطة بأن التخلى لا يكون اختيارياً إذا ما حيل موقتاً بين دولة وبين ممارستها سلطانها بسبب تمرد أو حرب تتطلب تركيز قواتها فى نقاط أخرى . فوشيل « القانون الدولى العام » (الطبعة الثامنة ، ١٩٢٥ م) مجلد ١ ، جزء ٢ ، فقرة ٥٤٥ .

(١٩) السلسلة ا/ب ، رقم ٥٣ ، ص ٤٧ ، وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » مجلد ٣ ، ص ١٧٢ ويطابق هذا أيضاً ما قررته المحكمة فى « قضية جزيرة كليبرتون » (فرنسا ضد المكسيك) :

١٥ – وجرى بحث هذه المسألة منذ بضع سنوات من جانب المستر بكيت (السر أريك فيما بعد) ، المستشار القانونى السابق لوزارة الخارجية البريطانية فى معرض تحليل « لقضية جرينلاند الشرقية » وبعد دراسة تلك القضية وكذلك « قضية بالماس » ذهب إلى أنه إذا فقدت دولة سيطرتها على إقليم موقتاً فإنها تحتفظ بحقها المبدئى لاستكمال مركزها مرة أخرى ، وذلك أسوة بحق دولة فى أن تستكمل عن طريق الحيازة ادعاء بإقليم قائماً على الاكتشاف . ومضى يقترح ثلاثة مبادئ تحكم مثل هذه الحالة :

(١) إن للدولة ، التى تملك حق السيادة الناقص ، الحق فى أن تعتبر صاحبة سيادة وأن تنتظر من جميع الدول الأخرى الاعتراف بأعمالها المتعلقة بالإقليم على أنها أعمال صاحبة السيادة الإقليمية طالما أنه ليس هناك أية دولة أخرى تستطيع أن تبرز سند سيادة أفضل .

(٢) وسند السيادة الأفضل يمكن اكتسابه عن طريق التقادم ، أى إذا قامت دولة أخرى بتأسيس حيازة فعلية وحافظت عليها علانية لمدة كافية من الزمن .

(٣) إذا اكتسبت دولة أخرى سند سيادة أفضل فإن السيادة الناقصة تضيع تماماً ، سواء تخلت أو تنازلت الدولة الأولى عن حقوقها طواعية أو بغير رضائها .[٢٠]

١٦ – وهناك سابقة مفيدة عن هذه النقطة موجودة فى « قضية خليج ديلاجوا » بين بريطانيا العظمى والبرتغال وقد أصدر فيها رئيس الجمهورية الفرنسية قراراً تحكيمياً فى ٢٤ يوليو ١٨٧٥ م.[٢١] وكان النزاع يتعلق بإقليم فى شرق أفريقيا يقع فى الجانب الجنوبى من نهر يصب فى خليج ديلاجوا . وقد ادعت بريطانيا بحقها فى هذا الإقليم استناداً إلى بعض معاهدات التنازل التى

« ليس هناك من سبب يدعو للافتراض بأن فرنسا قد فقدت حقها نتيجة للتخلى ، طالما أنه لم تخامرها أية نية فى التنازل عن الجزيرة . وأما أنها لم تمارس سلطتها هناك بصورة إيجابية فهذا لا يعنى سقوط اكتسابها للسيادة الذى كان قد تم بصفة نهائية » . الأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولى » مجلد ١ ، ص ١١١٠ – ١١١١ .

(٢٠) بكيت « الموضوعات الهامة العامة . . . فى قضاء محكمة العدل الدولى الدائمة » سلسلة المحاضرات مجلد ٥٠ (١٩٣٤ م) ص ٢٥٥ .

(٢١) دى لا براديل و بوليتيس « مجموعة التحكيمات الدولية » مجلد ٣ ص ٥٩٦ (١٩٥٤ م) ص ٥٩٦ – ٦٥٠

حصل عليها ضابط بحرى بريطانى عام ١٨٢٣ م من الرؤساء المحليين الذين تقدموا إليه على أنهم مستقلون . وكذلك كانت البرتغال تدعى بحقها فى الإقليم على أساس الاكتشاف والحيازة فى تاريخ يسبق عام ١٨٢٣ م بكثير . وقد بدا أن البرتغال كان لها حيازة فعلية على الجانب الشمالى من النهر ، إلا أن قبضتها على الجانب الجنوبى كانت ضعيفة ومتقطعة . وكانت معاهدات عام ١٨٢٣ م موضع احتجاجات برتغالية قدمت إلى بريطانيا من عام ١٨٢٦ م إلى عام ١٨٢٨ م . ولكن بعد ذلك لم تقل أية من الحكومتين شيئاً عن الموضوع خلال مدة ٣٢ عاماً كما لم تقم أية منهما بأى عمل من أعمال السيادة فى المناطق المتنازع عليها .[٢٢] ولكن بريطانيا فى عام ١٨٦٠ م سعت إلى إحياء ادعائها بإيفاد قوة بحرية إلى هناك ، ثم أحيل الخلاف الذى تبع ذلك إلى التحكيم . وقد صدر الحكم فى صالح البرتغال ، وبين المحكم أنه على ضوء وضع البرتغال الذى استقر منذ زمن طويل فإن الضعف الموقت لسلطتها نحو عام ١٨٢٣ م لا يمكن أن يعطل حقوقها ، ولو أن ذلك قد يغفر للضابط البريطانى خطأه

> إن الاتفاقيات التى عقدها الكابتن أوين مع الرؤساء المحليين – حتى ولو أن ضعف السلطة البرتغالة فى هذه الأجزاء ربما كان السبب عام ١٨٢٣ فى وقوعه فى الخطأ وفى بعض الاحيان اعتباره عن حسن نية أن الرؤساء المحليين فى المناطق المتنازع عليها مستقلون عن التاج البرتغالى – تناقضت هذه الاتفاقيات على كل حال وحقوق البرتغال . . .[٢٣]

ومما يلاحظ كذلك أن فترة الأعوام الاثنين والثلاثين ، بين ١٨٢٨ م و ١٨٦٠ م ، الخالية من نشاط الدولة فى المنطقة لم يعتبر أنها تعطل حيازة البرتغال الفعلية ، على الرغم من الادعاء المضاد الذى كان وجوده معروفاً .

١٧ – وفى الدراسة التحليلية الشاملة لهذه القضية من جانب الأستاذ برليا الواردة فى كتاب دى لا براد بل و بوليتيس ، يسوق المعلق العلامة الملاحظات

---

(٢٢) دى لا براديل وبوليتس ، مجلد ٣ ، ص ٦٣٢ .

(٢٣) دى لا براديل وبوليتيس ، مجلد ٣ ، ص ٦٣٨ .

التالية على هذه الناحية من الحكم ، وهى ملاحظات ترى المملكة العربية السعودية أنها منيرة للأذهان :

إن احتلال البرتغال كان مزعزعاً كما كان متقطعاً أو على الأقل فإن سلطانها على بعض بقاع الاقليم قد أصابه الخسوف لمدة طويلة بعض الشيء . والمحكم ، وهو حريص على مداراة كافة المشاعر ، يقرر أن « ضعف السلطة البرتغالية فى بعض الأحيان » ربما أوقع فى الخطأ الكابتن أوين الذى كان حسن نيته بعيداً عن الجدل . ولكن المحكم عند تقريره بحقوق البرتغال لا يأخذ فى الحسبان هذا « الضعف » . ويحق لنا أن نرى أن فى هذا مجرد حنكة من المحكم ، حنكة يمكن لنا أن نضيف أنها لا علاقة لها بالقانون . ولكن رغماً عن ذلك ، يظل الواقع أن المحكم لم يعتبر أن انقطاعاً عابراً وجزئياً فى نفاذ الاحتلال أو فى ممارسة السلطة يهدم حق البرتغاليين فى السيادة .

وإذا رجعنا الآن إلى القانون اللاحق عن الموضوع ، نجد قاعدة تبرز بوضوح فى أحكام القضاء ، وبحسب هذه القاعدة فإن انقطاعاً معيناً فى ممارسة السيادة يمكن ملاحظته والسماح به دون أن تزال رغم ذلك صحة السند الحقيق الناشىء عن الاحتلال بسبب هذه الواقعة . . .

إن ما يجب أن نذكره فى هذه القضية ، هو أن المحكم قام ، دون أن يقصد ذلك ، بل مراعاة منه فيما يبدو للباقة الدبلوماسية المجردة ، قام – ويكاد الإنسان أن يقول إن ذلك كان سبقاً للزمن – بصياغة قاعدة أصبحت اليوم ثابتة لقانون الاحتلال ، وبموجبها لا يهدم الانقطاع أو التقطع فى ممارسة السيادة حق السيادة الشرعى الذى تدعى به دولة ما . (٢٤)

١٨ – تبقى نقطة أخرى جديرة بالملاحظة فيما يتعلق بموضوع الحيازة الفعلية ، وهى المبدأ المقرر على النحو الآتى فى « قضية جرينلاند الشرقية » :

إنه يستحيل على المرء قراءة سجلات الأحكام فى القضايا المتعلقة بالسيادة الإقليمية دون أن يلاحظ فى عدد كبير من القضايا أن المحكمة كانت تقنع بالنزر اليسير من الممارسة الفعلية لحقوق السيادة شريطة أن لا يكون بوسع الدولة الأخرى أن

(٢٤) دى لا براديل وبوليتيس ، مجلد ٣ ، ص ٦٤٩ – ٦٥٠ .

تتقدم بادعاء أقوى. وان هذا لينطبق بصورة خاصة فى حالة ادعاءات السيادة على مناطق قليلة السكان أو غير مأهولة[٢٥].

ونعتقد أنه سيتبين أن لهذا المبدأ أهمية خاصة عند معالجة أمر الأقاليم المتنازع عليها حالياً .

١٩ – ونعرض هنا على أساس البحث السابق ، بأنه على الرغم من أن الحيازة الفعلية « فى حالة النزاع هى المقياس السليم والطبيعى للسيادة الإقليمية ». [٢٦] فإن درجة نشاط الدولة المطلوب لتكوين الحيازة هذه يمكن أن يختلف اختلافاً واسعاً باختلاف الظروف . [٢٧] فبالنسبة لجزيرة صغيرة غير مأهولة قد لا يحتاج الأمر إلى أكثر من وضع اليد عليها بصورة رسمية ، [٢٨] وبالنسبة لمنطقة زراعية أو تجارية آهلة بالسكان قد يكون من الضرورى وجود إدارة منظمة تنظيماً عالياً لتصريف المهام العادية للدولة بطريقة صحيحة . [٢٩] وبالنسبة لإقليم ناء قطع شوطاً صغيراً فى مضمار التقدم ويسكنه عدد محدود من الناس ، يبدو أن جهازاً إدارياً بسيطاً نوعاً ما هو ما يجب أن ينتظر ، شريطة أن يكون كافياً لحفظ النظام العام ومواجهة حاجات السكان فى انتظام وكفاءة معقولة . ومن الواضح أنه لا يمكن ولا يلزم فى مثل هذه المنطقة ممارسة السيادة بصفة مستمرة

---

(٢٥) سلسلة أ/ب ، رقم ٥٣ ، ص ٤٦ ، وهدسن « تقارير المحكمة الدولية » ص ١٧١ .

(٢٦) القاضى هوبير فى « قضية بالماس » . سكوت « تقارير محكمة لاهاى » (السلسلة الثانية) ص ٩٤ والأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولية مجلد ٢ ، ص ٨٤٠ .

(٢٧) بسماتته « القانون الدولى العام » مجلد ٣ (١٩٣٦ م) ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢٨) كما فى « قضية جزيرة كليبرتن » ، المجلة الأمريكية للقانون الدولى ، مجلد ٢٦ (١٩٣٢م) ص ٣٩٠ – ٣٩٤ (الترجمة الانكليزية) . والأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولية » مجلد ٢ ، ص ١١٠٨ – ١١١١ .

(٢٩) لندلى « اكتساب الأقاليم المتأخرة وحكمها فى القانون الدولى » (١٩٢٦ م) ص ١٥٩.

فى جميع المواضع ، كما أن السيادة لا تزول حتى مع وجود فترات انقطاع ملموسة فى مظاهر هذه السلطة على الإقليم . وحتى إذا بلغت فترة الانقطاع عشرات السنوات ، فإن ذلك لن يكون تخلياً ما لم يظهر بوضوح أنه كانت هناك نية انسحاب دائم ، أو أن دولة أخرى اغتنمت الفرصة لاكتساب سند أقوى . وأخيراً بالنسبة للوضع بين المدعيين المتنازعين ، فإن الطرف الذى يستطيع أن يظهر درجة من نشاط حكومته أكثر نسبياً من الآخر ، حتى لو لم يكن مقدار النشاط كبيراً جداً ، هو الطرف الفائز .

٢ ــ عروض المملكة العربية السعودية :

٢٠ ــ إن عروض المملكة العربية السعودية بشأن الأراضى المتنازع عليها مبينة فيما يلى . إلا أنه قبل سردها والبدء فى استعراض انطباق المبادئ العامة التى جرى بحثها فى القسم السابق على الحقائق ، يجدر بنا الإشارة باختصار إلى نقطة مبدئية ، وهذه تتعلق بمقدرة الدولة السعودية فى القرنين الثامن عشر والتاسع التاسع عشر الميلاديين على اكتساب حقوق السيادة وممارستها . ونعرض أنه يكفى فيما نحن بصدده أن نذكر أن الحكام من آ ل سعود كانوا مستقلين فعلا ، وأن البريطانيين كانوا يتعاملون معهم على هذا الأساس طوال تلك المدة .[١] وعلاوة على ذلك فإن الحكومة البريطانية منذ معاهدة دارين سنة ١٩١٥ م حتى اتفاقية التحكيم عام ١٩٥٤ م قد قبلت صراحة المبدأ القائل إن تلك الأراضى التى تعود للملك ولآبائه وأجداده هى أراضى المملكة العربية السعودية وبذلك فإنها تتفق مع الواقع ومع مواقف الطرفين منذ زمن بعيد من اعتبار أنه كان لدى الدولة السعودية التى كانت قائمة فى القرن التاسع عشر الكفاءة التامة لحيازة حقوق السيادة والاحتفاظ بها .

٢١ ــ وعلى أساس المبادئ العامة التى جرى بحثها فى القسم السابق ، تعرض المملكة العربية السعودية أن الدولة السعودية اكتسبت السيادة على الأراضى

---

(١) مثلا ، كانت الإجراءات البريطانية التى اتخذت عام ١٨٥٩م ضد بلدة الدمام على الساحل السعودى مبعث احتجاج من الوالى التركى فى بغداد « على أساس أن الدمام تشكل جزءاً من ممتلكات السلطان الموروثة ، فأنكر المعتمد البريطانى فى رده ادعاء الأتراك ، وأكد حق بريطانيا العظمى فى التعامل مع الأمير الوهابى رأسا » وقد مضت بريطانيا فى العمل على هذا الأساس . وزارة الخارجية البريطانية « دليل الصلح رقم ٧٦. الخليج الفارسى »١٩٢٠م ص ٥٠ .

المتنازع عليها هنا بطريقة أصلية (أى أنه لم تكن لدولة أخرى سيادة على هذه الأراضى إذ ذاك) فى تاريخ سابق لعام ١٨٠٠ م ، وأنها منذ ذلك الحين قد بسطت وأظهرت عليها سلطة مستمرة ذات فعالية كافية — باعتبار الظروف المتعلقة بذلك — للاحتفاظ بحقوقها بكل قوة . وحتى إذا كانت هناك فترات ضعفت فيها سلطتها ، خاصة لمدة من الزمن تلت عام ١٨٧٣ م ، إلا أن المملكة العربية السعودية ترى أن هذا لا يسقط سند سيادتها التاريخى ، إذ أنه لم تكن ثمة نية للتخلى . كما أنه لم تقم أية دولة أخرى أثناء تلك الفترات بتركيز نفسها فى وضع أقوى فى الأراضى المتنازع عليها . وبحكم الملك الراحل عبد العزيز انتهى الضعف المؤقت الذى طرأ على السلطة السعودية واستعيدت سيطرة المملكة العربية السعودية على الإقليم استعادة تامة . وتعرض المملكة العربية السعودية أن أعمال الملك عبد العزيز كانت فى حقيقتها وفى نظر القانون عبارة عن استرداد لسلطة وراثية لم يسبق التخلى عنها قط . إلا أنه ، إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، فإن المملكة العربية السعودية ستذهب إلى أن الحوادث التى وقعت منذ ارتقاء جلالة الملك الراحل للعرش تكفى فى حد ذاتها لتأييد ادعاءات المملكة العربية السعودية بموجب المبادئ القانونية التى تنطبق على هذا الوضع .

٢٢ — وإذ بينا بصورة مختصرة طبيعة العروض القانونية التى تقدمت بها المملكة العربية السعودية فإنه يحسن بنا أن ننتقل الآن إلى تفصيل أوسع للحجج التى تؤيدها .

٣ – أدلة الحيازة الفعلية

ا) الوضع الذى كان قائماً فى التاسع عشر

٢٣ – يعتقد فيما يتعلق بمركز الدولة السعودية فى المناطق المتنازع عليها خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، أن السرد التاريخى الذى ورد فى الفصل الرابع يغنى عن كل تعليق . فمنذ عام ١٧٩٥ م حتى عام ١٨٧٣ م ، فيما عدا ثلاث فترات منتشرة تقع جميعاً قبل عام ١٨٤٩ م ، كان ثمة أمير سعودى فى البريمى . وحتى خلال هذه الفترات القصيرة ، ظل نفوذ الدعوة إلى التوحيد وآل سعود سائداً مسيطراً ، كما بقيت الهفوف ومقاطعة الحسا طيلة هذه المدة تقريباً فى يد أمير سعودى . وكان أمير البريمى وأمير الحسا يسيطران – بالنيابة عن إمامهما فى نجد – على جميع تلك الرقعة من الأرض التى تقع بين مقرى إدارتهما ، وهى تشمل « المناطق الغربية » الخاضعة للتحكيم الحالى . وقد وصلت السلطة السعودية إلى أبواب قرى الساحل ، وكثيراً ما نفذت من هذه الأبواب إلى الداخل ، مما أزعج البريطانيين الذين كانوا يخشون من ظهور أية دولة قوية متحدة فى الخليج الفارسى . وكان الأمراء – دون استثناء تقريباً – رجالا يتسمون بالمهارة والنشاط ، وكانوا يفرضون فى سرعة وحزم احتراماً للنظام العام لم يشهد له مثيل لمدة أجيال كثيرة . وفى الواقع كان بعضهم ينتمون إلى بيت السديرى المشهور الذى قدم حتى الآن كثيراً من كبار الموظفين فى الدولة . وكما هو وارد فى الفصل الرابع ، فقد كان المؤرخون العرب آنئذ يتكلمون بعبارات براقة عن السلام والطمأنينة اللذين كانا يخيمان على جميع البلاد فى ذلك الوقت ، وعن الازدهار الذى نجم عن ذلك الوضع . وحتى المصادر البريطانية المعاصرة التى لم تكن عادة تنظر إلى آل سعود وأنصار الدعوة إلى التوحيد بعين الرضى تقر بهذه الحقيقة .

٢٤ – ويبدو من المستحيل إزاء هذه الدلائل ، أن يطعن فى حقيقة السيطرة الفعلية المتواصلة التى مارسها آل سعود خلال هذه الفترة فى المناطق التى هى الآن موضع النزاع وفيما وراء حدودها فى الواقع . ولا يوجد هنالك رأى أكثر تضليلا من الرأى التالى الذى بينته المملكة المتحدة بخصوص هذه الأعمال فى مذكرتها للحكومة العربية السعودية بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م (الملحق ٢٧) :

> فإن كانت الحكومة العربية السعودية معتمدة فى بيان مطالباتها الحالى على الحجج التاريخية ترى حكومة صاحب الجلالة البريطانية لزاماً عليها أن تبدى أن فترات قصيرة لفتح مؤقت فى المناطق المشار إليها لا يمكن اعتبارها فى أى ظرف من الظروف أنها تعطى الحكومة العربية السعودية أى مظهر سلطة بعد هذه الفترة وعلاوة على ذلك فإن المدة القصيرة التى طبقت فيها السلطة العربية السعودية بالقوة تلاها بيان من الأمير عبد الله فى ١٨٦٦ بأنه فيما عدا تحصيل الجزية التى أنشأتها العادة القديمة لا يتدخل فى المستقبل فى الأمارات العربية المتحالفة مع حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة .

إن من الصعب جداً أن توصف ثلاثة أرباع قرن من الإدارة المنظمة غير المتقطعة تقريباً بأنها « فترة قصيرة » . وتصبح هذه الملاحظة مبعث سخرية وهزء عندما تقدم بالنيابة عن مشيخة أبو ظبى التى لم تستطع فى نفس تلك الفترة أن تقوم باحتلال البريمى وحدها أكثر من ثمانية شهور .

٢٥ – إن الإشارة المقتبسة آنفاً من المذكرة البريطانية عن البيان الذى أصدره الإمام عبد الله بن فيصل عام ١٨٦٦ م تبعث على بحث هذه الوثيقة بإيجاز . وهذه الوثيقة طبقاً للنص الوارد فى مجموعة معاهدات ايتشيسون (الملحق ٩١) هى عبارة عن بيان قدمه محمد بن عبد الله بن مانع بتفويض من الامام عبد الله إلى المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى . وتبعاً لنصوص ذلك الإعلان تعهد الإمام عبد الله باحترام حقوق الرعايا البريطانيين فى ممتلكاته ، كما تعهد علاوة على ذلك بألا

يتلف أو يهاجم أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما مملكة مسقط ، ما عدا تسلم الزكاة التى كانت مألوفة منذ القدم .

إن المحفوظات السعودية لا تحوى أى سجل معاصر لمثل هذا التعهد ، على أن الحكومة العربية السعودية لا تميل لهذا السبب إلى الطعن فى صحة هذه الوثيقة أو صلاحية الشخص الذى وقعها . وإنما تود المملكة العربية السعودية أن تذكر فقط أن الالتزام بعدم إتلاف أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية أو مهاجمتها هو التزام كانت تحترمه دائماً على كل حال ، وأن النزاع الحالى لا ينطوى على خرق ذلك الالتزام ، بل إن المسألة فى صميمها هى تقرير مدى حدود هذه الأراضى .

٢٦ — ويجب أيضاً عدم اساءة تفسير ورود ذكر الزكاة فى بيان عام ١٨٦٦ م . فإن المذكرة البريطانية بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٩ م (الملحق ٢٧) توحى مثلا بأن الأمر لايتعدى الترخيص للحاكم السعودى « بتحصيل «الجزية » فى مناطق ليست ملكاً له وبدون أن يؤثر بذلك على كيان استقلال هذه الامارات . إن لهذا الإيحاء قيمته فقط عندما يفهم بجلاء أن « الجزية » المشار إليها تعنى الأتاوة السياسية التى تدفعها دولة لأخرى . وإن الظروف التى أحاطت بإعلان ١٨٦٦ م تجعل من الواضح أن كلمة « الزكاة » قد استخدمت ، إذا استخدمت ، بدون دقة فى وصف مثل هذه الأتاوة وخصوصاً تلك الواردة من مسقط التى كانت موضع جدل قبل سنوات قليلة من ذلك الوقت (الفقرة ١٨٥ من الفصل الرابع فيما سبق) ، ولم تستخدم هذه الكلمة لتعنى الزكاة الحقيقية التى يفرض القرآن دفعها على كل مسلم .[1] وفى نظر المملكة العربية السعودية

---

(١) إن طبيعة هذه الزكاة الحقيقية ، التى يحق لصاحب السيادة دون غيره أن يجبيها من الأفراد مشروحة ببعض التفصيل فى الفقرات ٣٨ — ٤٠ من هذا الفصل وفى التذييل (ب) فى المجلد الثانى .

ان لا علاقة لإعلان ١٨٦٦ م بتحصيل الزكاة الحقيقية من الأفراد ، بل إنه متعلق فقط بمسألة الأتاوة التى ظلت معلقة لعدة سنين مضت . لذلك فإن قيام السعوديين بتحصيل الزكاة من الأفراد مبنى على أساس سلطة المملكة العربية السعودية فى السيادة على المناطق المعينة ، وليس على أساس أى ترخيص ممنوح يعود تاريخه إلى إعلان ١٨٦٦ م . وكون هذا الرأى هو أيضاً رأى المملكة المتحدة ، فإن ذلك مبين فى الاحتجاج البريطانى بتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٥٠ م (الملحق ٢٩) على أعمال جباة الزكاة السعوديين فى المناطق المتنازع عليها ، وهى أعمال يمكن اعتبارها بريئة ومسموح بها لو كان إعلان ١٨٦٦ م يتعلق بالزكاة الحقيقية .

(ب) وجود القبائل السعودية :

٢٧ — لقد سردت معلومات مسهبة فى الفصل الثالث من هذا العرض عن الأهالى والقبائل فى المناطق المتنازع عليها الآن وعن تنظيمهم القبلى وطريقة معيشتهم . ووجه اهتمام خاص لنظام الديرة لدى القبائل ، وهذا موضوع كثيراً ما يسىء فهمه المراقبون الأجانب الذين يعتقدون أن أعراب الصحراء يهيمون على وجوههم عبر الرمال المتقلبة ، وقد سبقت الإشارة إلى أنه ما من شىء أبعد من هذا عن الصواب . فإن من يقطن الصحراء فى تلك المناطق ينتمى إلى قبيلة لها ديرتها المعروفة ومعترف لها بحقوق فيها ، هى فى جوهرها حقوق امتلاك . ويكد البدوى هو وعشيرته فى سبيل الحصول على رزقهم واستخلاصه من هذه الأراضى التى كثيراً ما تكون جميلة ولكن غير مثمرة . وإن عليهم أن يستغلوا بحكمة ودراية جميع الموارد المتوفرة لديهم إذا ما أرادوا الإبقاء على حياتهم . ويتطلب هذا الأمر أن لا تخضع تحركاتهم للفرص والدوافع التى تجىء عفو الساعة بل للمعرفة الناضجة والحكم السليم . ولولا مهارتهم وعاداتهم هذه التى

اكتسبوها على مر السنين لما استطاع إنسان أن يستغل هذه المناطق الصحراوية على أى وجه كان .

٢٨ — وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، فإنه ليس من الصعب أن نستخلص مغالطتين رئيسيتين فى المقترحات التى عرضتها المملكة المتحدة فى مؤتمر لندن عام ١٩٥١ م . ولقد طالب ذلك الاقتراح (الملحق ٤٢) :

أولا بالتمييز بين القبائل « البدوية » و « الحضرية » فى ذلك الإقليم ، ومن ثم معالجة أمر أجزاء مختلفة فيه على أساس ولاء القبائل « الحضرية » فى الدرجة الأولى ، و ولاء القبائل « البدوية » فى الدرجة الثانية . إن الخطأ الأول الذى تنطوى عليه هذه النظرية هو أنه لا يوجد أى تفريق صحيح بين القبائل « البدوية » والقبائل « الحضرية » فى تلك المناطق إذ أن القبيلة لا تكون فى الواقع كلها من البدو أو من الحضر . أما الخطأ الثانى فهو الافتراض بأن للقبيلة « الحضرية » — إذا كان هناك ثمة قبائل « حضرية » — ميزة حقيقية سامية تجعل حقها فى أية أراض أقوى من حق القبيلة « البدوية » . وإن هذا الرأى يتجاهل بشكل صارخ حقوق القبيلة « البدوية » فى ديرتها وهى حقوق قائمة منذ القدم ، كما يتجاهل أن مثل هذه القبيلة تقوم بأحسن استغلال ممكن لأرض تعجز عن إعاشة جماعة تستقر فيها ، وهو استغلال أعظم بالطبع مما يمكن أن تقوم به أية قبيلة مستقرة ومقيدة بأراضيها الصالحة للفلاحة ، فى أراض شاسعة وغير زراعية تقع فى الداخل . وبالاختصار فإن الحقيقة الهامة لا تتعلق بطريقة استغلال الأرض فى منطقة معينة ، بل باستغلال قبيلة ما لها بشكل مناسب وبالاعتراف بتبعيتها لتلك القبيلة . وبالتالى فإن ميول القبيلة السياسية هى نقطة ذات أهمية عظيمة فى تلك المنطقة التى تمتلكها القبيلة طبقاً لمقاييس التقاليد والعادة .

٢٩ – ونعرض أن المعلومات الواردة فى الفصل الثالث تبين أن المناطق الغربية الخاضعة للتحكيم تقع فى جملتها داخل « ديار » آل مرة والمناصير . أضف إلى ذلك أن إثبات سعودية هذه القبائل لا يقتصر على دفعها للضرائب ، ووثائق مبايعتها ، وتاريخها الطويل فى خدمة الملك بإخلاص فحسب ، بل إنه يتعدى ذلك إلى اعتراف البريطانيين صراحة بأنها سعودية وذلك فى الكتب الرسمية التى جرى تبادلها عام ١٩٤٢ م (الملحق ٢٣) . أما أن يعمد الآن أحد إلى القول بأن أوطان هذه القبائل تعود إلى أبو ظبى لا إلى المملكة العربية السعودية فإنه ليس فى هذا مجانبة للمنطق والعقل ثم مناقضة لمبدأ « عدم تعكير صفو الأشياء الهادئة » الذى بحثناه فى الفقرة ١١ من هذا الفصل فحسب ، بل إن فى هذا القول إهمالا للمقاييس التى تنص عليها المادة الرابعة من اتفاقية التحكيم بصدد الولاء التقليدى والنظام القبلى وطرق معيشة السكان .

٣٠ – وإن المملكة العربية السعودية إذ تؤكد على هذا النحو ما تعتقده عن الأهمية الأساسية « للديرة » ، فإنها لا تقصد بحال من الأحوال أن تهمل أو تقلل من حقوق الآخرين أو مصالحهم فى المناطق المتنازع عليها . فعلى الرغم من أن هؤلاء ليسوا فى ديرتهم ، فإن الأغلبية العظيمة منهم هم أيضاً رعايا سعوديون . ومن هؤلاء أفراد فى المناطق المتنازع عليها من قبائل العوامر وآل راشد والمناهيل ، وولاؤهم تشهد به المبايعات ودفاتر الزكاة باسم كل منهم فى الفصل الثالث . وباستثناء أفراد متفرقين هاموا فى أطراف بلدة أبو ظبى فإن أحدا من هؤلاء لم يخضع قط لسيطرة فعلية من جانب حاكم أبو ظبى .

٣١ – وربما تنبغى الإشارة بصفة خاصة فى هذا الصدد إلى بنى ياس ، وذلك بسبب ادعاء حاكم أبو ظبى (كما فعل فى مؤتمر الدمام عام ١٩٥٢ م) بأن هذه القبيلة المزعومة تابعة له وأنها تشغل مركزاً مسيطراً غربى سبخة مطى

(الفقرة ٧٧ من الفصل الخامس) . وقد أشير فى الفصل الثالث إلى أن الذين يقعون تحت سلطة حاكم أبو ظبي إن هم إلا جزء من بنى ياس ، فى حين أن السيطرة المزعومة لهذه القبيلة غربى سبخة مطى ما هى إلا مجرد خرافة ، فالاقليم الواقع إلى الغرب من سبخة مطى هو من ديار آل مرة والمناصير بشكل لا يقبل الجدل إلى درجة أن المملكة المتحدة ، بعد أن حاولت الادعاء بمورد مياه بنيان نيابة عن أبو ظبي عام ١٩٣٤ م ، سارعت وتخلت عن هذا الادعاء ولم تعمل على تجديده منذ ذلك الوقت (الفقرة ٢٣ من الفصل الخامس) .

٣٢ – ولا جدال هناك فى أن لبعض أفراد بنى ياس ممتلكات فى الجواء ، ولم يسبق قط أن قيل بأنه يجب عدم احترام حقوق التملك هذه ، وهذا صحيح بغض النظر عن جنسية أولئك الأفراد المعنيين من بنى ياس ، ولكن الواقع أن الأغلبية العظيمة مما يسمى بقبيلة بنى ياس فى الجواء هى جماعة المزاريع الذين أظهروا وأكدوا ولاءهم مراراً وتكراراً للمملكة العربية السعودية . وقد سردت الإقرارات البارزة عن ذلك من جانب فارس بن غانم أكبر شيوخ المزاريع ومن جانب آخرين فى الفصل الثالث .

٣٣ – ونعرض فيما يتعلق بمنطقة البريمى أن الحقائق الواردة فى الفصل الثالث تؤيد وجهة النظر القائلة بأن أصحاب واحة البريمى هم أفراد قبيلة نعيم الموجودون هناك وهى قبيلة لها تاريخ طويل لعلاقاتها الوثيقة مع آل سعود . وقد أكد كبار شيوخ هذه القبيلة ، وكذلك شيوخ القبائل الهامة المجاورة مثل بنى كعب وبنى قتب والبلوش ، ولاءهم بشكل رسمى للمملكة العربية السعودية ، وقد أشير فى الفصل الثالث إلى بيانات تتعلق بهذا الأمر تحت عناوين أسماء القبائل . والجدير بالذكر أن الكثير من هذه المبايعات (مثال على ذلك الملاحق ٤٨ و ٤٩ و ٥٩ – ٦٦) قدمت فى الوقت الذى كانت

فيه القوات البريطانية عاكفة على تنفيذ التضييق على الأهلين فى تلك المنطقة ، الأمر الذى يعكس الشعور القوى بالوحدة الذى كان يحدوهم فى ذلك . وبالنظر إلى الضغط الذى كان يفرضه البريطانيون ، فإنه يمكننا أن نفهم بسهولة أية بيانات قد تنقصها الصراحة التامة .

٣٤ ــ وكما هى الحالة مع « بنى ياس » فى الجواء ، فإن المملكة العربية السعودية لا تنكر أن بعض أفراد آل بو فلاح بما فيهم حاكم أبو ظبى نفسه هم من كبار الملاكين فى البريمى ، أو أنهم مارسوا بعض سلطات الإشراف على أتباعهم فى تلك الأملاك . وتتمشى مثل هذه الأعمال مع ما هو معمول به عند وجهاء العرب . ولكن المملكة العربية السعودية ترى أنه إذا كان هناك ثمة مظهر من هذا النوع فينبغى أن ينظر إليه على أنه أقرب إلى « سلطة رب البيت على عائلته » كما هو وارد فى القانون الرومانى القديم ، منه إلى ممارسة لسلطة الدولة.[٢] ولا تريد المملكة العربية السعودية أن تدخل فى بحث الطريقة التى حصل بها آل بو فلاح على الأملاك فى البريمى ، مع أن بياناً من بعض أفراد بيتهم (الملحق ٩٣) يوحى بأن الطرق التى اتبعت كانت على الأقل تبعث على الريبة . وعلى أى حال فليس من الغريب أن يمتلك رئيس دولة ما أراضى كملك خاص له داخل أراضى دولة أخرى دون أن يستدل على نشوء سيادة ما من وراء ذلك . ومثال على ذلك فى منطقة الخليج الفارسى بالذات ، بساتين النخيل الشاسعة التى يمتلكها حاكم الكويت فى منطقة شط العرب فى العراق ، فعلى الرغم من كونها موضوعاً للجدل بين الحاكم وحكومة العراق إلا أنه لايدعى ،

---

(٢) يجب الإشارة هنا إلى أن المذهب المالكى فى الشريعة الإسلامية ، الذى يتبعه آل بو فلاح ، يعترف بسلطات واسعة لرب العائلة . انظر كمثال على ذلك كتاب فيزى فتزجرالد عن « القانون الإسلامى » (١٩٣١ م) ص ١٤ . وهناك دراسة قصيرة عن التأثير القوى للقانون الرومانى على الفقهاء المسلمين القدماء فى كتاب ماكدونالد « أصول الدين والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام » ص ٨٤ ــ ٨٧ .

حتى قبل تسوية مسألة حدود الكويت مع العراق ، بأن هذه الممتلكات تمنح الحاكم أية سلطات عامة فى تلك المنطقة .[٣] وهناك مثل آخر وهو الممتلكات الواسعة التى يملكها فى مصر ملك ليبيا الحالى وأفراد آخرين من عائلته . ومع أن جزءاً كبيرا من هذه الممتلكات يقع قرب الحدود فى واحتى سيوه والداخلة ويقطنها ليبيون من رعايا الملك ، فليس هناك بالطبع مجال للشك فى أنها أراض مصرية .

٣٥ — إن الطابع السعودى لأهم القبائل فى المناطق المتنازع عليها لا يتجلى فى مظاهر ولاء السكان بشكل عام فحسب ، بل يتجلى أيضاً فى الإدارة الفعلية والإشراف على تلك المنطقة . وبموجب النظام المرن السائد فى المملكة العربية السعودية — حيث لم تدع الضرورة إلى إيجاد طبقات من الموظفين فى جميع الميادين تتولى إقامة حكم فعال — يحتفظ رؤساء القبائل بسلطات واسعة وذلك بموجب صلاحيات خولتها إياهم الحكومة المركزية . ومع أن هؤلاء الرؤساء ينتخبون من قبل أفراد قبائلهم طبقاً لعادات الصحراء القائمة منذ القدم ، إلا أن بقاءهم فى مناصبهم يتوقف على قبول الملك لهم ، كما أنهم مسؤولون أمام الملك عن سلوك أتباعهم واحترامهم للنظام . إن هذا النوع من الأعمال الإدارية ذو طابع غير رسمى ، كما أنه غير مثقل بالإجراءات المطولة أو السجلات الكتابية ، بيد أن هذه الأعمال هى على كل حال أعمال حقيقية فعالة . وفى الواقع كان طابع أية حكومة عربية فى جزيرة العرب تصريف أعمالها بأقل ما يمكن من الاعتماد على التدوين والأوراق . ويصعب أحياناً على الأشخاص غير الملمين بمجتمع له مثل هذا التنظيم أن يقدروا هذا النظام حق التقدير . فهم إذ ينظرون إلى ممتلكات الاستعمار الأوربى يجدون أنها تتمتع بجهاز إدارى كامل يسير جنباً إلى جنب مع التنظيم القبلى ، ومن ذلك يسهل عليهم الاستنتاج

(٣) لونجريج « العراق من ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠ » (١٩٥٣ م) ص ٢٦٦ .

بأن التنظيم القبلى قليل الأهمية أو ليست له أهمية إطلاقاً كنظام للحكم . قد يكون هذا صحيحاً إذا ما فرضت هذه الحكومة من قبل دولة أجنبية ، إلا أنه أبعد ما يكون من الصحة عندما تكون الدولة ذات السيادة منبعثة من صميم البلد وعندما تكون السلطتان المركزية والقبلية منسوجتين على نفس المنوال .(١)

٣٦ – ويترتب على وجهة النظر هذه أن مجرد وجود القبائل السعودية فى تلك المناطق يشير إلى وجود قسط فعال من السلطة السعودية بغض النظر عن وجود موظف مكلف بالعمل عن طريق الحكومة المركزية مباشرة أو عن طريق الحكومة الإقليمية . والواقع أن زيارات مثل هؤلاء الموظفين إلى المناطق القليلة السكان مثل تلك المناطق كانت تتم فقط فى أوقات متباعدة ، وقد تدل فترة طويلة بين هذه الأوقات على أن الأمور تسير على ما يرام تحت إشراف سلطة الرؤساء المعتادة بحيث أنها لا تتطلب أى تدخل من قبل السلطات العليا . وأن الموظفين ، كما سيتضح من الجزء التالى من هذا الفصل ، يحضرون عادة بين الفينة والأخرى لجمع الضرائب والنظر فى أية شكاوى حول العلاقات بين القبائل المختلفة . وكذلك فإنه إذا ما نشأت أية صعاب من دولة أخرى، فإن الحكومة تتولى زمام الأمور مباشرة ، لذلك فإن إرسال تركى آل عطيشان إلى البريمى (الفقرة ٨٥ من الفصل الخامس) قد جرى بناء على طلب الرؤساء المحليين الذين شعروا بضرورة وجود ممثل للملك هناك لمجابهة النشاط البريطانى المتزايد .

---

(١) «ان الدولة الوهابية التى بحثنا أعمالها آنفاً ما هى إلا صورة مكبرة لنظام الحكومة القبلية الذى أثبتت الأيام صلاحه» . هاريسون «العرب فى ديارهم» (١٩٢٤) ص ١٣٩ . الدكتور هاريسون طبيب أمريكى مارس مهنته عدة سنوات فى مسقط والبحرين والكويت، وقد تجول كثيراً فى شرق جزيرة العرب ، كما أتيحت له بفضل مهنته فرص استثنائية للتعرف على الأهالى وأسلوب معيشتهم .

ج – جمع الزكاة

٣٧ – من بين مختلف الأعمال التى تدل على صحة ادعاء دولة ما بحيازة فعلية ، نعرض أن هناك أمرين لهما الأهمية القصوى فى إثبات هذا الادعاء وهما جباية الضرائب والمحافظة على الأمن العام . إن هذين الأمرين – دون الأمور الأخرى – ينطويان بالضرورة على وجود سلطة قائمة فى الإقليم نفسه بوسعها أن تفرض الطاعة ، وهذه القوة التى تفرض سلطانها هى المحك الأساسى لتقرير ما إذا كانت دولة ما قد اكتسبت – أو لم تكتسب – سلطة فعلية على شعب أو على أرض . وفى المناطق المتنازع عليها هنا كانت سلطة جباية الضرائب ومعاقبة المجرم من اختصاص المملكة العربية السعودية تمارسها منذ مدة طويلة بحرية وبحزم .

٣٨ – أن الضريبة المفروضة على سكان المناطق المتنازع عليها كانت – وما زالت – الزكاة التى فرضتها الشريعة الإسلامية . وفى التذييل (ب) من هذا العرض (المجلد الثانى) يبحث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية فى جامعة القاهرة حقيقة هذه الضريبة فى الشريعة الإسلامية والنظرية القانونية المتعلقة بها . وقد أعد الترجمة الإنكليزية لهذا الرأى الدكتور ادوين كالفرلى أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية السابق فى مؤسسة هارتفورد . وكذلك يوجد فى التذييل (ب) سرد عن الزكاة كما تعرف وتجبى فى المملكة العربية السعودية طبقاً لهذه المبادئ القديمة . ويكفى فى هذه المرحلة أن نؤكد بأن الزكاة هى ضريبة حقيقية لا تفرض إلا من قبل صاحب السيادة وتستحق على أفراد الرعية . وعلى الرغم من الالتباس الناشىء عن سوء تطبيق الكلمة أحياناً على أنواع أخرى من الرسوم ، فإن الزكاة ليست أتاوة سياسية كما أنها ليست هبة اختيارية تقدم إلى زعيم دينى بحت مثل « دراهم بطرس » التى يجمعها البابا .

والزكاة – وهي في الأصل عبارة عن مبلغ مقدر لإغاثة الفقراء والمساكين – كانت منذ القدم الضريبة الرئيسية العامة المفروضة على المسلمين . ويقع على عاتق من يجمعها واجب ناشئ عن جمعها يقتضى حماية الذين يؤدونها إذ – كما سبق أن قيل – « لا جباية إلا بحماية » .

٣٩ – لقد كان جمع الزكاة طبعاً مظهراً معتاداً للسلطة السعودية في المناطق المتنازع عليها ، تلك السلطة القديمة العهد التي بدأت في عام ١٧٩٥ م . وكما اتضح من البحث الوارد في الفصل الرابع ، فإن عملية جمع الزكاة هذه لم تجر جزافاً ، وإنما كانت عملية منظمة ومرتبة بكل عناية . وتبعاً للمبدأ القديم الذي أشير إليه ، كان دافعو الضرائب يتلقون مقابل ذلك قسطاً كبيراً من الحماية عند تأديتهم لأعمالهم المشروعة .

٤٠ – إن جمع الزكاة في البلاد العربية السعودية اليوم يخضع في جوهره لأنظمة قررت في مناسبات متعددة كما جرى مثلا في عام ١٩٢٥ م (التذييل (ب) في المجلد الثاني) كلها تتمشى تماماً مع الشريعة الإسلامية . وعلى الرغم من أن نسبة تقدير الزكاة تظل ، طبقاً لهذه القواعد ، دون تغيير إلا أن المبالغ والكميات التي تجبى تختلف اختلافاً كبيراً باختلاف أحوال الخصب والجدب التي تؤثر في نمو الحيوانات . وفي المناطق المعينة هنا يقع جمع الضرائب على عاتق أمير المنطقة الشرقية . وكما هو معمول به في هذا الإقليم فإن الضريبة تفرض في الدرجة الأولى على المواشي – الإبل والغنم – ولكنها قد تفرض على المنتجات الزراعية أيضاً .

٤١ – وببعث الدولة السعودية في عهد الملك الراحل عبد العزيز أعيدت تدريجياً سلطة آل سعود التقليدية على سكان المناطق المتنازع عليها هنا . وقد جرت إعادة هذه السلطة بكل همة ونشاط بعد تعيين الأمير عبد الله بن جلوى أميراً للحسا أثر طرد الأتراك في عام ١٩١٣ م ومنذ ذلك الحين تولى موظفون

فى خدمته جمع الزكاة فحلوا محل الموظفين السابقين الذين كانوا يرسلون قبلا من الرياض (الفقرة ٣١٦ من الفصل الرابع) ، ولم يبق من تلك الأيام التى لم تتسم بمثل هذا الطابع الرسمى من السجلات المنظمة سوى النزر اليسير . غير أن نشاط عمال الزكاة لم يقتصر على إجراءاتهم الكتابية إذ أنهم خلفوا وراءهم آثاراً انطبعت فى ذهن دافعيها[٥] وفى كتابات مراقب بريطانى واحد على الأقل .[٦]وقد أيدت بيانات نجل عبد الله بن جلوي ، وهو الأمير الحالى (الملحق ٩٤) ، وبيانات بعض الموظفين وجباة الضرائب المعنيين (الملاحق ٩٥ — ٩٧)[٧] ان الضرائب كانت تحصل من جميع القبائل فى المناطق المتنازع عليها خلال الحكم الطويل لعبد الله بن جلوى كما كانت تحصل فى السنوات الأخيرة . إن الجباة لم يتوصلوا بالفعل إلى كل مقاطعة وكل قبيلة سنوياً ، والسبب فى ذلك معروف فى أنظمة الضرائب الأكثر تعقيداً من هذا النظام ، إذ قد تكون حصيلة الضرائب أصغر من أن تستحق تجشم عناء العمل ونفقات التحصيل . وفى عدة حالات كان المسئول يرى أن الأمر لا يستدعى أكثر من جباية عرضية . ولكن هذا يعود إلى تقدير عامل الزكاة ، فهو — كما يتضح لدى القيام بأية زيارة لهذا القصد — لا يعنى فقدان السلطة أو حق جباية الضرائب.

٤٢ — وخلال السنوات العشرين الأخيرة كانت دفاتر الزكاة المتعلقة ببعض القبائل والأراضى المعنية هنا ، تحفظ فى أمانة المحفوظات الإقليمية . ومن بين هذه الدفاتر نقلت ثمانية عشر بكاملها فى المجلد الثالث من هذا العرض . وهى الدفاتر التى يعتقد أن لها أهمية خاصة فى إعطاء فكرة عن عملية جمع الزكاة السعودية .[٨] وعند دراسة هذه الدفاتر يجب أن يوضع نصب العين أنها لا تعطى

(٥) انظر البيانات التى أدلى بها زعماء المناطق المتنازع عليها وأعيانها فى الملاحق ٩٨ — ١٠٧ .

(٦) برترام توماس ، كما ذكر فى الفقرة ٣٤٧ من الفصل الرابع .

(٧) القبائل المذكورة فى هذه الملاحق تشمل آل مرة والمناصير والعوامر وآل راشد والدروع والمزاريع والبلوش وبنى قتب وبنى كعب والمناهيل ثم آل بو شامس وآل بو خريبان من نعيم .

(٨) انظر الصور الشمسية لهذه الدفاتر فى المجلد الثالث .

صورة كاملة عن أعمال جمع الزكاة ، وذلك لأن هذه الدفاتر ، التى كانت تودع فى المكاتب الإقليمية بالهفوف وتتألف من المذكرات الموجزة التى كان يحتفظ بها الجباة ، إنما كانت تختص فى الدرجة الأولى بالقبائل الكبيرة التى تؤدى الزكاة ، مثل آ ل مرة والمناصير ، ولم تتعرض للقبائل الأخرى إلا بصفة عرضية . وتدل بعض الأخطاء العرضية فى الأرقام على أنه لم يقيد فى الدفاتر كل ما يدفع بالفعل ، وإنما كان يسوى حساب ذلك على أساس المذكرات التى تحرر فى مكان العمل .(٩) ومن جهة أخرى فقد أدى جهل الكتاب الحضر بالقبائل البدوية المعنية إلى شىء من الإبهام واللبس فيما يتعلق بانتماء الأفراد إلى القبائل المختلفة وبأماكن الجباية . وللحصول على بينات إضافية بخصوص جمع الزكاة من القبائل والأماكن التى لم تشملها الدفاتر يمكن الرجوع إلى بيانات الموظفين الواردة فى الملاحق ٩٤ — ٩٧ وبيانات دافعى الزكاة الواردة فى الملاحق ٩٨ — ١٠٧ .

٤٣ — وعلى الرغم من هذا القصور المعترف به ، فإن هذه الدفاتر المنقولة تبين الأعمال المتواصلة من جانب الموظفين السعوديين خلال عدة سنوات بين القبائل فى المناطق المتنازع عليها . وتحتوى الدفاتر المقدمة على أعمال السنوات المتصلة من عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ — ١٩٣٦ م) إلى عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ — ١٩٥١ م) وهى فترة خاصة فى تاريخ النزاع الحالى ، وذلك باستثناء عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ — ١٩٣٩ م) الذي لم يحتفظ منه إلا بصفحات قليلة . وتورد الدفاتر اسم كل فرد دفع الزكاة ، ومجموع المبلغ الذي دفعه ، كما تبين فى كثير من الأحيان — ولكن ليس فى جميع الحالات — اسم قبيلته أو جماعته ،

---

(٩) مثال على ذلك انه يوجد فى دفاتر عام ١٣٥٥ (المجلد الثالث ، ص ١٧) رقم أدرج متأخراً بمبلغ ٤٦٠ ريالا تسلمت من فالح بن شويشان كبير الجباة وفيما عدا ذلك لم يذكر شىء عن مصدرها .

ثم مكان الجباية. وبطبيعة الأمر يغلب فى الدفاتر ذكر أفراد آل مرة والمناصير ،[١٠] ولكن ثمة أيضاً مدفوعات من أفراد من العوامر ونعيم والمزاريع ومن جماعات أخرى ، على الرغم من أن أفراداً معروف أنهم ينتمون لهؤلاء لم تبين هويتهم هذه بوضوح فى تلك السجلات .[١١]

٤٤ – وتشمل أسماء المواقع الموجودة فى المناطق المتنازع عليها والواردة فى الدفاتر رقعة كبيرة من شبه جزيرة قطر من جهة الغرب فى اتجاه شرقى خلال الظفرة. وفى حالات كثيرة أدرجت المدفوعات على اعتبار أنها جمعت فى الظفرة فقط ، دون أى تحديد آخر.[١٢] ولكن ذكر فى حالات أخرى اسم نقاط معينة ، ولا تكاد تكون ثمة حاجة للقول بأن هذه آبار أو مراع طيبة يقصدها عدد كبير من الأهالى المجتذبين من رقعة أوسع فى الداخل . وكثير من هذه النقاط توجد فى الإقليم الواقع عند قاعدة قطر .[١٣] وأحد أسباب ذلك هو أن هذه المنطقة الوفيرة المياه تعد معبراً يمر عليه عدد كبير من البدو القادمين من جهات أبعد ، فى رحلاتهم بين الحسا وقطر والظفرة . ويمكن أن يلاحظ أيضاً أن عدداً من الأماكن

(١٠) لم تقدم خمسة دفاتر للسنوات من ١٣٥٣ هـ إلى ١٣٥٨ هـ (١٩٣٤ – ١٩٤٠ م) وهى تتعلق بأكلها بمدفوعات الزكاة من آل مرة خلال هذه المدة ، إذ يظهر أنه من غير الضرورى تجميع بينات عن هذه القبيلة التى لا جدال فى سعوديتها .

(١١) وعلى سبيل المثال لهذه الجماعات يمكن الرجوع إلى المجلد الثالث ، ص ١٧ (المزاريع) و ص ٢٧ (العوامر والمناهيل ونعيم) و ص ٤٧ (المزاريع ونعيم) و ص ٧٦ – ٧٧ (المزاريع والعوامر وآل حباب) و ص ١٠٩ – ١١١ (المزاريع بما فى ذلك جماعة الفندى) . ومثال من دفتر واحد (رقم ١٠ لعام ١٣٦٢ هـ) لأفراد من مثل تلك الجماعات مختلطين بآخرين من دافعى الضرائب ، يوجد أفراد من نعيم (ص ١٧٤ و ١٧٦) ومن المناهيل (ومفردها منهالى ، ص ١٨٤ و ١٩٥) ومن العوامر (والمفرد عامرى ، ص ١٨٤ ، وكذلك ثعيلب بن صقر ، ص ١٩٤) ومن آل بو فلاح (ومفردها فلاحى ، ص ١٩٣) ومن آل حباب (ومفردها حبابى ، ص ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦) .

(١٢) ومثال على ذلك المجلد الثالث ، ص ٣٧ و ١١٧ – ١١٨ و ١٣٢ و ٢٢٢ – ٢٢٣ و ٢٥٠ – ٢٥١ .

(١٣) وأبرزها العريق (المجلد الثالث ، ص ٧٦ ، ١٠٩ ، ٢١٨ – ٢٢٠ ، ٢١٧ – ٢٤٩ ، ٣٣٢ – ٣٣٧) .

المذكورة أسماؤها لا تقع فى المناطق المتنازع عليها ، وإنما تقع فى أراض إلى الشمال وإلى الغرب لا جدال فى سعوديتها . وبينما قد لا تعتبر الجبايات التى تمت فى هذه النقاط متعلقة تماماً بالموضوع ، إلا أنه لم يكن فى الإمكان عملياً حذفها حين طبع السجلات . وعلاوة على ذلك فما لا يخلو من مغزى أن هذه الوثائق تدل على أنه لم يكن ثمة تفريق، فى ذهن الموظفين السعوديين المشتغلين بالأعمال المالية فى ذلك الوقت ، بين أماكن داخلة فى المناطق التى يدعى بها الجانب الآخر فى الوقت الحاضر وبين أماكن خارجة عنها . بل كانوا يعتبرونها كلها أرضا سعودية كانوا ينفذون فيها أوامر حكومتهم .

٤٥ – إن الدفاتر المعروضة فى المجلد الثالث تورد بيانات للضرائب المحصلة على الماشية ، وخصوصاً الإبل ، دون المنتجات الزراعية وهذه الضرائب هى التى تجمع عادة والسبب فى ذلك واضح فى النواحى الصحراوية من المنطقة الشرقية . وبسبب وعورة الأرض وصعوبات المواصلات فإن الضرائب التى تجبى عيناً على الإبل لها فائدتان، إذ لا تمشى الجمال بنفسها إلى الخزينة فحسب، بل إنها أيضاً تستخدم فى نقل أكياس النقود القليلة نسبياً التى تحتوى على المدفوعات النقدية . ومن جهة أخرى فإن مجموع المنتجات الزراعية الخاضعة للضريبة فى هذه المناطق ليس كبيراً ؛ إذ أنها تتألف فى الدرجة الأولى من التمر الذى يصعب نقله بكميات كبيرة نظراً لضخامة حجمه . ثم إن جلبه عبر الصحراء إلى مزارع النخيل الغنية فى واحة الحسا ليس – من الناحية الاقتصادية – من الحكمة فى شيء . وتبين الجباية السعودية للضرائب ، فى الجواء مثلا ، التى سجلت بعض الحالات منها فى المجلد الثالث ، (١٤) تبين هذه الاعتبارات التى من أجلها وجه أكبر الاهتمام إلى الإبل .

(١٤) توجد حالات من ذلك فى المجلد الثالث ، ص ٧٧ ، ١١٧ – ١٣٣. وهناك كثير من الأشخاص الذين لهم ممتلكات فى الجواء وقد جبيت منهم الضرائب طبعاً فى أمكنة أخرى وسجلوا تبعاً لذلك .

٤٦ ـ وهذه الاعتبارات نفسها هى السبب من جهة فى أن الدفاتر المعروضة لا تبين جباية الضرائب فى البريمى نفسها . فإن تمر البريمى ، خلاف ما هو ضرورى للاستهلاك الفورى ، لم يكن يسترعى اهتمام الجباة القادمين من الحسا ، ثم أن الإصرار على تحصيل ما يقابل ذلك نقداً كان من شأنه أن يسبب مصاعب لدافعى الضرائب الذين لا يتوفر لديهم عادة الكثير من النقد . ومن جهة أخرى فإن الإبل التى يملكها سكان البريمى ـ وهم يتركونها عادة خارج البريمى فى مناطق المراعى الصحراوية ـ تجبى عليها الضريبة حيث يصادفها الجباة ، وفى بعض السنوات لم تجر الجباية فى تلك المناطق المترامية . إلا أنه مما تجدر ملاحظته أنه حيثما كانت تفرض الضرائب ، كما كان يجرى ذلك بين الحين والآخر ، كان الأهالى المحليون يدفعونها عن طيب خاطر (الفقرتان ٣٤٢ ، ٣٥٩ فى الفصل الرابع فيما سبق) وأما فى الأمور المتعلقة بالنظام العام ، كما سيجرى بحث ذلك فى القسم التالى ، فقد كانت هناك على الدوام يد حازمة تعمل بشكل مستمر وظاهر .

٤٧ ـ من المحتمل أن بعض الأشخاص من بين المئات الذين ذكرت أسماؤهم فى الدفاتر المعروضة ، لا يعتبرون أنفسهم من رعايا الحكومة العربية السعودية . على أن هذا الاحتمال لا يشكل أساساً للطعن فى طبيعة الزكاة كضريبة حقيقية . بل على العكس من ذلك ، فإننا نعرض أن ذلك عبارة عن اعتراف بأن المملكة العربية السعودية هى صاحبة سيادة إقليمية تملك الحق فى أن تفرض الضريبة داخل حدودها على رعاياها وعلى الأجانب على حد سواء . أما أنه قد سجل تحصيل ضرائب كثيرة فى « قطر » فينبغى ألا يساء تأويل ذلك بحيث يلقى ظلالا من الشك على طبيعة الضريبة من الناحية الإقليمية ، لأن هذه الجباية قد تمت داخل ذلك الجزء من شبه جزيرة قطر الذى يعتبر تابعاً للبلاد العربية السعودية ، وأن ما يمثله ذلك من ممارسة السلطة كان عاملا هاماً فى وضع الخط

العربى السعودى عام ١٩٤٩ م ، ويمكن أن يلاحظ أن ذلك الخط كان متحفظاً جداً ومعتدلا فى تحديده للمناطق المجاورة لقطر مما كان خاضعاً من قبل لسلطة الملك .

٤٨ – إن السجلات الثمانية عشر التى تقدم صورها تدل على جباية حصيلة تزيد على مليون من الريالات السعودية . وبينما لا يعتبر ذلك المبلغ خيالياً ، إلا أنه على الرغم من ذلك يعد مبلغاً جسيما . فبالنسبة لعدد دافعى الضرائب والمستوى العام للثروة تبدو هذه حصيلة معقولة . وهى على كل حال ليست تافهة بحيث يمكن تفسيرها بأنها مجرد تبرع اختيارى ، وعلى العموم ، فإننا نعرض بأنها تكون سجلا يبين بجلاء فعالية الحكم السعودى وعدالته .

د – المحافظة على الأمن العام

مرادنا مصلحة البلاد وتسكين العباد وانقطاع الفتن .(١٥)

٤٩ – فيما يتعلق بالمحافظة على الأمن العام ، وهو العمل العظيم الآخر الذى يدل على الحيازة الفعلية ، نعرض أن الادلة التى تقدم نيابة عن المملكة العربية السعودية لها أيضاً وزن كبير . ان سجل الأمن والنظام للقرن التاسع عشر الميلادى سبق أن جرت الإشارة إليه (الفقره ٢٣ السابقة) . أما السجل الخاص بالسنوات الأخيرة التى تبدأ من عهد حكم الملك الراحل عبد العزيز ، فلا يقل وضوحاً عن الأول ، فمنذ اليوم الذى تولى فيه عبد الله بن جلوى فى عام ١٩١٣ م مهمته أميراً مندوباً عن الملك فى إقليم الحسا ، وصل عدل الحكومة إلى أقصى نواحى المنطقة ، فى حين أن عدم استقرار الأمن حتى على طرق القوافل

---

(١٥) أوردها الوكيل البريطانى فى الشارقة عام ١٨٥٤ م ، عن أحمد السديرى أمير البريمى السعودى (الفقرة ١٩٣ من الفصل الرابع) .

الرئيسية ، خلال الاحتلال التركى ، أشهر من أن يذكر . إلا أنه لم تمض سنوات قليلة على طرد الأتراك حتى تمكن مراقب معاصر محايد — الدكتور بول هاريسون الذى نقل عنه فيما سبق — من أن يكتب ما يلى :

> لقد سافرت فى جزيرة العرب مع قافلة كان يحمل أحد جمالها مبلغ أربعين ألف روبية . وكان هذا المبلغ جزءاً من دخل الحسا مرسلا إلى الرياض . وكانت الرحلة عبارة عن خمسة أيام عبر الصحراء الخالية . ولم يكن بصحبة القافلة أى حارس كما لم يحاول أحد كتمان أمر المبلغ . لقد ساهمت بنفسى عدة مرات فى تحميل المبلغ على ظهر الجمل . وتسلم جمال عادى من البدو المبلغ فى الحسا مع كتاب يبين قيمته . وبعد خمسة أيام سلمها فى الرياض وتقاضى أجراً بسيطاً على عمله . ولم يستغرب أحد باستثناء الأجنبى الغربى — نقل الأموال بالطريقة هذه.(١٦)

٥٠ — ولكى يعطى هاريسون فكرة عن الأمير الذى عمل على إيجاد هذه الحالة من الطمأنينة (وكان هاريسون يعرفه معرفة طيبة) كتب يقول :

> لكن الوكيل الرئيسى لابن سعود وأقوى أمرائه فى شرق جزيرة العرب هو ابن جلوى أمير الحسا وهو رجل لا يقل روعة فى أسلوبه عن رئيسه . وتعلقه بابن سعود و بمبدأ العدل الذى لا يعرف فيه هوادة أو ليناً ، مضرب الأمثال فى جميع أرجاء البلاد . . . ولم يحز حاكم فى جزيرة العرب ، باستثناء الملك نفسه ، تقدير جميع العرب كما حاز عليه أمير الحسا العادل الشديد . . . إن اسم ابن جلوى يحسب له كل حساب فى جميع أرجاء شرق جزيرة العرب .(١٧)

ولقد توفى عبد الله بن جلوى عام ١٩٣٥ م ، إلا أن مستوى الإدارة الفعالة الذى وضعه ، بقى محتفظاً به كلياً من جانب ولده سعود بن عبد الله بن جلوى الذى خلفه فى المنصب .

٥١ — إن النظام الذى أقامه الأمير عبد الله بن جلوى بسرعة على الجزء

---

(١٦) هاريسون « العرب فى ديارهم » ص ١٤٥ .

(١٧) هاريسون « العرب فى ديارهم » ص ١٣٤ و ١٣٦ و ١٣٨ . إن الأجزاء المحذوفة من المقتطف تعطى أمثالا عن أعمال ابن جلوى .

الأوسط من المنطقة ، جرى توسيعه فوراً بعد ذلك حتى وصل إلى الأقاليم المترامية وتحدث حاكم أبو ظبي فى كتاب منه إلى الملك عبد العزيز عام ١٩٢٠ م عن العمل العظيم الذى كان يقوم به ابن جلوى ، كما أبدى سروره للتعاون معه فى هذا الصدد (الملحق ٣) . ويحسن بنا أن نبين مرة أخرى أنه لم تبد أية بادرة من الحاكم حينئذ تدل على أن الأمير قد تجاوز حدود سلطته ، على أنه يذكر أن سعيد آل فيصل أحد الموظفين الذين يعملون فى خدمة ابن جلوى ، قد توجه فى هذه الفترة بالذات ، بناء على تعليمات الأمير ، إلى المناطق المجاورة للبريمى لتطبيق العدالة على قاتل هارب . وألقى القبض على المجرم المدعو زاهر ابن قضعان العرجانى وسجن فى البريمى ثم نفذ فيه حكم الإعدام علنا فى السوق بناء على أوامر سعيد (الملحق ١٠٨) .

٥٢ ـ وفى الملحق ١٠٩ بيان مستفيض للأمير سعود بن عبد الله بن جلوى يتناول بالتفصيل تسعاً وعشرين حادثة على سبيل المثال تبين تصرف الموظفين السعوديين فيما يتعلق بالجرائم مرتكبيها فى المناطق المتنازع عليها . وهذه الأمثلة تخللت الفترة من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م ـ ١٩١٩ م) حتى عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ، أى قبيل بداية الخلاف الحالى . وكان مسرح هذه الحوادث يمتد من المناطق المجاورة للبريمى عبر عرقان غرباً للظفرة والمجن ، كما يتضح من بعض الحوادث المسرودة فى الملحق ١٠٩ . وعدد منها يتعلق بممتلكات منهوبة أو مسترجعة فى الجواء أو بجوارها كما يظهر من حوادث أخرى فى نفس الملحق . ويتكون أكثر القضايا من سرقات الجمال ، وهى أبرز أشكال الأموال المنقولة ، إلا أنه توجد قضايا نهب بين الفينة والأخرى . ولعله من المفيد أن نسرد هنا ونحن فى هذا الصدد حادثتين تمثلان الحوادث المذكورة تماماً وإن باعد الزمان والمكان . ففى الأولى (فى أعلى الصفحة الأولى من الملحق) التى وقعت عام ١٢٤٣ هـ (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ م) يظهر سعيد آل فيصل ، المذكور فى الفقرة السابقة ، مرة أخرى

وأكان (غزا) الدحبة بن الوكش من الخميس وسالم بن رضه من العوامر وبنى كتب وأخذوا خمسين ناقة من بنى ياس على الرميثات حول السميح بين أبو ظبى ودبى وأداها مندوبنا سعيد الفيصل وخوياه على النسورية[١٨] وصد بعضهم لبلدان عمان ولحقهم وأداها منهم ويعرفون أهل عمان السنة المذكورة بصولة المناصير .

وبعد مضى اثنى عشر عاماً وعلى بعد عدة أميال إلى الغرب ، حيث تقع المجن ، وقعت الحادثة التالية (فى أسفل الصفحة الثامنة من الملحق) عام ١٣٥٥ ﻫ (١٩٣٦ — ١٩٣٧ م) .

أدى من صالح بن عزيز وأخوه حميد وأخوه على وأحمد بن فطيش المطاوعة ومن آل بو منذر المناصير وسيف بن عقيدة آل بو رحمه المناصير تسع نياق وأربع بنادق وخنجرين بواسطة خادمنا محمد السهيلى (السهلى) فى المجن على غدير اللال سنة ١٣٥٥ ونكلو حول عشر نياق .

ويوجد خمسة وعشرون مثالا آخر فى الملحق الذى اقتطف منه المثلان الواردان أعلاه كما أن هناك أمثلة أخرى تحويها ذاكرة بعض الأفراد مدرجة فى الملحقين ١١٠ و ١١١ .

٥٣ — هناك عدة نقاط يجب ألا تغرب عن البال عند النظر فى هذه الحوادث المسرودة فى بيان الأمير سعود . أولا أن القائمة ليست احصاء شاملا فهى تعطى أمثلة فقط ، تستند إلى السجلات غير الكاملة ، وإلى ذاكرة الموظفين الذين اشتركوا فى هذا العمل . وفى عدة حالات أخرى كان الموظف المسئول يقوم بتصفية سريعة للحادثة فى موقعها فلا تدون ولا يحتفظ لها بتسجيل . وثانياً ، إن هذه الحوادث كانت كلها فيما بين القبائل . أما الحوادث التى تقع ضمن القبيلة نفسها فتعالج عادة من قبل رؤساء القبائل . وثالثاً ، يجب أن لا يغرب عن البال أن جميع هذه الحالات تتعلق بسكان لا يكونون عدداً

---

(١٨) تقع فى نهاية ثلثى الطريق من أبو ظبى إلى البريمى ، إلى الشمال من خط مستقيم يصل بين البلدتين .

كبيراً وليسوا على مقدار من الثراء ، كما أنهم متشبعون على مضى السنين بروح الاحترام لقوانين الحكومة . ومن أعظم الأعمال التى تمتاز بها الإدارة السعودية ، ردع الناس عن ارتكاب الجرائم بالإضافة إلى انزال العقاب بمرتكبيها . وإن نجاح هذا القمع يظهر فى قلة عدد الجرائم التى وقعت . أما إذا قارنا بين الأماكن والفترات التى لم يسر فيها الحكم السعودى وبين تلك التى كانت خاضعة له ، فان أهمية هذا العمل العظيم تبرز لنا بشكل واضح . ومثالا على ذلك تاريخ البيت الحاكم فى أبو ظبي المشمول بالحماية البريطانية (١٩).

٥٤ – وعلى ضوء ما تقدم نعرض أنه يجب أن نعتبر أن المملكة العربية السعودية قد حافظت فى السنوات الأربعين الأخيرة – كما فعلت فى القرن التاسع عشر الميلادى – على الأمن العام بدرجة فعالة فى جميع المناطق

---

(١٩) وفيما يلى رواية السر لايونل هيورث ، المعتمد السياسى البريطانى السابق فى الخليج الفارسى ، وهى تلقى الضوء على هذه النقطة بدون أى تعمد : « منذ بضع سنين ، توفى شيخ أبو ظبى – وهى المشيخة الرئيسية فى الخليج الفارسى – تاركاً عدة أبناء . فورثه ولده الأكبر وعقب مرور بضع سنوات على حكمه دعاه أخ له إلى العشاء ، وعندما غادر الشيخ الدار عقب العشاء اتبعه أخوه حتى أسفل الدرج وبعد أن أطلق الرصاص عليه باستهتار من الخلف تولى الحكم فى مكانه . وبعد مرحلة قصيرة وجه أخ آخر دعوة عشاء للشيخ الجديد ، وما أن غادر الشيخ المكان بعد العشاء وبدأ ينزل السلالم حتى اغتنم المضيف هذه الفرصة السعيدة فأطلق عليه النار من الخلف وتولى الحكم مكانه . لقد كان هذا الأخ هو الشيخ عندما توليت منصب المعتمد ، ولم يسبق لى أن رأيت رجلا ارتسمت على وجهه أمارات الخوف مثل هذا الرجل . لقد أعطيته على الأغلب سنة واحدة ليبقى حياً إلا أنه أثبت خطئى ، إذ عاش ثمانية عشر شهراً. فقد دعاه أخ له إلى العشاء غير أنه لم يطلق عليه الرصاص من الخلف فقد وقع الشيخ فى كمين رصد له فى طريق عودته وأطلق الرصاص عليه من الأمام. وكان الأخ الأخير حكيماً فوضع ابن أخيه على العرش والآن يدبر أولاد الرجل الذى قتل فى المرة الأخيرة خططهم لقتل الشيخ الجديد . إنى واثق من أن بعض من يقرأ هذا الكلام سيتساءل لماذا لا نضع حداً لهذا الوضع ؟ وفى طوايا الجواب نجد المبدأ الذى سأعلنه فيما بعد بكامله . فحتى نفعل هذا يجب علينا أن نسيطر على البر الرئيسى وهو ما لا نرغب فى أن نفعله . إذ أنه يعنى توسع الإمبراطورية البريطانية . ولا يمكنك فى مثل هذا العمل أن تقف فى منتصف الطريق مهما كانت عندك الرغبة فى أن تفعل ذلك » . هيورث « فارس والخليج الفارسى » مجلة جمعية آسيا الوسطى ، مجلد ١٦ (١٩٢٩ م) ص ٥٠١ .

المتنازع عليها . إن عدل الدولة لم يقم على أساس سجلات مفصلة ، إذ ليس بالوسع دائماً تقديم خلاصات صغيرة مرتبة للقضايا ، غير أن نشر لواء هذا العدل كان سريعاً راسخاً . وكما تدل البيانات فان الأهالى كانوا يرجعون إلى سلطة الحكومة إذا ما مسهم ضر أو حل بهم ظلم ولم تخيب هذه السلطة آمالهم فى ذلك . ومع أن الإجراءات المتخذة كانت سريعة وليست ذات طابع رسمى إلا أن الجميع كانوا يعتبرونها فعالة ونزيهة . وإن قبول الأهالى لذلك هو بدوره خير دلالة على لياقة هذه السلطة فى نظرهم كما أنه رفع من شأن فعاليتها .

هـ — بينات أخرى :

٥٥ — ومن بين البينات التى تؤيد موقف الحكومة العربية السعودية تود المملكة العربية السعودية أن تلفت النظر بوجه خاص إلى البيان (الملحق ١١٢) المتعلق بخور العديد الذى قدمه مؤخراً الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثانى الذى حكم قطر من ١٩١٣ حتى ١٩٤٩ م ، عند ما تنازل لولده الحاكم الحالى . ونعرض هنا أن لهذا البيان قيمته الخاصة لا لأن الشيخ عبد الله كان يشغل منزلة رسمية رفيعة فى فترة كان يجرى فيها بحث طويل بين الحكومة العربية السعودية والحكومة البريطانية بشأن خور العديد فحسب ، بل لأنه كان على علم وطيد بالأحداث التى وقعت فى منطقة الخليج خلال الأعوام الخمسة والسبعين الماضية .

٥٦ — ويؤكد الشيخ عبد الله فى بيانه

> . . . إن مما لا شك فيه هو أن جميع من سكن العديد فى الماضى ينتمون إلى رعوية آل سعود وأن العديد تابعاً لآل سعود ولقد بينا ذلك فى مناسبات عديدة لبعض الرجال الرسميين عن اعتقادنا وسجلنا معلوماتنا هذه فى معظم المذكرات

وبعد شرح التفصيلات المتعددة التى تعزز ذلك لاحظ أنه

ولولا معرفتنا التامة أنه لآل سعود ما والله كنا نخليه ساعة واحدة لأن كيف يكون لأهل أبو ظبي وهذا موقعه منا لكننا نعرف كيفية حالته وتابعيته إنه لآل سعود .

٥٧ – ويجب التعرض أيضاً بصورة خاصة لما كتبه بعض الرحالة الذين زاروا المناطق المتنازع عليها فى السنوات الأخيرة ، وقد شاهدوا الأحوال السياسية القائمة هناك ونشروا ملاحظاتهم بعد ذلك بلغة غربية من اللغات الأوروبية . أما الرحالة الثلاثة البارزون فالجدير بالذكر أن جميعهم بريطانيون وهم برترام توماس وسن جون فلبي وولفرد تسيجر ، وقد سبقت الإشارة فى الفقرة ٢٤٧ من الفصل الرابع إلى ما صادفه توماس عام ١٩٢٥ م عند ما أخفق فى الوصول إلى البريمى (على الرغم من أنه كان موظفاً عند سلطان مسقط) ، وأبلغ عن نشاط جباة الضرائب السعوديين هناك . ونحو هذا التاريخ ذاته علم الكابتن اكلز التابع للجيش الهندى خلال رحلة قام بها إلى داخل عمان ، علم بهذا النشاط وكتب عنه (الفقرة ٣٤٥ من الفصل الرابع) .

٥٨ – ويصف فلبي فى كتابه عن رحلته التى قام بها عام ١٩٣٢ م عبر الربع الخالى المحادثة التالية التى دارت مع رئيس ادلائه المدعو على بن صالح بن جهامان من آل مرة :

كان على آل جهامان يركب ناقة كبيرة بيضاء اللون تعد أحسن نياق قافلتنا ، ويسير فى الطليعة إلى جانب زايد الذى كان على ظهر ناقته الدرعية ، وكان على يتحدث عن تجاربه مع جماعة من جباة الضرائب توجهت مؤخراً إلى الأقاليم الجنوبية الشرقية على طول حدود عمان حيث كان قد عاد من الرحلة فى بداية شعبان ، وقال إنه كثيراً ما كان يرى حمار الوحش الذى يتردد على شعاب الغاف قرب جبل حفيت فيقتله . . . أثار اهتمامى أنى سمعت منه أن نفوذ ابن سعود محسوس اليوم فى جميع منطقة الظاهرة ، كما يسمون المنطقة الواقعة غربى جبال عمان ، وبالطبع فإنها تضم البريمى التى كانت مركزاً وهابياً منذ زمن قديم ، وعبرى أيضاً على ما ظهر . إن

> بعثات جباية الضرائب هذه لا تكاد تأتى إلا بما يغطى نفقات إعدادها وإرسالها ، ولكنها تقوم بنشر مبادىء السلم الوهابية والوحدة فى جزيرة العرب . وتمتد موجات الحكم المستقر ببطء ولكن باطراد من المركز نحو الخارج ويمكن اعتبار المناصير اليوم على أنهم من رعايا ابن سعود الذى يطلب منهم القليل فيما عدا قبول سلطته والمحافظة على السلم العام.[٢٠]

٥٩ – وقام ولفرد تسيجر برحلة تستحق الذكر خلال الفترة من أكتوبر ١٩٤٦ م إلى فبراير ١٩٤٧ م عبر الربع الخالى إلى أن بلغ أطراف منطقة الجواء . ولكنه امتنع عن دخول أية قرية هناك للأسباب التالية التى يذكرها فى تقريره الوارد فى المجلة الجغرافية البريطانية :

> فلو أننا تقابلنا مع أحد من جباة الضرائب فمن الأرجح أن يأخذنا معه إلى الهفوف لتبرير موقفنا حيث أنه عثر علينا هنا دون أن يكون لدينا إذن من ابن سعود.[٢١]

ويجدر بالمرء أن يقابل بين هذا الحذر الذى غلب على أعمال تسيجر وبين وجهة النظر التى أبداها فيما بعد من أن العرب فى الجواء يدينون بالولاء «لأبو فلاح» ، أى مشايخ أبو ظبى ، ولنا أن نلاحظ لدى تقدير قيمة وجهات النظر هذه أنها أبديت بعد أن أخذ النزاع الحالى يتبلور .[٢٢]

٦٠ – وختاماً ، يجدر بنا أن نذكر فى هذا الصدد ما قاله تسيجر فى تأبينه لتوماس الذى نشر فى المجلة الجغرافية البريطانية عام ١٩٥١ م ، فى مجال

---

(٢٠) فلبى « الربع الخالى » (١٩٣٣ م) ص ٢٨ .

(٢١) تسيجر «عبر الربع الخالى» المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١١ (١٩٤٨م) ص ٦–٧ .

(٢٢) تسيجر ، «رحلة أخرى عبر الربيع الخالى» المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٣ (١٩٤٩م) ص ٤٠ . « تخوم عمان الصحراوية » المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٦ (١٩٥٠ م) ص ١٤٠ .

مقارنته لرحلات توماس ورحلات فلبي فى الربع الخالى ، من أنه كان لفلبي امتيازات معينة إذ كانت تقف :

> وراءه سلطة ابن سعود البعيدة المدى ، وكان بإمكانه كمسلم يتمتع بتأييد ابن جلوى أمير الحسا الذى يرهبه الناس فى طول البلاد وعرضها ، أن يمر بكل حرية فى أراضى آل مرة ، القبيلة القوية ، فى حين أن توماس كان يتعرض لأعظم الأخطار من هذه القبيلة ... لقد كان سلطان مسقط وواليه فى ظفار على علاقات ودية معه (أى مع توماس) ولكن سلطتهما الفعلية لم تمتد حتى إلى جبال القرا الواقعة على مسافة أربعة أميال عبر السهل من حصن صلالة. (٢٣)

(٢٣) تسيجر « برترام سدنى توماس » فى المجلة الجغرافية البريطانية ، مجلد ١١٧ (١٩٥١ م) ص ١١٩

٤ – موضوع فترات الانقطاع

٦١ – لقد سرد فى الفصل الرابع كيف اغتصب عزان بن قيس إمام عمان القصر الرئيسى فى البريمى فى يونيو ١٨٦٩ م من الأمير السعودى عبدالرحمن السديرى مع أن سلطة عزان لم تمتد إلى جميع القرى الأخرى . وفى ذلك الوقت كان عزان مسيطراً على كل عمان الداخلية وعموم ساحل مسقط ، كما أنه كان قد انتخب للإمامة حسب الأصول الاباضية . ولكن البريطانيين لم يعترفوا به قط حاكماً شرعياً على مسقط ، وكذلك فإن احتلاله لم يكن ليظل هادئاً مريحاً . ففى خريف عام ١٨٦٩ م قام السر لويس بلى المعتمد السياسى البريطانى بإبلاغ حكومة الهند أن أهالى المنطقة كانوا لا يريدون عزان بل عبد الله بن فيصل آل سعود . وبعد وفاة عزان بقليل فى يناير ١٨٧١ م عادت قوة سعودية إلى احتلال البريمى وعين محبوب بن جوهر أميراً عليها . وقد ظلت السلطة السعودية التى أعيد تأسيسها قائمة مدة سنتين ونصف غير أنه ما أن حل عام ١٨٧٣ م حتى جعلت المتاعب التى كانت تواجه آل سعود فى أواسط جزيرة العرب من المستحيل مؤقتاً الاحتفاظ بالسلطة العادية للحكومة المركزية على منطقة البريمى . وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر زادت متاعب آل سعود هذه وكثرت واحتل ابن رشيد الرياض فى عام ١٨٨٧ م ، ولو أن قبضته عليها لم تتمكن إلا فى عام ١٨٩١ م . وبعد بضع سنوات من المقاومة العنيدة انسحب عبد الرحمن آل سعود إلى الكويت ، ومن هناك جدد نجله عبد العزيز الكفاح فى عام ١٩٠١ م وبدخوله إلى الرياض نهائياً فى يناير ١٩٠٢ م بدأ إحياء الدولة السعودية من جديد .

٦٢ – وقد حلت فى منطقة البريمى ، بعد توقف السلطة السعودية فى عام ١٨٧٣ م ، فترة اتسمت بالاضطراب الظاهر وانعدام النظام (الفقرة ٢٦٣

من الفصل الرابع فيما سبق) . وسادت الحالة حروب بين القبائل مزمنة يتخللها فترات من المناورات السياسية . وقد بقيت قبيلة نعيم أقوى الجماعات المحلية فى واحة البريمى نفسها وفى المناطق المجاورة لها مباشرة وكان رؤساؤها يعتبرون أنهم يصرفون الأعمال نيابة عن آل سعود ، فى انتظار عودة هؤلاء إلى الحكم (الفقرة ٢٤٠ من الفصل الرابع) . وبالتالى لا يصح أبداً أن يقال أن النفوذ السعودى قد قضى عليه . وفى القرن العشرين كان الشيخ زايد حاكم أبو ظبى قد حصل على أملاك فى البريمى ، ومارس عليها نفوذاً ملموساً بسبب شخصيته القوية وثروته الكبيرة نسبياً ، بيد أن الدلائل تشير بوضوح إلى أن نفوذه كان يقتصر على الإقناع ويقف عاجزاً من الإلزام . فهو لم يستطع قط أن يخضع السكان المحليين أو يقيم النظام العام بقمع الغزو . وفى السجلات البريطانية الرسمية وحدها، دون أن تبحث فى غيرها ، يبدو أن حوادث ذلك العهد كانت سلسلة رتيبة من التهديد والغارات والمعارك والاغتيالات وأعمال السلب والشغب والفوضى . أما بالنسبة لسلطة سلطان مسقط فهى لم تكن معدومة فى الداخل فحسب بل ان المعارضة الموجودة هذه كانت من القوة والفعالية حتى أن أهل الداخل استولوا منه فى عام ١٨٩٥م على مدينة مسقط ، وأرغم على الفرار عن طريق أسطحة المنازل إلى الوكالة البريطانية .

٦٣ – ويجمع المراقبون الأجانب القلائل الذين زاروا إقليم البريمى فى هذه المدة ، يجمعون بصورة عامة على أن هذه الأراضى الداخلية لم تكن تحت السيطرة الفعالة لأى من الحكام المجاورين . فقد وجد الكولونيل مايلز ، الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط الذى وصل إلى البريمى فى عام ١٨٧٥ م ، أن الجماعة المسيطرة كانت قبيلة نعيم المحلية . ويصف المبشر الأمريكى الدكتور زويمر الواحة التى سافر إليها فى عام ١٩٠١م بأنها خاضعة لحكم رؤسائها وأنها لا « تزال مركزاً وهابيا » [١] وعند ما تعرض لوريمر

(١) استشهد بهذه الأقوال فى الفقرتين ٢٤٨ و ٢٩٢ من الفصل الرابع .

لهذا الموضوع لدى أعداده دلياه بعد خمس أو ست سنوات ، ذكر أن حدود أبو ظبى كانت فيما قبل تصل فى الشرق إلى « واحة البريمى ، ولكن دون أن تدخل الواحة فى نطاقها »[٢] وبعد صفحات قليلة نراه يتكلم عن «واحة البريمى المستقلة »[٣] ومع ذلك فإن هذا قد سطر قبيل وفاة زايد وفى أوج عظمته وقوته ، وهما عظمة وقوة يمكن القول بأن أحداً من خلفائه لم يستطع أن يبلغ شأوهما .

٦٤ — وبعودة آل سعود إلى سلطتهم الوراثية فى الرياض فى عام ١٩٠٣م ظهرت بوادر نهاية ذلك العهد المضطرب . ومع أن إقامة أمير سعودى جديد فى الحسا لم تتم قبل مضى عشر سنوات ، إلا أن عبد العزيز أوضح للبريطانيين منذ البداية أنه يفكر فى إعادة فرض السلطة السعودية على جميع ممتلكات آبائه وأجداده (الفقرات ٣٠٤ — ٣٠٦ من الفصل الرابع) وقد بدأت القبائل تعلم — حتى قبل إعادة أية إدارة سعودية رسمية فى هذه المناطق — ان ثمة مرة أخرى سلطة فى الرياض ينبغى أن يحسب لها حساب . ثم بدأ إعادة فرض النفوذ المباشر على القبائل بعد وصول عبد الله بن جلوى إلى الهفوف . وقد سرد تاريخ هذه الأعمال فى القسم السابق ، وكانت هذه السلطة تمارس بصورة مرضية مدة سنوات عن طريق القبائل وزيارات رسمية من وقت لآخر . ولكن الضغط البريطانى المتزايد فى السنين الأخيرة أدى — كما ذكر من قبل — إلى تعيين أمير سعودى مرة أخرى فى البريمى عام ١٩٥٢ م .

٦٥ — وعلى ضوء المبادىء العامة التى أوردت من قبل ، فما هى النتيجة النهائية للسجل الذى قدم هنا ؟ إننا نعرض أنه بينما يبين هذا السجل فترة

---

(٢) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٥ .
(٣) لوريمر ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٩ .

ضعفت فيها السلطة السعودية فى المناطق المتنازع عليها ، إلا أن هذه الفترة لم تكن باعتبار تلك الظروف لتضعف الحق السعودى الذى اكتسب بطريق مشروع قبل ذلك بسنين . وهناك أربعة اعتبارات يمكن تقديمها لتأييد وجهة النظر هذه . فأولا ، لم تكن ثمة نية سعودية للتخلى عن المنطقة وإنما نجم توقف السلطة عن ضرورات الحرب . وثانياً ، أن تقطع السلطة — طالما أنه لم تكن هناك نية للتخلى — لم يكن بحكم طبيعته ليهدم الحيازة الفعلية من جانب المملكة العربية السعودية ، وذلك بموجب القواعد التى نوقشت فى الفقرات ١٣ — ١٧ السابقة من هذا الفصل . وبهذه المناسبة يذكر أنه كان فى « قضية خليج ديلاجوا » فترة انقطاع دامت ٣٢ عاماً ، وقد أتت هذه الفترة بعد ثغرات سابقة ومع ذلك لم تعتبر — بالرغم من وجود إدعاء مضاد معروف — مما يهدم حق السيادة . وثالثاً ، لم تقم دولة أخرى خلال فترة الإنقطاع بإقامة حيازة فعلية فى الإقليم بالقدر الذى يقضى على الحقوق السابقة للمملكة العربية السعودية . إن الفوضى والاضطراب ثم مشاهدات الرحالة تنبىء جميعاً أنه لا حاكم أبو ظبى ولا حاكم مسقط قد مارسا أى سلطة ثابتة على البريمى أو المناطق الأخرى . ولم يكن السكان فى ذلك الوقت خاضعين لأية سلطة مركزية ، غير أن الشعور الموالى لآل سعود بقى غالباً عليهم . ورابعاً ، فبمجرد أن عادت القوة السعودية إلى الظهور طالب بها معظم السكان ودعوها إلى إقامة نفسها مرة أخرى عليهم وعلى أراضيهم . ويجب ألا ينسى بهذه المناسبة أنه حتى عام ١٩٠١م ، أى بعد عدة سنوات من انقطاع الإدارة الرسمية السعودية ، وجد الدكتور زويمر أن البريمى « لا تزال مركزاً وهابياً » وكما قيل فى قضية جرينلاند الشرقية « بقى التقليد الخاص بحقوق الملك حياً » .

٦٦ — وبموجب المبادئ التى وضعها السر أريك بكيت والتى أوردت

---

(٤) سلسلة ا/ب، رقم ٥٣ ، ص ٤٧ . وهدسن « تقارير المحكمة الدولية مجلد ٣ ، ص ١٧٢ .

فى الفقرة ١٥ السابقة ، يمكن القول بأن المملكة العربية السعودية ، بانسحابها غير الاختيارى من المناطق المتنازع عليها قد احتفظت بحق الأولوية وفى عادة سلطتها هناك . وهذا الحق خولها أن تبقى معتبرة صاحبة السيادة ما لم تنشىء دولة أخرى حقاً أقوى عن طريق الحيازة الفعلية لتلك الأراضى أو إلى أن تنشىء دولة أخرى هذا الحق . ويبدو من الدلائل أن دولة أخرى لم تفعل ذلك وأن السلطة السعودية قد استؤنفت فى وقتها ، على أنه إذا اعتبر أن أهل الإقليم قد أصبحوا مستقلين خلال هذه المدة فى الحقيقة وفى القانون، فإن النتيجة النهائية لن تتغير ، لأن أغلبية أولئك الأهالى تقدموا لتأكيد ولاءهم للجانب السعودى بمجرد عودة السلطة السعودية للظهور ، مع إبداء كل دلائل الرضا والارتياح . لذلك نعرض أنه أياً كانت وجهة النظر التى يبحث منها الموضوع ، فإن فترة الانقطاع التى طرأت على السلطة السعودية فى ١٨٧٣ م لم تضع حداً للسيادة السعودية على المناطق المتنازع عليها .

٥ – النتائج

٦٧ – وخلافاً لدلائل السيطرة السعودية الفعالة التى درست فى الأقسام السابقة من هذا الفصل ، نعرض هنا أنه لا حاكم أبو ظبى ولا سلطان مسقط قد مارسا قط قسطاً مماثلا من السلطة فى المناطق المتنازع عليها . وربما أن كلا الحاكمين قد مارسا النفوذ أحياناً على أشخاص أو جماعات فى هذه المناطق ممن كانوا مرتبطين معهما بأواصر الدم أو المصلحة أو ممن كانوا مؤقتاً فى مرمى بنادق أتباعهما ، الا أن هذه الحوادث المتفرقة لا يصح أن تعتبر اظهاراً متصلا لسلطات السيادة من جانب أى من الحاكمين . وكذلك ربما أن حاكم أبو ظبى تسلم فى السنوات الأخيرة بعض سلال التمر من الجواء وغيرها ، الا أن هذه الهدايا إلى شيخ له يصح أن تشوه فى حقيقتها بحيث تعتبر ضرائب من النوع المنصوص عليه فى الشريعة الاسلامية . وكذلك ينبغى ألا ينسى أن الناس – بما فى ذلك سكان المشيخات أحياناً – كانوا يلجأون دائماً إلى أمير الحسا حين السعى وراء استرداد الأشياء المسروقة أو وراء معاقبة المجرمين.

٦٨ – وكذلك تعلم المملكة العربية السعودية أنه منذ عام ١٨٧١ م تظاهرت الحكومة البريطانية بأنها « تعترف » بامتداد أراضى حاكم أبو ظبى غرباً حتى تصل إلى خور العديد (الفقرتان ٢٣٥ و ٢٤٦ من الفصل الرابع) وأن هذا الادعاء قد تكرر فى عدة مناسبات تالية . وحتى بغض النظر عن أن هذه التصريحات لا تزيد على اعتراف المرء لنفسه لا عليها ، فإن هذه التصريحات التى تقوم على الورق لا يمكن أن تؤثر بحال من الأحوال على حقوق المملكة العربية السعودية . أما أن المملكة العربية السعودية كانت تعلم عن هذا الأمر فى حينه أو لا تعلم ، فإن هذا لا يغير حقيقة الأمر فى كثير أو قليل . ويجدر بنا هنا أن نقتطف الكلمات التى أوردها القاضى هوبير فى « قضية بالماس » عندما كان

يبحث أثر معاهدة تخطيط حدود بالنسبة إلى دولة ثالثة أبلغت إليها نصوص هذه المعاهدة بصورة رسمية . ولنا هنا أن نلاحظ أن وضع الدولة الثالثة هذه بالنسبة للمعاهدة أقل قوة من وضع المملكة العربية السعودية بالنسبة إلى « اعتراف » غير رسمى صادر من جانب واحد وهو ما نحن بصدده الآن . أما كلمات القاضى هوبير فكانت :

> . . . فى حين أن العقل قد يقبل القول بأن تخطيط الحدود بموجب اتفاق إذا ما أبلغ إلى دولة ثالثة دون أن يلقى احتجاجاً منها يمكن أن يؤثر على حق مبدئى يستند إلى إظهار فعلى للسيادة ، إلا أن الافتراض بأن هذه السيادة يمكن أن تتأثر بمجرد سكوت الدولة صاحبة السيادة الإقليمية عن وجود معاهدة أبلغت بها وتنطوى على التصرف بجزء من أقاليمها — ان هذا الافتراض مناقض تماماً للمبادىء التى ذكرت آنفاً والتى تتعلق بالسيادة الاقليمية.[1]

وعلاوة على ذلك فمن رأى المملكة العربية السعودية أن أبو ظبى لم تتخذ قط أية اجراءات حيازة فعلية بخصوص خور العديد لتلبس الموقف البريطانى ثوباً من الحقيقة . وقد سبقت الاشارة إلى أقوال حاكم قطر المتقاعد (الملحق ١١٢) فى هذا الموضوع فى الفقرة ٥٥ السابقة .

٦٩ — وبالاختصار فإننا نعرض أنه لا حاكم أبو ظبى ولا سلطان مسقط قد ملكا قط من السلطة ما يكفى لتثبيت أى منهما بصورة فعالة فى المناطق المتنازع عليها هنا . بل أنه كان من المستحيل عليهما أن يفعلا ذلك بدون مساندة البريطانيين. وحتى السنوات الأخيرة امتنع البريطانيون بثبات عن التدخل فى شئون شرق جزيرة العرب خارج القرى الساحلية ، وقد أكدوا مراراً وتكراراً أن اهتمامهم موجه بصورة خاصة إلى الأمن البحرى فى الخليج الفارسى . وقد يتدخلون من وقت لآخر للمحافظة على المدينة الخاصة بأحد الحكام من السقوط

---

(١) سكوت « تقرير محكمة لاهاى » (السلسلة الثانية) ص ٩٧ . والأمم المتحدة « تقارير أحكام التحكيم الدولية » مجلد ٢ ، ص ٨٤٣ .

ولكنهم لم يكونوا يفعلون ذلك على الدوام ، إذ كانوا يتحاشون فى حرص أن يمنحوا أيا من الحكام ضماناً إقليمياً محدداً . أما انشغال البريطانيين المؤثر بالممتلكات الداخلية لحكامهم الواقعين تحت الحماية ، فيعود إلى عهد جد قريب . أن احتجاجات اليوم لا يمكن أن تبدل حقيقة تاريخية هى أن أبو ظبى ومسقط لم تسيطرا قط بصورة فعالة على المناطق المتنازع عليها وأن الحكومة البريطانية لم تكن يهمها كثيراً إذا فعلتا أم لم تفعلا . وان مقارنة ذلك ومقابلته بالسجل الطويل للسيطرة السعودية لأمر مثير للعجب والإعجاب معاً . ونحن نعرض هنا أنه على أساس الأداة فإن المملكة العربية السعودية ، والمملكة العربية السعودية وحدها ، يمكن أن تعتبر مستوفية للشروط التى يتطلبها القانون الدولى لاكتساب السيادة على المناطق التى تدرسها الهيئة الآن وحيازتها هذه المناطق .

الفصل السابع

اعتبارات أخرى

١ ـ النظام البريطاني فى الخليج الفارسى :

١ ـ ان المملكة العربية السعودية إذ تتناول اعتبارات لها طابع غير قانونى وتتعلق ـ فى نظرها ـ بالمسائل المعروضة على الهيئة ، تلفت الانتباه أولا إلى نقطة أساسية وهى الطبيعة الشاذة التى يتسم بها اليوم النظام السياسى السائد فى الخليج الفارسى الذى أقامته الامبراطورية البريطانية خلال القرن التاسع عشر الميلادى . والمملكة العربية السعودية إذ تقوم بذلك ، لا تنوى أن تناقش السلطة القانونية البحتة التى تخول للمملكة المتحدة العمل فى هذا التحكيم نيابة عن حاكم أبو ظبى وسلطان مسقط ، ولكنها تبدى أن هذا الأثر القائم لعصر التوسع الامبراطورى ليس بالنظام الذى يتمشى مع مقتضيات العصر الحديث ولا مع أمانى سكان منطقة الخليج ، كما أن توسيعه إلى أن يبلغ المناطق المتنازع عليها هنا ليس مما يتفق مع الشعور الطبيعى للأهالى أو مع روح هذا العصر . ونحن نعتقد أن مثل هذا التوسيع لن يكون عادلا من حيث المبدأ ولا مرضياً من الناحية العملية .

٢ ـ أخذ النظام البريطانى فى الخليج الفارسى يتبلور فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، وكان يسوده مدى السنين الطوال التى أعقبت ذلك عاملان رئيسيان وهما حماية المصالح التجارية والملاحية البريطانية وتأمين سلامة خطوط الامبراطورية التى كانت تصل ما بين بريطانيا والهند ، وهى خطوط ربما كانت

تتعرض للخطر إذا قامت دولة قوية أخرى بالتمركز فى منطقة الخليج . وكما تحقق بريطانيا القسم الأول من هذه السياسة ، فرضت على حكام قرى ساحل جزيرة العرب سلسلة من الترتيبات بقصد وضع حد لأعمال السلب والنهب فى البحر ، وكفلت لكم حاكم مقابل ذلك قسطاً من الحماية البحرية ضد منافسيه وبذلك أصبح شيوخ الساحل معتمدين فى بقائهم على السلطة البريطانية ، ونظراً لضعفهم وقلة جدواهم فقد ظلوا فى وضع جعل التقدم أمراً مستحيلا ، وان يسر المحافظة على سلطان بريطانيا وسطوتها . ولتحقيق القسم الثانى من هذه السياسة تحركت بريطانيا للعمل على مقاومة امتداد نفوذ أية دولة أخرى إلى منطقة الخليج فنجحت فى صد فرنسا وروسيا وألمانيا جميعاً فى أوقات مختلفة فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وكذلك كان الأمر بالنسبة لمحمد على باشا فى القرن التاسع عشر عند ما انطوت حركاته ضد السعوديين — وكانت بريطانيا أول الأمر تنظر اليها بعين الرضى — على تهديد بوصول قواته إلى ساحل الخليج فى جزيرة العرب ، كما أخذت ترقب بارتياب أية محاولة من جانب تركيا لتعزيز مركز لها فى الخليج ، وكذلك أية محاولة عربية أخرى تظهر منها أية بوادر من شأنها أن توحد عرب الجزيرة فى دولة ذات شأن .

٣ — لقد كان أيسر وأسهل كثيراً ، طبقاً لوجهة النظر البريطانية ، أن تتعامل بريطانيا مع عدد من الحكام الصغار على طول ساحل الخليج الفارسى وكذلك فى مسقط ، من أن تجابه دولة واحدة قد تكون أقل استجابة لرغباتها . ان الحركات الاتحادية ، وأهمها تلك التى أوحت بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى التوحيد وحمل لواءها آل سعود ، كانت موضع شك بريطانيا وارتيابها الشديد . واتبعت بريطانيا فى الخليج على نطاق ضيق السياسة المتعلقة بالجامعة الإسلامية التى وصفها بإيجاز عام ١٩١٩ م المستر ريان (الذى أصبح فيما بعد السر اندرو ريان الوزير المفوض البريطانى فى جدة المشار إليه فى الفصل الخامس السابق) بالعبارات التالية :

. . . إننا عاجزون عن سحق فكرة الجامعة الإسلامية بقدر ما نحن عاجزون عن سحق الحركات الوطنية في الغرب. يجب أن يكون هدفنا التفرقة والرياء والسيطرة . ومن الضروري أن نفرق ثم نرائي لأننا لا نريد أن يتكتل المسلمون كوحدة حول المبدأ الأساسي الذي أصبح الآن شبه منسي ، وهو المبدأ القائل بأنه لا ينبغي للمسلمين أن يحكمهم غير مسلم.[١]

٤ ــ أن الأسباب الأصلية التي كانت تبرر موقف البريطانيين في الخليج الفارسي قد تلاشت منذ ذلك الحين . فإن الخطر الذي كان يهدد البحار لم يعد مشكلة ، وبتحرير الهند والباكستان لم تعد مواصلات الامبراطورية البريطانية موضع الاهتمام في نظر البريطانيين كما كان عليه الحال في السابق. وبتضاؤل قيمة هذه الاعتبارات ، ظهر عامل جديد جعل البريطانيين يوطدون العزم على الاحتفاظ بسلطانهم في مسقط ومشيخات ساحل الصلح . وهذا العامل هو احتمال وجود معين من البترول في جنوب شرق جزيرة العرب كالذي سبق أن عثر عليه في أماكن أخرى في إقليم الخليج . ففي غالبية هذا الجزء من الجزيرة تقوم دويلات ضعيفة تعتمد كلياً على بريطانيا ، يتوقع أن تكون منقادة « لمشورة » بريطانيا والأخذ بها ، أو أن تكره على قبولها إذا ما دعت الضرورة لذلك . وقد كان هذا الوضع بالنسبة للبريطانيين مرغوباً فيه لدرجة قصوى ، إذ كان بإمكانهم أن يلجأوا إلى منطق مخادع مدعين أنهم يتعاملون مع هؤلاء الحكام طبقاً لعرفهم التقليدي ، وأنه لا جديد هناك في هذه العلاقات.

٥ ــ إلا أنه طرأ بعد ذلك تحول ملحوظ أحاط اللثام عن حقيقة هذا التبدل في تعاملهم . ففي سبيل ضمان البريطانيين الاشراف على امكانيات الثروة المعدنية الكامنة ، وجدوا للمرة الأولى أن من الضرورة أن يهتموا مباشرة بأمر الحدود البرية لتلك المشيخات. وهذا هو تفسير اهتمامهم المفاجىء بالأمور الإقليمية التي لم

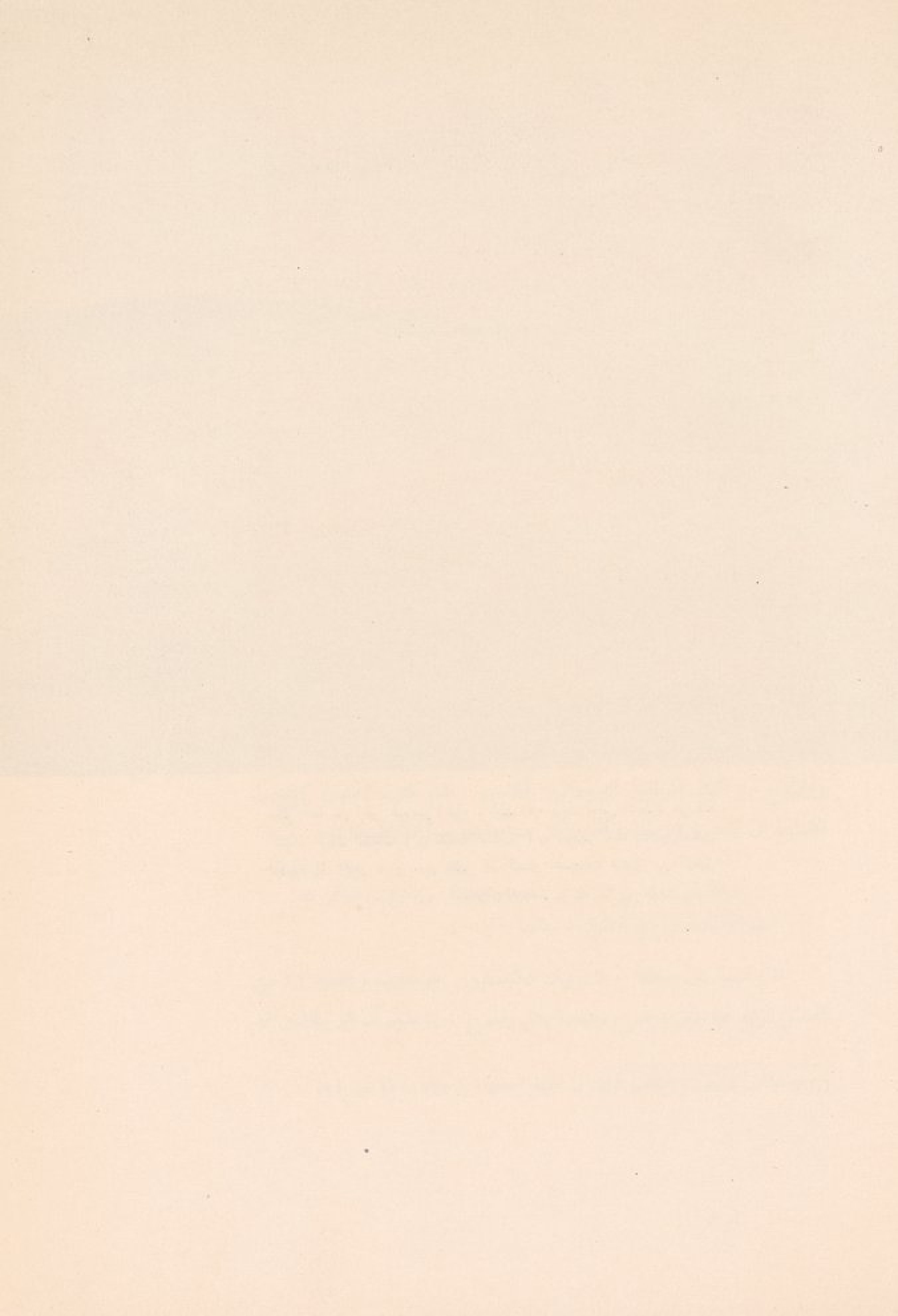
(١) مقتطفة من ودوارد وبتلر وثائق عن السياسة الخارجية البريطانية من ١٩١٩ – ١٩٣٩ » السلسلة الأولى ، مجلد ٤ (١٩٥٢ م) ص ١٠٠٣ .

يكونوا ليعلموا من أمرها إلا قليلا ويعنوا بها أقل إلى ما قبل بضع سنوات قليلة . ولم يكتشف البريطانيون قيمة هذه المناطق الصحراوية بالنسبة لهم إلا مؤخراً فقط ففى المحادثات التى جرت مع فؤاد بك حمزة فى لندن فى شهر سبتمبر ١٩٣٤ م وصف الموظفون البريطانيون المشيخات العربية بأنها « عديمة الأهمية » باستثناء مسقط ، (الملحق ٩) . وإن تصميمهم الحالى « على مساعدة الحكام ذوى الشأن فى تعزيز سلطتهم » (الملحق ٨٤) لا يمكن اعتباره ألا فى مصلحتهم الخاصة أو من قبيل الصدفة العرضية . وإن تقديم الادعاءات فى السنوات الاخيرة التى يعتقد أنها لا تستند على أساس من الواقع أو القانون ، يخدم فقط فى أن يجعل الدافع لذلك أكثر جلاء ووضوحاً . وأن رجالا أمثال مطلق المطيرى وأحمد السديرى وغيرهما ممن حكموا البريمى باسم آل سعود ، ليعتبرون مثل هذه الادعاءات ما هى إلا محض افتراء فى الواقع .

٦ — ومن الممكن فى هدا الصدد ، الملاحظة بأنه لم يقم البريطانيون إلا فى مارس ١٩٥١ م بتكوين القوة المعروفة بقوات ساحل عمان ، وهى قوات مستقلة كلياً عن أى من الحكام المفروض بأنها تعمل فى أراضيهم ، أضف إلى ذلك أنها وضعت صراحة « تحت سلطة المعتمد السياسى فى الخليج الفارسى وادارته » .[٢] وإن إنشاء هذه القوات يشير بوضوح إلى عزم البريطانيين على الاحتفاظ بمركزهم فى هذه الأراضى بغض النظر عن مشيئة الحكام المعنيين، لم يقابل بالارتياح فى حينه من جانب المملكة العربية السعودية . وقد بلغ عدم الارتياح هذا ذروته عند ما عززت هذه القوات بأفراد من جنود الجيش العربى الأردنى . كما أنه لم يخفف من حدته اهتمام البريطانيين بدعم قوات سلطان مسقط بقيادة

---

(٢) نظام قوات ساحل عمان ، رقم (١) لعام ١٩٥١ م ، صدر فى ١٩ مارس ١٩٥١ م عن المعتمد السياسى بموجب الصلاحيات المخولة له طبقاً للمادة ٨٢ من نظام دول ساحل الصلح عام ١٩٥٠ م فى الجريدة الرسمية للخليج الفارسى ، الملحق رقم (١) (١ أكتوبر ١٩٥٣ م) ص ٢٤١ — ٢٤٣ .





منظر أخذ من الجو لجزء من الجواء ، تظهر فيه بيوت بعض السكان على قمة كثبان الرمال الضخمة (فى مقدمة الصورة) ، ويظهر أحد بساتين النخيل الكبيرة إلى اليمين ، فى حين تظهر إلى اليسار مجموعات صغيرة من النخيل المعروفة بالغيوط .

ضباط بريطانيين . وإن هذا الازدياد فى النشاط العسكرى الذى يوجهه البريطانيون فى شرق جزيرة العرب قد أدى إلى بعث شعور القلق فى نفوس الجميع ممن لهم إلمام بحركات التوسع البريطانى فى الماضى .

٧ – أن المملكة العربية السعودية تعتقد اعتقاداً جازماً ، بأنه لولا البريطانيون لما كانت هناك صعوبات جدية فيما يتعلق بهذه الحدود . وكما يتبين من السرد التاريخى فى الفصل الرابع فقد تعامل آل سعود بكل نزاهة وإنصاف وتسامح مع الزعماء والأهالى ممن لهم علاقة بهذا النزاع مدة تزيد على المائة والخمسين عاماً. وتشير الرسائل الواردة من حاكم أبو ظبى الراحل فى الملحقين ٢ و ٣ ، إلى علاقات الود التى كانت قائمة ، وهذه بينة قوية حيث كان البريطانيون يبذلون الجهد للحيلولة دون تبادل مثل هذه المراسلات . ويعود المرء بذاكرته إلى البيان الذى أدلى به حاكم قطر فى مؤتمر الدمام عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) (الفقرة ٧٥ من الفصل الخامس فيما سبق) وتدخل البريطانيين آنئذ مما قضى على اتجاه باعث على الأمل نحو إيجاد تسوية .

٨ – وأما كون سيطرة البريطانيين على سياسة مسقط ومشيخات ساحل الصلح أمراً حقيقياً وليس خيالياً ، فإن هذا يمكن التدليل عليه بكل جلاء ووضوح من أقوال الموظفين البريطانيين أنفسهم . فقد كتب الكابتن كولومب الضابط فى البحرية البريطانية يقول بكل صراحة عن سكان المشيخات.

> . . . إن القبائل القاطنة على الساحل هى تحت رحمتنا قطعاً ، وإن التوصل إلى أى هدف معهم إنما يعتمد على مبلغ القوة التى نستخدمها .(٣)

أما بالنسبة إلى مسقط ، فان بيان الكوماندور هوجارث (الفقرة ٢٢ من الفصل الرابع فيما سبق) يشرح وضعها بكل وضوح ، إذ يقول أن البريطانيين قد

---

(٣) الكابتن كولومب « اقتناص الرقيق فى المحيط الهندى » (١٨٧٣ م) ص ١٣٤ .

التزموا منذ زمن «بتأييد حكام مسقط ضد شعب عمان» أو كما قال اللورد كرزن دون تحفظ (الفقرة ٢٧٦ من الفصل الرابع فيما سبق) إن مسقط

... يمكن النظر اليها بحق كلحقة بريطانية . فنحن تدفع إعانة مالية لحاكمها كما أننا نملى سياستها ، ولهذا يجب ألا نسمح بأى تدخل أجنبى.

٩ — وعلى الرغم من هذه السيطرة الفعلية ، فقد تنصلت بريطانيا منذ زمن طويل من مسئوليتها فيما يتعلق بالشئون الداخلية لتلك الدويلات. وأخذت تسعى وراء الحصول على مزايا السلطة وفوائدها دون أن تتحمل مقابل ذلك أيةمسئوليات متكافئة . ونجحت فى تحقيق ذلك بفضل الوضع الشاذ الذى ابتدعته لاولئك الحكام . فحيث أن دويلاتهم لا تعتبرها بريطانيا مستعمرات أو محميات بل مجرد أنها « واقعة تحت الحماية البريطانية » ، وهذا من قبيل التلاعب بالالفاظ ، فإن المملكة المتحدة قد أفلتت بذلك من الواجبات التى تفرضها على الدول المستعمرة المادة ٧٣ من ميثاق الأمم المتحدة ، وهى التى تفرض من بين ما تفرضه وجوب تزويد السكرتير العام للأمم المتحدة بالمعلومات اللازمة . وبما أن تلك الدويلات لا تقع تحت الوصاية فلا تنطبق عليها المستلزمات الأكثر وجوباً فى الفصل الثانى عشر من الميثاق . وحيث أن علاقاتها الخارجية ، مهما بلغت مبلغ السيادة نظرياً ، هى فى قبضة المملكة المتحدة ، فأنها لا تملك أية وسيلة فعالة لأن تجعل صوتها مسموعاً من تلقاء نفسها . وهكذا فإن المملكة المتحدة لا تقدم حساباً دولياً عن مسلكها فى تلك الأقاليم ، وهذه حالة تنفر منها مبادىء المجتمع الدولى الحديث. وأن مثل هذا الاستعمار المقنع فى عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) يجب أن ينظر إليه بعين الاستياء ، وحيثما لا يمكن اقتلاعه من جذوره فيجب قطعاً عدم تشجيعه أو تنميته.

١٠ — وقد عادت الصلة البريطانية بفائدة ضئيلة على أهالى هذه المجتمعات بالإضافة إلى الضمان المحدود الذى منحته للحكام وهو حمايتهم من عجزهم ،

وحتى فى هذا ، وبنوع خاص فى أبو ظبى ، لم تكن الحماية كافية للمحافظة على أرواح الحكام أنفسهم فى حالة عدم تأثر المصالح البريطانية بمقتل حاكم ما وحلول آخر محله ، وهذا أمر تمكن الدلالة عليه بالإشارة إلى الملاحظات غير المرضية التى أبداها المراقبون البريطانيون عن مدى الازدراء الذى كان يحمله البريطانيون للحكام وشعوبهم . فبعد مضى قرن من قيام هذه الصلة ، وصف لوريمر مشايخ ساحل الصلح (الفقرة ٢٩٦ من الفصل الرابع فيما سبق) بأنهم « جهلة رجعيين يميلون إلى الشكوك الصبيانية » . وفى نفس هذا الوقت تقريباً كتب المستر أوبرى هربرت عضو البرلمان البريطانى المتجول يصف عرب ساحل الخليج بأنهم الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد .[٤] وحتى السر برسى كوكس تحدث مرة عن اجتماع عقده بعض مشايخ ساحل الصلح بأنه على شكل « سرب من الغربان » .[٥] وبعد خمسين عاماً نوه اللورد اسكويث أوف بيشويستون — وكان حكما فى معرض التحكيم بين حاكم أبو ظبى وشركة استثمار البترول (ساحل الصلح) المحدودة ، بأنه ليس هناك قانون « معقول يمكن القول بأنه قائم » فى أبو ظبى ، « هذا الاقليم البدائى جداً » .[٦] ملاحظات السر لاينول هيورث الذى كان معتمداً سياسياً قبل ذلك فقد جرى إدراجها فى حاشية الفقرة ٥٣ من الفصل السادس فيما سبق . وليس هناك حاجة تدعو إلى الإكثار من الأمثلة . فإذا كانت هذه البيانات جميعها صحيحة فإنها تبين إخفاق الحماية البريطانية مدى مائة وخمسين عاماً فى التأثير لإدخال أى تحسن على أحوال هؤلاء الحكام وشعوبهم . وأما إذا كانت كاذبة ، فإنها تبين اتجاهاً للدولة المسيطرة يكاد لا يتفق ومهمتها . وفى كلتا الحالتين فإنها شهادة

---

(٤) أوبرى هربرت « بن كندم . سجل رحلة شرقية » (الطبعة الثانية بلا تاريخ) ص٨٧ .

(٥) جريفز « حياة كوكس » ص ٩٦ .

(٦) مجلة القانون الدولى المقارن ، مجلد ١ (١٩٥٢ م) ص ٢٥١ .

مبينة توضح السبب الذى من أجله لا ينبغى فرض النظام البريطانى على القبائل والأشخاص الذين تمكنوا حتى الآن من التملص منه .

١١ – كان البريطانيون من زمن مرهفى الحس حول أعمالهم فى الخليج ، وقد يكون مرد ذلك إلى شعورهم بطبيعة مركزهم الذى لم يلق ارتياحاً بوجه عام . لذلك فإن صدى أى تحد يدعو إلى الشبهة لابد أن يكون قوياً . واقتبس الدكتور زويمر المبشر الأمريكى منذ خمسين عاماً ، وهو الذى قضى سنوات عديدة فى منطقة الخليج ، ملاحظة ملائمة أبداها معلق ألمانى استرعت انتباهه هذه المميزات للسياسة البريطانية :

> . . . لقد درج (البريطانيون) على إدارة الخليج الفارسى برمته لدرجة أنه إذا ما وقع أقل شىء لم يكن فى حسبانهم أو من تدبيرهم فإنهم يفقدون تماماً ضبط انفسهم .(٧)

وان هذه الكلمات لتنطبق حرفياً على السياسة البريطانية منذ ١٩٥٠ م ، ومثال ذلك نسف العلامات القائمة على الجزائر العربية السعودية (الفقرة ٦٥ من الفصل الخامس فيما سبق) واستخدامهم مؤخراً القوة العسكرية لفرض سيطرة سلطان مسقط – وبالتالى سلطتهم – على إمامة عمان (الفقرات ٣٧٥ – ٣٧٧ من الفصل الرابع فيما سبق) .

١٢ – ومهما ساهم البريطانيون فى الماضى فى استتباب الأمن فى البحر فقد كانوا عنصر اخلال بالسلم والنظام فى المناطق البرية الشرقية والجنوبية لجزيرة العرب . وقد عمدت المملكة المتحدة – ولا تزال تعمد – ساعية وراء تنمية مصالحها إلى استخدام الحكام الذين يعتمدون عليها مع الأسف . وان الحركات العدائية التى تتبعها لتعزيز هذه المصالح تعيد إلى الأذهان أسلوب

---

(٧) أوردها زويمر « جزيرة العرب ، مهد الإسلام » (١٩٠٠ م) ص ٢٢٣ .

القرن التاسع عشر الميلادى الكريه ومن شأنها أيضاً الإخلال باستقرار الإقليم ، لهذا لا تستحق التشجيع أو التقدير . واننا لنعرض أن هذا هو المصير الذى ستؤول إليه الأراضى المتنازع عليها هنا إذا ما نسبت إلى أبو ظبى أو مسقط . لذلك فإن المملكة العربية السعودية ترى ، تحقيقاً للعدالة اليوم ، وتوفيراً للسلام فى المستقبل ، أنه يجب على هذه الهيئة أن تتجنب توسيع مدى الاستغلال والسيطرة اللذين تتمتع بهما دولة أجنبية فى إقليم الخليج الفارسى .

٢ ـ رغبات الأهالى

١٣ ـ إن الاعتراضات المبينة فى القسم السابق والمنصبة على أى توسيع آخر لنظام استعمارى فى جوهره ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع رغبات الأهالى . ونحن نعرض أن هذا هو اعتبار له أهمية بالغة فى الوصول إلى حل عادل دائم للمشكلة الراهنة ، كما أنه فى نظر المملكة العربية السعودية يسترعى أقصى ما يمكن من العناية المقترنة بالصبر والاناة ، إذا كان القصد هو إثبات الحقائق وتقديرها تقديراً صحيحاً ، إن الموضوع يبدو بصورة خاصة أكثر ما يكون ملائمة لصلاحيات الهيئة بإجراء تحقيقات فى هذا الصدد ، وان المملكة العربية السعودية لتأمل أن ترى الهيئة من المناسب ممارسة تلك الصلاحيات أثناء إجراءات التحكيم .

١٤ ـ إن رأى المملكة العربية السعودية الراسخ هو أن أكثرية أهالى المناطق المتنازع عليها يعتبرون أنفسهم وأراضيهم تابعين للمملكة العربية السعودية وأنهم يعارضون بشدة المزاعم فى هذه المناطق التى قدمت نيابة عن حاكم أبوظبى وسلطان مسقط . وكما أشير سابقاً ، هناك كثير من الأهالى كانت تربطهم علاقات وطيدة على مر السنين مع آل سعود وان أعمالهم فى الوقت الحاضر من دفع الضرائب وإظهار الولاء تبين بأن مشاعرهم هذه المتأصلة جذورها لم تتغير . والحقيقة هى أنه ليس هناك حاكم من حكام الساحل وخصوصاً أولئك الذين يعتمدون عموماً على التأييد البريطانى ، يستطيع أن يحتل المكانة الودية التى كان يتمتع بها آل سعود العريق فى قلوب أولئك الأهالى ، ذلك البيت الذى ظل خلال قرنين من الزمن رمزاً للقانون والنظام والوحدة والدعوة إلى التوحيد فى جزيرة العرب . وكما كان هذا الأمر صحيحاً فى الماضى فهو

اليوم أكثر صحة وجلاء إذ تبرز أكثر فأكثر فى قلوب الناس وعقولهم الرغبة الواعية فى الانتساب إلى دولة عربية أصيلة لها من القوة الكافية ما يفرض احترام حقها وسلطانها .

١٥ – وللتدليل على صحة هذه التأكيدات ، فقد سبق للملك الراحل عبد العزيز أن اقترح على المملكة المتحدة فى نوفمبر سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢م) القيام باستفتاء تحت إشراف محايد فى إقليم البريمى (الفقرة ٩٦ من الفصل الخامس فيما سبق) إلا أن المملكة المتحدة تجاهلت هذا الاقتراح أول الأمر ، ثم رفضته بحجة أنه « غير مناسب » (الفقرة ٩٩ من الفصل الخامس فيما سبق) . وليس من العسير فى ضوء المعلومات المدرجة فى هذا العرض أن نرى لماذا كان من شأن استفتاء محايد أن يكشف صراحة عن طبيعة المطالب المغالى فيها المقدمة ضد المملكة العربية السعودية ، بحيث يعود بأوخم العواقب على المزاعم الموحى بها من البريطانيين فى جزيرة العرب بأسرها . وأن ذلك الرفض ليبين مدى ما كان يعانيه البريطانيون من إنعدام الثقة بشكل أساسى فى موقفهم . وقد يلاحظ أن هذا الشعور لم يتناقص ، فعلى الرغم من ضغط البريطانيين ودعوتهم مدى عامين لتحسين موقفهم فقد شعروا فى الشهور الأخيرة بأنهم عاجزون عن الموافقة على مرور الجماعات السعودية بطريق البر إلى البريمى ، وذلك طبقاً لقرار الهيئة المتخذ فى نيس فى شهر يناير ١٩٥٥ م . ويلوح بأنهم لا يجرؤون على السماح بظهور أية جماعة سعودية مهما كانت صغيرة أو واقعة تحت رقابة دقيقة فى المناطق المتنازع عليها ، كما أنهم لا يطيقون أن يكشفوا أنفسهم ، فهم يحاولون بكل وسيلة أن يتحصنوا فى خنادقهم قبل حلول يوم الحساب .

١٦ – لقد قيل ما فيه الكفاية حتى الآن فى هذا العرض كما نعتقد بقصد تبيان الطابع الضعيف المقلقل لحكم الدويلتين اللتين تمثلهما هنا المملكة المتحدة ، إذ تعوزهما الأسس الراسخة للتأييد الشعبى فى المناطق المتنازع عليها ، حيث

يعتبرهما السكان خاضعتين لسلطة أجنبية ، وبذلك فإنهما لا تفرضان فى تلك المناطق من الاحترام إلا بمقدار القوة التى تستخدمها هذه السلطة الأجنبية نيابة عنهما . وقد كانت هذه القوة تافهة منذ قرن مضى ، إلا أنها ازدادت كثيراً فى الأيام الأخيرة للأسباب التى جرى سردها فى القسم السابق ،كما أنها استخدمت وتستخدم بكل شدة وعنف لتقوية مركز كان فيما مضى واهياً ومتداعياً بشكل واضح . وتحت ضغط مثل هذه القوة رأى بعض السكان أنه من الحكمة أن يتحفظوا فيما يتعلق بميولهم الحقيقية . وكان هذا على كل حال أمراً متوقعاً ، إذ لم يخلق جميع الناس أبطالا يخوضون غمار حركات المقاومة . وإنه لأمر طبيعى وبشرى أن يحاول الأهالى المعرضون لإجراءات الانتقام التى تنزلها بهم وبممتلكاتهم القليلة السيارات المدرعة وقاذفات القنابل النفاثة ، تجنب مثل هذه النكبات بالأجوبة الناعمة . لكن مثل هذه الأعمال — فى رأى المملكة العربية السعودية يجب أخذها على حقيقتها ، بأنها إذعان للقوة الوحشية ، كما يجب عدم إساءة تفسيرها بأنها تعبير حر عن الرأى.

١٧ — إن وقوع مثل هذه الصعوبات خلال هذه القضية يتبين فى محتويات الملاحق ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ ، وجميع هذه البينات تطوع الأشخاص ذوو الشأن بإعطائها . وأول مثل لذلك هو بيان الشيخ عبيد بن جمعة رئيس قبيلة بنى كعب (وهو الموقع على إعلان ولاء مبين فى الملحق ٥٩) حيث يصف كيف أرغم هو وعشيرته على ترك بلدتهم محخصة من جانب البريطانيين ، وكيف أن اثنين من رجاله قد قتلا ، أحدهما بقنبلة والآخر برصاص مدفع رشاش . والمثل الثانى لذلك هو البيان الذى قدمه الشيخ راشد بن سعيد الدرمكى فى البريمى ، يصف فيه كيف أرغم تحت الضغط على توقيع ولاء لحاكم أبو ظبى . وأما الثالث فقد كتب نيابة عن أفراد قبيلة العفار فى القسم الجنوبى من الظاهرة وهو يشير إلى هجوم مسلح وألوان أخرى من " تعدى الانجليز

وأعوانهم علينا ضدنا". إن هذه الإجراءات القسرية اتخذت فى ربيع ١٩٥٥، وعلى الرغم من أنها وقعت خارج دائرة البريمى إلا أنها تكشف عن جو الرعب الذى عمل البريطانيون على إيجاده، ذلك الجو الذى لم تحل دون وجوده دائرة وهمية. ولدى الحكومة العربية السعودية سبب يجعلها تعتقد بأن هناك حوادث أخرى من الإرهاب والإرغام، إلا أنها قد امتنعت عن السعى وراء بيانات صريحة يصدرها حرصاً منها على حماية الأشخاص من انتقام متوقع.

١٨ — والبيانات التى فى مصلحة جانب يستخدم هذه الأساليب لا يمكن الأخذ بها على ظاهرها. وإنه لمن الضرورى فى رأى المملكة العربية السعودية أن لا تقصر الهيئة بحثها على مثل هذه البينة المكتوبة وأن تتوخى التأكد من المشاعر الحقيقية للأهالى وبذلك، فإنها يجب أن تبدد المخاوف الناتجة، كما يجب أن تشجع الناس على الاعراب عن آرائهم بكل حرية. وأن المملكة العربية السعودية لواثقة بأن أى تحقيق حيادى من هذا القبيل سوف ينتهى إلى ترجيح كفة البينة التى بجانب قضيتها، كما أنها سوف تحاول جهدها لمساعدة الهيئة فى مجال إجراءات للتحقيق ترى الهيئة فائدة فى القيام بها. والمملكة العربية السعودية لتعيد إلى الذاكرة فى هذا الصدد الانتباه إلى أنه لم يسبق أن كان لها فى أى وقت من الأوقات منذ نشأة هذا النزاع قوات عسكرية فى المناطق المتنازع عليها، كما أنها لم تحاول فرض طاعتها على السكان باستعمال تلك الأساليب «الإنسانية» مثل القاء القنابل على قراهم وإطلاق نيران المدافع الرشاشة على قطعان الماشية والإبل والنخيل. فإن أولئك الذين أعلنوا عن ولائهم للمملكة العربية السعودية قد قاموا بهذا طوعاً واختياراً، من دون أى إرهاب، وفى وجه معارضة بريطانية عنيدة.

٣ ـ فكرة الوحدة

١٩ ـ لعل فكرة الوحدة هى خير ما توصف به النقطة الأخيرة التى ترغب المملكة العربية السعودية فى عرضها على الهيئة ، ونحن نرفع إلى الهيئة أن الإتجاه السياسى والقانونى الذى ينبغى أن يتخذ بشأن المناطق المتنازع عليها لا بد أن يعكس أوجه الوحدة القائمة فعلا فى تلك المناطق ، كما نرفع أيضاً إلى الهيئة أن أى اتجاه يأخذ فى الحسبان أوجه الوحدة هذه من الضرورى أن ينتهى حتما فى مصلحة المملكة العربية السعودية ، وأوجه الوحدة هذه هى على السواء جغرافية وقبلية، اقتصادية واجتماعية ، ولكنها فوق ذلك كله إنسانية وعاطفية متغلغلة فى صميم مشاعر الأهلين . وتعالج الفقرات التالية بعض الجوانب الهامة لهذا الموضوع ، كما أنها تبين الصعاب التى يتوقع أن تنشأ إذا لم تلق هذه الجوانب التقدير التام .

٢٠ ـ لقد أشير فى معرض وصف منطقة البريمى فى الفصل الثانى إلى أن أجزاء واحة البريمى المتعددة تعتمد إلى حد كبير بعضها على بعض فى أمورها الحيوية مثل الماء ، ولذلك يجب عدم عرقلة تماسكها إذا اريد لها الاحتفاظ بحياة مقبولة ، ذلك بأنه لكيما يلتئم السكان فالوحدة ضرورة ولهذا فإننا نرفع إلى الهيئة ـ على أساس ذلك المعيار ـ بالإضافة إلى معايير أخرى ـ أن مطالب أبو ظبى ومسقط فى الواحة يجب اعتبارها قائمة على أساس غير سليم . فكما يفهم ، تطالب مسقط بقريتين بينما تطالب أبو ظبى بالباقى ، ولا يطالب أى منهما بالواحة كمجموعة . وإن حكماً فى صالح إدعاءاتهما يقتضى حتما تجزئة الواحة وإقامة حواجز سياسية مصطنعة تفصل بين هذه القرى التى يعتمد بعضها على بعض . على أن لدى بلاد الشرق الأوسط من الأسباب ما يجعلها تعتقد

أن التقسيم ليس حلا مرضياً لمثل هذه المشكلة . فالاحتكاكات التى لا مندوحة منها نتيجة لمثل هذا الإجراء ، والظلم الذى يحيق بالمواطنين تبعاً لذلك ، ليس فى حاجة إلى الإسهاب فيه ، وعلى العكس فإن بالإمكان تلافى الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية إذا ما سلم من حيث التاريخ والقانون بمطالبة المملكة العربية السعودية بالواحة بأسرها .

٢١ – وإن المملكة العربية السعودية لتقدر تماماً حقيقة صلاحيات الهيئة بأنها مقيدة فى إجراءات التحكيم الخاصة بالبريمى ، بمنطقة الدائرة التى حددتها إتفاقية التحكيم . وهى لا تتوقع أن تتجاوز الهيئة صلاحيتها فى أى شكل من الأشكال . إلا أنها ، كما سبق لها أن اغتنمت الفرصة فأبدت فى الفصل الثانى ، ترى أن الدائرة التى رسمت حول البريمى ما هى إلا تحديد مصطنع كلياً ، لا يمت بصلة إلى الحقائق الجغرافية والإنسانية لذلك يستحيل ، فى رأى المملكة العربية السعودية ، تقدير الحالة داخل الدائرة بشكل صحيح دون بعض التفهم للاقليم الذى اقتطعت منه تلك الدائرة . ولهذا السبب ، فقد قدم فى الفصل الثانى بحثٌ عن الوحدة الجغرافية لذلك الإقليم كما قدم فى الفصل الثالث بحث عن سكانه الذين تربطهم داخل الدائرة وخارجها روابط القربى والشعور المشترك وأسلوب الحياة المتماثل . وكما أن قرى واحة البريمى المنفردة تشكل فى مجموعها محيطاً أوسع ، فإن هذا المحيط بدوره هو من وجوه كثيرة مركز وحدة إقليمية أكثر إتساعاً وأهم اجزائها . ولذلك فإن فصل الواحة اصطناعياً عن منطقتها الداخلية الطبيعية يكون كارثة لجميع سكان الإقليم سواء كانوا داخل الدائرة أو خارجها . وهكذا فاننا نعرض بأن تلك هى النتيجة التى تنتهى إليها المنطقة إذا ما قرر مصيرها تمشياً مع مطالب أبو ظبى ومسقط .

٢٢ – إن إقليم البريمى الموصوف فى الفصل الثانى هو إقليم برى له علاقات بسيطة – إما جغرافية أو تاريخية – مع منطقة الساحل وسكانه . وليس هناك

الكثير من العوامل المشتركة التي تجمع بين بلدة مسقط التي هي ميناء بحرى أو قرية أبو ظبي التي هي مركز لصيد السمك وهما مختلفان في أسلوب الحياة وفي المصالح عن سكان الهضاب الداخلية الذين يشتغلون بالزراعة والرعي. ولم يقم أي من الحاكمين بشكل من الأشكال أية سيادة على هذه المناطق الداخلية ، سواء داخل الدائرة أو خارجها ، وعلى العكس من ذلك فإننا نعرض أن الوثائق المبينة في الفصل الثالث هي بينة قوية على أن الأكثرية الغالبة من الأهالي في إقليم البريمي يعتبرون أنفسهم سعوديين كما يعتبرون أراضيهم جزءاً من المملكة العربية السعودية . وليس هذا صحيحاً بالنسبة لجهات الشرق والجنوب الشرقي فحسب حيث يندمج إقليم البريمي والمناطق الغربية المتنازع عليها في رقعة واحدة، بل أنه صحيح أيضاً بالنسبة لجميع الأطراف الأخرى للدائرة . وأن التمسك بتقسيم البريمي بين مسقط وأبو ظبي ، إزاء هذه المشاعر ، هو في الحقيقة إقامة لبقعتين اصطناعيتين من الأرض يحيط بهما من جميع الجوانب إقليم سعودي بحت ، وإقامة عزلة سياسية تقضي جميع الدواعي الاقتصادية والاجتماعية بتجنبها .

٢٣ – وبينما قد يمكن إبراز المصاعب التي يتوقع أن تنجم عن قسمة مصطنعة سياسية في إقليم البريمي ؛ فإن تلك المصاعب يجب أن يحسب حسابها عند النظر في المناطق الغربية المتنازع عليها . وفي رأى المملكة العربية السعودية أنه من الأهمية بمكان أن يوضع خط الحدود مع أبو ظبي في تلك المناطق بحيث لا يتسبب إلا في أقل ما يمكن من الاضطراب في حياة السكان ، وهذا يعني ، كما نعرض هنا ، أن خط الحدود يجب أن يتفق بقدر الإمكان مع الحدود التقليدية لديار القبائل المعنية . وبصرف النظر عن الحجج القانونية المستمدة من حقوق القبائل في ديارها ، فمن المرغوب فيه كثيراً ، لأسباب إقتصادية وإنسانية ، إلا تجزأ القبيلة وديارها بشكل تعسفي . إن هذه الحدود القبلية ما زالت تشكل أقرب وسيلة ممكنة في هذا الإقليم لتعيين الحدود « الطبيعية » الإنسانية كما أنه

يعتقد بأنها تتيح بالتالى أحسن وسائل الإرشاد فى سبيل وضع حدود سياسية عادلة ومناسبة . إن مواقع هذه الحدود القبلية قد جرى بحثها فى الفصل الثالث . ونكتفى هنا بأن نعيد إلى الأذهان أن هذه المواقع قد سبق أن أخذت بعين الاعتبار فى إقتراح الحدود السعودى المقدم فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م (الملحق ٢٦) ، ونعرض أن دراسة تلك المواقع فى معرض الإجراءات الحالية سوف تؤكد ، لهذا السبب أيضاً ، وجاهة ذلك الاقتراح .

الفصل الثامن

ما تعرضه الحكومة العربية السعودية بصدد الحكم

١ ــ إن الإجراء الراهن بوصفه أهم تحكيم إقليمى فى السنوات الأخيرة ، لهو من الخطورة بمكان ليس بالنسبة لأطراف النزاع ذوى الشأن ولشعوب الشرق الأوسط عامة فحسب ، بل ولجميع الذين يهمهم تشجيع تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية أينما يكونون . والحكومة العربية السعودية من جانبها تنظر نظرة جدية للغاية إلى هذا الإجراء ، إذ أنها تعلق أعظم الأهمية على الحل المرضى لنزاع يمس عن كثب حقوقها التاريخية وكيانها الإقليمى . وتأمل الحكومة العربية السعودية أن التسوية السلمية لهذا النزاع ، تشجع الإسراع فى تسوية مسائل إقليمية أخرى لم يتحقق حلها بعد فى جزيرة العرب وذلك على أساس العدل والإنصاف . ونظراً لهذه الاعتبارات فإن المملكة العربية السعودية ترى أن الأمور المعروضة على الهيئة فى منتهى الخطورة وتقتضى منها أشق العناية . وللهيئة حين اضطلاعها بواجبها الحق فى الحصول على أقصى معونة من الطرفين .

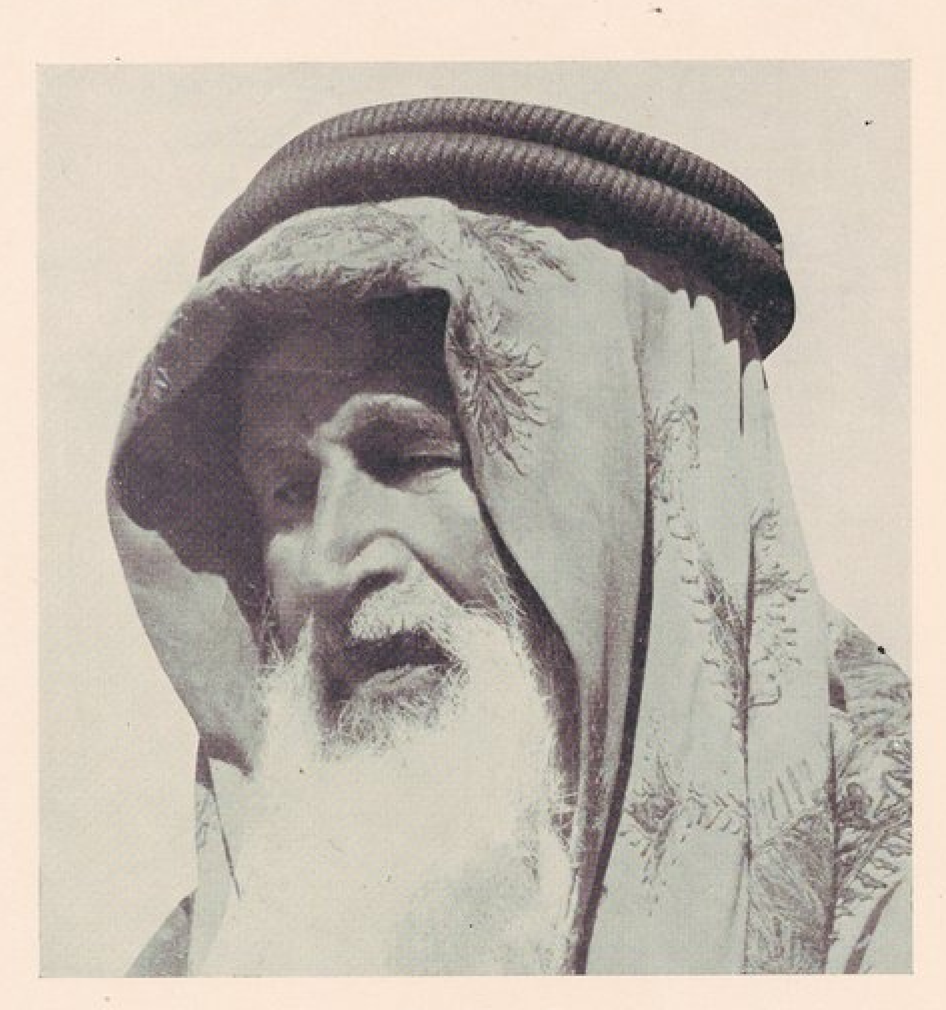
٢ ــ إن هذا العرض هو أول ما تقدمه المملكة العربية السعودية للهيئة مساهمة فى هذه المعونة . وفى هذا العرض حاولت المملكة العربية السعودية أن تقدم طبقاً لنص المادة الرابعة من إتفاقية التحكيم « جميع اعتبارات القانون والواقع والانصاف » مما يتعلق بالنزاع . فهى طبقاً لهذا الطلب لم تقيد نفسها فى بحث النقاط القانونية وحدها ، بل حاولت أن تقدم أساساً لفهم النزاع فى وضعه

الجغرافى والتاريخى والسياسى الواسع . وتعتقد المملكة العربية السعودية أن فهم هذا الوضع هو أمر جوهرى للوصول إلى نتيجة عادلة .

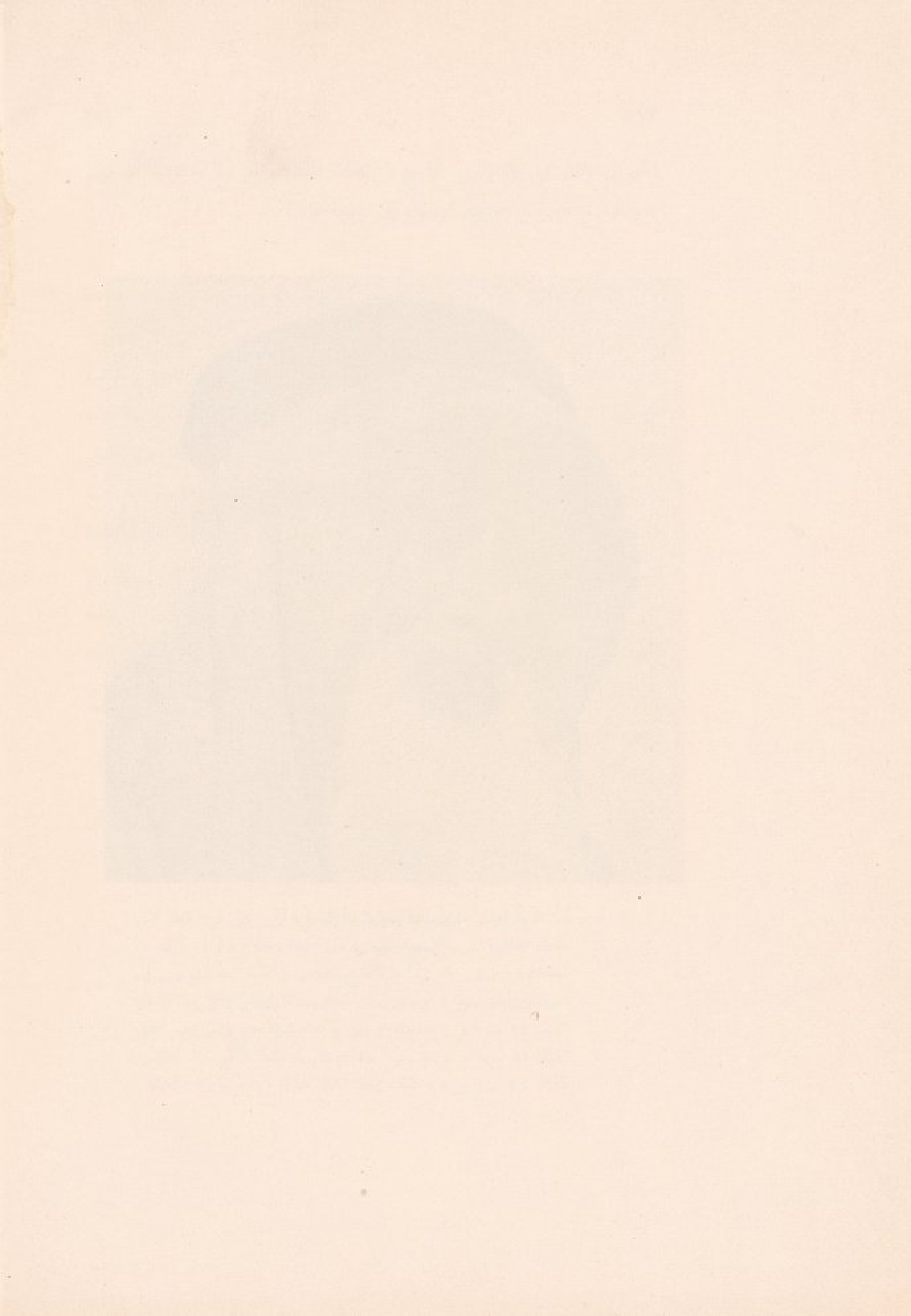
٣ – وبالنظر إلى الأبواب الأربعة للاعتبارات الخاصة الواردة فى المادة الرابعة من إتفاقية التحكيم ، فالحقوق التاريخية لملك المملكة العربية السعودية وآبائه ولغيره من الحكام الآخرين ذوى الشأن وآبائهم ، يجرى تناولها بإسهاب فى الفصل الرابع من هذا العرض ، بينما يجرى عرض الناحية الدبلوماسية لهذه الحقوق فى الفصل الخامس . أما ولاء السكان التقليدى مع تنظيمهم القبلى وأسلوب حياتهم فيتضح فى الفصل الثالث ، فى حين أن الحقائق المتعلقة بممارسة السلطة تدرج فى الفصل الرابع . وأما أهمية هذه العوامل فى ضوء المبادىء العامة للقانون ، فيجرى تحليلها فى الفصل السادس ، بينما يشتمل الفصل السابع على اعتبارات إضافية يعتقد أنها ذات أثر فى الموضوع . واننا لنرى أن هذه الحقائق الواقعية والمبادىء القانونية ، وكذلك الاعتبارات المنصفة المبينة فى هذه الفصول تؤيد كلياً مركز المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بالأراضى المتنازع عليهـــا .

٤ – لهذه الأسباب ، فإن المملكة العربية السعودية تطلب من الهيئة أن تقرر ، فيما يتعلق بالأمور المعروضة عليها :

أ – أن الحدود المشتركة بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبى هى الخط الذى حددته الحكومة العربية السعودية فى ٢٢ ذى الحجة ١٣٦٨ هـ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) ، وهو يبدأ على الخليج الفارسى من نقطة تبعد كيلومترين إلى الشرق من بندر المرفا ، ثم يسير باتجاه الجنوب الشرقى حتى يلتقى بخط العرض الشمالى ٢٣ درجة و ٥٦ دقيقة ، ومن ثم يتجه شرقاً حتى يلتقى بخط الطول الشرقى ٥٤ درجة ، ثم يمتد على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع خط العرض الشمالى ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة وخط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة .



علي أبا الروس الضعيّف
من قبيلة العوامر



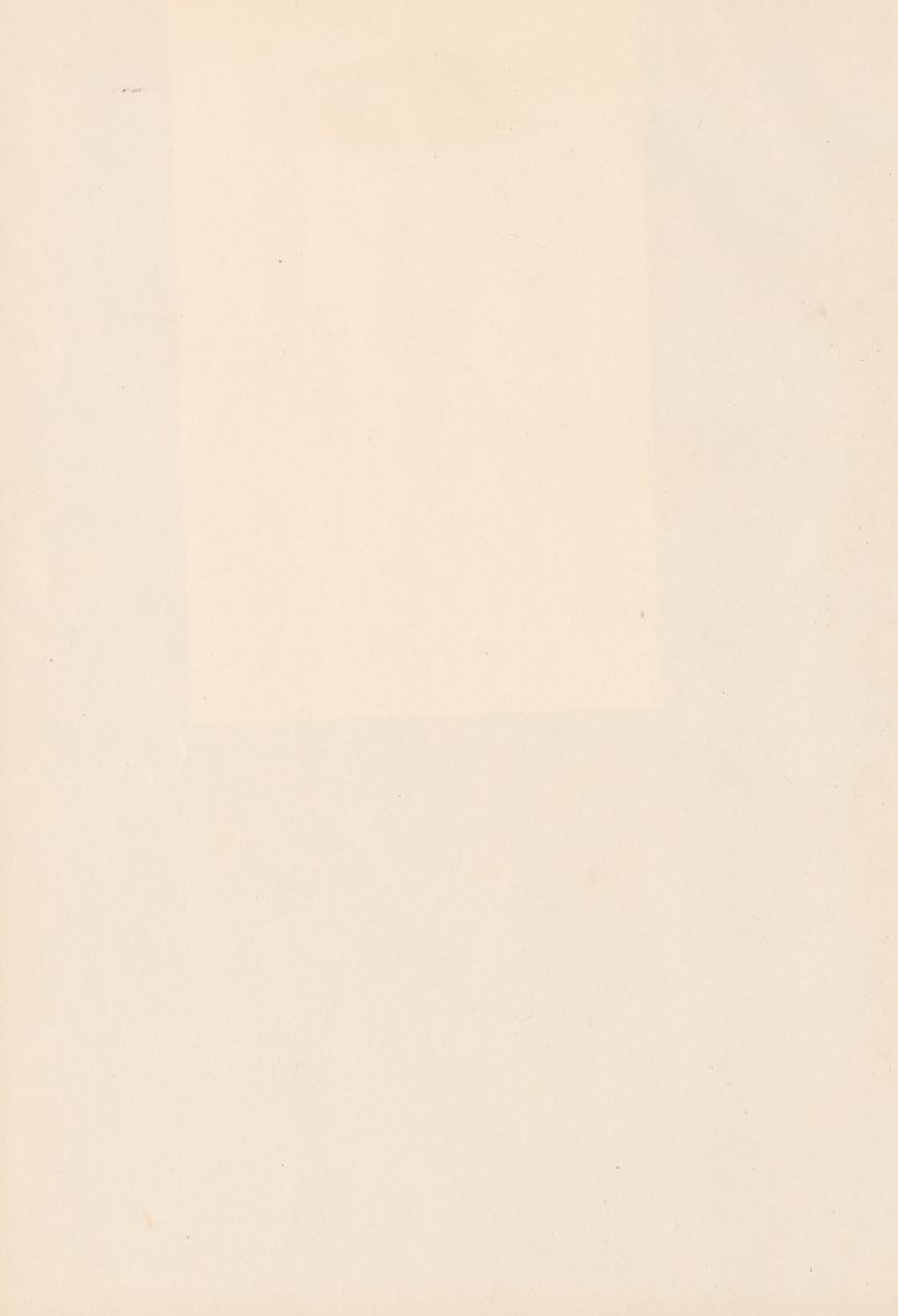
ب- أن المملكة العربية السعودية تملك السيادة على كامل المنطقة الواقعة داخل الدائرة التى مركزها قرية البريمى ويمر محيطها عبر نقطة تلاقى خط العرض الشمالى ٢٤درجة و٢٥ دقيقة مع خط الطول الشرقى ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة .

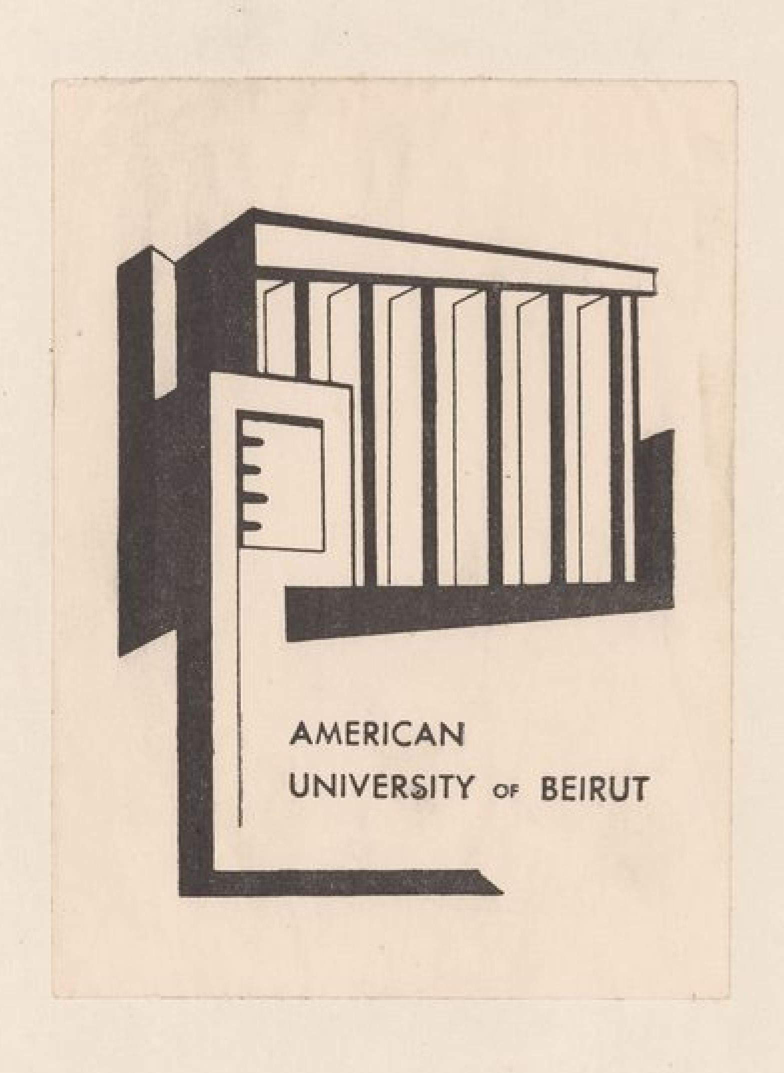
عبد الرحمن عزام

وكيل حكومة المملكة العربية السعودية

١١ ذى الحجة سنة ١٣٧٤

٣١ يوليو سنة ١٩٥٥




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

